

الهدية للسادة الأعرجية

في شرح قصيدة المُنْتَبَي (ت354هـ)

يمدح بها العلوي محمد الأشتر المشطّب الأعرجي (ت350هـ)

بقلم

محمد حسين الحسيني الجلالي

تحقيق

فتحي عبد القادر سلطان

عمان-الأردن

2002

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى المُتَنَبِّي القائل :

تغرب لا مستغظماً غير نفسه ولا قابلاً إلا لخالقه حكماً

فمنذ قرأت ديوان المُتَنَبِّي شئتني إليه هذا البيت الذي
يؤكد على أمرين أساسيين في الحياة حكمت حياته كلها ..
وآثرت في حياتي كلها ،
الأول : الثقة بالنفس
الثاني : الإيمان بالخالق وحده .

المؤلف

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقومات أية أمة في التاريخ ثلاث :

1- اللغة

2- الثقافة

3- النسب

وأية أمة تفقد إحدى هذه العناصر الثلاث لا تتجح في الحياة .

لقد حافظت سلالة الرسول الأعظم (ص) - مدى التاريخ - بكل ما

تيسر لها من الوسائل على لغة جدهم ، وهي لغة القرآن الكريم ، وعلى

ثقافة الإسلام التي طبقها الرسول القائد في حياته سنةً مطهرةً ، وعلى

نسبهم الطاهر جيلاً بعد جيل .

وقد أوصى الرسول القائد أمةً بثلاث : فقد روى مسلم عن رسول

الله (ص) " .. ألا أيها الناس فإتوا بشاراً أنا يوشك أن يأتي رسول ربي

فأجيب ، وأنا تارك فيكم الثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور

فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به " .. فحث على كتاب الله ورغب فيه

منهج البحث

ذكرت أولاً نص القصيدة ، ثم تابعت منهج الدكتور طه حسين في تقطيع القصيدة إلى ثلاث مقاطع ، ثم أوردت نص كلامه وأعقبته بما يجول في الخواطر ، ثم المنتقى من الشروح حسب وفيات الشراح . وفي الشروح مادة غنية عن تفسير المفردات اللغوية والملاحظات الشخصية من الشراح ، وأقدم ما وقفت عليه منها :

شرح أبي الفتح عثمان بن جنى (ت352هـ) بعنوان "القسر"
وأشهرها شرح أبي العلاء المعرى (ت449هـ) بعنوان "معجز
احمد"

وأحدثها ، شرح عبد الرحمن السقاف (ت1375هـ) بعنوان "
العود الهندي" وكلها مطبوعة منتشرة .

عسى ان يكون بحثنا هذا ، رائحة فائحة من الوفاء الذي رفعت
مدرسة المُنْتَبِي اعلامه وفاء للأسرة والصحبة والأمة . ونقدمه هدية
صغيرة لمن شاء واحب ممن تجمعني واياه رابطة النسب ، ويهتم

المؤلف

بالتاريخ والأدب

من ترجمة المتنبي

نستخلصها من أقدم ترجمة للمتنبي يرويها عنه أبو السحن علي بن عسى الربعي (ت420هـ) نقلها نصاً محمود محمد شاكر في كتابه " المتنبي " طبعة مصر 1407هـ ، الصفحات (585-603) من مخطوطة شرح ديوان المتنبي للواحدي ، اعتماداً على نشره نصاً مع تعليقاته لأمانته ودقته في التحقيق .

نقاط بارزة في حياة المُنْتَبِي

التاريخ	الحوادث
303هـ	ولد في الكوفة
315 هـ	عاش في السماوة - العراق
317 هـ	رحل إلى بغداد
319 هـ	بدء التغرب عن الوطن إلى دمشق
320 هـ	في اللاذقية (سوريا) أصبح مسجوناً بتهمة النبوة
323 هـ	بعد اطلاق سراحه رحل إلى حمص
328 هـ	ذهب إلى طبرية (فلسطين)
329 هـ	كان في بغداد وبلغه وفاة جدته ورثاها بتفجع
332 هـ	في جرش (الأردن)
336 هـ	في انطاكية (سوريا) مع ابي العشائر
337 هـ	في حلب (سوريا) مع سيف الدولة
346 هـ	في الفسطاط (مصر) مع كافور
350 هـ	في الكوفة عام وفاة ممدوحه العلوي الكوفي
352 هـ	في بغداد
354 هـ	في ازجان مع ابن العميد
354 هـ	في شيراز (إيران) مع عضد الدولة
354 هـ	في واسط (العراق) حيث قتل في دير العاتول

شاعر الوفاء

المُتَنَبِّي شاعر الوفاء ، فقد حكم الوفاء حياته كلها ولم تنسه الأيام العطف والإخلاص الذي انعم به عليه الآخرون في حياته ، وخاصة في الفترة التي يفتقر إليها كل إنسان في حياته ، وهي فترة الشباب التي لا تخفى فيها النوايا الحسنة والحاكمة .

وقد رثى المُتَنَبِّي جدته بتفجع في ديوانه ، وهذا التفجع الشديد على موت جدته خاصة دون أمه أو أبيه ، ربما يكشف عن انه تربى يتيماً وأنه كان لجدته دور الأب والأم معاً فرثاها بتفجع .

والمُتَنَبِّي كان يعتني بشعره في حياته عامة ، حيث جمع ديوانه بنفسه لنفسه ، وهذا الترتيب يكشف عن المنتقى من اشعاره المفضلة لديه دون ما لم يستسيغه هو شأن الشعراء من إهمال ما لم ينتقوه من نظمهم وكم رأيت من الشعراء الذين تمنوا لو أن اشعارهم لم تنتشر ، معبرين بذلك عن ما جلب لهم نشرها من نقد لاذع وخاصة اشعار المجون . والله في خلقه شؤون .

الْمُتَنَبِّي المصلح

والمُتَنَبِّي شأن كل المصلحين ، واجه طريقين للإصلاح هما :
الثورة والتوعية

فهناك من يستخدم الثورة وسيلة للإصلاح وهم السياسيون الذين يرون ان الغاية تبرر الوسيلة ، وسلوك هذا السبيل يستلزم تحالفات سياسية كاذبة ونكران علاقات اجتماعية وإراقة دماء بريئة ، في سبيل الوصول إلى الهدف .

وعلى النقيض أو الضد من ذلك من يرى ان التوعية الفكرية هي الطريق الأفضل ، وهذا شأن الفلاسفة والمفكرين كما يسطره التاريخ العام ويشهد عليه تاريخ الإسلام .

ويظهر ان المُتَنَبِّي سلك هذا الطريق مركزاً على توعية من يتوسم فيهم تبني أفكاره الإصلاحية ويتقرب إليهم لتحقيق هذا الهدف .

دعوى النبوة

اتهم المُتَنَبِّي من قبل أعدائه وحسادة بإدعاء النبوة كما هو الشأن في المجتمعات الطائفية ، وهذه التهمة تعادل تهمة التجسس . في عصرنا ، فهما يشتركان في وحدة المصير أوله السجن وآخره القتل إلا من أنقذه اللطيف القدير .

من ترجمة العلوي المشطّب (ت350هـ)

صلة المُتَنَبِّي بالمشطّب وان كانت مجهولة المعالم ، تستكشف من هذه القصيدة بأنها صلة التلميذ بأستاذه المربي له ، باعتباره الأب الروحي الذي يستغل كل شيء مادي او معنوي في رقي تلميذه . ورواسب هذه الصلة لا تزال ترى في حلقات الدروس التقليدية في عصرنا .

فمن هو العلوي ؟

قال ابن حزم الأندلسي (ت456هـ) في ولد الحسن بن علي بن أبي طالب ما نصه : " ومنهم : محمد بن عبيد الله بن محمد بن عبيد الله بن محمد [بن علي بن عبيد الله بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، وكان له قدرٌ بالكوفة ، ومنزلةٌ عند الديّانة ، يُعارض بها منزلة بني عمر العلويين بالكوفة ؛ وهو الذي مدحه المُتَنَبِّي بقوله في قصيدته التي أولها : أَهْلًا بِدَارِ سَبَاكَ أَخِيذْهَا .

ومنهم : علي بن إبراهيم بن محمد بن الحسن بن محمد بن عبيد الله بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، وكان من العبّاد بالكوفة ، حُمِلَ عنه العلم ، وكان عالماً بالنسب⁽¹⁾ .

وقال ابن عنبه (ت828هـ) : " أما الأمير أبو الحسين محمد الأشر بن عبيد الله الثالث ويلقب الأشر لطرفة كانت في وجهه ضربه

¹ - جمهرة انساب العرب ، ص56 ، دار الـ العلمية ، بيروت ، 1418هـ/1998م .

إياها غلام الفدان الزيدي ، وقد مدحه أبو الطيب بالقصيدة التي في أول ديوانه التي أولها :

اهلاً بدار سبائك اغيذها أبعد ما بان عنك خردُها
(وسياتي نصها)

فأعقب وأنجب وأكثر وكان له نيف وعشرون ولداً تقدموا بالكوفة وملكوا حتى قال الناس : "السماء لله والأرض لبني عبيد الله " (1) .

قال الجلالى : الفدان لغة المزرعة . ومن الطبيعي ان الرؤساء يستخدمون الغلمان لتنفيذ مآربهم ، فيكون الغلام آلة مستخدمة من قبل من يعادي العلوي ، ربما ان هذا الغلام (غلام فدان زيدي) زيدي ، يتضح ان العدا كان نابعاً من رئيس زيدي ضد هذا العلوي ، الذي استخدم هذا الغلام لتنفيذ الإغتيال . ومن المعروف ان الزيدية هي الجناح العسكري في تاريخ أهل البيت (رض) وتعارض سائر العلويين من أهل البيت الذين لا يستخدمون السلاح في الدعوة إلى مذهب أهل البيت . فلم يكن الصراع بين الغلام وبين العلوي إلا صراعاً بين الزيدية والعلوية المتمثلة في شخصية عبيد الله العلوي .

وفي لباب الأنساب قال ابن خزاعة النسابة : لقيت الأمير أبا الحسين محمد بن عبد الله بن عبيد الله بن علي بن عبيد الله بن الحسين

¹ - عدة الطالب ، 323.

الأصغر بالكوفة سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة وتوفي جمادي الأخرى سنة خمسين .

وقال ابن الطقطقي : " أبو الحسين محمد الأشر كان من ذوي المنزلة الرفيعة والأقدار الجليلة نقيب الكوفة أمير الحاج .
وقال الفیصل : " وعلاء الدين أمير الحج " .

وقال السيد في النعمة (بعد نقل شعر المُنْتَبِي) : وكان له الرياسة العامة وكان مقدماً عند الخلفاء والملوك وكان له على ما صرح به الشريف الداودي نيف وعشرون ولداً تقدموا بالكوفة وملكوا حتى قال الناس السماء لله والأرض لبني عبيد الله . يعنون بني الأمير محمد الأشر بن عبيد الله الثالث وأعقب من اولاده ثمانية ... "

وقال في الظليلة : " أبو الحسين محمد الأشر ممدوح أبي الطيب المُنْتَبِي الذي توفي سنة 354هـ .

وفي تذكرة الأنساب : " أبو الحسين محمد الأشر أمير الحاج نقيب الكوفة " .

وقال السيد ركن الدين ص 29 : " الأمير الأشر نقيب الكوفة محمد أبو الحسين أمير الحاج وأمير الحرمين ورئيس الطالبين بالكوفة " .
قال السيد حسون البراقي في بيوتات علوية الكوفة : " بنو الأشر ينتسبون إلى الإمام أبي الحسين محمد الأشر ابن عبيد الله الثالث ابن علي بن عبيد الله الثاني ابن علي الصالح ابن عبيد الله الأعرج المذكور

(سابقاً) ويلقب بالأشتر لطرفة كانت في وجهه ضربه إياها غلام الفدان الزيدي (1) .

وقال في مناهل الضرب ص 578 : "وأما الأمير أبو الحسين محمد الأشتر بن عبيد الله الثالث فإنه كان سيداً جليلاً ممدوحاً ، وإنما قيل له الأشتر لضربة كانت في وجهه ضربه إياها غلام الفدان الزيدي وقد ذكرها أبو الطيب المتنبّي في قصيدته التي مدحه بها وهي هذه :

اهلاً بدار سبائك اغيدها ابعدها بان عنك خردها

عقبه : قال ابن عنبه (ت828هـ) : "واعقب من اولاده ثمانية :

الأمير ابو علي محمد أمير الحاج ، وعبيد الله الرابع ، وابو الفرج محمد ، وابو العباس احمد يلقب (البن) ، وابو الطيب حسن ، وابو القسم حمزة يلقب (شوصن) ، والأمير الفتح محمد المعروف بابن صخرة ، وابو الهنا محمد (2) .

¹ - تاريخ الكوفة ، ص414 .

² - عمدة الطالب ، ص323 . والاسدية ، ص86 .

قال الجاهلي : ينتسب إليه - في عصرنا - أسر منتشرة في العالم

الاسلامي منهم

آل المرتضى نسبة إلى المرتضى بن شرف الدين بن نصر الله بن

محسن بن ناصر بن منصور بن عماد الدين موسى بن علي بن محمد

بن علي بن الفضل بن محمد بن احمد بن محمد الأشر .

وإلى المرتضى المذكور ينتسب من الأسر :

• أبو جعفر : نسبة إلى جعفر بن المرتضى المذكور .

• أبو راضي : نسبة إلى راضي بن حسن بن المرتضى

المذكور .

• أبو محسن : نسبة إلى محسن بن حسن بن المرتضى المذكور .

• أبو المصطفى : نسبة آل مصطفى بن المرتضى المذكور⁽¹⁾ .

ينتهي نسب الفقير إلى العلوي هذا كآلتي : محمد حسين بن

محسن بن علي بن قاسم بن محمد بن احمد بن حيدر بن مراد بن حسين

بن مراد بن حسين بن شمس الدين علي الرابع بن شرف الدين محمد بن

¹ - جواهر الليلي ، ص 50.

شمس الدين علي الثالث بن شريف الدين محمد بن سخي الدين علي بن
عميد الدين عبد المطلب الثالث ابن ابي نصر جلال الدين ابراهيم (اليه
تنتهي سلسلة آل الجلاي) ابن عميد الدين عبد المطلب الثاني ابن شمس
الدين علي الثاني ابن تاج الدين الحسن (ت653هـ) ابن شمس الدين
علي الأول ابن عميد الدين محمد الأول ابن ابي نزار عز الدين عدنان
ابن أبي الفضائل عبد الله العالم ابن عمر المختار ابن مسلم الأحول ابن
ابي علي محمد ابن ابي الحسين محمد الأشر العلوي (ممدوح المتنبّي ،
ت350هـ) ابن عبيد الله الثالث (ت290هـ) ابن علي الأكبر ابن
الحسن المحدث عبيد الله الثاني ابن علي الصالح ابن عبيد الله الأعرج
ابن الحسين الأصغر (ت653هـ) ابن الإمام زين العابدين علي ابن
الإمام الحسين السبط ابن الإمام علي بن ابي طالب v . (يراجع
الملحق) .

مع الطاهر العلوي الفلسطيني

الطاهر العلوي الفلسطيني ، هو طاهر بن الحسين بن طاهر بن يحيى المحدث بن الحسن بن جعفر بن عبيد الله بن علي بن الحسين بن زين العابدين علي بن الحسين السبط ابن الإمام علي بن أبي طالب . ذكر نسبه ابن حزم الاندلسي (ت456هـ) في ولد الحسين بن زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب بقوله :
ومنهم الملقب بمُسَلَّم ، الذي كان يدبّر أمر مصر أيام كافور ، واسمهُ محمد بن عبيد الله بن طاهر بن يحيى المحدث بن الحسن بن جعفر بن عبيد الله بن علي بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، وابن عمه طاهر بن الحسين بن طاهر ، الذي مدحه المُنْتَبِي بقوله :

أَعِيذُوا صَبَاحِي فَهُوَ عِنْدَ الْكَوَاعِبِ

وَرَدُّوا رُقَادِي فَهُوَ لِحِظِ الْحَبَائِبِ (1)

¹ - جمهرة انساب العرب ، ص55 ، دار اللد العلمية ، بيروت ، 1418هـ/1998م .

كان الطاهر العلوي شخصية بارزة من شخصيات العلويين في الرملة بفلسطين وعلى صلة قريبة من أميرها ومع الأسف لا اعلم من المصادر الفلسطينية ما يشرح ترجمة هذه الشخصية العلوية الفلسطينية . والمقدمة التي وردت لهذه القصيدة في الديوان وفي أغلب الشروح ، تكشف عن الولاء الكامل للأمير لهذه الشخصية العلوية الفلسطينية . وقد وردت هذه المقدمة الطويلة في كل من الديوان وشرح المعري (449) واليك نصها :

مقدمة القصيدة

وحدث أبو عمر عبد العزيز بن الحسن ⁽¹⁾ السلمي قال : سألت محمد بن القسم المعروف بالصوفي : كيف كان سبب امتداح أبي الطيب لأبي القسم طاهر بن الحسين بن طاهر العلوي ؟ فحدثني أن الأمير أبا محمد لم يزل يسأل أبا الطيب في كل ليلة من شهر رمضان اذا اجتمعنا عنده للإفطار أن يخص أبا القسم طاهراً بقصيدة من شعره يمدحه فيها . وذكر أنه انتهى ذلك . ولم يزل أبو الطيب يمتنع ويقول ما قصدت غير الأمير وما أمتدح أحدا سواه . فقال له أبو محمد قد كنت عزمْتُ أن أسألك في قصيدة أخرى تعملها فاجعلها في أبي القسم طاهر . وضمن له عنه مئات الدنانير فأجابه إلى ذلك . فقال محمد بن القسم الصوفي :

¹ - الديوان ، 209 .

فمضيت أنا والمطلبي برسالة طاهر لوعد أبي الطيب فركب معنا أبو الطيب حتى دخلنا عليه وعنده جماعة من أهل بيته أشراف وكتاب ، فلما أقبل أبو الطيب نزل أبو القسم طاهر عن سريره وتلقاه بعيداً من مكانه مسلماً عليه ، ثم أخذ بيده فأجلسه في المرتبة التي كان فيها قاعداً وجلس بين يديه فتحدث معه طويلاً ، ثم أنشده وخلع عليه للوقت خلعاً نفيسة . قال عبد العزيز حدثني أبو علي بن القسم الكاتب قال : كنت حاضراً هذا المجلس وهو كما حدثك محمد الصوفي ، ثم قال لي : إعلم أنني ما رأيت ولا سمعت في خبر أن شاعراً جلس الممدوح بين يديه مستمعاً لمدحه غير أبي الطيب ، فإني رأيت طاهراً تلقاه وأجلسه مجلسه وجلس بين يديه فأنشده أبو الطيب .

وهذه المقدمة تكشف عن نقاط :

الأولى :

ان الأمير يقدر الطاهر العلوي اكبر تقدير حيث أثر ان تكون قصيدة المنتبى في شأنه دون الأمير نفسه ، وليس هذا من عادة الأمراء . مما يكشف عن المكانة الروحية والاجتماعية لهذا الطاهر العلوي في المجتمع الفلسطيني آنذاك ، ولذلك أراد الأمير التعبير عن عواطفه فقال : مخاطباً المنتبى (قد كنت عزمْتُ ان أسألك في قصيدة أخرى تعملها فاجعلها في ابي القاسم طاهر) .

الثانية :

ان الطاهر العلوي كان شخصية اجتماعية مستقلة يرأس - على اقل الفروض - عشيرته من العلويين من أقاربه ومقربيه الذين يحضرون مجلسه - حسب قول محمد بن القسم الصوفي - حيث قال : " وعنده جماعة من أهل بيته أشرف وكتاب " فان هذه الجماعة كانت الطليعة من المجتمع آنذاك لوصفهم بأمرين : الشرف ، والكتابة ، التي تتواجد عادة في الطبقة المثقفة في المجتمع .

الثالثة :

ان الطاهر العلوي كان يقدر حق التقدير المكانة الأدبية التي يتمتع بها المُنْتَبِي فعظمه أكبر تعظيم حيث :

1. نزل عن سريره
 2. وتلقاه بعيداً من مكانه مسلماً عليه
 3. وجلس بين يديه
 4. وتحدث معه طويلاً ..
 5. وخلع عليه للوقف خلعا نفسه
- وكان يكفي واحدة من هذه الأمور الستة في تقدير المُنْتَبِي . ولكن الطاهر العلوي قام بها جميعاً تعبيراً عن أكبر تقدير يقدم عادة .

والقصيدة في مديح الطاهر العلوي تستحق دراسة مستقلة ،
وسنكتفي بشرح البيت رقم 28 منها :

إذا علوي لم يكن مثل طاهر
فما هو إلا حجة للنواصب

ففي عصر المُنْتَبِي كان المجتمع الإسلامي متكونا من طوائف
ثلاث كما هو الحال في كل المجتمعات المتصارعة . وهذه الطوائف
الثلاث هي :

أولا : الاعتدال وكان يمثله الجمهور الإسلامي العام .

ثانيا : التطرف الايجابي بالغلو بالنسبة إلى أهل البيت وكان يمثله
الغلاة .

ثالثاً : التطرف السلبي وكان يمثله النواصب الذين أعلنوا العداء لأهل
البيت .

وكان كل منها يحاول ان يجعل الجانب الآخر حجة على دعم
مواقفه كما هو الحال في الخلافات العقائدية السائدة اليوم ، حيث ينظر
كل جانب دائما إلى نقاط الضعف عند الجانب الآخر و يتغاضي عن
نقاط الضعف في نفسه ولا يحاول النظر إلى النقاط المشتركة بينهما .

والمُتَنَبِّي يمثّل خط الاعتدال في المجتمع الإسلامي في عصره
ومن أجل ذلك أصبح مورداً للنقد من أصحاب التطرف الإيجابي
والسلبي .

ويرشدنا إلى ذلك استخدامه حرف الجر (اللام) دون حرف الجر
(على) في قوله (للنواصب) ولم يقل (على النواصب)

نص القصيدة
في الطاهر العلوي الفلسطيني

أعبدوا صباحي فهو عند
فإن نهاري ليلة مُدْهِمَةٌ
بعيدة ما بين الجفون كأنما
وأحسبُ أني لو هويت فراقكم
فيا ليت ما بيني وبين أحبتي
أراك ظننت السلك جسمي ففقت
ولو قلم ألقيت في شق رأسه
تخوفني دون الذي أمرت به
ولا بد من يوم أغر محجل
يهون على مثلي إذا رام حاجة
كثير حياة المرء مثل قليلها
إليك فإني لست ممن إذا اتقى
أتاني وعيد الأذعياء وأنهم
ولو صدقوا في جدّهم لحذرتهم
ورثوا رقادى فهو لحظ الحباب
على مقلة من فقدكم في غياهب
عقدتم أعالي كل هب (1) بحاجب
لفارقتة . والذهر أخبث صاحب
من البعد ما بيني وبين المصائب
عليك بذر عن لقاء الترائب
من السقم ما غيرت من خط كاتب
ولم تدرك أن العار شرّ العواقب
يطول استماعي بعده للنوادر
وقوع العوالي دونها والقواضب
يزول وباقي عيشه (2) مثل ذاهب
عضاض الأفاعي نام فوق العقارب
أعزوا لي السودان في كفر عاقب
فهل في وحدي قولهم غير كاذب

1 - عك : كل جن ، وروي عن ابن جني كل هب .
2 - ت : عمره .

إلى لعمري قصد كل عجيبة
 بأي بلاد (1) لم أجز نوائبي
 كأن رحيلي كان من كف طاهر
 فلم يبق خلق لم يرين فناءه ،
 فتى علمته نفسه وجوده
 فقد غيب الشهاد عن كل موطن
 كذا الفاطميون الندى في بناتهم (2)
 أناس إذا لاقوا عدى فكأنما
 رموا بنواصيها القسي فجئنهما
 أولئك أحلى من حياة معادة
 نصرت علياً يا ابنه ببواتر
 وأبهر آيات التهامي أنه
 كأي عجيب في عيون العجائب
 وأي مكان لم تطأه ركابي
 فأنبت كوري في ظهور المواهب
 ومن له شرب ، ورود المشارب
 قراع الأعادي وابتذال الرغائب
 ورد إلى أوطانه كل غائب
 أعز (3) أمحاء من خطوط الرواجب
 سلاح الذي لاقوا غبار السلاهب
 نوامي الهوادي سالمات (4) الجوائب
 وأكثر (5) ذكراً من دهور الشبايب
 من الفعل لا قل لها في المضارب (6)
 أبوك وإحدى (7) مالك من مناقب (1)

1 - مع : مكان .
 2 - ت : أكفهم . عك : ويروى في أكفهم .
 3 - صا : أمحاء . مع : وروي أشد أمحاء .
 4 - مع : وروي سائلات الجوائب - أي سائلات بالعرق .
 5 - ت في الحاشية : وأحسن .
 6 - صب ، ت ، ن جنى ، مع : في مضارب .
 7 - جنى : وقد أكثر الناس القول في هذا البيت ، وهو في الجملة شنيع الظاهر . وقد كان تعسف الاحتجاج له والاعتذار منه بما لست أراه مقنعاً فأضريت عن ذكره ، ومع هذا فليست الآراء والاعتقادات في الدين مما يقدح في جودة الشعر ولا رداءته ، لأن كلا منفرد عن صاحبه ، ولم أقصد في هذا الكتاب إلى شرح مذهب صحيح ولا غيره " .
 ينظر قول العروضي في تفسير هذا البيت ، في شرح الواحدي .

إذا لم تكن نفس النسيب كأصله
وما (2) قُرِبَتْ أَشْبَاهُ قَوْمٍ أَبَاعِدِ
إذا علوي لم يكن مثل طاهر
يقولون: تأثير الكواكب في الوري
على (4) كَتَدَ الدُّنْيَا إِلَى كُلِّ غَايَةٍ
وَحَقٌّ لَهُ أَنْ يَسْبِقَ النَّاسَ جَالِساً
يَحْذِي عَرَاتَيْنِ الْمُلُوكِ وَإِنِّهَا
يَذُ لِلزَّمانِ الْجَمْعُ بَيْنِي وَبَيْنِهِ
هو ابن رسول الله وابن وصيه
يَرَى أَنْ مَا مَا بَانَ (8) مِنْكَ لَضَارِبِ
أَلَا أَيُّهَا الْمَالُ الَّذِي قَدْ أَبَادَهُ (9)
لَعَلَّكَ فِي وَقْتٍ شَقَلْتَ فَوَادَهُ
حَمَلْتُ إِلَيْهِ مِنْ لِسَانِي (1) حَديقَةً

فماذا الذي تُغْنِي كِرَامَ الْمَنَاصِبِ؟
وَلَا بَعُدَتْ أَشْبَاهُ قَوْمٍ أَقَارِبِ
فَمَا هُوَ إِلَّا حُجَّةٌ لِلنَّوَاصِبِ
فَمَا بِأَلِه تَأْثِيرُهُ (3) فِي الْكَوَاكِبِ ؟
يَسِيرُ بِهَا (5) سِيرَ الذَّلُولِ بِرَاكِبِ
وَيَدْرِكُ مَا لَمْ يَدْرِكُوا غَيْرَ طَالِبِ
لِمَنْ قَنَمِيهِ فِي أَجَلِ الْمَرَاتِبِ
لِتَفْرِيقِهِ بَيْنِي وَبَيْنَ النَّوَاصِبِ
وَشِبْهِهُمَا . شَبَّهْتُ (7) بَعْدَ التَّجَارِبِ
بِأَقْتَلِ مَا بَانَ مِنْكَ الْعَائِبِ
تَعَزَّزْ فَهَذَا فَعَلُهُ بِالْكَتَائِبِ
عَنِ الْجُودِ أَوْ كَثُرَتْ جَيْشِ مُحَارِبِ
سَقَاهَا الْحَجِي سَقَى الرِّيَاضِ السَّحَابِ

1 - وا ، عن العروضي : أقرأنا أبو الحسن الرَّحْجِي أُولَا ، والشعراني ثانياً ، والخوارزمي ثالثاً ، واجدى مالكم بالجيم .

2 - ت : فما .

3 - ت : في الحاشية : ونحن نرى تأثيره .

4 - ن وا : علا كَتَدَ . عك : روي علا وعلي .

5 - في النسخ الأخرى : تسير به .

6 - ن جنى : صغيته .

7 - ن جنى : فايست .

8 - في البغدادية : ما الأولى جحد ، والثانية موصولة .

9 - صب ، ت ، جنى : أباره . مع : روي أباره وأباده .

فَحْيَيْتَ (2) خير ابن لخير أب بها لأشرف بيت في لؤي بن غالب (3)

فان في العلويين نسباً طائفتان :

أحدهما من يشايح أهل البيت من دون غلو فيهم . والأخرى من شايعهم مغالياً . وكان موقف أئمة أهل البيت التبرء من الغلاة كما هو مشروح في كتب العقيدة والتاريخ .

والمُتَنَبِّي يرى ان الطاهر العلوي من الطائفة الأولى ، لأن الطائفة الثانية بتطرفها تكون (حجة) للنواصب مركزين على ان الغلو انحراف ، فيستند النواصب على هذه المؤاخذة متخذين منها حجة لهم على كل العلويين ، مع انه يجب التفريق بين المغالي والمعتدل في العقيدة والسلوك .

ويشير المُتَنَبِّي إلى مواقف الغلاة المتطرفين من العلويين بقوله :
أتاني وعيد الأذعياء وأنهم أعنوا لي السودان في كفر

الي نقاط ثلاث :

1- الوعيد منهم بالشر للمتنبّي

2- أنهم أذعياء في انتسابهم إلى الرسول القائد (ص)

1 - ت : من لساني وثلاثي معاً .

2 - ص ب ، ت ، ب : فَحْيَيْتَ .

3 - الديوان المتنبّي ، الصفحات من 209-211 .

3- أنهم استخدموا الطائفة المستضعفة في المجتمع الإسلامي آنذاك وهي السودان للقضاء على حياة المُتَنَبِّي أو لعقابه على أقل الفروض .

واستدل بوصفهم أدعياء وإن صح نسبهم ، بأن النسبة يجب أن تقارن بالسلوك الإجتماعي وإن التهديد بالإغتيال أو العقاب باستخدام الطبقة المرتزقة لكن سيرة الرسول (ص) ولا الإمام علي (رض) في أيام حكمهما من حياتهما .

وعلى النقيض من هؤلاء يجد المُتَنَبِّي في الطاهر العلوي صفات ذاتية تطابق الخلق الإسلامي ووراءه خلق أجداده حيث قال :

فتى علمته نفسه وجُودُه قِراع الأعادي وابتدال الرغائب

فان الخلق الاسلامي الذي تعلمه بنفسه في السنة التي تربى بها .
والوراثة النبوية تلقاها جيلا بعد جيل في أسرته العلوية الفاطمية .

ثم أكد بان هذه الوراثة هي صفة لا يمكن ان تزول في كل الأسر العلوية الفاطمية فقال :

" كذا الفاطميون الندى في بناتهم "

فان الكرم والجود من خصائص السادة التي ورثوها ابا عن جد عن جدهم الرسول الأعظم في المدح للسنة الابراهيمية .

وصرح المُتَنَبِّي بقصيدته بالوصية وهي عقيدة معتدلة من دون غلو

بقوله :

" هو ابن رسول الله وابن وصيه "

فإنه ابن رسول الله نسباً لكونه من ذريته من السيدة فاطمة الزهراء بنت رسول الله (ص) .

وهو ابن وصي رسول الله يعني به علي بن ابي طالب نسباً . ومع هذا النوع بالعقيدة المعتدلة كيف يمكن نسبة الإلحاد أو القرامطة إلى هذه الشخصية !!؟

وقد ختم المُنْتَبِي مديحه للطاهر العلوي بما هو فوق أي مديح حيث قال :

فَحْيَيْتَ (1) خير ابن لخير أب بها لأشرف بيت في لؤي بن غالب

فان رسول الله (ص) خير أب على الإطلاق والطاهر العلوي في عصره خير ابن لهذا الأب بالتزامه بالسنة النبوية المطهرة ، والحفاظ على سيرته ، وحياته الشخصية والاجتماعية ، ورفض الغلو والتعصب على حد سواء .

1 - صب ، ت ، ب : فَحْيَيْتُ .

نص القصيدة في مدح محمد بن عبيد الله العلوي المشطّب (1)

قال المُنْتَبِي في صباه يمدح محمد بن عبيد الله العلوي المشطّب :

أبعَدَ ما بَانَ عَنْكَ خُرْدُهَا	اهلًا بدارِ سَباكِ اغْيَدُهَا
نَضِيجَةً فَوْقَ خَلْبِهَا يَدُهَا	ظَلَّتْ بِهَا تَنْطَوِي عَلَى كَبِدِ
أَوْجِذْ مَيْتًا قَبِيلَ الْفَقْدِهَا	يَا حَادِي عَيْسِهَا وَأَخْسَبِي
أَقْلَ مَنْ نَظَرَةَ أَرْوُدُهَا	قَفَا قَلِيلًا بِهَا عَلَى فِلا
أَحْرُ نَارِ الْجَحِيمِ أَنْزَدُهَا	فَفِي فَوادِ الْمُحِبِّ نَارُ جَوَى
فَصَارَ مِثْلَ الدَّمَقِ اسْوَدُهَا	شَابَ مِنَ الْهَجْرِ فَرَقَ لِمَتِهِ
يَكادُ عِنْدَ الْقِيَامِ يَقْعُدُهَا	بَاتُوا بِخُرْعَوِيَّةٍ لَهَا كَفَلُ
سَبْحَةَ أَبْيَضٍ مَجْرَدُهَا	رَبْحَلَةٍ اسْمٍ مُقْبَلُهَا
أَضَلَّهَا اللَّهُ كَيْفَ تُرْشِدُهَا	يَا عَائِلَ الْعَاشِقِينَ دَغَ فَنَّةُ
أَقْرَبُهَا مِنْكَ عَنْكَ أَبْعَدُهَا	لَيْسَ يُحْيِيكَ الْمَلَامُ فِي هَمَمِ
شَوْقًا إِلَى مَنْ يَبِيتُ يَرْقُدُهَا	بَنَسَ اللَّيَالِي سَهْنَتْ مِنْ طَرْبِ
شُؤُونُهَا وَالظُّلَامُ يَنْجِدُهَا	أَحْبَبْتُهَا وَالْدُّمُوعُ تُنْجِدُنِي
بِالسُّوْطِ يَوْمَ الرَّهْمَانِ أَجْهَدُهَا	لَا نَافَتِي تَقْبَلُ الرَّبِيفَ وَلَا
زِمَامُهَا وَالشُّمُوعُ مَقُودُهَا	شِرَاكُهَا كُورُهَا وَمِشْفَرُهَا
تَحْيِي مِنْ خَطْوِهَا تَأْوُدُهَا	أَشَدُّ عَصْفِ الرِّيحِ يَسْبِقُهَا

1 - كما وردت في شرح ديوان المُنْتَبِي ، وضع عبد الرحمن البرقوقي . ج2 ص17 من طبعة دار الكتاب العربي .

فِي مِثْلِ ظَهْرِ الْمَجْنِ مُتَّصِلٌ
 مُرْتَمِيَاتٍ بِنَا إِلَى ابْنِ غَبِيٍّ
 إِلَى فَتَى يُصْنِدُ الرِّمَاحَ وَقَدْ
 لَمْ أَيْدَادِ إِلَى سَابِقَةٍ
 يُغْطِي فَلَاحَ مَطْلَعِهَا يَكْذُرُهَا
 خَيْرُ قَرِيْشٍ أَبَا وَأَمَجْدُهَا
 أَطْعَمُهَا بِالْقَتَاةِ أَضْرَبُهَا
 أَفْرَسُهَا فَارِسًا وَأَطْوَلُهَا
 نَاجِ لُؤَيٍّ بَنِ غَالِبٍ وَبِهِ
 شَمْسُ ضُحَاهَا هَلَالُ لَيْلَتِهَا
 يَا لَيْتَ بِي ضَرْبَةً أَتِيحَ لَهَا
 أَثَرُ فِيهَا وَفِي الْحَدِيدِ وَمَا
 فَاعْتَبَطْتُ إِذْ رَأَتْ تَزْيِيكُهَا
 وَأَيَقِنَ النَّاسُ أَنْ زَارِعُهَا
 أَصْبَحَ حُسَّادُهُ وَأَنْفُسُهُمْ
 تَبْكِي عَلَى الْأَنْصُلِ الْغَمُودُ إِذَا
 لَعْنُهَا أَنَهَا تَصِيرُ نَمَاءً
 أَطْلَقَهَا فَالْعَدُوُّ مِنْ جَزَعِ

بِمِثْلِ بَطْنِ الْمَجْنِ قَرْنُهَا
 نَدَى اللَّهِ غِيْطَانُهَا وَقَدْ
 أَتَهَلَّهَا فِي الْقُلُوبِ مُورِدُهَا
 أَعْدُ مِنْهَا وَلَا أَعْدُهَا
 بِهَا وَلَا مِنْهُ يَنْكَدُهَا
 أَكْثَرُهَا نَائِلًا وَأَجْوَدُهَا
 بِالسَّيْفِ جَحَاجَحُهَا مَسْوُودُهَا
 بَاعًا وَمَغْوَارُهَا وَسَيِّدُهَا
 سَمًا لَهَا فَرْعُهَا وَمَحْدُودُهَا
 نُرٌّ تَقَاصِيرُهَا زَبَرْجَدُهَا
 كَمَا أَتِيحَتْ لَهُ مُحَدُّهَا
 أَثَرُ فِي وَجْهِهِ مُهْتَدُهَا
 بِمِثْلِهِ وَالْجِرَاحُ تَحْصُدُهَا
 بِالْمَكْرِ فِي قَلْبِهِ سَيَّخَصُدُهَا
 يُخْدِرُهَا خَوْفُهُ وَيُصْنِدُهَا
 أَكْثَرُهَا أَنَّهُ يُجْرُدُهَا
 وَأَنَّهُ فِي الرِّقَابِ يُغِيدُهَا
 يَنْدُمُهَا وَالصَّدِيقُ يَحْمَدُهَا

تَقْدَحُ النَّارُ مِنْ مَضَارِبِهَا
إِذَا أَضَلَّ الْهَمَامُ مَهْجَتَهُ
قَدْ أَجْمَعْتَ هَذِهِ الْخَلِيقَةَ لِي
وَأَنْتَ بِالْأَمْسِ كُنْتَ مُحْتَلِماً
وَكَمْ وَكَمْ نِعْمَةٍ مُجَلَّلَةٍ
وَكَمْ وَكَمْ حَاجَةٍ سَمَخَتْ بِهَا
وَمَكْرُمَاتٍ مَثَّتْ عَلَى قَدَمِ الْوَدِّ
أَقْرَبَ جِلْدِي بِهَا عَلَى فَلَاحِ
فَعُذْ بِهَا لَا عَظِيمَتَهَا أَبَدًا

وَصَبَّ مَاءَ الرِّقَابِ يُخَمِّدُهَا
يَوْمًا فَاظْرَأْفَهِنَّ تَنْشُدُهَا
أَنْتَ يَا بَنَ النَّبِيِّ أَوْحَدُهَا
شَيْخَ مَعْدٍ وَأَنْتَ أَمْرُدُهَا
رَبِّتَهَا كَانَ مِنْكَ مَوْلَدُهَا
أَقْرَبُ مِنِّي إِلَيَّ مَوْعِدُهَا
بِرٍّ إِلَى مَنَزِلِي تُرْتَدُّهَا
أَقْدِرُ حَتَّى الْمَمَاتِ أَجْعُدُهَا
خَيْرُ صِلَاتِ الْكَرِيمِ أَعُوذُهَا⁽¹⁾

1 - تمت القصيدة في اثنين واربعين بيتا.

قال طه حسين : فالقصيدة كما ترى طويلة قد بلغت الأربعين بيتاً ، وهو أطول ما حفظ ديوان المُنْتَبِي لنا من شعره في هذا الطور . وهي كاملة الخلق قد استوفت حظها من النظام الفني الموروث . وهي تنقسم ثلاثة أقسام (1):

والأقسام الثلاثة حسب تقسيم طه حسين هي :

1- الغزل

2- الوصف

3- المديح

وأظن الأولي ان تقسم القصيدة إلى مقاطع خمسة كالاتي :

1- الحنين إلى الوطن الكوفة

2- وصف المادح

3- وصف الممدوح

4- وصف الأعداء

5- الخلاصة

وحيث ان ذلك خروج على التقسيم التقليدي ، آثرت إتباع التقسيم الثلاثي الذي سار عليه طه حسين .

1 - مع المتنبي ، تأليف طه حسين ، دار المعارف ، مصر ، 1962م ، ص 50 ..

تاريخ القصيدة :

قال طه حسين ⁽¹⁾: مهما يكن من شيء فلم يكد يبلغ المُنْتَبِي السابعة عشرة من عمره حتى كان قد هجر الكوفة ، وترك بغداد ، وانتهى إلى شمال الشام ، واستأنف حياة جديدة ليست من الصبا في شيء ، وإنما هي حياة الشباب .

فلنستخلص من كل ما قدمنا أن المُنْتَبِي قد قطع المرحلة الأولى من طريقه ، مرحلة الصبا ، ولم يكد يبلغ آخرها ، حتى كان قد تمّ له حظه من الشعر ، وتمّ له حظه من القرمطة ، وتمّ له حظه من القوة البدنية أيضاً . ويكفي أن ننظر في هذه القصيدة التي قالها في بغداد ، يمدح بها رجلاً رسمياً - محمد بن عبيد الله العلوي - لنرى منها أنه قد استكمل حظه من القدرة على نظم الشعر الجيد ، وإن لم يبلغ بعد ما قدر له من النبوغ :

يشير طه حسين إلى نقاط كلها نفتقر إلى التوثيق

أولاً : ان المُنْتَبِي ما كاد يبلغ السابعة عشرة من عمره حتى كان قد هجر الكوفة . وهذا التحديد يفتقر إلى توثيق . فان كلما يوجد في ديوانه ما نصه: "القصائد التي قالها في صباه" ، وهذا مفهوم عام لا يمكن تحديده بالدقة بالسابعة عشرة من العمر .

1 - المصدر السابق ، ص 47.

ثانيا : قوله " تمّ له حظه من القرمطة " وهذا أيضاً يفتقر إلى توثيق . فالمتنبّي يصرح بعقيدة الوصية في مدح الطاهر العلوي بقوله : " هو ابن رسول الله وابن وصيه" ⁽¹⁾ وهذا يناقض القرمطة المعروفة بقصيدة الاشتراكية

ثالثا : قوله : " يمدح بها رجلاً رسمياً - محمد بن عبيد الله العلوي- " فإنه لا مصدر يوثّق بأن العلوي كان رجلاً يحمل صفة رسمية ولا انه كان في بغداد ، فان المصادر المتيسرة لا تشير إلى ذلك لا من قريب ولا بعيد (بل) ان تصريح الديوان بأن القصيدة انشأها المتنبّي في صباه تستلزم ان يكون في وطنه الكوفة دون غيرها .

مقاطع القصيدة

ثم نقل طه حسين القصيدة بكاملها - على خلاف عادته - ثم تناول البحث حولها في المقاطع الثلاث ، وعلى تقسيمه نجري هذا البحث .

1 - ديوان المتنبّي ، ص 212 .

المقطع الأول

الغزل

أَمَلًا بِدَارِ سَبَاكَ أَغْنِيهَا	أَبْعَدَ مَا بَانَ عَنْكَ خُرْدُهَا
ظَلَمْتَ بِهَا تَنْطَوِي عَلَى كَيْدِ	نَضِيجَةٍ فَوْقَ خَلْبِهَا يَدُهَا
يَا حَادِيَّ عَيْسِيهَا وَأَخْسَبُني	أَوْجَدُ مَيْتًا قَبِيلَ افْقَدُهَا
قَفَا قَلِيلًا بِهَا عَلَى فَلَا	أَقْلَ مِنْ نَظَرَةِ أَرْوَدُهَا
فَفِي فُؤَادِ الْمَحِبِّ نَارُ جَوَى	أَحْرُ نَارِ الْجَحِيمِ أَبْرَدُهَا
شَابَ مِنَ الْهَجْرِ فَرَقَ لِمَتِهِ	فَصَارَ مِثْلَ الدَّمَقِ أَسْوَدُهَا
بَاتُوا بِخُرْعَوِيَّةٍ لَهَا كَفَلُ	يَكَادُ عِنْدَ الْقِيَامِ يَقْعُدُهَا
رَبْحَلَةٌ اسْمَرُ مُقْبَلُهَا	سَبْحَلَةٌ أَبْيَضُ مَجْرَدُهَا
يَا عَائِلَ الْعَاشِقِينَ دَغْ فَنَةً	أَضَلَّهَا اللَّهُ كَيْفَ تُرْشِدُهَا
لَيْسَ يُحْيِيكَ الْمَلَامُ فِي هَمِّ	أَقْرَبُهَا مِنْكَ عَنْكَ أَبْعَدُهَا
بَنَسَ اللَّيَالِي سَهْدَتُ مِنْ طَرَبِ	شَوْقًا إِلَى مَنْ يَبِيتُ يَرْقُدُهَا
أَحْبَبْتَهَا وَالْدُمُوعُ تَنْجِدُنِي	شَوْوْنُهَا وَالظَّلَامُ يَنْجِدُهَا

وعن المقطع الأول قال طه حسين :

القسم الأول غزل من هذا الغزل الذي تعود الشعراء أن يفتتحوأ به القصيدة . وقد طال نفس الشاعر فيه شيئاً فبلغ اثني عشر بيتاً⁽¹⁾ .
واكتفى طه حسين بهذا التعريف الذي لا يتعدى سطرين فقط ، لأن الحب في الغزل خارج عن ترجمة المتنبي التي تبناها في البحث ، وطالب التفصيل يراجع المادة في الدراسات الأدبية .
وهذا المقطع يكشف عن الذوق الشعري في الغزل للمتنبي بما هو سائد في عصره كما هو مشروح في الشروح .

1 - مع المتنبي ، لطف حسين ، مصدر سابق ، ص 50 .

المقطع الثاني

الوصف

لا نَافَتِي تَقَبَّلُ الرَّيِّفَ وَلَا بِالسَّوْطِ يَوْمَ الرَّهَانِ أَجْهَدَهَا
شِرَاكُهَا كُورُهَا وَمِشْفَرُهَا زِمَامُهَا وَالشُّسُوعَ مَقُودَهَا
أَشَدُّ عَصْفِ الرِّيَّاحِ يَسْبِقُهُ تَحْيَى مِنْ خَطْوِهَا تَلَوْدَهَا
فِي مِثْلِ ظَهْرِ الْمِجَنِّ مُتَّصِلَ بِمِثْلِ بَطْنِ الْمِجَنِّ قَرْنَدَهَا

وعن المقطع الثاني قال طه حسين :

والقسم الثاني وصف من هذا الوصف الذي تعود الشعراء أن ينتقلوا إليه إذا قضوا حظهم من الغزل ، وأن يتخذوه طريقاً إلى الغرض الأساسي الذي يقصدون إليه . وقد قصر نفس الشاعر فيه فلم يتجاوز به أربعة أبيات . ومعنى هذا كله أن الفتى قد أخذ يعقد شعره ويسلك إليه طريق غيره من الشعراء ، ويلم في القصيدة الواحدة بغير فن من فنون الشعر ، لا يجد في ذلك مشقة ولا حرجاً ، ولا يحتمل في ذلك جهداً ولا عناء . وأنت إذا أخذت القصيدة جملة رأيت طبيعة الشاعر سمحة سهلة مواتية لا تبخل عليه ولا تعنيه ، وإنما تمنحه كل ما يريد منها . فلسنا نحسن تكلف الحصر ولا جهد المقل . ولعلنا نحسن أن هذه القصيدة كانت تتدفق من نفس الشاعر كما يتدفق السيل ، وتتحدر منها انحداراً يوشك

أن يكون عنيفاً . ولعل مصدر هذا الإحساس هذا البحر الذي اختاره الشاعر والذي تظهر فيه السرعة والإنحدار ، وتتدافع فيه أبيات القصيدة وألفاظ البيت تدافع الموج . ولعل مصدر هذا الإحساس أيضاً ، هذه القافية التي أختارها الشاعر ، والتي جمعت بين خصلتين ظاهرتين : إحداهما المتانة والقوة ، والأخرى الرحب والسعة . فهذه الدال التي تسبقها حركة يسبقها سكون تصور المتانة والقوة . وهذه الهاء المطلقة تصور الرحب والسعة .

وأنت إذا أخذتها تفصيلاً استطعت أن تتبين فيها خصلتين فنيّتين هما الآن - وستكونان دائماً - القوام الفنيّ لشعر المُتنبّي ، يسرف فيهما أحياناً فيفسد شعره ، ويقتصد فيهما أحياناً فيجمل شعره ، ولكنه لا يكاد يخلص منهما في وقت من الأوقات .

فأما الخصلة الأولى ، فهي المطابقة التي يحبها المُتنبّي أشد الحب ، ويستخرج منها فنوناً من الجمال نراها فاترة في الطور الأول من شعره ، ولكنها تقوى وتشد كلما استكمل الشاعر حظه من القوة ، فنوناً من الجمال تؤثر في العقل والذوق والحس جميعاً ، فتنشئ شيئاً من الموسيقى اليسيرة في أكثر الأحيان . ذلك أن المُتنبّي يحسن المقابلة بين الأضداد في أنفسها ، كما يحسن المقابلة بين الألفاظ التي يختارها ليدل بها على هذه الأضداد . فإذا تمت له المقابلة بين المعاني المتضادة وتم له الاختيار الحسن للألفاظ التي تدل عليها ، عرف كيف يضعها في

مواضعها من النظم ، وكيف يلاءم بينها وبين ما يسبقها وما يلحقها من الألفاظ ، وتأتى له بذلك تحقيق شيء من الإتساق البديع يلهيك ويشغاك عما تكلف الشاعر من الجهد في تحقيق هذا الفن . ولست في حاجة إلى أن أعيد عليك ما في هذه القصيدة من الأبيات التي عمد فيها المُنْتَبِي إلى المطابقة فوق أحياناً ، وأخطأه التوفيق أحياناً أخرى . فما أظنك إلا قد لاحظت هذه الأبيات أثناء قراءة القصيدة ، وليس عليك بأس من أن تعود إلى قراءتها مرة أخرى لتحقيق صحة هذه الملاحظة .

والخصلة الأخرى ، المبالغة التي يعمد إليها المُنْتَبِي لأسباب سنوضحها في هذا الموضع من الحديث . ولكننا نكتفي الآن بأن نلاحظ منها طبيعة المُنْتَبِي نفسه ؛ فهو قوي الحس ، حاد المزاج ، عنيف النفس ، مندفع بحكم هذا كله إلى الغلو والإسراف . وكذلك نلاحظ تقليد الشاعر لشعراء القرن الثالث الذين كلفوا بالبديع وأمعنوا فيه وعنوا منه بالمبالغة عناية خاصة .

ثم نلاحظ آخر الأمر انتشار مذهب المبالغة بين النقاد منذ صورّه قُدّامة في كتابه نقد الشعر ⁽¹⁾ ، وأذاعه على أنه مذهب أرسطاطاليس ، وآثره في الشعر كما كان يؤثره أرسطاطاليس على القصد والاعتدال ⁽²⁾ . فجمال الشعر عند المُنْتَبِي في هذا الطور وفي الأطوار التي تليه ، راجع دائماً إلى هاتين الخصلتين الفنيّتين : المطابقة من ناحية ،

¹ - كتاب نقد الشعر لقدامه ، ص 19 (طبع الجوانب) .

² - Poetique et XXIV .

والمبالغة من ناحية أخرى ، يجمع بينهما الشاعر حيناً ويفرق بينهما حيناً آخر ، فيعجبك مرة ويسوءك مرة أخرى .

فأما إذا أخذت أجزاء القصيدة الثلاثة ، وامتحنتها جزءاً جزءاً ، فلن تجد فيها للمتنبّي شخصية قوية ولا معنى مبتكراً ، وإنما هي المعاني المألوفة في الغزل والوصف والمديح ، حتى هذه المحاولة التي أراد الشاعر بها أن يظهر شيئاً من الجهد حين وصف نعله ، حيث يصف الشعراء إبلهم ، واسبق على هذه النعل من الصفات ما يسبغه الشعراء على الإبل - هذه المحاولة نفسها ليست مبتكرة ، وإنما هي إطناب وتفصيل ، حيث أثر أبو نواس الإجمال والإيجاز في قوله :

إِيكَ أبا العباس من دون من مشى عليها امْطَيَّنَا الحَضْرَمِيَّ المَسْنَا

فلم يزد المُنْتَبِيّ على أن قال إنه سعى إلى ممدوحه ماشياً يركب نعله كما قال أبو نواس ، ولكنه فصل ذلك ، فشبه أجزاء النعل بالأدوات التي يصطنعها راكب الناقة .

وإذا كانت هذه المحاولة تقليداً صرفاً من الجهة الفنية الخالصة ، فإن لها دلالتها القيمة من الجهة التاريخية ؛ لأنها على الأقل تثبتنا بأن الشاعر الفتى لم يسافر من الكوفة إلى بغداد راكباً ، وإنما ذهب إليها راجلاً ، وذهب إليها راجلاً مسرعاً يسابق الريح . فإذا صح هذا التقدير

فإن الفتى قد أعجل عن الاستعداد للرحيل ، وفرّ من الكوفة فراراً كما قدمنا⁽¹⁾ .

وهذا المقطع الثاني يكشف عن وسع الخيال الفكري في الوصف عند المتنبي كما هو سائد في عصره ومشروح في الشروح .
وعن المقطع الثالث قال طه حسين :

والمدح الذي يكون الجزء الثالث من القصيدة ، والجزء الأهم والأطول ، ليس أدنى إلى الابتكار ولا أقرب إلى التجديد من الجزعين الأولين . بل هو بريء من الابتكار الجدّي ، إن صح هذا التعبير ، كل البراءة . هو مدح تقليدي بأوضح معاني الكلمة وأدقها ، لا يتجاوز الشاعر به أن يصف ممدوحه ، بأنه أكرم قريش وأشجعها وأعظمها حظاً من الخصال التي يمتاز بها الرجل حقاً ، وبأنه كان أحلم قريش وأحكمها حين بلغ الحلم ، وبأنه ابن النبي ، وبأنه أوجد الخليفة وأجمعها لصفات النبل والشرف ؛ إلى غير هذا من الأوصاف التي تعود الشعراء أن يرصّوها في مدحهم رصّاً . ومع ذلك فقد حاول الشاعر أن يجدد فأخطأه التوفيق . وظهر أنه لا يزال في حاجة إلى ممارسة قول الشعر وتصريف الكلام ؛ وذلك حين أراد أن يذكر الضربة التي تلقاها ممدوحه في وقعة من الوقعات ، فزعم أن هذه الضربة شرقت ممدوحه ، ولم تلحق به ضرراً ولا أذى . فهذا تفكير أطفال وحديث فتى يلغو .

1 - مع المتنبي ، طه حسين ، مصدر سابق ، ص 50-52 .

والمُتَنَبِّي معتمد في مدحه كما اعتمد في غزله ووصفه على الطباق والمبالغة . ويظهر ذلك ظهوراً واضحاً حين يحدثنا بأن الأغمار تبكي على النصول إذا علمت أنها ستجرّد ، وبأن هذه النصول تغمد في الأعناق والرؤوس فتقذح النار ، ولكن الدماء التي تسفكها تخمد هذه النار التي تقذحها . فأنت ترى في هذا الكلام المبالغة والطباق معاً ، وتحسّ فيه محاولة الشاعر استغلال هذين الأصلين من أصول البديع ، وأنه إن وفق في ذلك حيناً فما يزال يخطئه التوفيق كثيراً ؛ لأنه على تقدمه في الصنعة لم يستكمل بعدُ حظّه من المهارة والإتقان .

على أن هذه القصيدة تدلنا على شيء آخر له قيمته من الناحية التاريخية . فالشاعر لم يمدح أحداً من رجال الحكم ، ولم يتجه إلى أحد من المتصلين بالسلطان العباسي القائم ، وإنما مدح رجلاً علوياً . فأوضح ما يُستتبط من ذلك أن المُتَنَبِّي حين وصل إلى بغداد كان محتفظاً بمذهبه السياسي ، منحرفاً عن السلطان العباسي القائم في بغداد . ولكننا لا نرى في القصيدة مذهب القرامطة ، ولا إشارة إلى نظرية الحلول ؛ فلا أقل من أن نفهم من ذلك أن شاعرنا متحفظ محتاط ، وأنه لا يمدح هذا العلوي رغبةً في مدحه أو إخلاصاً في حبه وحب العلويين ، وإنما يمدحه ملتصقاً لنواله ، يريد أن يستعين بهذا النوال على الرحيل من بغداد إلى الشام .

وأثناء إقامة المُتَنَبِّي في بغداد رأى الفتى من غير شك ما لم يره في الكوفة ولا في البادية من مظاهر الترف وألوان النعيم ، وفنون العبث واللغو ؛ فزاد سخطه على النظام الاجتماعي ، وحنقه على توزيع الثروة بين الناس . والغريب أنه لم يستبق مما رأى ومما سمع في بغداد هذه المرة إلا ما ترويه لنا عنه الأخبار من أنه كان يمشي مرة في بغداد ومعه خمسة دراهم ، فرأى بطيحاً أعجبه لأنه كان باكورة ، فساوم فيه صاحبه حتى عرض عليه دراهمه الخمسة ، ولكنه لم يبلغ منه شيئاً .

ووقف الفتى حزيناً ينظر إلى البطيخ وإلى الدراهم ، وإذا تاجر يخرج من خان مقابل لبائع البطيخ ، فينهض البائع إليه متملقاً مبالغاً في التملق ، يدعو له ويعرض عليه بطيخه والتاجر يأبى ويمتنع ، والرجل يهبط بالثمن شيئاً فشيئاً حتى سمع التاجر وطابت نفسه عن شراء هذا البطيخ بدرهمين اثنين ، وأمر البائع أن يحمله إلى داره . فلما انصرف التاجر أظهر المُتَنَبِّي عجبه لصاحب البطيخ من هذه الحماقة التي حملته على أن يرفض خمسة دراهم كان يعرضها عليه ، ويقبل من التاجر درهمين ، لم تطب نفسه عنهما إلا بعد المساومة والعناء . فقال له التاجر : ويلك ! إنه يملك مائتي ألف دينار !!

ويزعم الرواة على المُتَنَبِّي أنه أحب المال منذ ذلك الوقت وكلف بالغنى ، وحرص على أن يملك مائتي ألف دينار .

ومهما يكن من أمر هذه القصة فلست أريد أن أحملها أكثر مما تحتمل ، ولست أرى فيها إلا رمزاً لما تأثر به الشاعر الفتى أثناء إقامته في بغداد من حمافة العامة واستكانتهم ، وطغيان الخاصة والأغنياء وإسرافهم في استغلال هذه العامة الحمقاء المستكينة .

أقبل الفتى على بغداد قرمطياً منهزماً ، حانقاً على النظام الإجتماعي والسياسي وخرج من بغداد إلى الشام ، وأضاف حنقاً إلى حنق ، وسخطاً إلى سخط ، وازداد حظه من التمرد على السلطان والنظام . وإذا أضفنا إلى هذه القصة قصة أخرى يرويها الرواة عن المُنْتَبِي الصبي أثناء إقامته بالكوفة ، استطعنا أن نتبين العناصر الخلقية والعقلية التي كوَّنت شخصية هذا الفتى المندفع المخاطر والضارب في الأرض يبتغي شيئاً لعله لم يكن يحققه ولا يعرفه إلا توهماً .

فقد زعم الرواة أن الصبي كان يختلف إلى ورّاق في الكوفة يجلس عنده وينظر فيما يحضره من الكتب . فأقبل ذات يوم رجل ، ومعه كتاب لأبي عبيدة في اللغة ، يقع في ثلاثين ورقة ، وكان الرجل يعرض كتابه للبيع ، فأخذه الصبي وجعل يطيل النظر فيه ، حتى ضاق به البائع وقال له : يا هذا ! إنما جئت بهذا الكتاب لأبيعه ، وإنك إذا أردت حفظه واستقصاءه احتجت إلى أيام . قال الصبي : فإذا كنت قد وعيت ما فيه ؟ قال البائع : فهو لك . ثم امتحن القوم الصبي فإذا هو قد حفظ ما في الكتاب .

لا أريد أن أحمل هذه القصة أيضاً أكثر مما تحتمل ، وإنما أرى فيها رمزاً لنشاط الصبي وحضور ذهنه وحدة ذكائه . وإن فقد أدرك الفتى نفسه وهو متميز عن غيره بذكاء غير شائع في الناس ، وهو مع ذلك فقير بئس يشتهي من لذات الحياة المتواضعة ما لا يستطيع أن يبلغه وإن بذل الجهد والمال ، والأغنياء البله من حوله ينعمون ويترفون ويكرهون على النعيم والترف إكراهاً فلا غرابة في أن يمتلئ هذا الفتى غروراً بنفسه ، وفي أن يشعر قلبه بعض هذه الحياة التي تجري فيها الأمور على غير ما يقتضيه العدل والحق والإنصاف . ولا غرابة في أن يقصد إلى الشام وفي نفسه خواطر كثيرة مختلطة مضطربة ليس من اليسير تمييزها ، ولكنها على كل حال خواطر متشائم ساخط يريد أن تتغير الظروف من حوله لمصلحة الناس جميعاً ، فإن لم يكن إلى ذلك سبيل فلا أقل من أن تتغير الظروف حوله لمصلحته هو خاصة .

وأكاد أعتقد أن حياة المُتَنَبِّي بعد سفره من بغداد تمثل هذين النوعين من الأمل ، وهذين الفنين من المحاولة . فهو في أول أمره مخلص صادق فيما بينه وبين نفسه ، معجباً بنفسه من غير شك ، ولكنه ليس مسرفاً في الأثرة ، يرى أنه قد يستطيع تغيير ظروف الحياة لمصلحة المظلومين والمستضعفين . وسبيله إلى ذلك نشر الدعوة القرمطية وتغيير الأمور السياسية في مكان بعيد بعض الشيء عن مركز السلطان ومستقر الخلافة . وقد اندفع الفتى في ذلك وجهد في أن

يصل إليه مخاطراً يوماً متحفظاً يوماً آخر ، متجاوزاً الحدود يوماً ثالثاً ، حتى أدركه الإخفاق ثم أدركه اليأس ، فلم يجد بداً من المرتبة الثانية التي تقوى فيها الأثرة بعد أن أخفق الإيثار ، ويقوى فيها الطمع وحب النفس بعد أن أخفق الرفق بالناس والنصح لهم وحملهم على الإصلاح . هنالك ظهر المُنْتَبِي على طبيعته الصحيحة التي أخفاها حيناً كرم الشباب واندفاعه الطبيعي إلى الخير . فلما أدركه الإخفاق وألمت به الخيبة انجلت عنه غمرة الشباب ، وظهر كما أراد الله له أن يكون شاعراً نابغة ، نابه الذكر ، مؤثراً لنفسه بالخير ، مسرفاً في إيثار نفسه بالخير ، لا يستبقي من آماله الأولى إلا الحقد على الجماعة والإزدراء لها والبغض لما تقدم عليه من نظام وتخضع له من سلطان . ولكننا فيما يظهر نتعجل الحوادث بعض الشيء ، والخير في أن نصطنع الأناسة ونساير الشاعر في طريقه ؛ حتى نقطع معه المرحلة الثانية التي أنتهت به إلى السجن ثم إلى اليأس والقنوط⁽¹⁾.

وهذا المقطع الثالث يكشف عن شخصية المُنْتَبِي الفكرية والاجتماعية وتربيته الروحية والتزاماته الميدانية في الحياة وكل منها يظهر بنحو أو آخر في مقاطع كثيرة من ديوانه .

ومن أهم خصال المُنْتَبِي المادح هو الوفاء لمحمد بن عبيد الله العلوي باعتباره صاحب يد بالنسبة إليه وباعتباره ابن رسول الله(ص) .

1 - مع المتنبي ، طه حسين ، مصدر سابق ، ص 52-56 .

فالمُتَنَبِّي - شأن شعراء عصره - وإن كان يمدح الأمراء لأسباب سياسية أو مادية المعتادة لشعراء عصره ، فإنه يمدح العلوي - سواء المشطَّب العلوي أو الطاهر العلوي - مما هو ارفع من هذه الأسباب المادية ، وهو النسب العلوي ويظهر وفاءه لآل رسول الله (ص) بأجلى صورة بقوله :

قد أجمعت هذه الخليفة لي أنك يا بن النبي أوحدها

فإن وفاء المُتَنَبِّي لنبي الإسلام وآله الكرام ، يتجلى بأعلى صورة واكتفي في هذه القصيدة بالتركيز على خصال الممدوح المشطَّب في نص القصيدة فقط دون ما قيل في التراجم ، أو اشرح المفردات والملاحظات التي أغنتنا الشروح وكتب التراجم بها .
ويمكن تلخيص خصال الممدوح كما يلي :

المقطع الثالث

المديح

مرتميات بنا إلى ابن عيينة	— د الله غيظانها وفقدتها
إلى فتى يصدر الرماح وقد	أنهكها في القلوب موردتها
لـ أياد إلى سابقة	أعد منها ولا أعذتها
يغطي فلا مطلقه يكرها	بها ولا منه يتكدها
خير قريش أباً وأمنجدها	أكثرها نائلاً وأجودها
أطعمها بالقناة أضربها	بالسيف جحاجحها مسودها
أفرسها فارساً وأطولها	باعاً ومغوارها وسيدها
تاج لؤي بن غالب وبه	سما لها فرعها ومخذها
شمس ضحاها هلال ليكتها	در تقاصيرها زبرجدها
يا ليت بي ضربة أتيج لها	كما أتحت له محمدها
أثر فيها وفي الحديد وما	أثر في وجهه مهتدها
فاغتنبطت إذ رأت تزيتها	بمثله والجراح تحسدها
وأيقن الناس أن زارعها	بالمكر في قلبه سيخصدها
أصبح حساده وأنفسهم	يخبرها خوفه ويصنعهـا
تبكي على الأنصل الفمود إذا	أنذرها أنه يجردـها
لعلمها أنها تصير نماً	وأنه في الرقاب يغمدها

أَطْلَقَهَا فَالْعَدُوَّ مِنْ جَزَعٍ	يَذْمُهَا وَالصَّدِيقُ يَحْمَدُهَا
تَنْقُدِحُ النَّارُ مِنْ مَضَارِبِهَا	وَصَبُّ مَاءِ الرِّقَابِ يُخَمِّدُهَا
إِذَا أَضَلَّ الْهَمَامُ مُهَجَّتَهُ	يَوْمًا فَأَطْرَافُهُنَّ تَنْشُدُهَا
قَدْ أَجْمَعْتَ هَذِهِ الْخَلِيقَةَ لِي	أَنْتَ يَا بَنَ النَّبِيِّ أَوْحَدُهَا
وَأَنْتَ بِالْأَمْسِ كُنْتَ مُحْتَلَمًا	شَيْخَ مَعَدٍّ وَأَنْتِ أَمْرُدُهَا
وَكَمْ وَكَمْ نِعْمَةٍ مُجَالَّةٍ	رَبَّيْتَهَا كَانَ مِنْكَ مَوْلَدُهَا
وَكَمْ وَكَمْ حَاجَةٍ سَمَخَتْ بِهَا	أَقْرَبُ مِنِّي إِلَيَّ مَوْعِدُهَا
وَمَكْرُمَاتٍ مَثَتْ عَلَى قَدَمِ الْـ	بِرٍّ إِلَى مَنَزِلِي تُرِنْدُهَا
أَقْرَبُ جِلْدِي بِهَا عَلَيَّ فَلَا	أَقْدِرُ حَتَّى الْمَمَاتِ أَجَدُهَا
فَقَدْ بَهَا لَا عَدِيمَتُهَا أَبَدًا	خَيْرُ صِلَاتِ الْكَرِيمِ أَعُوذُهَا

1- الشجاعة

فهو (فتى) ولا يعلم بالضبط عمر الممدوح حين انشاء القصيدة ولا يعني الفتوة من العمر يقدر ما يعني الفتوة من الشجاعة لانه (يصدر الرماح وقوانينها في القلوب موردها) .

والايراد الدخول والاصدار والخروج ويعني المتنبي ان الممدوح يرجع من ساحة الحرب والحال ان الرماح خرجت من الحرب وهي نهلة لانها سقيت من دماء الأعداء باصابة قلوبهم .

2- السخاء

العلوي الممدوح سخي له يد النعمة تجاه المتنبّي وهذه اليد تستحق الوفاء ومهما كانت النعمة - مادية او معنوية او كليهما - فلا يملك المتنبّي المادح سوى الشعر ليعبر بها ما يتذكر او يراها اكثر اثراً في حياته والظاهر انها بصيغة المجهول مشيراً الى ان في وجودي من هذه النعم مما يكشف عن تربية شخصيته وعنايه ادبية قام بها العلوي للمتنبّي او كانت بارشاده وتوجيهه وطبيعة التربية والتعليم تستلزم ان لا يمكن عد هذه النعم لانها ترافق نمو الانسان الجسمي والفكري كلما طال به العمر فمن المستحيل عدها ويكفي الاجمال في القول بان الانسان المتربي وهو المتنبّي يُعد وجوده الشخصي من هذه النعم الصادرة من العلوي.

3-العطاء

وهو البذل من دون سؤال او التزام . والذي يفقد العطاء قيمته العفوية امران هما :

أولاً : المطل بإعلان الوعود المجردة وتأخير التنفيذ .

ثانياً : المن على المبذول له .

وكلا الأمرين يفقدان قيمة العطاء كما قال تعالى (يا أيها الذين

امنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى ⁽¹⁾)

1 - البقرة ، 264-2 .

4 - النسب

ما يرى الْمُتَنَبِّي ان العلوي الممدوح هو (خير قريش اباً) لان نسبه ينتهي إلى علي بن ابي طالب(رض) وزوجته فاطمة الزهراء بنت الرسول(ص) الذي هو خير أب . وقد سرد حججا على انه خير قريش مما هو مشروح في كتب التاريخ :

- 1- امجادها .
- 2- اكثرها فاعلاً .
- 3- اجودها .
- 4- اطعنها بالقناة وهي الرمح .
- 5- اضربها بالسيف .
- 6- ججاحها وهو السيد الشريف .
- 7- مسودها ، وهو السيد من يبتغيه قومه رئيساً لهم بالشورى .
- 8- افرسها فارساً اذا ركب الفرس .
- 9- اطولها باعاً .
- 10- مغوارها وهو من يكبر الغارة .
- 11- سيدها ، بالطبع قيل اذ ينتخب بالشورى .
- 12- تاج لؤي بن غالب ، وهو من ينتهي إليه نسب قريش عامة .

يرى المُنْتَبِي العلوي مثلاً للطيب لا يمكن ان ينفصل عنه لان ذلك طبيعة ثانية لشخصية هذا العلوي في كل مراحل وجوده في أي مكان كان . فهو (تاج لؤي بن غالب) وهو ابو القرشيين لأنه حافظ على متطلبات طيب الأرومة في عصره (فسما لها فرعها) في عصر المُنْتَبِي . وهو في وجوده الزمني (شمس ضحاها) في النهار و (هلال ليلتها) في الظلام الدامس . وفي وجوده في كل مكان (در تقاصيرها) وهي القلادة التي يتزين بها والزبرجد من الأحجار الكريمة النادرة تستخدم للزينة .

5 - المقاومة الحقة .

استخدم الأعداء غلاماً زدياً لقتل العلوي ، فترصد له وحاول اغتياله في المزرعة (غلام الفدان الزيدي) - كما نقله ابن عنبه (ت828هـ) في عمدة الطالب ص323 - ولم تحدث الضربة سوى طرفة في وجهه ، ومن اجل ذلك عرف العلوي ب(المشطب) و(الأشتر) لأثر هذه الضربة في وجهه .

ويشير المُنْتَبِي إلى أن هذه المحاولة الجبائنة لم تؤثر في شخصية العلوي في مقاومة الأعداء (بل) على العكس ، تدل على جبن الأعداء حيث تهربوا عن المواجهة الشخصية - كما هو شأن الجبناء في التاريخ - واستخدموا غلاماً لتنفيذ الإغتيال .

ووصف المُتَنَبِّي أروع وصف لأثر هذه الضربة فتمنّى ان يكون هو المضروب بها بدلاً عن العلوي ، وهذا من أعظم الوفاء الذي لم يظهر من المُتَنَبِّي لغير هذا العلوي .

وأن المهند - وهو السيف المصنوع في الهند - لم يؤثر في العلوي ، بل إن شخصية العلوي هي التي أثرت في الأعداء .
(بيان ذلك) إن من شأن السيف ان يقتل وليس الجرح ، كما ان من شأن السكين الجرح وليس القتل . والجرح الحاصل ليس من شأن السيف فيكون فاقد التأثير المطلوب منه .

(بل) العكس هو الصحيح فان الضربة هذه أصبحت (زينة) لأنها تعبر عن المقاومة في شخصية العلوي والجبن في شخصية أعدائه .
فتكون هذه الضربة محبوبة كما كان السجن محبوباً ليوسف بقوله : (رب السجن أحب إليّ مما يدعونني إليه ⁽¹⁾) فان السجن حقيقة للمجرمين ، ومن يسجن من دون جرم يكون السجن له فخراً لدلالة ذلك على روح المقاومة الحقة .

ثم أشار إلى شعبية هذه الشخصية العلوية في المجتمع بقوله :
(وايقن الناس) وهم عامة الشعب الذين يؤمنون بقيادة هذا العلوي .

1 - سورة يوسف ، آية : 33 .

(ان زارعها) وهو المدبر ل خطة الإغتيال من الأعداء وليس الغلام
الزبيدي المستخدم لتنفيذ عملية الاغتيال (فالمكر في قلبه) باستخدامه
البسطاء للقضاء على اعدائه .

(سيحصدها) في الدنيا والآخرة لقوله تعالى : (من يعمل مثقال ذرة
شراً يره⁽¹⁾) وحيث فشلت محاولة الاغتيال (أصبح حساده) في خوف من
الانتقام ، لعلمهم ان العلوي إذا جرّد السيف من الغمد فسوف يقلق
الأعداء في كل ضربة ، بحيث يصل السيف إلى الأرض فيقذح ناراً ،
ولا يطفئ النار سوى دماء الأعداء .

يبقى العلوي الشخصية المتمتعة بالقيادة الحكيمة الحليمة التي لا
تنزع إلى الإنتقام وان كان العدو متخوفاً من ذلك والصديق راغباً فيه ،
ولكن الشخصية العصامية لا تسير مع العواطف بل تسير على درب
المقاومة بخطى ثابتة على أرض صلبة حتى يتحقق الهدف .

6- ابن النبي (ص)

يخاطب المُتَنَبِّي العلوي بقوله (يا ابن النبي) لأنه من سلالة فاطمة
الزهراء بنت النبي محمد (ص) وقد ورث الخصال النبوية أباً عن جد
حتى ينتهي إلى جده الرسول الأعظم (ص) .

ومن هذه الخصال ، الروح الشعبية التي تتطلق من التلاحم مع
الشعوب المستضعفة في الآمال والآلام . ومن أجل ذلك قال :

1 - سورة الزلزلة ، آية : 7.

قد أجمعت هذه الخليفة لي انك يا ابن النبي أوحدها
فان إجماع الأمة والأغلبية الساحقة هي التي تكون مصدر القرار
في الإسلام . والأوحد من لا ثاني له ، فيكون الإجماع وهو الإتفاق
على ترشيح العلوي للقيادة في المجتمع بالرغم من محاولة الأعداء
للقضاء على هذه الشخصية العلوية .

7 - القيادة

وعن استحقاق العلوي للقيادة بالرغم من مواقف الأعداء ، أشار
الْمُنْتَبِي إلى تجمع الصفات المطلوبة في القيادة فيه من دون أي اعتبار
للعمر فقال :

وأنك بالأمس كنت محتتما شيخ معد وأنت أمردها

وان العلوي كان شيخاً ١١ قيادة روحية في حين انه أمرد محتلم في
صباه لإستخلافه أباه كما قال سبحانه : (وأتيناها الحكم صبيا ^(١)) .

ومن هذا النص يمكن ان يكشف بان القصيدة كانت في أواخر حياة
العلوي وأوائل صبا الْمُنْتَبِي مشيراً إلى إستحقاق الْمُنْتَبِي نفسه لقيادة
الشعر كما يشير إلى ذلك في ديوانه وبمناسبات مختلفة .

وختم الْمُنْتَبِي هذه الأعمدة السبعة التي تستلزم عصامية أي قائد في
المجتمع بأبيات خمسة تعتبر الخاتمة للقصيدة حيث يعتبر فيها العلوي

1 - سورة مريم ، آية : 12 .

مولداً للقيم الكبيرة الجليلة - سواءً بالمباشرة أو التسبيب - وقص
المتنبّي ما ناله منها شخصياً كمثال حي لذلك .

(وفي الختام) لا ادري كيف يمكن التوفيق بين مدح المتنبّي للعلوي
بقوله : (خير قريش اباً وأمجدها⁽¹⁾) وقوله ايضاً: (انك يا بن النبي
أوحدها⁽²⁾) وبين قول طه حسين : (اقبل الفتى على بغداد قرمطياً
منهزماً) (ص54) !!! فان هذا المدح والخطاب لا يمكن ان تتبع من
عقيدة القرمطة الاشتراكية .

كما لا ادري كيف يمكن التوفيق بين كلام طه حسين نفسه بما
نصه: (يمدح بها رجلاً رسمياً .. محمد بن عبيد الله العلوي) (ص47)
وبين كلامه نفسه بما نصه: (الشاعر لم يمدح احداً من رجال الحكم)
(ص53) !! اذاً ما هو المعنى بالرسمية في كلامه !!؟

والحق ان المثقف لا يمكن ان ينكر في هذه القصيدة الوفاء
الأصيل من المتنبّي المادح والإستحقاق للمدح من العلوي الممدوح
والإعتدال في العقيدة في كل منهما من دون أي غلو أو تعصب .

1 - البيت رقم 21 .

2 - البيت رقم 26 .

آل الأعرجي

حسب الهجاء والألقاب

فيما يلي قائمة بأسماء الأسر الأعرجية اعتماداً على الكتابين :
اولاً : آل الأعرجي ، تأليف حلیم حسن الأعرجي ، مكتب الشرق
الأوسط ، بغداد سنة 1992 ، الصفحات 287-297 . مشيراً إليه برقم
(1) .

ثانياً : تاريخ وبيوتات آل البيت في بلاد الرافدين - دراسة ميدانية - ،
يرجى ممن ينتسب إلى الأسرة املاء القسيمة المثبتة في آخر الكتاب ،
بسرده نسبه المتسلسل إلى أهل البيت (ع) تأليف فتحي عبد القادر سلطان
، دار المحجة البيضاء ، بيروت ، 2002م ، الصفحات 222-232 .
مشيراً إليه برقم (2) .

الأسرة	مكان تواجدها	رقم الكتاب والصفحة
1. ابي العشائر	الحلة - سورا	227-2
2. الأعرجي	كاظمية - بغداد	223-2
	الموصل 1-278 و	
	230-2	
3. البرزنجية		295-1
4. البكاء		297-1
5. ابو جاسم	بغداد	224-2
6. جريو	بغداد والنجف	287-1
	وبلد والخالص	227-2
	السماء والموصل	
7. الجلاي	كربلاء	225-2 و 297-1
8. حافظ	الموصل	231-2
9. حسن (السيد)	الموصل	231-2
10. الحسيني	كربلاء	225-2
11. حلال	الحلة	227-2
12. حنون (سيد)	كربلاء	223-2
13. خزيم	الحلة	297-1
14. خضير		294-1
15. الخليفة	الموصل	231-2

222-2	كربلاء	16. ربيع (سيد)
287-1	الموصل	17. رحمة الله
223-2	بغداد	18. الزاويون
288-1		19. زوين
231-2	الموصل	20. السردار
227-2, 289-1	بغداد	21. السعدون
297-1	الحلة	22. سويد
293-1	سامراء	23. شامان
224-2	بغداد	24. الشاهرودي
229-2	كربلاء والنجف	25. الشرفة (الشرقي)
227-2	الكرخ	26. طقطقية (آل أحمد)
296-1	نصيبين - ديار بكر	27. عبد الله (سيد)
231-2	الموصل	28. العبيدي
287-1	الموصل	29. العربي
231-2	الموصل	30. العريضي
294-1		31. العزى (بنو)
227-2	الشرفه	32. عقيل (ابو قضاية)
231-2	الموصل	33. علي آغا (السيد)
223-2	كربلاء	34. عمران (سيد)
228-2	كربلاء والحلة	35. العميدي
230-2	كربلاء والنجف	36. العوسج
224-2	كربلاء والنجف	37. الفحام

231-2 و 287-1	الموصل	38. الفخري
231-2	الموصل	39. القاضي
224-2	النجف	40. كمونة
223-2	كربلاء	41. لطفي
231-2 و 287-1	الموصل	42. مرتضى
287-1	الموصل	43. المصطفى
231-2 و 287-1	الموصل	44. المفتي
296-1	الساوة	45. منصور (سيد)
231-2	الموصل	46. النقيب
223-2	كربلاء	47. هادي (سيد)

مصادر الكتاب

- 1- آل الاعرجي ، تأليف حليم حسن الاعرجي ، مكتب الشرق الأوسط ، بغداد ، 1993م .
- 2- تاريخ وبيونات آل البيت (ع) ، تأليف فتحي عبد القادر سلطان ، دار المحجة البيضاء ، بيروت ، 2002م .
- 3- التبيان في شرح الديوان ، لابي البكاء العسكري (ت610هـ) ، تحقيق مصطفى السقاء وجماعة ، مطبعة الحلبي ، مصر ، 1355هـ/1936م . وايضاً : تحقيق د. كمال طالب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1997م .
- 4- التكملة في شرح الأبيات المشككة من ديوان المتنبي ، لابي علي الحسين الصقلي المغربي (ج5) ، تحقيق د. انور ابو سويلم ، دار عمار ، الأردن ، 1406هـ/1985م .
- 5- تنبيه الأديب على ما في شعر أبي الطيب بن الحسن والمعيب ، لعبد الرحمن بن عبد الله الحضرمي (ج975) ، تحقيق د. رشيد عبد الرحمن صالح ، 1393هـ/1973م .
- 6- ديوان المتنبي : راجعت من نسخ ديوان المتنبي ما يأتي ، والمطبوعة بالعناوين التالية :
- 7- ديوان ابي الطيب المتنبي ، تحقيق الدكتور عبد الوهاب العزام ، القاهرة ، 1363هـ/1944م .
- 8- ديوان شيخ شعراء العربية أبي الطيب المتنبي ، تحقيق د. عبد المنعم الخفاجي وجماعة ، القاهرة ، 1994م .
- 9- ديوان المتنبي ، مع ترجمة مولانا اعزاز علي ملتان ، باكستان ، 1978م ، وقد راجعت النص فيه وفي الشروح الميسرة .

- 10- شرح ديوان المتنبي ، لعبد الرحمن البرقوقي (ت1363هـ) ، طبعة ثانية ، مطبعة الاستقامة ، القاهرة ، 1357هـ/1938م .
- 11- الصبح المبني عن حيثية المتنبي ، للشيخ يوسف البديعي (ت1072هـ) ، مكتبة عرفة ، دمشق ، 1350هـ .
- 12- العرف الطيب في شرح ديوان ابي الطيب ، للشيخ ناصيف البازجي (ت1287هـ) ، دار صادر ، بيروت ، 1384هـ/1964م .
- 13- العود الهندي عن آمالي في ديوان الكندي ، للسيد عبد الرحمن السقاف (ت1375هـ) ، دار المنهاج ، 1423هـ .
- 14- الفسر في شرح ديوان المتنبي ، لابي الفتح عثمان بن جنى (ت392هـ) ، تحقيق د. رضا رجب ، دمشق ، 2004م .
- 15- المآخذ على شرح ديوان المتنبي ، لابي العباس احمد بن علي بن عقل الأزدي (ت644هـ) ، تحقيق الدكتور عبد العزيز المانع ، الرياض ، 1422هـ/2001م .
- 16- المتنبي ، محمود محمد شاكر ، دار المدني ومكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1407هـ/1987م .
- 17- مع المتنبي ، تأليف طه حسين ، دار المعارف ، مصر ، 1962م .
- 18- معجز احمد شرح ديوان المتنبي ، لابي العلاء المعري (ت449هـ) ، تحقيق الدكتور عبد المجيد دياب ، دار المعارف ، القاهرة ، 1986م .
- 19- الموضح في شرح شعر المتنبي ، ليحيى بن علي التبريزي (ت502هـ) ، تحقيق الدكتور خلف رشيد نعمان ، بغداد ، 2002م .

الملاحق

شجرة النسب

بسم الله الرحمن الرحيم
 " وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله اتقاكم "

صدق الله العظيم

شجرة نسب عائلية

اسمي الكامل : اسم العائلة :
 مكان الولادة : تاريخ الولادة :
 العنوان الكامل :
 هاتف : ص.ب : المدينة : الدولة :

أشقتي :	أولادي :
الاسم تاريخ الولادة	الاسم تاريخ الولادة
الاسم تاريخ الولادة	الاسم تاريخ الولادة
الاسم تاريخ الولادة	الاسم تاريخ الولادة
الاسم تاريخ الولادة	الاسم تاريخ الولادة
الاسم تاريخ الولادة	الاسم تاريخ الولادة
الاسم تاريخ الولادة	الاسم تاريخ الولادة

رجاء

يرجى ممن يرى ضرورة المحافظة على النسب النبوي الطاهر ، ووجد ان هذا الكتاب فاقداً لبعض الأنساب التي هو على معرفة كاملة بها ، ان يملئ هذا النموذج لغرض الاستدراك في طبعة لاحقة . شريطة ان يصنفها من قبل كاتب العدل ويرسلها على العنوان التالي :

P.O Box 53573
 Chicago , Illinois 60653

لطفا اقلب الصفحة

صورة
 قلمخطية

اقر أنا (الاسم الكامل) بصحة كامل المعلومات الواردة في هذا النموذج ، ولا مانع لدي من نشرها في كتاب " جريدة النسب " .

التوقيع
 التاريخ

لطفاً .. اكتب أية معلومات إضافية عن الأسرة وتاريخها على ورقة إضافية وأرفقها بهذا النموذج وابعث به إلى العنوان التالي :

P.O Box 53573
 Chicago , Illinois 60653

* اذكر تسلسل نسبك الطاهر منك وحتى سيدنا علي بن ابي طالب ة من زوجته فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ .

الرقم	تسلسل النسب	تاريخ الولادة	تاريخ الوفاة	آية مطومات أخرى
	اسم والفتي :			
1.	اسمي :			
2.	اسم ابي :			
3.	ابن			
4.	ابن			
5.	ابن			
6.	ابن			
7.	ابن			
8.	ابن			
9.	ابن			
10.	ابن			
11.	ابن			
12.	ابن			
13.	ابن			
14.	ابن			
15.	ابن			
16.	ابن			
17.	ابن			
18.	ابن			
19.	ابن			
20.	ابن			
21.	ابن			
22.	ابن			
23.	ابن			
24.	ابن			

لطفًا اقلب الصفحة

.....				ابن	25.
.....				ابن	26.
.....				ابن	27.
.....				ابن	28.
.....				ابن	29.
.....				ابن	30.
.....				ابن	31.
.....				ابن	32.
.....				ابن	33.
.....				ابن	34.
.....				ابن	35.
.....				ابن	36.
.....				ابن	37.
.....				ابن	38.
.....				ابن	39.
.....				ابن	40.
.....				ابن	41.
.....				ابن	42.
.....				ابن	43.
.....				ابن	44.
.....				ابن	45.
.....				ابن	46.
.....				ابن	47.
.....				ابن	48.
.....				ابن	49.
.....				ابن	50.

أضف ورقة أخرى عند الحاجة



The Open School
P.O. BOX 53573
CHICAGO, IL 60653-0398

ترجمة المتنبي للربيعي

من مخطوطة « شرح ديوان المتنبي للواحدى »

بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين

قال علي بن عيسى النحوى رحمة الله عليه .

١ - قال لى أبو الطيب أحمد بن الحسين بن الحسن : ^(١) « كان يُقَالُ عَلَى أَنْ
أَدْعَى الْمُنْتَبِي دَهْرًا ، إِلَى أَنْ أُنْسَتْ بِهِ ، ^(٢) وَقَبِحَ اللَّهُ أَهْلَ الْكُوفَةِ ، يُضَيِّقُونَ فِي الْأَسْمَاءِ
عَلَى أَنْفُسِهِمْ ، فَلَا يُفَرِّقُ بَيْنَ بَعْضِهِمْ وَبَعْضٍ إِلَّا بِالْقَابِ . ^(٣) »

« وقال لى : مولدى الكوفة ، وَرَضَعْتُ بِلَبَانِ عَلَوِيَّةٍ مِنْ بَنَاتِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ يَحْيَى . ^(٤) »

(١) هذا نصٌّ عظيم الخطر ، لأنه من كلام المتنبي نفسه ، وهو نص قاطع فى الصلة الحميمة بين أبى الطيب
والعلويين ، كما ذهب إلى فى أمر نسبه ، وفى أمر ما زعموه من نبوته . والعجب لابن العديم وابن عساكر ، كيف لم
يذكرا الخبر بنصه عن المتنبي ، أو الأصح ، كيف لم يذكره ياقوت الحموى الذى رأى ديوان المتنبي بخط أبى الحسن
على بن عيسى الربيعي ، ونقل عنه أنه أرضعته امرأة علوية من آل عبيد الله ، دون أن ينسب ذلك إلى المتنبي نفسه
(ترجمة ابن العديم رقم : ٨) .

(٢) فى المخطوطة : « أنسب به » ، وهو تصحيف ، صوابه ما أثبت ، وفى ترجمة ابن العديم : « ثم ألفتة » .

(٣) ما سلف رواه ابن العديم فى ترجمته رقم : ٨ .

(٤) خبر رضاع المتنبي ، رواه ابن العديم فى ترجمته فى آخر رقم : ٨ ، واقتصر على قوله : « آل عبيد الله » ،
وقد بين المتنبي نفسه أنهم « آل عبيد الله بن يحيى » ، وأنا أخشى أن يكون قوله « يحيى » تصحيفاً . والناسخ كثيراً ما
يصحفون ، فيكتبون « يحيى » مكان « على » . فإذا صح هذا ، فهم « آل عبيد الله بن على » ، الذين منهم « المشتب » :
« محمد بن عبيد الله بن على بن عبيد الله بن على بن عبيد الله بن الحسين بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب » ،
الذى مدحه المتنبي ، وذكرت أمره فيما سلف : ١٥١ ، تعليق : ٣ وما بعد ذلك ، وقد رجعت أن المتنبي أخوه من
الرضاع . انظر ص : ١٥٣ ، تعليق : ١ .

« ونشأت بالبادية ، وكنت أحب البطالة والجولان وصُحبة ذوى الغارات
والحروب والتيه عن الدنيات من الأخلاق ، وقلت الشعر صبيّاً » . (١)

٢ - وزعم ابن عم له في الكوفة : أنه أحمد بن الحسين بن الحسن بن مرة بن
عبد الجبار ، من جُفَفي . وقال : « لا أعرف باقى نسبنا ، هو مُتَقَطع » . (٢)

٣ - وقال : أبو أحمد عبد العزيز بن الفضل ، أخبرني الشيخ أبو الحسين علي
ابن أحمد بن أبي سَعْدَةَ بمدينة السلام قال : لما دخل المتنبي مدينة السلام خارجاً إلى
فارس ، أراد أن يَضْمَن الطريق من مدينة السلام إلى باب واسط من معز الدولة ، وكان
الواسطة الشريف أبو عبد الله بن الداعي ، وكنت أنا كاتبه ورسول المتنبي إليه في هذه
الواسطة ، فلم يُجِبْهُ إلى ذلك ، وذكر : إن هذا الرجل شاعرٌ ، إن طالبته بما يلزمه من
مالى هجاني . (٣)

(١) هذا الجزء من الخبر ، يتضمنه خبر ابن العديم رقم : ٨ .

(٢) هذا خبر ظاهر الخطر ، لأنه يدلنا لأول مرة ، على أن أبا الطيب ، كان له « ابن عم » ، عرفه الربيعي في
الكوفة ، ومعنى الخبر شبيه بخبر رواه الربيعي أيضاً ، وذكر فيه أن لأبي الطيب أخاً مكفوفاً كان يسأل الناس بحجر
بغداد ، وسأله أيضاً عن نسبه ، [ابن العديم رقم : ٨] .

(٣) هذا الخبر رقم : ٣ ، من أهم الأخبار ، لأن له علاقة وثيقة بحال المتنبي مع العلويين ، ولذلك أعلق عليه
بعض التطويل :

● « معز الدولة » البويهي ، أحد ملوك الديلم ، وعم عضد الدولة الذي مدحه المتنبي في آخر عمره ، كان
صاحب العراق . وكان علوي الموى ، وغالى في ذلك ، حتى إذا كانت سنة ٣٥٢ ، قبل وفاته بأربع سنوات ،
وجاء عاشر المحرم ، فأمر بتغليق أسواق بغداد ، وأن يلبس النساء المسوخ من الشعر ، وأن يخرجن في الأسواق
حاسرات عن وجوههن ، ناشرات شعورهن ، يَطْلَعْنَ وجوههن ، يُشَخِّن على الحسين بن علي بن أبي طالب (ابن
الأثير ٨ : ١٩٧ / البداية والنهاية ١١ : ٢٤٣) .

● « أبو عبد الله بن الداعي » ، هو العلوي الريدي : « محمد بن الحسن (وهو الداعي الصغير) بن القاسم بن
علي بن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد البطحاني ، بن القاسم بن الحسن بن زيد بن علي بن أبي طالب (جمهرة ابن
حزم : ٤٠) ، كان معز الدولة يعظمه تعظيماً شديداً ، وأجبره على أن يتولّى نقابة الطالبين سنة ٣٤٩ ، وغاب =

قال أبو الحسين : فدخل إلى المتنبى ، وأنا أسكن « دَرْبَ الزُّعْفَرَانِي » ، وكنت
رَمِداً قَلِقاً من الوجع ، فأنشدني :

أَيَا أَنَسَ الْقُلُوبِ ، وَقَدْ تَعَالَتْ أَمَانِيهَا ، وَضَوْءَ النَّاطِرِينَ
لَيْنَ جَرَحَتْ شَكَاكَ كُلَّ قَلْبٍ بِأَنْفَذَ فِي الْقَوَادِ مِنَ الرُّدْنِيِّ

= معز الدولة في سفره إلى نصيبين ، واستخلف ابنه عز الدولة بختيار ببغداد ، فخطوب في حضرته بشيء عن العلوية فلم يرض ذلك ، وامتعض ، وخرج مغضباً ، ودبر أمره وخرج مختفياً ، ومعه ولده الأكبر ، وخلف أولاده وعياله ونعمته وكل ما تحويه داره ببغداد ، ولم يستصحب غير جبة صوف بيضاء وسيفاً ومصحفاً ، وسار إلى بلاد الدليم ، وليس الصوف وأظهر النسك والعبادة ، وحارب بعد ذلك وشمكير فهزمه ، وعزم على المسير إلى طبرستان ، وكتب إلى العراق كتاباً يدعوهم إلى الجهاد (ابن الأثير حوادث سنة ٣٥٣ ، وسنة ٣٥٥ / تكملة تاريخ الطبري للهمداني : ١٨٩ ، وتجارب الأمم لمسكويه ٢ : ٢٠٧) .

● « درب الزعفراني » ، قال ياقوت : « هو بكرخ ببغداد ، كان يسكنه التجار وأرباب الأموال ، ورتما يسكنه بعض الفقهاء » ، وهو منسوب إلى « الحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني » ، كان ثقة من أجل العلماء ، وروى عنه البخاري في صحيحه ، وهو الذي قرأ على الشافعي كتبه القديمة ، وكان يومئذ شاعراً ، وتوفي سنة ٢٦٠ ، وقد وصف الخطيب البغدادي هذا الدرب في ترجمة الزعفراني (٧ : ٤٠٧) فقال : « ودرب الزعفراني المملوك فيه من باب الشعر إلى الكرخ ، إليه ينسب » ، وأكثر المحدثين ببغداد منسوبون إلى هذا الدرب .
هذا ، وقد ذكر الخطيب البغدادي في تاريخه (٧ : ٣٠٣ ، ٣٠٤) ترجمة : « أبي محمد الحسن بن حامد بن الحسن بن حامد بن الحسن بن حامد بن حامد بن حامد ، الأديب ، كان تاجراً ممولاً وإليه ينسب » خان ابن حامد » الذي يدرب الزعفراني ببغداد » ، قال الخطيب البغدادي :

« حدثني الصوري قال : ذكر لي الحسن بن حامد أن المتنبى لما قديم ببغداد نزل عليه ، وكان القيم بأموره ، وأن المتنبى قال له : لو كنت مادحاً تاجراً لمدحتك » .

قال البغدادي : « مات بمصر في يوم الأحد ، مستهل شوال سنة سبع وأربعمائة » ، ولكن العجب لابن الجوزي في المنتظم ، فإنه نقل ما قاله عنه الخطيب البغدادي ، ولكنه وضعه في وفيات سنة ٣٨٥ (المنتظم ٧ : ١٨١) .
فهذا غير دخول أبي الطيب ببغداد ونزوله في دار الحسن بن حامد بدرب الزعفراني ، وسيأتي في رقم ١٣ أن المتنبى في دخلته الثانية إلى بغداد نزل في دار أبي الحسن العروضي ، في « رَيْضِ حَمِيد » . فهذا موضع تحقيق لدخلته الأولى ودخلته الثانية ، متى كانت الأولى ومتى كانت الثانية .

وَأَوْهَنَ مَا وَهَنْتَ لَهُ الْمَعَالِي ، وَأَقْدَى مَا بَعَيْنِكَ كُلَّ غَيْنِ
لَحْظُكَ فِي الثَّرَابِ أَجَلٌ مِنْ أَنْ يُطِيفَ بِهِ كِتَابُ الْكَاتِبَيْنِ
إِسَاءَاتُ الزَّمَانِ أَجَلٌ نَعْمَى إِذَا سَلِمَتْ حَيَاةُ أَبِي الْحُسَيْنِ
فَكَمْ مِنْ مِخْنَةٍ طَرَفَتْ فَكَانَتْ لِمُحَقِّقِ الذَّنُوبِ قَضَاءُ دَيْنِ

وما نعلم أنه قال ببغداد شعراً غير هذا . (١)

٤ - ومما ذكر أن المتنبي رحمه الله قاله وهو بواسط في خروجه إلى فارس ، ولم يقع في التسخ ، ولم يروه الناس ، وذكر راويته المعروف بأبي الحسين محمد بن محمد بن سلمان الكوفي ، ويعرف أيضاً بأبي السوداني ، (٢) بيان هذه القصيدة ودفعها إليه أبو جعفر محمد بن الحسين بن حمزة العلوي ، وذكر أنه وجدها في بعض نسخ شعره ، وذكر أبو الحسن أنها منحولة (٣) : -

أَفِيقَا ، حُمَارُ الْهَمِّ تَغْصِنِي الْحُمْرَا وَسُكْرِي مِنَ الْأَيَّامِ جَنَّبَنِي السُّكْرَا
تَسُرُّ خَلِيلِي الْمُدَامَةَ ، وَالَّذِي يَقْلِبُنِي يَأْتِي أَنْ أُسْرَكَمَا سُرَا
لَبِسْتُ صُرُوفَ الدَّهْرِ أَحْسَنَ مَلْبَسٍ ، فَعَرَفْتَنِي ثَابَا وَفَرَّقْتَنِي ظَفَرَا (٤)

(١) هذا الخبر ، والشعر الذي فيه ، انفردت به ترجمة الربيعي هذه ، ولم يذكره الراجكوتي في « زيادات ديوان شعر المتنبي » .
(٢) هذا خبر طريف آخر فيه ذكر راوية للمتنبي . أما « السوداني » فهكذا ضبط في المخطوطة ، ولا أعرف هذا الضبط . والنسب التي تشبهه هي « السوداني » بالضم وبالذال المهملة ، و « السوداني » بالضم وبالذال المعجمة ، و « السوراني » بالضم وراء وباء ، و « السوراني » ، بضم وراء ونون .
(٣) القصيدة الآتية ، ذكرها البديعي في « الصبح المنى » : ١٠٤ - ١٠٧ (طبعة دار المعارف) ، والراجكوتي في « زيادات ديوان شعر المتنبي » عن البديعي ، وعن نسخ مخطوطة لديوان المتنبي ، وانظر تعليقاته على الأبيات .
(٤) في الصبح ، وفي الراجكوتي « أحسن ملبس » ، وهي أجود مما في المخطوطة . وفي الصبح المنى : « فعرفني ... ومزني » ، وفي الراجكوتي : « فعرفني ومزني » ، والذي هنا أجود . يقال : « عرق العظم ومزقه » أخذ اللحم عنه بأسنانه نهشاً . و « قرى الجلد يقره قرىاً » ، شقه ومزقه بظفر أو بحديدة .

وَفِي كُلِّ لَحْظٍ لِي وَمَسْمَعٌ نَعْمَةٌ ،
سَدِّكَتْ بِصَرْفِ الدَّهْرِ طِفْلاً وَيَافِعاً ،
أُرِيدُ مِنَ الْأَيَّامِ مَا لَا يُرِيدُهُ
وَأَسْأَلُهَا مَا أَسْتَحِقُّ قَضَاءَهُ ،
وَلِي كَيْدٌ مِنْ رَأْيِ هِمَّتِهَا النَّوَى ،
تُرَوِّقُ بَنَى الدُّنْيَا عَجَائِبَهَا ، وَلِي
أَخُو هِمَمٍ رَحَالَةٍ لَا تَزَالُ لِي
وَمَنْ كَانَ عَزَمِي بَيْنَ جَنْبَيْهِ حَتَّى ،
صَحِبْتُ مُلُوكَ الْأَرْضِ مُغْتَبِطاً بِهِمْ ،
وَلَمَّا رَأَيْتُ الْعَبْدَ لِلْحُرِّ مَالِكاً
وَمِصْرَ لَعَنَرِي أَهْلُ كُلِّ عَجَبَةٍ
يُعَدُّ إِذَا عُدَّ الْعَجَائِبُ أَوَّلاً
فِيَا عَجَبَ الدُّنْيَا ، وَيَا عِبْرَةَ الْوَرَى ،
لَوْ بَيِّنَةٌ لَمْ تَذَرِ أَنَّ بُنْيَهَا الـ

ثَلَاثُ حُطْنِي شَرْراً ، وَتُسْمَعُنِي هُنَجراً (١)
فَأَقْنَيْتُهُ حَزْماً وَلَمْ يُفْنِنِي صَبْراً (٢)
سِوَايَ ، وَلَا يَجْرِي بِخَاطِرِهِ فِكْراً
وَمَا كُنْتُ مَعْنَى يَطْلُبِي حَاجَةً قَسْراً (٣)
فَتَرَكْنِي مِنْ عَزَمِهَا الْمَرْكَبَ الْوَعْراً (٤)
فَوَادَّ بِيضِي الْهِنْدُ لَا يَبِضُّهَا يُغْرَى
نَوَى تَقَطُّعُ الْيَدَاءِ أَوْ أَقْطَعُ الْعُمْرَا
وَصَبَّرَ طَوْلَ الْأَرْضِ فِي غَيْبِهِ شَبْرَا
وَفَارَقْتُهُمْ مَلَانَ مِنْ حَنَقِي صَدْرَا
أَيُّتُ إِبَاءَ الْحُرِّ مُسْتَرْفِداً حُرّاً (٥)
وَلَا مِثْلَ ذَا الْمَخْصِي أُعْجِبُونَهُ نُكْرَا
كَمَا يَتَنَدَا فِي الْعَدِّ بِالْإِصْبَعِ الصُّغْرَى
وَيَا أَيُّهَا الْمَخْصِي مَنْ أَمْلَكَ الْبَطْرَا (٦)
لَوْ بَيِّنٌ دُونَ اللَّهِ يُعْبَدُ فِي مِصْرَا (٧)

(١) في المخطوطة: «ومسمع نعمة»، وهو تصحيف صوابه في الصحيح، والزيادات، وفي سائر البيت بعد ذلك خلاف.

(٢) في الصحيح، والزيادات: «فأقنيتُهُ عزمًا»، وهي جيدة. و«سبك بالشئ»، لزمه ولصق به.

(٣) في الصحيح، والزيادات، خلاف في رواية العجز: «وما أنا بمن رام حاجته بَسْراً»، والراجحوني «قَسْراً». و«اطلبي الحاجة»، دَعَاها وطلبها.

(٤) في الصحيح: «ولي همّة»، كأنها سبق قلم.

(٥) في الصحيح والزيادات: «مستزقاً»، وهذه أجود.

(٦) في الصحيح والزيادات: «فيا هرم الدنيا».

(٧) في الزيادات: «نوبيّة... الثوبى»، وهما أجود مما في المخطوطة، فإن «لوية»، هي التي بين الإسكندرية وبرقة، وكافور ليس منها بلا ريب، بل هو من «التوبة»، جنوب من مصر، من السودان.

وَيَسْتَعْدِمُ الْبَيْضَ الْكَوَاعِبَ كَالْدُمَى
قَضَاءً مِنَ اللَّهِ الْكَرِيمِ أَرَادَهُ ،
وَاللَّهُ آيَاتٌ وَلَيْسَتْ كَهَذِهِ ،
لَعَمْرُكَ مَا دَهَرٌ بِهِ أَنْتَ طَيِّبٌ ،
وَأَكْفَرُ يَا كَافُورٌ حِينَ تَلُوحُ لِي ،
عَثَرْتُ بِسَيْرِي نَحْوَ مِصْرَ فَلَا لَمَأَ
وَفَارَقْتُ خَيْرَ الْخَلْقِ قَاصِدَ شَرِّهِمْ ،
فَعَاقَبَنِي الْمَخْصِيُّ بِالْعَدْرِ جَازِيًا ،
وَمَا كُنْتُ إِلَّا فَائِلَ الرَّأْيِ لَمْ أُغْنِ
وَقَدَّرَنِي الْخَنْزِيرُ أُنَى هَجَوْتُهُ
جَسَرْتُ عَلَى بَيْدَاءٍ مِصْرَ فُقْتُهَا
سَاءَ جَلِبُهَا شَعْتُ التَّوَاصِي مُشِيحَةً
وَأُطْلِعُ بَيْضًا كَالشُّمُوسِ مُطِلَّةً ،
فَإِنْ بَلَغَتْ نَفْسِي الْمُنَى فَيَعْزِمَهَا

وَرُومَ الْعَيْدَى وَالْعَطَارِفَةَ الْغُرَا^(١)
أَلَا رُبَّمَا كَانَتْ إِزَادَتُهُ شَرًّا
أُظُنُّكَ يَا كَافُورُ آيَتُهُ الْكُبْرَى
أَيَحْسِبُنِي ذَا الدَّهْرِ أَحْسِيَهُ دَهْرًا
فَفَارَقْتُ مَذَّ فَارَقْتُكَ الشَّرَّكَ وَالْكَفْرًا
بِهِ ، وَلَمَّا بِالسَّيْرِ عَنْهَا وَلَا عَثَرًا^(٢)
وَأَكْرَمَهُمْ طُرًّا لِأَنْذَلِهِمْ طُرًّا
لِأَنَّ رَجِيلِي كَانَ عَنْ حَلَبٍ غَدْرًا
بِحَزْمٍ وَلَا اسْتَصْحَبْتُ فِي وَجْهَتِي جَنْجَرًا^(٣)
وَلَوْ عَلِمُوا قَدْ كَانَ يُهْجَى بِمَا يُطَرَّا^(٤)
وَلَمْ يَقِفِ الْبَيْدَاءُ إِلَّا مَنْ اسْتَجَرَا^(٥)
تَحُولُ غَدَاةِ النَّفْعِ عَنْ لَوْنِهَا غَيْرًا^(٦)
إِذَا طَلَعَتْ بَيْضًا وَإِنْ غَرَبَتْ حُمْرًا
وَالْأَفْقُ فَقَدْ أُبْلِغْتُ فِي جِرْصِهَا الْعُدْرَا

(١) « العبدى » ، من المجموع الكثيرة للفظ « العبد » .

(٢) في الصبح والزيادات : « فلا لَمَأَ بها » ، وهو خطأ .

(٣) « الججر » ، العقل وحسن الرأي .

(٤) في الصبح : « وقد أرى الخنزير » .

(٥) في الصبح والزيادات : « على دهياء ... ولم يفت الدهياء » ، ولا شك أن صوابها « دهناء مصر ...

والدهناء » ، و « الدهناء » القفلة ، وبه سميت « دهناء بنى تميم » .

(٦) البيت في الصبح :

سَأَجْلِبُهَا أَشْبَاهَ مَا حَمَلَتْهُ مِنْ
أَسْتَيْتَهَا جُرْدًا مَقْسُطَلَّةً غَيْرًا

٥ - ووُجد في بعض النسخ أنه كتب من رَامُهُرْمَزَ إلى كاتب كانت له عليه مِنَّةٌ ، هذه الأبيات ، = الشَّيرَازِيُّ : هذا الرجل هو أبو الفضل عبد الرحمن بن الحسين الغنْدَجَانِي ، وكان عامل رَامُهُرْمَزَ من قِبَل مُعِزِّ الدولة ، وكان خَدَمَ أبا الطيب وقت اجتيازه بِرَامُهُرْمَزَ خارجاً إلى آبن العميد ، وادَّعى أنه كتب إليه هذه القطعة = وحدَّثني جماعة أنَّ هذه الأبيات هو قالها عن المتنبي إلى نفسه وتحلها إياه :

لَئِنْ حُمَّ بَعْدَ الْقُرْبِ نَأَى وَلَمْ أَحْزُ مِنْ الْوَصْلِ مَا يَشْفِي الْفُؤَادَ مِنَ الْوَجْدِ
وَلَمْ تَكُنْ حِلَّ عَيْنَيَّ مِنْكَ بِنَظَرَةٍ يَعُودُ بِهَا نَحْسُ الْفِرَاقِ إِلَى السَّعْدِ
فَلَمَّا لَحَظْتُ فِي الْفُؤَادِ بِمَقْلَةٍ مِنَ الذِّكْرِ تُذْنِبُكُمْ كَأَنْتُمْ عِنْدِي
إِذَا هَاجَ مَا فِي الْقَلْبِ لِلْقَلْبِ وَخَشَّةٌ فَرِغْتُ إِلَى أَنْسِ الذِّكْرِ مِنْ بَعْدِ^(١)
٦ - وقيل : إنه لما رأى « فاتكاً » من بعيد وعلم أنه يريد قتاله قال :

أَفْرِغِ الدَّرْعَ يَا سِرَاجَ عَلَيَّ وَأَنْظِرِ الْيَوْمَ مَا تَرَى مِنْ قِتَالٍ
فَلَيْتَ رُحْتُ فِي الْمَكْرِ صَرِيحاً فَاتَعَ لِلْعَالَمِينَ كُلِّ الرُّجَالِ^(٢)

...

ذَكَرَ مَقْتَلُ أَبِي الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّي رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ

٧ - قال أبو أحمد رحمه الله : ^(٣) وجدت في آخر نسخة محمد بن هاشم الخالدي التي بخطه لشعر المتنبي رحمه الله . ^(٤)
« كُنَّا كَتَبْنَا كِتَاباً إِلَى أَبِي نَصْرٍ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُبَارَكِ الْجُبَلِيِّ نَسْأَلُهُ شَرْحَ ذَلِكَ =

(١) هذا خبر لم أره في شيء من الكتب . هكذا ضبطت في المخطوطة ، والأجود : « مِنْ بَعْدِ » .
(٢) في ديوان المتنبي (عزام) ص : ٥٨٨ ، هذا الشعر ، وأن المتنبي كان معه عبد يقال له « سراج » ، فقال له : يا سراج ، أخرج إلى الدرع . فليتها ونمياً للقتال ، ثم قال ...
(٣) « أبو أحمد » هو « عبد العزيز بن الفضل » ، الذي مضى في إسناد الخبر : ٣ .
(٤) هو نصه أيضاً منقولاً من خط الخالدي ، في ترجمة المتنبي لابن العديم رقم : ٨١ .

وهذا الرجل من وجوه الثناء بهذه الناحية ، (١) وله أدب وحرمة = فأجابنا عن كتابنا جواباً طويلاً يقول فيه :

« وأما ما سألتما عنه من خبر مقتل أبي الطيب رحمه الله ، فأنا أنسقه لكما وأشرحه شرحاً بيّناً . أعلمنا أنّ مسيره كان من واسط في يوم السبت لثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان سنة أربع وخمسين وثلاثمائة ، قُتِلَ بَبَزَع ، (٢) ضَيْعَةَ تَقْرُبُ من دير العاقول ، في يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من شهر رمضان سنة أربع وخمسين وثلاثمائة . والذي تولى قتله وقتل ابنه وغلاليه رجل من بني أسد يقال له « فاتك بن أبي الجهل بن فراس بن بداد » . وكان من قوله لما قتله وهو مُتَعَفِّرٌ : « قُبْحاً لهذه اللحية يا سَبَّاب ! » ، وذلك أنّ فاتكاً هذا قرابة لوالدة « ضبّة بن يزيد العيْنِي » الذي هجاه المتنبي بقوله : (٣)

(١) « الثناء » ، جمع « تائي » ، وهم المقيمون بالبلدة في أرض العجم ، وأصلهم منها .
(٢) في المخطوطة « بَبَزَع » ، بالنون ، وهو كذلك في ديوان المتنبي (عزام) هامش ص : ٥٨٧ ، ٥٨٨ ، غير أن ياقوتاً الحموي اقتصر على ذكرها في حرف الباء ، نقلاً من خط أبي بكر محمد بن هاشم الخالدي صاحب هذا الخير .

(٣) هكذا هنا وفي خبر ابن العديم وغيرهما ، والذي في آبن الأثير ٨ : ٢٣٣ (سنة ٣٦٤) ، و ٨ : ٢٥٧ (سنة ٣٦٩) : « ضبة بن محمد الأسدي » . قال في الموضع الأول :
« وذلك أنّ بختيار كتب إلى ضبة بن محمد الأسدي ، وهو من أهل عين التمر ، وهو الذي هجاه المتنبي ، فأمره بالإغارة على أطراف بغداد وقطع الميرة عنهم ، وكتب بمنى ذلك إلى بني شيان » .

وقال في الموضع الثاني ، (سنة ٣٦٩) :
« وفيها أرسل عضد الدولة سرية إلى عين التمر ، وبها ضبة بن محمد الأسدي ، وكان يسلك سبيل اللصوص وقطاع الطرق ، فلم يشعر إلا والعساكر معه ، فترك أهله وماله ونجا بنفسه فريداً ، وأخذ ماله وأهله ، وميكنك عين التمر ، وكان قبل ذلك قد نهب مشهد الحسين رضي الله عنه ، فموقب بهذا » .
وهما خبران مهمان في شأن مقتل المتنبي وتفسيره . ثم انظر « ديوان المتنبي » (طبعة عزام) ص : ٥٨٧ ، وفيها سماه أيضاً « ضبة بن محمد العيْنِي » ، فهذا موضع للبحث والتحقيق . هذا وقد جاء في ديوان المتنبي (عزام) ، هامش ص : ٥٨٨ ، عن علي بن حمزة البصري أن المتنبي كتب هذه القصيدة في « ضبة » بواسط ، يوم السبت لثلاث عشرة بقيت من رمضان سنة أربع وخمسين وثلاثمائة .

مَا أَنْصَفَ الْقَوْمُ ضَبَّةً وَأُمُّهُ الطَّرِيطَةُ

ويقال إن « فاتكاً » خال « ضبّة » ، وأن الحميّة داخلته لما سمع ذكرها بالقبيح في الشعر ، وما للمتنبى شعر أسخف من هذا الشعر ولا أوهى كلاماً ، فكان على سخافته وركاكته سبب قتله وقتل ابنه وذهاب ماله .

• وأما شرح الخبر ، فإن « فاتكاً » كان صديقاً لى ، وكان كما سُمي فاتكاً لسفكه الدماء وإقدامه على الأهوال ، فلما سمع الشعر الذى هُجِيَ به « ضبّة » أحفظه ذلك واشتد عليه ، ورَجَعَ على « ضبّة » باللوم ، وقال له : قد كان يجب أن لا تجعل لشاعر عليك سبيلاً ! وأضمر غير ما أظهر ، واتصل به خبر انصراف المتنبى من بلد فارس إلى العراق ، وأن اجتيازه بنجل ودير العاقول ، فلم يكن ينزل عن فرسه وجماعة من بنى عَمِّه ، رأيهم في المتنبى مثل رأيهِ ، في طلبه واستعلام خبره من كل صادرٍ ووارِدٍ ، وكان « فاتك » يتحرى خوفاً أن يفوته . وكان كثيراً ما يحنى وينزل عندى ، فقلت له يوماً وقد جاءنى وهو يسأل قوماً مُجتازين عنه : قد أكرهت المسألة عن هذا الرجل ، فأى شيء عزمك أن تفعله متى لقيته ؟ قال : ما عزمى إلا للجميل ، وأن أعدله على ما أفحش فيه من الهجاء . فقلت له : هذا الأليق بأخلاقك والأشبه بأفعالك . فتضاحك ثم قال : والله يا أبا نصر ، لئن أكتحل عيني به أو جمعتنى وإياه بقعة لأسفكن دمه ولأمحقن حياته ، إلا أن يُحال بينى وبينه . فقلت له : كُفَّ ، عافاك الله ، عن هذا القول ، وأرجع إلى الله ، وأزل هذا الرأى من قلبك ، فإن الرجل شهير الاسم بعيد الصوت ، وقُتِلَ إِيَّاهُ في شعرٍ قاله لا يحسن ، وقد هجى الشعراء الملوك في الجاهلية والخلفاء في الإسلام ، فما علمنا أن شاعراً قُتِلَ بهجاءٍ [وقد قال الشاعر] :

هَجَرْتُ زُهَيْرًا ثُمَّ إِنِّي مَدَحْتُهُ وَمَا زَالَتِ الْأَشْرَافُ تُهْجِي وَتُمدَحُ

« ولم يبلغ جرؤهُ ما يوجب قتله ! فقال : يفعل الله ما يشاء ! وانصرف ، فلم يمض لهذا القول إلا ثلاثة [أيام حتى وافى] المتنبى ومعه بغال موقرة كل شيء من الذهب

ثم قال : " وأهل بيتي .. أنكركم الله في أهل بيتي ، أنكركم الله في أهل

بيتي ، أنكركم الله في أهل بيتي .. " . [صحيح مسلم 7-120 ، ط القاهرة 1334هـ]

ومن هذا المنطلق ، هذا البحث عن دور المُنْتَبِي (ت354هـ) في
تكريم سلاله الرسول(ص) عسى ان تكون خطوة في الإلتزام بالتوجيه
النبوي وفاء وتقديراً واعتزازاً التزم به المُنْتَبِي في حياته كلها . و
قد اعتمدت في هذا البحث علي نسخة ديوان المُنْتَبِي ، بشرح عبد
الرحمن البرقوقي ، مطبعة الاستقامة القاهرة 1357هـ/1938م

والفضة والثياب والطيب والجوهر والآلة ، لأنه إذا [كان مسافراً لم يُخْلَف] في منزله درهماً ولا ديناراً ولا ثوباً ولا شيئاً يُساوي درهماً واحداً فما فوقه ، وكان أكثر إشفاقه على دقاته ، [لأنه كان قد انتخبها] وأحكمها قراءةً وتصحيحاً . قال : فتلقَّيْتُهُ وأنزلته داري وساءلته عن أخباره ؟ وعمّن لقي ؟ وكيف وجد من قصّده ؟ [فعرفني] من ذلك ما سرّرت به ، وأقبل يصف لي ابن العميد وفضله وأدبه وعلمه وكرمه ، وسماحة المليك أبي شجاع فتأخسرو ، ورغبته في الأدب وميله إلى أهله . فلما أمسينا قلت له : على أي شيء أنت مُجمِع ؟ قال : على أن أتخذ الليل جملاً ، فإن السير يخفّ فيه عليّ . قلت : هذا هو الصواب = رجاء أن يخفيه الليل ، ولا يصبح إلا وقد قطع بلدًا بعيداً = والوجه أن يكون معك من رجالة هذه المدينة الذي يخبرون الطريق ويعرفون المواضع المخوفة فيه ، جماعة يمشون بين يديك إلى بغداد . فقطّب وقال : ولم قلت هذا القول ؟ قلت : تستأنس بهم . قال : أمّا والجواز في عنقي فما بي حاجة إلى مؤنسي غيره . قلت : الأمر كما تقول ، والرأى فيما أشرت به عليك . فقال : تلويحك هذا ينبغي عن تعريض ، وتعريضك يُخبر عن تصريح ، فعرفني الأمر وبين لي الخطب . قلت : إن هذا الجاهل « فاتكاً الأسدي » كان عندي منذ ثلاثة أيام ، وهو مُحَقِّظٌ عليك لأنك هجوت ابن أخته ، وقد تكلم بأشياء توجب الاحتراس والتيقظ ، ومعه أيضاً نحو العشرين فارساً من بني عمّه قولهم مثل قوله = قال : وغلامه كان عاقلاً ليبياً فارساً يسمع كلامنا = فقال : الصواب ما رآه أبو نصر ، أخذ معك عشرين راجلاً يسرون بين يديك إلى بغداد . فاغتاظ غيظاً شديداً وشم الغلام شتماً قبيحاً ، وقال : والله لا تُحدّث عني أني سيرت في خفارة غير سيفي . فقلت له : يا هذا ، فأنا أوجه قوماً من قبلي في حاجة يسرون بمسرك ويكونون في خفارتك . قال : والله لا فعلت شيئاً من هذا . وقال لي : يا أبا نصر ، أبخروء الطير تُخشيني ، ومن عبید العصا تخاف عليّ ! والله لو أن مخصرتي ملقاة على شاطئ الفرات وبنو أسيد مُعْطِشون لخمس ، وقد نظروا إلى الماء كبطون الحيات ، ما جسر لهم خُفٌّ ولا ظُلف أن يرده ! حاش لله من فكر أشغله بهم لحظة العين . فقلت له : قل إن شاء الله . فقال : كلمة مقولة لا تدفع مقضياً ولا تستجلب آتياً ! ثم ركب فكان آخر العهد به .

« قال : ولما صحَّ عندي خبر قتله ، وَجَّهْتُ مَنْ دَفَنَهُ وَأَبْنَاهُ وَغُلَامَهُ ، وَذَهَبْتُ دِمَائِهِمْ هَدَرًا » .

...

« أَمَّا قَوْلُهُ : « أَبْخَرُوهُ الطَّيْرَ تُحْشِنُنِي ، وَمَنْ عَبِيدَ الْعَصَا تَخَافُ عَلَيَّ » ، فَإِنْ بَنَى أَسَدٌ يُلْقَبُونَ « خُرُوءَ الطَّيْرِ » ، قَالَ أَمْرُؤُ الْقَيْسِ : ^(١)
فَرَّتْ بَنُو أَسَدٍ خُرُوءُ الطَّيْرِ عَنْ أَرْيَابِهَا
وَيُلْقَبُونَ أَيْضًا « عَبِيدَ الْعَصَا » ، قَالَ الشَّاعِرُ ، وَنَظَّمَهُ أَمْرُؤُ الْقَيْسِ أَيْضًا :
« قَوْلًا لِلدُّودَانِ عَبِيدَ الْعَصَا » ^(٢)

...

٨ - قَالَ أَبُو أَحْمَدَ رَحِمَهُ اللَّهُ : ^(٣) حَدَّثَنِي الشَّرِيفُ عَلِيُّ بْنُ عُمَرَ أَنَّ الْمُنْتَبِيَّ كَانَ لَهُ أَبٌ سَقَاءٌ بِالْكُوفَةِ يَعْرِفُ بَعْدَانَ السَّقَاءِ ، ^(٤) وَأَنَّهُ كَانَ يَعْرِفُ بَابِينَ عَبْدَانَ

(١) هذا ليس لامرئ القيس ، بل لدختنوس بنت لقيط بن زُرارة ، ترضى أباهما ، وقُتِلَ يوم شَيْعَبَ بَجِيلَةَ . وخبر ذلك في الأغاني (١١ : ١٣١ - ١٦٣ ، الدار) ، وهذا البيت في الأغاني (١١ : ١٤٦) في أربعة أبيات ، وهو في ثلاثة عشر بيتاً في « بلاغات النساء » لطيفور ص : ١٨٥ ، وأول الأبيات عند أبي الفرج في الأغاني :

بَكَرَ التَّيَّعِيُّ بِخَيْرٍ خِنْذَفَ ، كَهْلَهَا وَشَبَابَهَا

وهو من مجزوء الكامل : « متفاعِلن متفاعِلن » ، ابن العديم رقم : ٨١ ، في آخرها .

(٢) هذا لامرئ القيس ، وتماه :

« مَا غَرَّكُمْ بِالْأَسَدِ الْبَاسِلِ »

(٣) هو الذي يروى عنه الربيعي ، كما سلف رقم : ٣ ، ورقم : ٧ .

(٤) هكذا هي هنا « عبدان » بالياء الموحدة ، وانظر ما كتبه أنفأ ص : ١٣٧ تعليق : ١ .

السقاء ، وأنه خرج من الكوفة سنة عشرين وثلاثمئة ، ثم دخل بغداد ، ورحل إلى فارس سنة أربع وخمسين وثلاثمئة ، ثم إنه أراد الرجوع فقتل في الطريق .

...

٩ - وما قاله في صباه وشذ عنه بعضه ، قوله : (١)

سَيْفُ الصُّنُودِ عَلَى أَعْلَى مُقْلَبِهِ	يَفْرِي طَلَى وَامِقِهِ فِي تَجَرُّدِهِ
مَا اهْتَرَّ مِنْهُ عَلَى غَضْوٍ لِيَبْتَرَهُ	إِلَّا اتَّقَاهُ يَتَرَسُّ مِنْ تَجَلُّدِهِ
ذَمُّ الزَّمَانِ إِلَيْهِ مِنْ أَحَبِّهِ	مَا ذَمَّ مِنْ بَدْرِهِ فِي حَمْدِ أَحْمَدِهِ
شَمْسٌ إِذَا الشَّمْسُ لَأَقَتْهُ عَلَى قَرَسٍ	تَرَدَّدَ الثُّورُ فِيهَا مِنْ تَرَدُّدِهِ
إِنْ يَقْبُحُ الْحُسْنُ إِلَّا عِنْدَ طَلْعَتِهِ	فَالْعَبْدُ يَقْبُحُ إِلَّا عِنْدَ سَيِّدِهِ
قَالَتْ عَنِ الرَّفْدِ طِبْتُ نَفْسًا فَقُلْتُ لَهَا	لَا يَصْلُرُ الْحُرُّ إِلَّا بَعْدَ مَوْرِدِهِ
لَمْ أَعْرِفِ الْخَيْرَ إِلَّا مَذْعَرْتُ فَنَى	لَمْ يُؤَلِدِ الْجُودُ إِلَّا مِنْذُ مَوْلِدِهِ
نَفْسٌ تُصَغَّرُ نَفْسَ الدَّهْرِ مِنْ كِبَرِ	لَهَا نَهَى كَهْلِهِ فِي سِنِّ أَمْرِدِهِ

...

١٠ - وقال أيضا في صباه يهجو الذهبي : (٢)

لَمَّا اتَّسَبَبْتَ فَكُنْتَ أَبْنَى لِعَيْرِ أَبِي	ثُمَّ اخْتَبَرْتَ فَلَمْ تَرْجِعْ إِلَى أَدَبِ
سُمِّيتَ بِالدَّهْيِيِّ الْيَوْمَ تَسْمِيَةً	مُشْتَقَّةً مِنْ ذَهَابِ الْعَقْلِ لَا الذَّهَبِ
مُلَقَّبٌ بِكَ مَا لُقِّبْتَ وَثَلَّكَ بِهِ	يَأْيُهَا اللَّقْبُ الْمُلقَى عَلَى اللَّقْبِ

...

(١) انظر هذه الأبيات في ديوان المتنبي (طبعة عزام) ص : ٥٣٥ ، ٥٣٦ .

(٢) انظر هذه الأبيات في ديوان المتنبي (طبعة عزام) ص : ٥٣٤ .

١١ - ووجدت هذين البيتين في نسخة منسوين إلى أبي الطيب : (١)

أتاني عنك قولٌ فازدْهاني ومثلُك يتَّقَى أبداً ويُرْجى
ولولا ظنُّه لِحَقَّتْ فؤادي وجَدْتُ إِلَيْكَ طُرُقاً مِنْكَ نَهْجاً

...

١٢ - ووجدت في نسخة من شعره ، قال علي بن مُرٍّ : رأيتُ أبا الطَّيِّبِ

ينشد بعض أهل سوق البرِّ فكتبت إليه : (٢)

يَا حَاضِراً عِنْدِي إِذَا لَمْ يَحْضُرْ عَيْنُ الضَّعِيفِ يَرَاكَ أَحْسَنَ مَنْظَرٍ
أَكْثَرْتُ مِنْ نَثْرِ اللَّالِي آيَافاً فَتَرَكْتُ سَوْقَ البرِّ سَوْقَ الْجَوْهَرِ
إِنِّي لَأَسْمَعُ مِنْ قَرِيبِكَ مُعْجِزاً نَحْتُ الصُّخُورِ لَهُ وَعَرَفُ الْأُبْحَرِ
عَجَباً لَأَذَانٍ لَيْسَنَ حُلِيِّهِ فَصَعْنَيْنِ لِلطَّائِي أَوْ لِلْبَحْثَرِ

فلم يجيني ، فكتبت إليه :

يَا وَاحِدَ الْإِنْشَاءِ وَالْإِنْشَادِ وَمَهْلَذَبِ الْآبَاءِ وَالْأَجْدَادِ
لَكَ سَيْفٌ شِعْرٍ لَا يُبَارَى ، وَاسْمُهُ فَارِي الدُّرُوعِ وَآكِلُ الْأَعْمَادِ
وَصَلَتْ هَدْيَتُنَا فَمَا كَأَفَاتُنَا أَيُّا يَسُدُّ عَلَيْكَ بَابَ سَدَادِ
لَا تُفْسِدُ الْأَدَبَ الْمُشْهَى بِالْجَفَا ، يَا ذَا الْبِرَاعَةِ ، أَيُّمَا إِفْسَادِ
لَوْ كُنْتُ بَحْراً لَمْ يُشَبَّ بِمُلُوحَةٍ ، أَوْ كُنْتُ بَدْراً لَمْ يُشَنَّ بِسَوَادِ

...

١٣ - ووجدت في نسخة أخرى من شعره ، حدَّثَ أبو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ

(١) ليسا في زيادات شعر المتنبي للراجكوتي .

(٢) لم أقف على هذا الخبر والشعر الذي فيه في شيء من الكتب .

الحسن ، قال : حضرت مجلس المتنبي في دُخلته الثانية إلى بغداد ، في دار أبي الحسن
العروضي في رَيْضِ حُمَيْد ، وعنده جماعة من الأدباء ، ودخل عليه هرون بن المُنْجَم
فطاوله الحديث ، وكان ينشده مما قاله في وصف الحروب والخيال ، فقال له هرون : أقول
ما قال الشاعر :

أَخَافُ عَلَيْكَ مِنْ سَيْفٍ وَرُمَحٍ ، طَوِيلُ الْعُمَرِ بَيْنَهُمَا قَصِيرُ
فَأَعْجَبَ الْخَلْقُ بِهَذَا الْبَيْتِ ، فَأُطْرَقَ الْمَتَنِيُّ سَاعَةً فَأَنْشَدَهُ لِنَفْسِهِ :
فَإِنْ أَغْمَدْتُ ذَا وَكَسَرْتُ هَذَا فَإِنَّ كَثِيرَ مَا أَبْقَى يَسِيرُ
فَأَعْجَبَ مِنْ حُضْرِ بِخَاطِرِهِ وَسُرْعَةِ اقْتِضَائِهِ هَذَا الْبَيْتَ وَإِجَازَتِهِ مَا تَقَدَّمَ . (١)

...

١٤ - ووجدتُ في ديوان بخطِّ علي بن عيسى النحوي ، في أوَّل ديوانه :
وكان رجلٌ من أهل مصر يعرف بأبي عبد الله الخُرَشِيِّ ، ادَّعى إلى الحسن بن
علي رضي الله عنهما ، وكان وِرَاقاً لَقِيَ أبا الطَّيِّبِ بِمِصْرَ ، فكتب علي ديوانه « السُّلَمَى » ،
فقال لي أبو الطَّيِّبِ بِفَارِسَ لما رأى هذا النسب : أما رضيَ هذا الرجل أن عمل لنفسه
نَسَباً حتى نسبني إلى من لستُ منه ! (٢)

١٥ - قال : ورأيتُه مرةً يكرهُ أن ينتسب ، قال : لأنني كنتُ أُطْرُقُ على قومٍ
بعد قومٍ من البادية ، فلا أختار أن يعرف أحدٌ نسبِي ، لئلا أكون ممن يُعَادِيهِ . ورأيتُه مرةً
أخرى يتشكك ويقول : أكثر الناس لا يعرف جميع آبائِهِ ، وأكثر العرب = زَعَمَ = على

(١) لم أقف على هذا الخبر في شيء من الكتب .

(٢) هذا الخبر رواه ابن العديم رقم : ١٠ مختصراً ، وفيه فائدة ليست هنا ، وهي قول الرقي : « رأيتُ عنده

(أي عند المتنبي) جزءاً من شعره بخطِّ أبي أبي الجوع المصري ، وعليه بخط آخر : المتنبي السُّلَمِيُّ البغدادي . »

ذلك ، إنما يكون في الحَيِّ واحد يَنْسَبُهُمْ . وقال لى مرة أخرى : الإنسان بأفعاله لا يَنْسَبُته ، وقد يوجد في كل الناس الفاضل والناقص ، وأَيْشٍ ينفع النسب ؟ (١)
 ١٦ - قال : (٢) وكان على ظهر كتابية خارجاً من الديوان بخطّ آبن أبى الجُوع الأبيات ، وهي (٣) :

« لَقَدْ أَصْبَحَ الْجُرْذُ الْمُسْتَعِيرُ » (٤)

ووجدتُ أيضاً خارجاً من ديوانه : « وقال في صباه يهجو الذهبى : » لَمَّا نُسِبَتْ » ، الأبيات . (٥)

هذا ما كان خارجاً من ديوانه ، وقُرئ عليه وسمعته أكثر من عشرين مرة . (٦)
 ١٧ - ثم وجدتُ ببغداد شيئاً منسوباً إليه لم أسمعته منه ولا أُرَوِيه ، لأنه قال لى بعد السماع الكثير : لا تَرَوْ عَنِّي إِلَّا مَا صَحَّحَ من الديوان مِمَّا كُتِبَ لى أو رأيتُه متى ، (٧)
 وكان معه ببغداد جزآن في أربع وَرَقٍ مَنْصُورِي بخطّ آبن أبى الجُوع ، وصار معه إلى فارس الأول منهما وضاع الآخر ، وقد كنت كتبتُه من هذا الجزء في دار المتنبى حرفاً حرفاً من إملائه على من هذا الجزء ، ومن نقلى أنا بغير الإملاء . وكان يُقرأ عليه هذا الديوان فأسمعته بقراءة الناس ببغداد وشيراز ، وكنت إذ ذاك لا أرى القراءة عليه بنفسى ، لأنه ربّما كان

(١) هذه أخبار عن المتنبى مهمة جداً في شأن كتمان نسبه ، وكيف كان المتنبى يتكلم في شأن النسب ، ودلالة ذلك .

(٢) « قال » هو الربعى نفسه الذى يقول ، وقوله : « على ظهر كتابية » ، هكذا هو ، ولعله « على ظهر كتابه » ، بالماء المضافة .

(٣) « ابن أبى الجُوع » ، سيأتى تمام اسمه ونسبه في ترجمة ابن العديم رقم : ٦ ، والمقرئى رقم : ٢٣ .

(٤) هو في شعره في شرح الواحدى وغيره ، وتماه :

أُسَيِّرُ الْمَنَائِيَا صَرِيْعَ الْعَطْبِ »

(٥) هى السالفة في رقم : ١٠ .

(٦) قاتل هذا هو الربعى .

(٧) في المخطوطة : « مما كتب له » ، ولعل صواب ما بعده « أو رويته عنى » .

أخذ منى ما يتعلق بنحو أرويه له عن أبى على الفارسي رحمه الله عليه ، فكنت أكره مع ذلك القراءة عليه . (١)

١٨ - وسألني بعض أصدقائي أن أقرأ له عليه الفارسيات ليحملها إلى خراسان ، (٢) فقرأتُهنَّ تَكْرِيمَةً لمن قيلت فيهما حسب . ولا أعلم أحداً يَصْدُقُ [في رواية] هذا الديوان ممن اتَّصَلْتُ مخالطته ومجالسته به كصِدْقِي فيه . (٣)

١٩ - ثم إنه = يعنى المتنبي = سار عن حضرة الأمير عضد الدولة ، ومعه خيل مختارة ومطايا منتخبة ، موقرة بالعبيد والسيوف والورق ، وفاخر الكسبي ، وطرائف التحف ، وغرائب الألفاظ ، يُغْدُ السير بنفسه وعبيده لا غير ، وأعين أعدائه ترمقه ، وأخباره إلى كل بلد يحلّه تسبقه ، حتى إذا كان حيال « الصّافيّة » من الجانب الغربي من سواد بغداد ، أسفل منها بنحو عشرة فراسخ ، عرض له فأتك بن أبى الجهل الأسدي في عدة من أصحابه ذوي عُدّة ونجدة فاغتاله هناك ، فقتله وأبنته مُحَسَّداً وعلاماً له يقال له « مُفْلِح » وأخذ جميع ما كان معه مما ذكرناه ، بعد أن أبلى فيهم ، وذلك في يوم الاثنين لست ليالٍ بقين من شهر رمضان . (٤)

...

(١) هذا خبر مهم جداً ، في قراءة المتنبي شعره ببغداد شيراز .

(٢) قوله « الفارسيات » يعنى ما قاله المتنبي في آبن العميد وعضد الدولة .

(٣) هذا الخبر رقم : ١٨ ، رواه ابن العديم في ترجمته رقم : ١١ مع اختلاف في اللفظ واضح . ومكان النقط بياض في المخطوطة قدر كلمتين محوَتين .

(٤) الخبر رقم : ١٩ ، لم أجده بهذا اللفظ . وانظر ديوان المتنبي (عزام) ص : ٥٨٧ ، وفيه ذكر غلامه « مفلح » .

من الشروح

يتضمن هذا القسم نصوص الشروح المتيسرة
لقصيدة المتنبي في مدح محمد الاشر
العلوي (ت ٣٥٠) حسب تسلسلها التاريخي.

١

عثمان بن حني

(ت ٣٩٢)

قال عثمان بن حني (ت ٣٩٢):

وقال أيضاً^(١) في صباه^(٢):

١. أهلاً بدار سبائك أعيدُها أبعدُ^(٣) ما بانَ عنك خردُها^(٤)

(*) القصيدة في ديوانه؛ ٢، ومعجز أحمد؛ ١٢/١، والواحدى؛ ٦، والنظام؛ ٤٠٦/٦، والتيان؛ ٢٩٤/١، واليازجي؛ ٩٦/١، والبرقوقى؛ ٧/٢.

(١) زيادة من (ك) و(ط).

(٢) العبارة في (ك) كالأصل، وفي (د): «وقال أيضاً في الصبا وكتب أمامها - في صباه نسخة»]. يمدح محمد بن عبيد الله العلوي، وسقطت المقدمة من (ب)، وعبارة المصدر تشبه ما في (د)، وزاد في الديوان: «أبا الحسن»، والنظام: «أبا الحسين»، وزاد اليازجي: «المُسْتَب». وعلى هامش (ط): «الضرب الأول من المنسرح».

(٣) كتب على هامش الأصل: «بفتح العين»، وضبطها في (ط): «أَبْعَدُ»، و(ك): «أَبْعَدُ» و«أَبْعَدُ» وكتب فوقها: «معاً، معاً». وقال ابن المستوفي في النظام: «وأجود الروابطين: «أَبْعَدُ» على أنه «أفعل» من البعد، ومن روى: أَبْعَدُ؟ على الاستفهام، فالمراد: أتفرح بهذه الدار بعدما بان الذي كنت تكرمها لأجلهم؟». وقال في التبيان: «ومن روى: أَبْعَدُ، بسكون الباء، فقد حكى حالة ماضية له معها بقوله: ظَلْتُ»، ثم أورد كل من صاحب النظام والتيان كلام الواحدى بتمامه، وكلام الواحدى هو لأبي العلاء المعري كما في معجز أحمد، وقد نقله، ولم يشر إليه، ومما جاء في معجز أحمد: «وفي قوله: أَبْعَدُ؛ أوجه وروايات، والذي عليه أكثر الناس الاستفهام، وفيه ضربان من الفساد: أحدهما في اللفظ، وهو أن تمام الكلام يكون في البيت الذي بعده، وذلك عيب عند الرواة، ويسمونه المتور والمضمّن والمقاطل [الآخيرة زيادة من الواحدى...]. والضرب الثاني من الفساد في المعنى، وهو أنه إذا قال: أَبْعَدُ فراقهم تهيم وتحزن؟ كان محالاً من الكلام؛ والرواية الصحيحة: أَبْعَدُ ما بانَ بضم الدال...».

وروى قوم: أَبْعَدُ ما بانَ، بفتح الدال على أنه حال من الأغيد والعامل في الحال: سبائك». وقال ابن المستوفي في النظام؛ ٤٠٨/٦: «قال أبو البقاء: وأما أَبْعَدُ، فيروى على ثلاثة أوجه: أحدهما رفع الدال، نكرة موصوفة، أي أبعد شيء ما بانَ عنك... والثاني نصب الدال على المصدر، وخردُها: فاعل: «بان»، أي: بان عنك خردُها أبعد بينونة، والثالث: فتح الباء والدال وسكون العين، والهمزة على الاستفهام بمعنى الإنكار. أي: أتلهف بعد فراقهن، وقيل: العامل في: «أبعد» الفعل في البيت الآخر، وفي ذلك تضمنين وليس بمستحسن». وقال بعدها: «وإنما ذكرت ما قاله أبو البقاء لزيادة فيه، وهي نصب «أبعد» على المصدر، وتقديره إياه بما قدره».

(٤) شرح البيت في (د) بقوله: «العَيْدُ: لين العنق، والخردُ: جمع خريدة، وهي الحية، ويقال: خرد وخرد، وهو أقيس».

الأغيدُ: النَّاعِمُ الجسد، قَالَ الْقُطَامِي^(١):
 وَقد أَبَيْتُ إِذَا مَا شَتَّتْ مَالٌ مَعِي عَلَى الْفِرَاشِ الضَّجِيعُ الْأَغِيدُ الرَّيْلُ
 مُرَادُهُ: نَشْتَغِلُ بِالْفُسْقِ^(٢). وَأَكْثَرُ مَا يُسْتَعْمَلُ الْغَيْدُ فِي الْعُنُقِ. قَالَ عَمْرُبْنُ أَبِي
 رَبِيعَةَ^(٣):
 سَبَانِي مِنْ بَعْدِ شَيْبِ الْقَذَالِ غَزَالٌ لَهُ عُنُقٌ أَغِيدُ
 وَالْخُرْدُ: جَمْعُ خَرِيدَةٍ، يُقَالُ: خُرْدٌ وَخُرْدٌ، وَهُوَ أَقْيَسُ. أَنْشَدَ سَيَّبُوه^(٤):
 فَقَدْ نَعْنَى بِهَا وَنَرَى عَصُوراً بِهَا يَقْتَدِنَا الْخُرْدُ الْخِيَالَا

وكتب في (ك) تحت: «أغيدها»: «الأغيد الناعم الجسم ولكن به [أكثر] ما يستعمل في
 العنق»، وكتب تحت «خُرْدُهَا»: «جمع خريدة، وهي الحية». وورد شرح البيت في (ب) مغايراً لما في الأصل في أغلبه، وسنثبته كما ورد، وهو: «قوله:
 أبعد ما بأن: الهمزة للاستفهام وبعد ظرف، وكان سبيله أن يقول: أطلب أهلاً بدار سبائك
 أغيدها بعدما بأن، فلم يستقم له الوزن، فأخر همزة الاستفهام. وهي مراده في الأول
 ليُعلم [في الأصل: يعلم] السامع بأن لها صدرًا في الكلام، وكذلك حسن نصب أهلاً»
 على المفعول بتقدير الفعل لا على المصدر كما ظنه بعضهم، وذلك خطأ، إذ ليس هذا
 موضع التأهيل بها مع غدر أهلها. قوله: الأغيد: الناعم الجسد وأكثر ما يستعمل في
 العنق، وخُرْدُ جمع خريدة وخُرْدٌ أيضاً، وهو أقيس، ومثله: جرادة سرو وجراد سواه،
 وسرو إذا باضت [والكلام الأخير مضطرب].

(١) البيت للقُطَامِي في ديوانه؛ ٢٨، واللسان (ريل).

(٢) سقطت العبارة من (ط).

(٣) البيت لعمر بن أبي ربيعة في ديوانه؛ ٣٠٩، وهو فيه:

دعاني من بعد شيب القذا لريم له عنق أغيد

(٤) البيت للمُرَّارِ الفقعسي الأسدي في ديوانه؛ ٤٧٦ (شعراء أمويون ٢)، وشرح أبيات
 سيبويه؛ ٣٧٦/١، والكتاب؛ ٧٨/١، ولرجل من بني أسد في الإنصاف؛ ٨٦/١،
 وتذكرة النحاة؛ ٣٥٠، والرد على النحاة؛ ٩٧، والمقتضب؛ ٧٧/٤.

وَقَرَأْتُ بِخَطِّ مُحَمَّدَ بْنِ يَزِيدَ أَبِي الْعَبَّاسِ^(١)؛ أَنَشِدْنِي بِشَرْ، قَالَ: أَنَشِدْنِي الرِّثَاشِي^(٢)؛
كَفَكَمْتُ عِبْرَةَ ذَاكَرٍ لِفَارِقٍ كَانَ الشَّقِيعَ إِلَى الْحَسَنِ الْخُرْدِ
وَمِثْلُ ذَلِكَ جَرَادَةٌ سِرٌّ وَجَرَادٌ سُرٌّ^(٣) وَسُرٌّ^(٤) قَالَ الْقُحَيْفِيُّ^(٥)؛
بِهِ نَجِدُ الصَّيْدَ الْغَرِيرَ وَمَنْظَرًا أُنِيقًا وَرَخَصَاتِ الْأَنَامِلِ خُرْدًا
٢. ظَلَّتْ^(٦) بِهَا تَنْطَوِي عَلَى كَيْدٍ نَضِيجَةٍ^(٧) فَوْقَ خَلِيهَا يَدُهَا^(٨)

(١) قَدَّمَ فِي (ط): «أبي العباس» على «محمد بن يزيد».

(٢) لَمْ أَعْثَرِ عَلَيْهِ.

(٣) النَّصُّ فِي الْأَصْلِ: «جَرَادَةٌ سِرٌّ وَجَرَادٌ سُرٌّ وَسِرٌّ»، وَقَدْ ضَبَطْنَا النَّصَّ كَمَا فِي الْأَصْلِ،
وَصَوَّبْنَاهُ مِنْ (ب) الْقِسْمِ الْأَخِيرِ مِنَ الْعِبَارَةِ، وَهُوَ بِذَلِكَ يُوَافِقُ مَا رَمَى إِلَيْهِ أَبُو الْفَتْحِ حَيْثُ
سَاقَهُ مَثَالًا يُوَازِي خُرْدًا وَخُرْدًا فِي الْجَمْعِ. وَفِي اللَّسَانِ: «السَّرْوَةُ: دَوْدَةٌ تَقَعُ عَلَى النَّبَاتِ
فَتَأْكُلُهُ، وَالْجَمْعُ سَرَوٌ... وَالسَّرْوُ: الْجَرَادُ أَوَّلُ مَا يَنْبُتُ حِينَ يَخْرُجُ مِنْ بَيْضِهِ. الْجَوْهَرِيُّ:
وَالسَّرْوَةُ: الْجَرَادَةُ أَوَّلُ مَا تَكُونُ هِيَ دَوْدَةٌ، وَأَصْلُهُ الْهَمْزُ، وَالسَّرْوَةُ فِي الْجَرَادَةِ، وَقَالَ:
إِنَّمَا هِيَ السَّرَاةُ، بِالْهَمْزِ لَا غَيْرُ مِنْ سَرَاتِ الْجَرَادَةِ سَرًّا إِذَا بَاضَتْ، وَيُقَالُ: جَرَادَةٌ سَرَوٌ
[كَذَا] وَالْجَمْعُ سَرَاءٌ». وَلَعَلَّ نَصَّ ابْنِ جَنِّي يَفِيدُ فِي ضَبْطِ مَا جَاءَ فِي اللَّسَانِ.

(٤) لَمْ أَعْثَرِ عَلَيْهِ.

(٥) كَذَا ضَبَطَهَا فِي الْأَصْلِ يَوْضَعُ فَتْحَةً وَكَسْرَةً عَلَى الظَّاءِ، وَكَذَا ضَبَطَهَا فِي (د)، وَكُتِبَ
فَوْقَهَا «مَعًا»، وَكَذَا ضَبَطَهَا فِي (ك)، وَكُتِبَ فَوْقَهَا: «مَعًا» وَتَحْتَهَا: «وُظِّلَتْ فِي نَسَخَةٍ
أُخْرَى». وَضَبَطْتُهَا (ط) وَجَمِيعَ الْمَصَادِرِ يَفْتَحُ الظَّاءَ لَا غَيْرَ إِلَّا الْبَازِجِي ضَبَطَهَا بِكَسْرِ الظَّاءِ
فَقَطْ. وَلَمْ يَرِدْ مِنَ الْبَيْتِ فِي (ب) سِوَى: «ظَلَّتْ وَظَلَّتْ»، وَسَقَطَ شَرْحُهُ.

(٦) قَالَ فِي النِّظَامِ: «وَوَجَدْتُ فِي نَسَخَةٍ: نَضِيجَةً بِالرَّفْعِ، فَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ مَرْفُوعَةً بِخَبَرِ
الْمُبْتَدَأِ، وَتَقْدِيرُهُ: عَلَى كَيْدِ يَدُهَا نَضِيجَةٌ فَوْقَ خَلِيهَا، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَوْضِعُ «فَوْقَ
خَلِيهَا»: نَصَبٌ [كَذَا] عَلَى الْحَالِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الرِّفْعُ صِفَةً لِنَضِيجَةٍ، وَالْأَوَّلُ أَجْوَدُ».

(٧) لَمْ يَرِدْ مِنْ شَرْحِ الْبَيْتِ فِي (د) سِوَى عِبَارَةٍ: «الْخَلْبُ: حِجَابُ الْقَلْبِ». وَفِي (ك): «تَقْرَأُ:
ظَلَّتْ عَلَيْهِ عَاكِفًا وَظَلَّتْ. الْأَصْمَعِيُّ: الْخَلْبُ: الْحِجَابُ الَّذِي بَيْنَ الْقُرْأَدِ وَسَوَادِ الْقَلْبِ
[كَذَا]، وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: [الْحِمَةُ] رَقِيقَةٌ بَيْنَ الْأَضْلَاعِ، وَيُقَالُ: هُوَ غِشَاءُ الْقَلْبِ. وَقَالَ
الْجَرْمَازِيُّ: الْخَلْبُ: شَيْءٌ أَيْضٌ رَقِيقٌ لَاصِقٌ بِالْكَبِدِ». وَسَقَطَ مَا عَدَا ذَلِكَ.

تُقرأ: ظَلَّتْ عليه عاكفاً وظَلَّتْ، بفتح الظاء وكسرها. والخَلْبُ: الذي بين
الزِيادة والكَيْدِ.

قال الرَّاجِزُ^(١):

يا بَكْرَ بَكْرَيْنِ يا خَلْبَ الكَيْدِ أصبحتْ مِنِّي كَذِرَاعٍ مِنْ عَضْدٍ

وقال الآخر^(٢):

يا هَنْدُ هَنْدٍ بَيْنَ خَلْبٍ وَكَيْدٍ

وقال الأصمعيُّ: الخَلْبُ: الحجاب الذي بين الفؤاد وسواد البطن، وقال أبو
عبيدة: الخَلْبُ: لُحِيمةٌ رقيقةٌ، تصلُّ بين الأضلاع. وأنشد للزَّيرِقي^(٣):
وأجعلُ كُلَّ مُضْطَهِّدٍ أَتَانِي^(٤) يُريدُ النَّصْرَ بَيْنَ حَشَا^(٥) وَخَلْبِ

ويُقالُ: الخَلْبُ: غشاء القلب، وقال الجرمازيُّ: الخَلْبُ: شيءٌ أبيضٌ رقيقٌ
لازقٌ^(٦) بالكبد، ويُقالُ: هو غشاوة الكبد. قال ابنُ مَيَّادَةَ^(٧):

(١) الرجز للكميت في ديوانه: ١٦٦/١. وبلا نسبة في اللسان (بكر)، وتاج العروس (بكر)،
وجمهرة اللغة: ٢٩٣، ومجمل اللغة: ١٣٢/١، وديوان الأدب: ١٨٠/١.

(٢) البيت بلا نسبة في اللسان (خلب) و(برد)، وجمهرة اللغة: ٣٠٣ و١١٦٧، وشرح أبيات سيويه:
٥١٩/١، والكتاب: ٢٣٩/٢، وتاج العروس (خلب). وضبط «هند» الثانية بكسرتين في الأصل،
والصواب من المصادر.

(٣) البيت للزيرقان بن بدر في ديوانه: ٣٦، والزاهر: ٣٧٩/١، وتهذيب اللغة: ١٣٨/٨،
والتنبيهات على أغاليط الرواة ١٨٢، ورواه كرواية أبي الفتح.
ويروى عجزه:

يخاف الضَّيْمَ بَيْنَ حَشَا وَخَلْبِ

(٤) كرر صدر البيت في الأصل سهواً.

(٥) رسمها في الأصل: «حشى».

(٦) في (ك): «لاصق»، وهما بمعنى.

(٧) لم أعثر عليه، وجمع له محقق ديوانه خمسة أبيات على هذا البحر والروي، وهذا البيت
يشبهها روحاً ومضموناً.

أَلَسْتُ تَرِينَ الْحُبَّ كَيْفَ أَصَابَنِي؟ وَكَيْفَ رَمَانِي بَيْنَ خَلْبِي وَأَضْلَعِي؟
 ٣. يَا حَادِيَّ عَيْرَهَا^(١) وَأَحْسِبُنِي أَوْجَدُ مَيْتًا قُبَيْلَ أَفْقَدُهَا^(٢)
 أراد: قبيل أن أفقدها، فلما حذف «أن» رفع، وقد مضى مثله، وفسرناه.
 ٤. قفا قليلاً بها عليّ فلا أقل^(٣) من نظرة أزوّدُها^(٤)
 تجعل «لا» بمنزلة: ليس، فلذلك^(٥) رفع بها «أقل»^(٦)، كما قال الشاعر^(٧):

- (١) كب على الهامش (ك) «عيسها» أيضاً. وفي معجز أحمد: «روى «عيرها» و«عيسها»، وهي أحسنها، لأن العير، هي التي تحمل النساء، والعيس هي الإبل البيض التي تعلق بياضها شقرة».
- (٢) سقط شرح البيت من (ك) و(د). وورد من البيت وشرحه في (ب) التالي: «قوله: قبيل أفقدها، أراد قبل أن أفقدها، فلما [حذف] «أن» رفع».
- (٣) رواها في معجز أحمد بالرفع، وقال: «ويروى: بالنصب، وهو الوجه، لأن «لا» بنى الاسم بعده على الفتح إذا كان نكرة، و«أقل» نكرة، وقد روي بالرفع على معنى: ليس». ورواه الواحدي والنظام والبيان: «أقل» بالنصب، وقالوا: «ومن رفع «أقل»، جعل: «لا» بمنزلة: ليس».
- (٤) لم يرد من شرح البيت في (ب) سوى: «فلا أقل من نظرة أزوّدُها»، ثم الحق به بعض الشرح.
- (٥) في (د): «فرفع».
- (٦) سقطت من (د).
- (٧) زيادة من (د) و(ب). والبيت لسعد بن مالك في الأشباه والنظائر: ١٠٩/٨ و١٣٠، والأصول: ١١١/١، وخزانة الأدب: ٤٦٧/١، وشرح أبيات مغني اللبيب: ٣٧٦/٤، وشرح شواهد المغني: ٥٨٢/٢ و٦١٢، وشرح أبيات سيبويه: ٨/٢، والكتاب: ٥٨/١، وتحصيل عين الذهب: ٦٥/١ و٤١٢، وشرح التصريح: ٣٩٧/١، وشرح المفصل: ١٠٩/١ واللسان (برج)، والدرر: ١١٢/٢، وهمع الهوامع: ١١٩/٢، والمقاصد النحوية: ١٥٠/٢، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي: ٥٠٦/٢، والتبريزي: ٧٣/٢، والشتتري: ١٧٢/١، والجواليقي: ١٤٤، وشرح الحماسة المنسوب للمعري: ٣٣٣/١، والأشباه والنظائر للخالدين: ١٥٥/١. وبلا نسبة في أمالي ابن الحاجب: ٣٢٦، والإنصاف: ٣٦٧، وأوضح المسالك: ٢٨٥/١، وتخليص الشواهد: ٢٩٣، ورصف المباني: ٣١٨، وشرح الأشموني: ١٢٥/١، وشرح المفصل: ١٠٨/١، وكتاب اللامات: ١٠٥، ومغني اللبيب: ٢٣٩ و٦٣١، والمقتضب: ٣٦٠/٤.

مَنْ قَرَّ^(١) عَنْ نِيرَانِهَا فَأَنَا ابْنُ قَيْسٍ لَا بَرَّاحٍ^(٢)

أي: ليس عندي براح^(٣)، ومثل معنى هذا البيت كثير، ومنه ما حدثنا به أبو الصقر محمد بن سلمة^(٤)، قال: ثنا^(٥) أبو العباس، قال: حدثني محمد بن عكرمة، قال: حدثني عيسى بن دأب، قال: حدثني محمد بن سلمة^(٦) الضبي، قال: أقبلت من الحج، فمررت بمنهل من تلك المناهل، فإذا أنا ببيت حريد^(٧)، فبقيمته، وقلت: أألج؟ فقل: ليج، فدخلت، فإذا بجارية لم أر قط مثلاً أجمل منها ولا أكمل، وإذا عجوز مؤتزرة بعباءة مشتملة بأخرى جالسة عند ظهرها، فبقيت باهتاً، لا أصرف بصري عنها، فقالت العجوز: يا أيها الرجل، ما يجلسك عند هذا الغزال النجدي الذي لاتأمن حباله، ولا ترجو نواله؟ فقالت الجارية: أي جدّ دعيه يتعلّل، كما قال ذو الرمة^(٨):
فإن لم يكن إلا تعلّل ساعة قليل فإني نافع لي قليلاً
هـ. فضي فؤاد المحب نار هوى^(٩) أحر نار الجحيم أبردها^(١٠)

[يريد: أبرد من النار التي في فؤاد المحب لشدة حرارة نار فؤاده]^(١١).

- (١) في (د): «من صد».
- (٢) سقط البيت من (ك). وسقط ما بعده من (د).
- (٣) سقط ما بعده من (ك) إلى آخر شرح البيت، ومن (ب) إلى بيت ذي الرمة، وعبارة «كما قال ذي الرمة» في (ب): «وشبه قوله».
- (٤) كذا في الأصل و(ط): «سلمة».
- (٥) أي: «حدثنا». كما في (ط).
- (٦) كذا في الأصل و(ط): «سلمة».
- (٧) اللسان (حرد)، ويقصد إمّا بيت منفرد، أو بيت مُحرّد، وهو الكوخ.
- (٨) البيت لذي الرمة في ديوانه؛ ٩١٣/٢، وأمالى الزجاجي؛ ١٦٠، والأغاني؛ ١٢١/١٦، وعيون الأخبار؛ ٢٢/٤، والعقد الفريد؛ ٤١٤/٦، وذيل الأمالى؛ ٢١٦/٣، ومعاهد التنصيص؛ ٢٥٨/٣، والحماسة البصرية؛ ١٢١٣/٣.
- (٩) التبيان واليازجي: «جوى».
- (١٠) سقط البيت من (ب).
- (١١) زيادة من (د).

٦. شاب من الهجر فرق لمتبه فصان مثل الدمقس أسودها^(١)

اللَّمة من الشعر: ما أُلِمَّ بالمنكب، فطال^(٢)، واجتمع، والجمع^(٣): لَمَمَ ولمَّ، وكذلك جُمَّة وجَمَمَ وجَمَّام، وقال^(٤) الكلبيون: اللَّمة ما زاد على الجُمَّة، والوفرة: ما غطى الأذنين من الشعر، تكون^(٥) للمرأة والرجل. قال الشاعر^(٦):
يُشَبِّهُونَ مُلُوكاً في صرامتهم^(٧) وطول أنصبة^(٨) الأعناق واللِّمم

^(٩) ويروى: الأُمَم^(١٠)، جمع أمة، وهي القامة. وقال جميل^(١١):

(١) سقط البيت مع شرحه من (ب)، وشرحه في (د): «الدمقس: الحرير الأبيض، وقيل: القطن، واللَّمة من الشعر ما أُلِمَّ بالمنكب وطال واجتمع، والجمع لَمَمٌ».

(٢) في (ك) و(ط) و(د): «وطال».

(٣) في (ك): «وجمعه».

(٤) في (ك): «قال»، وسقط الواو.

(٥) في (ك): «وتكون للرجل والمرأة».

(٦) البيت لليلى الأخيلية في ديوانها؛ ١١٨، واللسان (جلل) و(نضا)، وليلى أو للشمر دل بن شريك اليربوعي في اللسان (أمم) و(نضا)، وللشمر دل اليربوعي في ديوانه؛ ٥٥٢ (شعراء أمويون - ٢)، والحيوان؛ ٩٢/٣، والشعر والشعراء؛ ٧٠٨/٢، وتاج العروس (عنى)، وشرح حماسة أبي غام للأعلم الشنمري؛ ٩٣٢/٢. ويلا نسبة في اللسان (نضا)، والكامل؛ ٧٩٨/١، ومقاييس اللغة؛ ٤٣٧/٥، وتاج العروس (نضا)، وأمالى القالي؛ ٢٣٨/١، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي؛ ١٦١١/٤، والتبريزي؛ ٧٨/٤، والجواليقي؛ ٥٢٦، وشرح الحماسة المنسوب للمعري؛ ١٠٧٧/٢، والعقد الفريد؛ ٢٢٨/٦. وصدرة في (ط): «يُشَبِّهُونَ سيوفاً في صرامتهم»، ويروى: «في صرامتهم» و«في تجلَّتْهم». وغلَّط علي بن حمزة في التنبهات رواية «واللِّمم»، وقال: «والأُمَم»، جمع أمة. التنبهات؛ ٩٩ و١٠١.

(٧) صدره في (ك) و(ط): «مُشَبِّهُونَ سيوفاً في صرامتهم».

(٨) في (ك): «أنصبة» بالصاد المهملة. راجع اللسان (نضا) و(نضا)، و(أمم).

(٩) سقط من (ك). وفي (ط): «ويروى: والأُمَم». وسقط بقية الجملة منها.

(١٠) اللسان (أُمَم).

(١١) البيت لجميل بثينة في ديوانه؛ ١٠٦، والزهرة؛ ٣٣٩، ويروى «تظلى» بدل «تضمخ». وفي

(ط): «تَنَضَّحُ»، ومابين قوسين زيادة من (ط).

وَإِذْ لَمَّسِي كَجَنَاحِ الْقُدَافِ تَضَمَّنْهُ بِالْمَسِّ وَالْعَنَبِ

وَالدَّمَاسُ: الْحَرِيرُ الْأَبْيَضُ^(١) [خَاصَّةً]. قَالَ أَمْرُ الْقَيْسِ^(٢):
وَضَلَّ الْعَذَارَى يَرْتَمِينَ يَلْحَمَهَا^(٣) وَشَحِمَ كَهْدَابِ الدَّمَاسِ الْمُفْتَلِ^(٤)
وَقَالَ الْآخَرُ^(٥):

الكَاعِبُ الْحَسَنَاءُ تَرَّرَ قُلُوبُ الدَّمَاسِ فِي الْحَرِيرِ

وَيُقَالُ أَيْضاً: مَدَقَسٌ، وَيُقَالُ أَيْضاً^(٦): دِمَقَسٌ، أَنْشَدَ الْأَصَمِيُّ^(٧):
سَمِينٌ أَعْشَارِ الْأَدِيمِ كَاسِي مِّنْ ثَلَاثَةِ كَهْدَابِ الدَّمَاسِ

وقوله: أسودها، معناه: مسودها، كما يقال^(٨): أسود القوم، أي: الأسود منهم،
ولو^(٩) أراد: أفعَلَ من كذا، لقَالَ: أشدها سواداً، ويجوز أن يكون^(١٠) أراد ذلك، فقد جاء

- (١) بعده في الأصل تعليق للوحيد (ح): «الدَّمَاسُ: رومية»، وقال بعدها: «رجع».
- (٢) البيت لامرئ القيس في ديوانه؛ ١١، وسائر كتب المعلقات؛ وجمهرة أشعار العرب؛ ١٣٢/١، واللسان (دمقس)، وتاج العروس (دمقس)، وكتاب العين؛ ٢٥١/٥. وبلا نسبة في جمهرة اللغة؛ ١٢٣١/٣، ومقاييس اللغة؛ ٤٤/٦.
- (٣) سقط صدره من (ك).
- (٤) سقط ما بعدها من (ك) إلى قوله: «ويقال أيضاً: مدقس...».
- (٥) البيت للمنخل بن الحارث الشكري في شرح حماسة أبي تمام للمرزوقي؛ ٥٢٧/٢، والتبريزي؛ ١٠٢/٢، والأعلم الشستمرى؛ ٢٢٠/١، والجواليقي؛ ١٥١، وشرح الحماسة المنسوب للمعري؛ ٣٤٤/١، وحماسة الخالدين؛ ٥١/١ و١٥٦ و٢٠٨، والشعر والشعراء؛ ٤٠٤/٢، والأغاني؛ ٤٢٣/٢٠ و٧٣/٣. وسقطت كلمة «الآخر»، من (ط). وقد ضبطنا البيت كما في الأصل و(ط)، وحق «الكاعب الحسناء» كسر آخرهما حسب سياق البيت في القصيدة.
- (٦) زيادة من (ب) و(ط).
- (٧) لم أعثر عليهما. وضبط «ثَلَاثَةُ» بفتح التاء في (ط).
- (٨) في (ك): «كما تقول: هو أسود القوم».
- (٩) في (ك): «فلو».
- (١٠) زيادة من (ك) و(ط) والنظام.

عنهم مجيئاً شاذاً.

٧. بانوا بخرعوبة لها كفل يكاد عند القيام يقعدُها^(١)
يُقال: امرأة خرعوبة وخرعبة. قال الأصمعي: الخرعبة: اللينة القصب،
الطويلة؛ وأنشد للقيط^(٢):
تامت فؤادي غداة البين خرعبة مَرَّتْ تُريدُ بذاتِ العذبة البيعا
وقال امرؤ القيس^(٣):
برهرمة رخصة زودة كخرعوبة البانة المنقطر
٨. ربحلة^(٤) أسمر مقبلها سبحلة أبيض^(٥) مجردها^(٦)

- (١) سقط شرح البيت من (ك)، وسقط البيت من (ب)، وقال: «الخرعوبة والخرعبة: [اللينة القصب الطويلة]. وفي (د): «الخرعوبة والخرعبة [ضبطها بضم الحاء والعين]: اللينة القصب الطويلة. قال امرؤ القيس: كخرعوبة البانة المنقطر».
- (٢) البيت للقيط بن يعمر الإبادي في ديوانه؛ ٣٧، وتهذيب الألفاظ؛ ٣١٥/١، وتاج العروس (بيع). وبلا نسبة في معجم البلدان: (عذبة). ورواه في (ط): قامت فؤادي بذات الجزع خرعبة مَرَّتْ تُريدُ بذاتِ العذبة البيعا.
- (٣) البيت لامرئ القيس في ديوانه؛ ١٥٧، واللسان (خرعب) و(بون) و(بره)، وتهذيب اللغة؛ ٢٧٥/٣، والمختص؛ ٢١٤/١٠ و٣/١١، وديوان الأدب؛ ٨٧/٢، وتاج العروس؛ (خرعب) و(بون) و(بره). وبلا نسبة في مقاييس اللغة؛ ٢٥١/٢. وصدده في (ط): برهرمة روضة رخصة.
- (٤) ضبط «ربحلة» و«سبحلة» في معجز أحمد بالكسر والضم، وقال: «ويجوز في سبحلة وربحلة الجر عطفاً على خرعوبة، والرفع على أنه خبر ابتداء محذوف، فكأنه قال: هي ربحلة وهي سبحلة».
- (٥) ضبطها في (ك) منونة بكسر وضم الضاد، وكتب فوقها: «معا».
- (٦) ورد من شرح البيت في (د): «الربحلة: الضخمة والسبحلة الطويلة»، وسقط البيت من (ب)، ولكنه قال: «والربحلة: اللحمة والسبحلة الطويلة، يقال: سقاء سبحل إذا كان ضخماً متسعاً».

قال أبو زيد: الرِّبْحَلَةُ: اللَّحِيمَةُ^(١) الجَيِّدَةُ الخَلْقِ فِي طُولِ^(٢)، وَرَجُلٌ رِبْعَلٌ: عَظِيمُ الشَّانِ^(٣). وَالسَّبْحَلَةُ: الطَّوِيلَةُ العَظِيمَةُ، وَرَجُلٌ سَبْعَلٌ رِبْعَلٌ. وَقَالَ^(٤) الْأَصْمَعِيُّ: نَعَتَتْ امْرَأَةً بَنَتْهَا، فَقَالَتْ^(٥):
سَبْحَلَةٌ رِبْعَاً تَمِي نَبَاتٌ^(٦) النَّخْلَةَ
وَيُقَالُ: [أَيْضاً]^(٧) سِقَاءٌ سَبْعَلٌ وَسَبْعَلٌ^(٨) وَسَجْبَلٌ؛ إِذَا كَانَ ضَخْماً مُتَّسِعاً. قَالَ
الْجُمَيْحُ^(٩):

... .. فِي سَجْبَلٍ مِنْ مُسَوِّكِ الضَّانِّ مَتَّجِبٍ

- (١) في (ك): «الضَّخْمَةُ»، وفي النظام الصَّحِيحَةُ، وعِبَارَةُ اللِّسَانِ تَوَافَقَ مَا فِي الْأَصْلِ وَ(ط).
- (٢) النَّصُّ بَعْدَهَا فِي (ك) مُضْطَرَباً، قَالَ: «وَالسَّبْحَلَةُ: الطَّوِيلَةُ وَسِقَاءٌ سَبْعَلٌ أَيْ تَامٌ، وَرَجُلٌ رِبْعَلٌ»، ثُمَّ قَالَ: «مِنَ الْحَاشِيَةِ: الرِّبْحَلَةُ: الْكَثِيرَةُ اللَّحْمِ الْجَيِّدَةِ الْخَلْقِ [كَذَا ضَبْطُهَا]، وَالسَّبْحَلَةُ الطَّوِيلَةُ النَّارَةُ الْعَظِيمَةُ، وَيُقَالُ: رَجُلٌ سَبْعَلٌ رِبْعَلٌ وَسِقَاءٌ سَبْعَلٌ وَسَبْحَلٌ وَسَبْجَلٌ، وَأَنْشَدَ الْجُمَيْحُ [أُورِدَ مَا فِي الْأَصْلِ] وَكَانَتْ بَعْضُ نِسَاءِ الْعَرَبِ تَرْقُصُ بَنَاتَهَا وَتَقُولُ [وَأَنْشَدَ مَا فِي الْأَصْلِ]، وَسَقَطَ مَا بَعْدَ ذَلِكَ.
- (٣) زِيَادَةٌ مِنَ اللِّسَانِ: «رِبْعَلٌ».
- (٤) فِي (ط): «قَالَ»، وَسَقَطَتِ الْوَاوُ.
- (٥) الرِّجْزُ بِإِلَاقَةِ نِسْبَةٍ فِي اللِّسَانِ (سَبْجَلٌ)، وَتَاجُ الْعُرُوسِ (سَبْجَلٌ)، وَجَمْهَرَةُ اللُّغَةِ: ١١١٥/٢ وَ ١١٦٤.
- (٦) عِنْدَ الْوَاحِدِيِّ وَالتَّبْيَانِ: «نَمَاءٌ».
- (٧) زِيَادَةٌ مِنْ (ط).
- (٨) كَذَا ضَبَطَهُ فِي اللِّسَانِ: «سَبْجَلٌ» وَ«سَبْجَلٌ»، وَفِي الْأَصْلِ يَكْسَرُ السِّينُ.
- (٩) صَدْرُهُ: فَاقَنِي لَعَلَّكَ أَنْ تَحْظِيَ وَتَحْتَلِبِي، وَهُوَ لِلْجُمَيْحِ الْأَسَدِيِّ فِي الْمَفْضَلِيَّاتِ؛ ٣٦، وَشَرَحَ اخْتِيَارَاتِ الْمَفْضَلِ؛ ١/١٦٢، وَلِسَانُ الْعَرَبِ: (سَبْجَلٌ)، وَتَهْذِيبُ اللُّغَةِ؛ ٣٢٢/٥، وَسَمَطُ اللَّالِيِّ؛ ٢/٨٩٥، وَتَاجُ الْعُرُوسِ (سَبْجَلٌ)، وَلِسْلَامَةُ بْنُ جَنْدَلٍ فِي مَلْحَقِ دِيَوَانِهِ؛ ٢٣٥، وَاللِّسَانُ (مَسْكَ)، وَتَاجُ الْعُرُوسِ (مَسْكَ). وَبِلَا نِسْبَةٍ فِي الْمَخْصَصِ؛ ١٠١/٤.

أي: مديبوع بالنَّجَبِ، وهو قشورُ الشَّجَرِ. وأنشد الأصمعي^(١) [عن خَلْفٍ]:
وَأَمْنَحُ الْمَيَّاحَةَ السَّابِحَلَّةَ^(٢) وَأَطْعَنُ^(٣) السَّحْسَاحَةَ الْمُشَلَّشَلَةَ

وقال أعرابيٌّ، يصفُ ضَبًّا أهداه لابنَ هبيرةَ^(٤) في يومِ مَهْرَجَانِ^(٥):
سَبَحَلْ لَهُ نَزْكَانِ كَانَا فَضِيلَةً عَلَى كُلِّ حَافٍ فِي الْبِلَادِ وَنَاعِلِ
وَأَمَّا قولُ الرَّفْيَانِ^(٦)

بِسَبَحَلِ الدَّقِّينِ عَيْسَ جَوْرٍ

فإنَّما أراد: بِسَبَحَلِ، فغَيَّرَ الحركاتِ مضطراً^(٧).

ومعنى البيت: إنَّ شفتيها سمراوانِ ويدنها أبيض^(٨).

- (١) البيتان من أرجوزة طويلة نسبها أبو علي القالي في الأمالي؛ ٢٨٤/٢، لصخر الغي الهذلي، ولم أجدها في ديوان الهذليين، وشرح أشعار الهذليين. ومابن قوسين عن (ط).
 - (٢) ضبطها في الأصل بكسر السين. والصواب من (ط).
 - (٣) ضبطها بضم العين في (ط).
 - (٤) سقطت «في» من (ط).
 - (٥) البيت لحرمان ذي القصة في تهذيب اللغة؛ ١٠١/١٠ و ١٠٩/١٥ و ٥٣٨، واللسان (نرك)، وتاج العروس (نرك). وبلا نسبة في اللسان (سبحل)، وجمهرة اللغة؛ ٨٢٥/٢، ومقاييس اللغة؛ ٤١٦/٥، وأساس البلاغة (نرك)، وتاج العروس (سبحل)، والصَّحاح (نرك).
 - (٦) البيت للرَّفْيَانِ في ملحق ديوانه؛ ٢٥٤، واللسان (ضخم)، وللعجاج في ملحق ديوانه؛ ٢٩٤/٢، ولسان العرب؛ (سبحل)، وتاج العروس (سبحل)، والخصائص؛ ٣٣٩/٢.
 - (٧) قال في اللسان: «وقولُ العجاج: بِسَبَحَلِ الدَّقِّينِ عَيْسَ جَوْرٍ، قال ابنُ جني: أراد بِسَبَحَلِ، فأسكن الباءَ وحركَ الحاءَ، وغَيَّرَ حركةَ السينِ».
 - (٨) نقل ابن المستوفي في النظام كلام أبي الفتح، وكلام الواحدي، وقال: «القولُ ما قاله ابنُ جني، وأمَّا الواحدي إلى قوله: «وصفها بسمرة الشَّفةِ وبياض اللون»، وخالف ذلك بما ذكره بعده، ولم يرد المتنبي إلَّا الجسدَ جميعه لا الأطراف».
- وكلام الواحدي لا يناقضُ كلام ابن جني كما ذكر ابن المستوفي، فالواحدي أخذ لفظ أبي الطَّيِّبِ، ثم قال: إذا كان المجردُ أبيضَ مع تعرُّضه للشمس يكون باقي الجسد أشدَّ بياضاً، فيكون عنى الجسد كله، وهذا هو كلام أبي الفتح، ونقل صاحب التبيان معنى كلام الواحدي ولم يشر إليه.

٩. يا عادِلَ العاشقين دَعِ فِتْنَةً . أَضْلَلَهَا اللهُ كَيْفَ تَرُشِدُهَا^(١)؛

١٠. لَيْسَ يَحِيكَ^(٢) المَلَامُ فِيهِمْ أَقْرَبُهَا مِنْكَ عَنْكَ أَبْعَدُهَا^(٣)

[يَحِيكَ: يُؤْثِرُ]^(٤)، يُقَالُ: ضَرَبْتُهُ^(٥) فَمَا أَحَاكَ فِيهِ السَّيْفُ، هَذَا^(٦) هُوَ
الْفَصِيحُ، [وَحَاكَ: لَفَّ]^(٧)،^(٨) قَدْ يُقَالُ: حَاكَ فِيهِ الْقَوْلُ^(٩)،^(١٠) [وَحَاكَ يَحِيكَ: إِذَا
تَبَخَّرَ، وَأَنْشَدَ]^(١١)؛

جَارِيَةٌ مِنْ شَعْبِ ذِي رُعَيْنِ حَيَّاكَةً تَمْشِي بِعِلَاطَتَيْنِ

وهو فِي الرَّجُلِ أَمْدَحُ^(١٢).

(١) سقط البيت من (ب)، ولم يشرح ابن جني هذا البيت.

(٢) ضبطها في النظام والتبيان: «يَحِيكَ» بفتح الياء.

(٣) سقط البيت وشرحه من (ب).

(٤) زيادة من (د).

(٥) في (د): «ضربه»، وسقطت من (د)، وفي (ك): ما أَحَاكَ.

(٦) في (ط): «فهذا».

(٧) زيادة من (ك).

(٨-٩) سقط من (ك). وعبارة (ط): «وقد قالوا: حَاكَ فِيهِ الْقَوْلُ».

(١٠) زيادة من (ك)، وقال بعدها: «في الحاشية: العلطتان، القلادتان، مأخوذة من العلاط،

وهو الوسم في العنق». وسقط ما عدا ذلك.

(١١) البيتان لليلي الأخيلية في لسان العرب (عرك)، (الثاني فقط)، وليس في ديوانها، ولحينة

بن طريف العكلي أو لليلي في التبيه والإيضاح؛ ٢٠٢/١، ولحينة بن طريف العكلي في

اللسان (خلج) و(علط)، وتاج العروس (خلج) و(علط) و(عرك)، وشرح أبيات

واصلاح المنطق؛ ٢٢٣، والمشوف المعلم؛ ٢٥٢/١، والمؤتلف والمختلف؛ ١٣٥. وبلا

نسبة في اللسان (رعن)، وتاج العروس (نعظ) و(رعن)، والمخصّص؛ ٤٧/٢ و١٠٤/٣

و٥٣/٤، وأساس البلاغة؛ (حيك) و(علط)، وتهذيب اللغة؛ ١٧٦/٢ و٥٩/٧،

والصّحاح (خلج)، وإصلاح المنطق؛ ٧٨.

(١٢) زيادة من (ك).

أي: أقربها منك أبعدُها عنك في الحقيقة^(١).
 ١١. بِئْسَ اللَّيَالِي سَهَدَتْ^(٢) مِنْ طَرِيي شَوْقاً إِلَى مَنْ يَبِيتُ يَرْقُدُهَا^(٣)
 ١٢. أَحْيَيْتُهَا وَالدَّمْعُ تَنْجِدُنِي شَوْوُنْهَا وَالظُّلَامُ يَنْجِدُهَا^(٤)
 أَنْجَدْتُ الرَّجُلَ: أَعْنَتْهُ^(٥)، وَاسْتَجَدْنِي هُوَ: اسْتَعَانَ^(٦) بِي، وَنَجَدْتُهُ: كَرَيْتُهُ.
 قَالَ^(٧):
 إِذَا اسْتَجَدْتُهُمْ فَدَعْوَتُ بَكْرًا لَنْصَرَّتْهَا كَسَرْتُ بِهِمْ هُمُومِي
 وَقَالَ الْآخِرُ^(٨):
 وَلَقَدْ كَانَ عَصْرَةَ الْمُنْجُودِ

- (١) أورد ابن المستوفي في النظام كلاماً لم يسم صاحبه، جاء فيه «ويُقَوِّي رواية من روى في أول القصيدة: أَبْعَدَ؟ على الاستفهام قوله في هذا الموضع: أقربها منك عنك أبعدُها، لأنَّ أبا الطَّيِّبَ قَلِيلُ التَّكْرِيرِ».
- ثم علّق قائلاً: «هذا قولٌ غيرُ مرضٍ لبعدهما بينهما، وأحدهما حشوٌّ في أوَّلِهِ، يصفُ بيتاً [كذا]». وقال أبو العلاء في معجَز أحمد: «وسئل المتنبّي عن قوله: أقربها منك عنك أبعدُها، فقال: أقربها منك سمعاً وأبعدُها عنك طاعةً».
- (٢) الديوان والواحد والبيان: «سهرت»، ورواها في (ك): «سهرت» وكتب فوقها «خ [أي نسخة]: سهدت، وقال في التبيان: «وروى سهرت وسهدت بالراء والدال، وقد فرّق أهل اللغة بينهما، فقالوا: السَّهْرُ بالراء في كل شيء، وبالدال للديغ والعاشق». وقال أبو العلاء في معجَز أحمد: «سهدت بالدال لأنه لا يُستعمل إلا في العشق، والسَّهْرُ عامٌ».
- (٣) سقط البيت من (ب)، ولم يشرحه ابن جني.
- (٤) سقط شرح البيت من (ك).
- (٥) سقط ما بعدها من (د) إلى قوله: «والشُّوْن: مجاري الدَّمْع واحدُها شَأْن» ثم سقط ما عدا ذلك إلى قوله: «يقول: أَحْيَيْتُ...».
- (٦) في (ب): «استغاثَ بي»، وهو تصحيفٌ. وسقط ما بعدها إلى قوله: «أي: أَحْيَيْتُ...».
- (٧) البيت بلا نسبة في أساس البلاغة (نجد). وفي (ط): «ودعوت».
- (٨) سبق تخريجه؛ ص ٧٧٩.

أي: المكروب. والشؤون: مفاصل قبائل الرأس، واحدُها: شأن، وهي مجاري
الدموع. قال الراجز^(١):

مَحْتَكُ ضَخْمُ شُؤُونِ الرَّأْسِ

وقال عبيد^(٢):

عَيْنَاكَ دَمْعُهُمَا سَرُوبٌ كَأَنَّ شَأْنَيْهِمَا شَعِيبٌ

أي: أحيت هذه الليلة بسهري وبكائي، والظلام يسعدها علي. يريد طول ليله
على هذه الحال^(٣).

١٣. لا نناقني تحمّل^(٤) الرديف ولا بالسوط يوم الرهان أجهد^(٥)

^(٦) الرهان: المراهنة للسباق^(٧) [أو]^(٨) يريد بناقته: نعله، و^(٩) أنشدنا أبو علي^(١٠):
رَوَّاحُنَا سِتٌّ وَنَحْنُ ثَلَاثَةٌ نُجْتَبِهُنَّ الْمَاءَ فِي كُلِّ مَنَهْلٍ

(١) سبق تخريجه ص ٤٤٢.

(٢) البيت لعبد بن الأبرص في ديوانه؛ ١٢، ولسان العرب (شأن)، وجمهرة أشعار العرب؛
٤٦٠/١. وبلا نسبة في اللسان (شئن)، وتاج العروس (شأن)، وتهذيب اللغة؛
٤١٦/١١ و٢٨٠.

(٣) أضاف بعدها في (ب): «قوله: الشؤون: مجاري الدمع من الرأس، واحدُها شأن».
(٤) كذا في الأصل و (د)، وكتب تحتها في (د): «تقبل: نسخ [أي نسخة]». وفي (ك) و (ط)
وسائر المصادر: «تقبل».

(٥) ضبطها في معجز أحمد والواحدي والنظام والبيان واليازجي: «أجهد^(٥)». وسقط البيت
وشرحه من (ب).

(٦-٧) سقط من (ك).

(٨) زيادة من (د).

(٩) استعاض عن العبارة في (ك) بقوله: «قال».

(١٠) البيت من غير نسبة في شرح مقامات الحريري؛ ٣٠٨/٢، وفيه «مشرب» بدل «منهل».
وفي (ط): «منزل».

[يُرِيدُ النِّعَالَ] ^(١). وقال أبو نؤاس ^(٢):
إِلَيْكَ أبا عَبَّاسٍ مِنْ بَيْنِ مَنْ مَشَى عَلَيْهَا امْتَطَيْنَا الْحَضْرَمِيَّ الْمَلْسَنَا
قَلَانَصَ لَمْ تَعْرِفْ حَنِينًا عَلَى طَلَا ^(٣) وَلَمْ تَدْرِ مَا فَرَّعَ الْفَنِيْقَ وَلَا الْهَنَا ^(٤)
يُرِيدُ النِّعَالَ أَيْضًا ^(٥). وَيُقَالُ: جَهِدْتُ الدَّابَّةَ: إِذَا حَمَلْتُ عَلَيْهَا فِي السَّيْرِ فَوْقَ
طَاقَتِهَا ^(٦). وَقَدْ قِيلَ: أَجْهَدْتُهُ. قَالَ الْحُطَيْئَةُ ^(٧):
تَأْمَلْ فَإِنْ كَانَ الْبُكَاءُ رَدًّا هَالِكًا عَلَى أَحَدٍ فَاجْهَدْ بُكَاءَكَ عَلَى عَمْرٍو
وقال الأعشى ^(٨):
فَجَالَتْ وَجَالَ لَهَا أَرْبَعٌ جَهَدَنَّ لَهَا مَعَ إِجْهَادِهَا
أَي: إِجْهَادُهَا نَفْسَهَا.

- (١) زيادة من (ط).
- (٢) البيتان لأبي نؤاس في ديوانه؛ ١٥٩/١، وشرح مقامات الحريري؛ ٣٠٨/٣. ويروى صدره الثاني: قَلَانَصَ لَمْ تُسْقَطْ جَنِينًا مِنْ الْوَجَى.
- (٣) رسمها في (ك): «طَلَى».
- (٤) سقط ما بعدها من (ك). وقد ضبطها في الأصل بفتح الهاء، والصواب ما أثبتنا، وانظر اللسان (هنا).
- (٥) في (ط): «يُرِيدُ أَيْضًا النِّعَالَ».
- (٦) زيادة من (د).
- (٧) البيت للحطيفة في ديوانه؛ ٢٩٨، وهي لأراكة بن عبد الله بن سفيان بن الحارث الثَّقَفِي في الكامل؛ ١٣٨٥/٣، والفاضل؛ ٦٥، والتعازي؛ ٦٩ و ٣، والمؤتلف والمختلف؛ ٥٣، والعقد الفريد؛ ٣٠٦/٣، والحماسة البصرية؛ ٧٨٢/٢، ولعبد الله بن أراكة في الحماسة الشجرية؛ ٤٧٩/١، وأمثالي المرتضى؛ ٤٦١/١، وسمط اللآلي؛ ٦٢٧/١. وبلا نسبة في أمالي الزَّجَاجِي؛ ٩، وأمثالي القالي؛ ٣/٢.
- (٨) البيت للأعشى في ديوانه؛ ١٢٣، واللسان (جهد)، وتهذيب اللغة؛ ٣٧/٦، وتاج العروس (جهد). وبلا نسبة في المخصَّص؛ ١١٨/١٢.

١٤. شَرَاكَهَا كُورُهَا وَمِشْقَرُهَا زَمَامُهَا وَالشُّسُوعُ مَقُونُهَا^(١)

١٥. أَشَدُّ عَصْفِ الرِّيحِ يَسْبِقُهُ تَحْتِي مِنْ خَطْوِهَا تَأْيِدُهَا^(٢)

يريدُ شِدَّةَ عَدُوِّهِ، وهذه طَريقَةٌ مشهُورَةٌ للعَرَبِ^(٣). قَالَ تَابَّطُ شَرًّا^(٤):

لَيْلَةً صَاحُوا وَأَغْرَوْا بِي سِرَاعِهِمْ بِالْعَيْكَتَيْنِ لَدَى مَعْدَى ابْنِ بَرَّاقٍ

كَأَنَّمَا حَتَّحُوا حُصًّا قَوَادِمُهُ أَوْ^(٥) أُمَّ حَشَفٍ بِذِي شَتٍّ وَطَبَّاقٍ

وَقَالَ الشَّنْفَرِيُّ، قَرَأْتُهُ عَلَى أَبِي عَلِيٍّ^(٦):

إِذَا الْأَمْعَزُ الْمَوَّانُ لَاقَى مَنَاسِمِي تَطَايَرَ مِنْهُ قَادِحٌ وَمُقَلِّلٌ

وَحَرَقَ كَظْهِرِ التُّرْسِ فَتَرَى قَطْعَتَهُ بِعَامِلَتَيْنِ بَطْنُهُ لَيْسَ يَفْعَلُ^(٧)

يَرِيدُ [بِالْعَامِلَتَيْنِ]^(٨) رَجُلِيهِ^(٩).

(١) سقط البيت من (ب)، ولم يشرحه ابن جني.

(٢) سقط شرح البيت من (ك)، وشرحه في (د) بقوله: «الهاء في يسبقه تعود إلى عصف الرياح، والسابق الخطو، أي: إذا تأيدت تسبقه، فكيف إذا أسرع».

(٣) سقط ما بعدها من (ب) إلى قوله: «قال الشنفرى» وأورد البيت مباشرة.

(٤) البيت لتأبط شرأ في ديوانه؛ ١٣٢، واللسان (عيك)، ومجمل اللغة؛ ٦٤٠/٣، وتاج العروس (برق) و(عيك)، والمفضليات؛ ٢٨، وشرح اختيارات المفضل؛ ١٠٨/١، ومعجم البلدان (العيكتان).

(٥) في الأصل و(ط): «وأم».

(٦) البيان للشنفرى من لاميته المشهورة؛ وهما البيتان ٢٠ و٦٥ منها. والأول في ديوانه؛ ٥٨.

وأعجب العجب في شرح لامية العرب للزمخشري؛ ٧٣، ولامية العرب تحقيق محمد بدیع

شريف؛ ٣٨، ومختارات ابن الشجري؛ ١٠٤، وأمالى القالى؛ ٢٠٤/٣، والثاني في ديوانه؛

٦٤، وأعجب العجب في شرح لامية العرب؛ ١٣٨، ولامية العرب؛ ٦٥، ومختارات ابن

الشجري؛ ١٢٣، وأمالى القالى؛ ٣٠٢٠٦، وسقطت عبارة «قرأته على أبي علي» من (ط).

(٧) الزيادة من (ب) و(ط).

(٨) زيادة من (ط).

(٩) في (ب): «برجلين»، وبعدها في الأصل كلامٌ للوحيد: (ح): «نعم قد قالت العربُ مثل هذا

١٦. ٢. مثل ظهر المجن متصل^(١) بمثل بطن المجن قردها^(٢)

المجن: الترس. قال جحدر بن معاوية^(٣):
ألم ترني غديت أخا حروب إذا لم أجن كنت مجن جاني؟
وقال عمر بن أبي ربيعة^(٤):
وكان مجنني دون من كنت أنقي ثلاث شخوص كاعيان ومقصير

- كثيراً، إلا أنهم سعاة يعدون على أقدامهم، فأما شاعر حضري يقصد رجلاً مدحه، فيقول مثل هذا: إن عذري أشد عصف الرياح، فليس هذا موضعه، ولا يحتاج إلى مثله.
- (١) لم يضبطها في الأصل، وضبطها بالكسر في (ك) و(ب) و(ط) والديوان ومعجز أحمد والواحدي والنظام واليازجي. وضبطها في (د) بالكسر والضّم، وكتب فوقها: «معاً». وقال في التبيان: «ومتصل: يروى بالخفض والرفع، والرفع أقوى، لأنه خبر مبتدأ مؤخر، وهو قردها». وقال ابن المستوفي في النظام: «قال أبو البقاء: متصل: نعت لمثل». ورد شرح البيت في (د): «الفررد: الأرض الصلبة والمجن: الترس»، وفي (ب): «الفررد: نبال تكون في الأرض. يقول: أعلو أرضاً فأهبط أخرى»، وكتب في (ك) تحت كلمة «المجن: الترس»، وتحت كلمة: «قردها»: الطريق الواضح.
- (٢) البيت لجحدر بن معاوية العكلي في ديوانه: ١٨٦ (شعراء أمويون ١)، ومعجم البلدان (حجر).
- (٣) البيت لعمر بن أبي ربيعة في ديوانه: ١٠٠، والأشياء والنظائر: ٤٨/٥ و ١٢٩، والأغاني: ٩٠/١، وأمالى الزجاجي: ١١٨، والإنصاف: ٧٧٠/٢، وخزانة الأدب: ٣٢٠/٥ و ٣٢١ و ٣٩٤ و ٣٩٦ و ٣٩٨، والخصائص: ٤١٧/٢، وشرح أبيات سيويه: ٣٦٦/٢، وشرح التصريح: ٢٧١/٢، وشرح شواهد الإيضاح: ٣١٣، والكتاب: ٥٦٦/٣، وتحصيل عين الذهب: ٦٧٧/٢، واللسان (شخص)، والمقاصد النحوية: ٤٨٣/٤، والمذكر والمؤنث للمبرد: ٩٨ و ١٢٢. وبلانسة في الأشياء والنظائر: ١٠٤/٢، وأوضح المسالك: ٢٥١/٤، وشرح الأشموني: ٦٢٠/٣، وشرح التصريح: ٢٧٥/٢، وشرح عمدة الحافظ: ٥١٩، وعيون الأخبار: ١٧٤/٢، والمقتضب: ١٤٦/٢، والمقرب: ٣٠٧/١، والمذكر والمؤنث لابن الأنباري: ٣٧٧/١. ويروى: «فكان نصيري».

١٦. في مثل ظهر المجن متصل^(١) بمثل بطن المجن فرددها^(٢)

المجن: الترس. قال جحدَر بن معاوية^(٣):

ألم ترني غُذيتُ أخا حُرُوبٍ إذا لم أجن كُتُ مجنَّ جاني؟

وقال عمر بن أبي ربيعة^(٤):

وكان مجنِّي دون مَنْ كُتُ اتَّقِي ثلاثُ شُخُوصٍ كاعيانٍ ومُعَصِرٍ

كثيراً، إلا أنهم سعاةٌ يعدون على أقدامهم، فأما شاعرٌ حضريٌ يقصدُ رجلاً لمدحه، فيقول مثل هذا: إنَّ عدوي أشدُّ عصف الرياح، فليس هذا موضعه، ولا يحتاجُ إلى مثله.

(١) لم يضبطها في الأصل، وضبطها بالكسر في (ك) و(ب) و(ط) والديوان ومعجز أحمد والواحدي والنظام واليازجي. وضبطها في (د) بالكسر والضَّم، وكتب فوقها: «معاً». وقال في التبيان: «ومتصل: يروى بالخفض والرفع، والرفع أقوى، لأنه خيرُ مبتدأ مؤخر، وهو فرددها». وقال ابن المستوفي في النظام: «قال أبو البقاء: متصل: نعتٌ لمثل». (٢) ورد شرح البيت في (د): «القردد: الأرض الصلبة والمجن: الترس»، وفي (ب): «القردد: نبالٌ تكون في الأرض. يقول: أعلو أرضاً فأهبط أخرى»، وكتب في (ك) تحت كلمة «المجن: الترس»، وتحت كلمة: «فرددها»: الطريق الواضح.

(٣) البيت لجحدَر بن معاوية العكلي في ديوانه؛ ١٨٦ شعراء أمويون (١)، ومعجم البلدان (حجر).

(٤) البيت لعمر بن أبي ربيعة في ديوانه؛ ١٠٠، والأشباه والنظائر؛ ٤٨/٥ و١٢٩، والأغاني؛ ٩٠/١، وأمالِي الزَّجَّاجي؛ ١١٨، والإنصاف؛ ٧٧٠/٢، وخزانة الأدب؛ ٣٢٠/٥ و٣٢١ و٣٩٤/٧ و٣٩٦ و٣٩٨، والخصائص؛ ٤١٧/٢، وشرح أبيات سيويه؛ ٣٦٦/٢، وشرح التصريح؛ ٢٧١/٢، وشرح شواهد الإيضاح؛ ٣١٣، والكتاب؛ ٥٦٦/٣، وتحصيل عين الذهب؛ ٦٧٧/٢، واللسان (شخص)، والمقاصد النحوية؛ ٤٨٣/٤، والمذكر والمؤنث للمبرد؛ ٩٨ و١٢٢. وبلا نسبة في الأشباه والنظائر؛ ١٠٤/٢، وأوضح المسالك؛ ٢٥١/٤، وشرح الأشموني؛ ٦٢٠/٣، وشرح التصريح؛ ٢٧٥/٢، وشرح عمدة الحافظ؛ ٥١٩، وعيون الأخبار؛ ١٧٤/٢، والمقتضب؛ ١٤٦/٢، والمقرب؛ ٣٠٧/١، والمذكر والمؤنث لابن الأنباري؛ ٣٧٧/١. ويروى: «فكان نصيري».

والْقَرْدُدُ: [نَبَاك] ^(١) تكون في الأرض. قال طَرْفَةُ ^(٢):
كَأَنَّ عُلُوبَ النَّسْعِ فِي دَابَّاتِهَا مَوَارِدُ مِنْ خَلْقَاءِ فِي ظَهْرِ قَرْدَدٍ

[وقال أبو نخيلة:

وَقَرْدَدٍ وَقَرْدَدٍ وَقَرْدَدٍ] ^(٣)

يقول: أعلو أرضاً، وأهبطُ أخرى، كقول الآخر ^(٤):
ترفعنني وجناً وتهوي بي وجن

وهو كثير.

١٧. مُرْتَمِيَاتٍ ^(٥) بنا إلى ابن عُبَيْدٍ - سد الله غيظانها وقدفدها ^(٦)

(١) زيادة من (ب) و(ط)، والنَبَاك: الأكمام، مفردها: نَبَكَةٌ. اللسان (نَبَك).

(٢) سبق تخريجه ص ٨٨.

(٣) ما بين قوسين زيادة من (ط)، وسرد البيت مع بيت آخر بعد قليل، وانظر تعليقنا هناك.

(٤) البيت من جملة أبيات لعبد المسيح بن عمرو الغساني في اللسان (سطح)، وتهذيب اللغة؛ ٢٧٧/٤، وهو في حديث سطيح في لسان العرب (جأجأ) و(فضض) و(شزن) و(وجن)، وتاج العروس (شزن) و(وجن)، والنهاية في غريب الحديث والأثر؛ ١٥٧/٥. وبلا نسبة في جمهرة اللغة؛ ٤٩٧/١ و٩٢٥/٢، ومقاييس اللغة؛ ١٠٤/٥.

(٥) ضبطها في (ك) بالرَّفْع والكسر وكتب فوقها: «معاً»، وقال أبو العلاء في معجز أحمد: «روى في مرتميات: الرِّفْع على أن يكون خبراً لغيظانها وقدفدها، تكون هي مبتدأ، وروى بالكسر فتكون في موضع النَّصْب على أن تكون حالاً سادة مسددة الخبر».

وقال في التبيان: «من روى: مرتميات بالرفْع، قال الأعلام في شرح هذا البيت: غيظانها وقدفدها مرفوعان بمرتميات على لغة من قال: أكلوني البراغيث، وهي لغة ضعيفة. وقال ابن القطّاع: ولا حاجة إليها لضعفها إذ كان الكلام يصح دونها. . . ومن روى: مرتميات بالنَّصْب، فإنه أراد: غيظانها وقدفدها لا تزال مرتميات». وقد ضبطها في النظام والتبيان واليازجي بالرفْع لا غير.

(٦) سقط البيت وشرحه من (ب)، وشرحه في (ك): «الغائط: ما انهبط من الأرض [كرر عبارة من الأرض] والقدفد: الأرض الغليظة المرتفعة الحصى المستوية».

الفيضان^(١): جمع غائط، وهو ما انهبط من الأرض^(٢). قال^(٣) عمرو بن معدى كرب^(٤):
 وكم من غائط من دون سلمى قليل الإنس ليس به كثير
 والفدغد: الأرض الغليظة المرتفعة ذات الحصا، فلا تزال الشمس تشرق فيها^(٥).
 أنشد الأصمعي، لأبي نخيلة^(٦):
 كم جاوزت من فدغد وفدغد وفدغد وفدغد وفدغد وفدغد
 وقال الآخر^(٧):
 فلأنص إذا علون فدغدا رمين بالطرف مداه الأبعدا
 ١٨. إلى فتى يصدر الرماح وقد أنهلها في القلوب مورها^(٨)

(١) سقطت من (د).

(٢) سقط ما بعدها من (د) إلى قوله: «والفدغد: الأرض...».

(٣) في (ط): «وقال...».

(٤) البيت لعمرو بن معدى كرب في ديوانه؛ ١٤٦، واللسان (كتع)، وتاج العروس (صرع) و(كتع)، وكتاب الجيم؛ ١٧١/٢، والأصمعيات؛ ١٧٦، وسمط اللآلي؛ ٥٦٧/١. وعجزه في (ط): «لأبوال بغال به وقع»، وهو عجز بيت آخر، وصدره: وقد جاوزن من غمدان داراً. انظر ديوانه؛ ١٤١.

(٥) سقط ما بعدها من (د) إلى آخر شرح البيت. وفي (ط): «والفدغد: الغليظ من الأرض المرتفعة الحصا».

(٦) لم أعثر عليهما، مع أن لأبي نخيلة رجلاً كثيراً على هذا الروي. انظر ديوانه؛ ص ٢٥٣ و٢٥٤ (مجلة المورد، المجلد السابع، العدد الثالث).

(٧) البيتان للفرزدق في ديوانه؛ ١٦٦/١. وبلا نسبة في تهذيب اللغة؛ ٦٦٣/١٠، وأساس البلاغة (فدغد)، وكتاب العين؛ ٨٤/٦ و١٢/٨، واللسان (نجد)، وتاج العروس (نجد).

(٨) ضبطها في الديوان ومعجز أحمد والبيان واليازجي: «مورها»، بضم الميم، وقال في معجز أحمد: «وروى مورها [بفتح الميم]، وهو مصدر ورد، ويجوز أن يكون مكان الورد وهو جسم المطعون»، وقال اليازجي: «ومورها، يروى بفتح الميم على معنى المصدر، وبضمها على معنى اسم الفاعل، وهو الأجود». وقال الواحدي: «ومن روى بضم الميم أراد

أنهلهما: سقاها من^(١) جسم المطعون [دَمَ قلبه]^(٢). ويصدرها: يَنْزِعُهَا.
١٩. لَهْ أَيْادٍ إِلَيَّ سَابِقَةٌ^(٣) أَعَدُّ^(٤) مِنْهَا وَلَا أَعْدُدُهَا^(٥)

^(٦)أَعَدُّ مِنْهَا^(٧)، أي: أنا إحداهما، كما قال الجَمَّازُ^(٨):
لَا تَنْتَقِ بَعْدَمَا^(٩) رَشَّيْتَنِي فَلَا يَنْتَقِي بَعْضُ أَيْادِيكَ^(١٠)
يريد: أنه قد وهب له نفسه، وليس يُحصي مواهبه كثرة.

المدح، أي: هو الذي يورثها، وهذا هو الأجودُ ليشاكل لفظَ الإصدار، وقد نقل
صاحب النظام كلام الواحدي، كما نقله صاحب التبيان، ولم ينسبه إليه.
وقال ابن المستوفي: «سماعي بفتح الميم». ولم يرد من شرح البيت في (د) سوى عبارة:
«النَّهْل: الشرب الأول»، وسقط شرح البيت من (ك)، وسقط البيت وشرحه من (ب).
(١) سقطت من (ط).
(٢) زيادة من (ط).

(٣) قال في معجز أحمد: «روى سابقة وسابقة، أي: تامة»، وقال الواحدي: ويروى: سالفه».
(٤) كتب تحتها في (ك): ويروى: أعدُّ منها، وكذا ضبطها البازجي، وفي المصادر الأخرى كافة:
«أعدُّ كراوية أبي الفتح، وقال الواحدي معلقاً على قول ابن جني: «يريد أنه قد وهب له
نفسه»، فقال: «وهذا فاسد لأنه ليس في البيت ما يدل على أنه خلَّصه من ورطة، وأنقذه من
بليَّة وأعفاه من قصاص وجب عليه...»، ثم قال: «ومن روى: أعدُّ منها كان المعنى: أنه يعدُّ
بعض أباديه، ولا يأتي على جميعها بالعدُّ لكثرتها». وقد نقل ابن المستوفي ردَّ الواحدي على
ابن جني ثم قال: «وقال أبو البقاء: أي: نعمه كثيرة بينها نفسي، فإنه أعتقها عن سؤال غيره»،
ثم قال: «وهذا الذي ذكره أبو البقاء يُطلُّ ما قاله الواحدي ردّاً على ابن جني».
وقال في معجز أحمد: «وروى: أعدُّ منها، يعني أعدُّ بعض هذه النعم، وأما جميعها فلا
أقدر أن أحصيها لكثرتها».

(٥) سقط البيت وشرحه من (ب)، وسقط شرحه من (ك).

(٦-٧) سقطت من (د).

(٨) البيت للجماز في شرح الواحدي: ١١، والتبيان: ٣٠٤/١ وسماء: الحماسي خطأ.

(٩) في (د): «بعد أن»، وكذا في التبيان. وفي (ط): «بعد إذ».

(١٠) سقط ما بعدها من (د) إلى آخر شرح البيت.

٢٠. يُعْطِي فَلَا مَطْلَهُ يُكْدِّرُهَا بِهَا وَلَا مَنَّهُ يُنْكَدُّهَا^(١)

يقول^(٢): «فلا مطلقه بها»^(٣) يكدرها. أي: بأياديها^(٤)، هكذا^(٥) معناه، إلا أن إعرابه ليس على هذا؛ لئلا يفصل بين المطلق وبين «بها». والباء^(٦) على هذا من صفة^(٧) المطلق، فيكون قد فصل بين الصلة والموصول، وهذا خطأ عندنا^(٨)، ولكن الوجه أن يعلق «الباء» بفعل محذوف، يدل عليه المصدر، كأنه قال بعد انقضاء^(٩) الكلام: لا يمتل بها^(١٠)، وسنذكر هذا مستقصى عند قوله^(١١):

... .. بَأَنْ تُسْعِدَا وَالدَّمْعُ أَشْفَاهُ سَاجِمَةٌ

٢١. خَيْرُ فَرِيضٍ أَبَا وَأَمَجْدُهَا أَكْثَرُهَا نَائِلًا وَأَجُودُهَا^(١٢)

٢٢. أَطْعَنُهَا بِالْقَنَاءِ أَضْرِبُهَا^(١٣) بِالسَّيْفِ جَحَاجِحُهَا^(١٤) مُسَوِّدُهَا^(١٥)

(١) سقط شرح البيت من (د).

(٢) في (ب): «يريد»، وسقطت عبارة: «فلا مطلقه بها» من (ك).

(٣) في الأصل: «به»، والصواب من (ب) و(ط).

(٤) في الأصل: «أياديها»، والصواب من (ك) و(ب) و(ط) والنظام.

(٥) في (ك) و(ط): «هذا».

(٦) في (ب): «فالباء».

(٧) في (ب) والنظام: «من صلة المصدر»، وفي (ك): «من صلة المطلق». وأثبتنا ما في الأصل و(ط).

(٨) سقطت من (ك).

(٩) في (ب): «قال لما انقضى الكلام».

(١٠) سقط ما بعدها من (ك).

(١١) البيت مطلع قصيدته في مدح سيف الدولة، وصدره: «وفاؤكما كالربيع أشجاء طاسمته».

وهي أول قصيدة مدح أنشدها إياه، وذلك لما التقاه في انطاكية سنة ٣٣٧ هـ. ديوانه: ٢٤٢.

(١٢) سقط البيت من (ب)، ولم يشرحه ابن جني. وكتب فوقها في (ك) «ويروى: وأنجدها».

(١٣) كتب على الهامش في (ك): «من الحاشية: ويروى: أطعنها بالقنأه أضربها»، وهي نفس

رواية المتن، ولعلها سها عن رواية أخرى. وفي (ط): «أطعنها بالقنأه وأضربها».

(١٤) كتب تحتها في (ك) «الجحجاج: السيد».

(١٥) سقط شرح البيت من (ك) و(د)، وسقط البيت وشرحه من (ب).

قوله: أطلعنها بالقناة^(١)؛ أضربها^(٢) بالسيف: تأكيد^(٣)، وهكذا قوله، عزَّ
اسمه^(٤): «ولا طائر يطير بجناحيه». [ويقولون أيضاً: رأيته بعيني، وكلمته بنبي^(٥)].
وكقول الشاعر^(٦):

وترى الذنن على مراسنهم غيب الهياج كمازن الجئل

[أي كبيض النمل، والمآزن: بيض النمل خاصة، فإضافة إلى الجئل^(٧).

وهو النمل تأكيداً. وأيضاً قد يقال في غير هذا: فلان أطلع من فلان، أي: أطلع
في^(٨) السن، أو من الطعن على الإنسان والعيب، ويقال: فلان أضرب من فلان، أي في
الأرض: [يقال: ضرب في الأرض]^(٩) إذا سافر فيها، وقد يكون أيضاً ضارباً بالسوط
وغيره، وكان^(١٠) ذلك أيضاً ممّا يحسن ذكر القناة والسيف. وقد ذكرنا «الججج»^(١١).

(١) في (ط): «بالقنا».

(٢) في (ط): «وأضربها».

(٣) العبارة في النظام: «هذا تأكيد لقوله تعالى: [وذكر الآية]. وفي (ط): «وهذا كقوله...».

(٤) الأنعام؛ الآية: ٣٨.

(٥) زيادة من (ط).

(٦) البيت للحادرة في ملحق ديوانه؛ ١٠٤، وكتاب الجيم؛ ٢٢٢/٢، واللسان (ذمم)،

والجمهرة؛ ٨٠/١. وبلا نسبة في اللسان (مزن)، وتهذيب اللغة؛ ٢٣٢/١٣

و٤١٦/١٤، وجمهرة اللغة؛ ٤١٥/١ و٨٢٨/٢ و١٢٠٠، والمخصص؛ ٥٦/٢،

وأساس البلاغة (رسن) و(مزن)، واللسان (ذمم) و(حئل)، وتاج العروس (ذمم)

و(حئل) و(مزن)، والصّحاح (ذمم)، والاشتقاق؛ ١٨١، وكتاب الجيم؛ ٢٣٥/٢.

ويروى: «وترى الذميم»، و«غيب العجاج»، و(كمازن النمل).

(٧) زيادة من (ط).

(٨) كرر «في» سهواً في الأصل.

(٩) في (ط): «أي».

(١٠) زيادة من (ط).

(١١) في (ط) والنظام: «فكان».

(١٢) بعده في الأصل كلامٌ للوحيد: (ح): «أما ما ذكره من أمر الطعن أنه من السب، فإنَّ

٢٢. أفرسها فارساً وأطولها باعاً ومغوارها وسيدها^(١)

أي: هو^(٢) أفرسها؛ إذا ركب فرسه، وكان فارساً، أي: هو^(٣) في هذا الوقت وعلى هذه الحال أفرسها، وليس ممن^(٤) يوصف بالفروسيّة في غير هذه الحال، فإذا صار إليها نكل، وعرد^(٥)، فنصب «فارساً» على الحال لا على التمييز^(٦)، وهو كقولك: زيد أكرم الناس مسؤولاً، أي: في هذه الحال. والمغوار: الكثير الغارات^(٧)، وجمعه: مغاوير^(٨). قال الكميت^(٩):
ومغاوير عندهم مغاوير — رَمْساعير ليلة الإلجام^(١٠)

مواضع كلام تبين عن فوق ذلك، ولو أن رجلاً قال: فلان يطعن في نسب فلان لم يكن يحتاج أن يقول بلسانه، وكذلك: يضرب فلاناً، فإنه لا يحتاج أن يقول غير ذلك، والبيت مدح، فلو لم يقل بالرمح والسيف لعلم أنه ضرب بالسيف وطعن بالرمح، وكان الإيجاز في هذا والاختصار أحسن، والذي أتى به جائز، ولكن المختار خير من الجائز.

(١) سقط شرح البيت من (ك).

(٢) سقطت من (ط).

(٣) قدّم كلمة «أفرسها» في (د) إلى هنا، أي: هو أفرسها. . .

(٤) في الأصل (من)، وفي (د): «كمن»، وأخذنا بما في (د) و(ط) والنظام.

(٥) في الأصل «وعاد»، وأخذنا بما في (د) و(ب) و(ط) والنظام. وسقط ما بعدها من (د) إلى آخر الشرح إلا عبارة: «والمغوار: الكثير الغارات».

(٦) قال في معجز أحمد: «وقيل: «إنه نصب على التمييز»، وقال صاحب التبيان: «ولا يجوز أن يكون «فارساً» تمييزاً».

(٧) في (ب): «الغارة».

(٨) سقط ما بعدها من (ب).

(٩) البيت للكميت في ديوانه؛ ١٧٥/٢، وشرح هاشميات الكميت؛ ٢٢، وروايته فيهما: ومغاير. . . وهي رواية (ط)، وفسرها: الواحد منهم مغيار، وهو الشديّد الغيرة. وضبطها في الأصل و(ط) بالصمّ كون البيت منقطعاً، وأثبتناها كما في الديوان وشرح الهاشميات عطفاً على ما سبق في سياق القصيدة.

(١٠) بعده في الأصل كلام للوحيد: (ح): «لو كان ما قاله قبل لازماً للزمه أن يقول: أفرسها على الخيل في الحرب لئلا يُظن أنه من الفرس الذي هو دقّ العنق، ولكن مواقع الكلام تدلّ عليه، ولا يحتاج إلى مثل هذا».

٢٤. تاجُ لؤي بن غالب وبه سَمَا لها فرعها ومَحْتَدُها^(١)
 ٢٥. شمس ضحاها هلال ليلتها درُتقاصيرها زرجدها^(٢)

التقاصير: جمع تقصار^(٣)، وهي القلادة القصيرة^(٤). ^(٥)قال عدي بن زيد^(٦):
 عندها ظبي يؤرثها جاعل في الجيد تقصارا

وقال عدي^(٧) أيضاً^(٨):

بأحور^(٩) العين مريبوب له غسن^(١٠) مقلد من جناح^(١١) الدر تقصارا

- (١) سقط البيت من (ب)، ولم يشرح ابن جني البيت، ولكن ورد في (د): «محتدها: المحدث: الأصل».
- (٢) سقط البيت وشرحه من (ب) إلّا: «درُتقاصيرها: التقاصير: جمع تقصار ويُقال: مقصرة، والجمع مقاصر، وهي كالمخنقة». وورد من شرحه في (د): «التقاصير واحدتها تقصار بكسر التاء، وهي قلادة قصيرة».
- (٣) ضبطها في الأصل هنا وفي بيتي عدي بفتح التاء، والصواب بكسرها كما في (ك) و(د) و(ط).
- (٤) في (ط): «الصغيرة».
- (٥) في (ك): «قال عدي» فقط.
- (٦) البيت لعدي بن زيد العبادي في ديوانه؛ ١٠٠، واللسان (أرث) و(قصر)، وتهذيب اللغة؛ ٣٦٣/٨ و١١٨/١٠، وجمهرة اللغة؛ ٧٤٣/٢، ومقاييس اللغة؛ ٩٣/١ و٩٧/٥، ومجمل اللغة؛ ٩٤/١، وأساس البلاغة (قصر)، وتاج العروس (أرث)، والصّاح (أرث) .. وبلا نسبة في المخصّص؛ ٤٤/٤.
- ويروى عجزه: عاقد في الخصر زئارا، وبهذه الرواية ورد في الديوان.
- (٧) سقطت كلمة «عدي» من (ك).
- (٨) البيت لعدي بن زيد في ديوانه؛ ٥٠، واللسان (جنح) و(غسن)، وتهذيب اللغة، ١٥٧/٤، وتاج العروس (جنح) و(قصر)، وأساس البلاغة (قصر).
- (٩) كذا في الأصل و(ك) و(ط). وفي الديوان والمصادر: «وأحور».
- (١٠) في (ك): «عيس».
- (١١) زيادة من (ك) و(ط) والمصادر.

وَيُقَالُ لَهَا أَيْضاً^(١): مَقْصَرٌ^(٢)، والجمع: مَقَاصِرٌ، وهي كالمخنقة^(٣)، قال^(٤):
 أَبْصَرْتُ مِنْ أَسْمَاءَ لِحاً بِأَصْرَا تَلَقَّمْ لَقْمًا يَقْطَعُ الْمَقَاصِرَا
 وَيُقَالُ: زَبْرَجِدٌ وَزَبْرَدَجٌ. أَخْبَرَنِي^(٥) ابْنُ مَقْسَمٍ عَنْ ثَعْلَبٍ: قِرَاءَةٌ عَلَيْهِ، قَالَ
 الشَّاعِرُ^(٦):
 مَدَاهُنْ عَقِيَانُ^(٧) وَأَوْرَاقُ فِضَّةٍ عَلَى قُصْبٍ مُخْضَرَةٍ مِنْ^(٨) زَبْرَدَجٍ^(٩)
 ٢٦. يَا لَيْتَ بِي ضَرِيَّةٌ أَتِيحُ^(١٠) لَهَا كَمَا أَتِيحَتْ لَهُ مُحَمَّدُهَا^(١١)
 مُحَمَّدُهَا: هَذَا الْمَدْحُ، وَأَتِيحُ: قُدِّرَ. قَالَ الشَّاعِرُ^(١٢):
 أَتِيحُ لَهَا رِزْقٌ وَلَيْسَ بِمُحْتَالٍ
 أَي: قُدِّرَ مُحَمَّدٌ لِلضَّرِيَّةِ كَمَا قُدِّرَتْ لَهُ، فَكَانَ هُوَ الْمُؤَثَّرَ فِيهَا^(١٣)، أَلَا تَرَى إِلَى

- (١) زيادة من (ط) و(ك)، وسقطت «أَيْضاً» من (ك).
- (٢) في (ط) و(ك) و(ب): مَقْصَرَةٌ، وكلاهما صواب.
- (٣) زيادة من (ب). والمخنقة: القلادة. اللسان (خنق).
- (٤) لم أعثر عليهما.
- (٥) سقطت العبارة بكاملها من (ك)، واستعاض عنها بكلمة: «قال» فقط.
- (٦) لم أعثر عليه.
- (٧) في الأصل: «عفان»، والصواب من (ك) و(ط).
- (٨) في الأصل: «وزبردج» والصواب من (ك) و(ط).
- (٩) بعدها في الأصل تعليق للوحيد: (ح): «نَزَلَ مِنَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ إِلَى الدُّرِّ وَالزَّبْرِجَدِ نَزْولاً قِيحاً».
- (١٠) تحتها في (ك): «أَتِيحُ، في نسخة: أَتِيحُ».
- (١١) سقط شرح البيت بكامله من (ك)، وأورد شرح البيت (٢٨) هنا سرداً. وفي (د): «أَتِيحُ، قُدِّرَ مُحَمَّدُهَا هَذَا الْمَدْحُ»، وسقط ما بعده إلى قوله: «أَي: قُدِّرَ مُحَمَّدٌ...»، وسقط الشرح من (ب) إلى قوله: «أَي: قُدِّرَ مُحَمَّدٌ... أَيْضاً».
- (١٢) لم أعثر عليه.
- (١٣) سقط ما بعدها من (ب).

قوله بعد^(١)؟

٢٧. أَثَرُ فِيهَا وَبِالْحَدِيدِ وَمَا أَثَرِي وَجْهَهُ مُهْنَدُهَا^(٢)

أثر فيها: استعارة ومجاز، لأن الضربة عَرْضٌ، ولا يصح التأثير فيها^(٣).

٢٨. فَاغْتَبَطَتْ إِذْ رَأَتْ تَزِينُهَا بِمِثْلِهِ وَالْجِرَاحُ تَحْسُدُهَا^(٤)

يجوز أن تكون الجراح جمع جراحة، وأن تكون جمع جرح^(٥) وجرح. قال^(٦):
... .. وَجُرِحَ اللِّسَانُ كَجُرِحِ الْيَدِ

وقال تعالى^(٧): ﴿وَالْجُرُوحُ قِصَاصٌ﴾. وقال^(٨):

أَصْلَاحُ إِنَّكَ قَدْ رُمِيتَ جَوَائِقًا ونوافذاً ليست لهِنَّ جِرَاحُ

(١) العبارة في (ك): «ألا ترى إلى قوله في البيت الذي بعده هذا؟». وفي (ط): «بعده».

(٢) سقط شرح البيت من (ك)، وسقط البيت مع شرحه من (ط)، وسقطت الأبيات (٢٧-٣٠) مع شرحها من (ب).

(٣) بعده في الأصل تعليق للوحيد: (ح): «يجوز أن يكون أراد أن الضربة دُمَّتْ حين وقعت به، لأنها لم تكن بحق، وكان ذلك الدَّمُّ تأثير فيها، وكذلك السيف ضرب غير مستحق، فذَمُّ، فذلك الدَّمُّ تأثير فيه، وكلُّ هذا مجازٌ واتِّسَاعٌ».

(٤) سقط شرح البيت من (د)، وأورد شرحه في (ك) بعد البيت (٢٦) كما أسلفنا.

(٥) كذا ضبطها في الأصل. وفي (ط): «جروح».

(٦) في (ك): «وقال». وصدرة: ولو عن ثنا غيره جاءني، وهو لامريء القيس في ديوانه؛ ١٨٥، والمعاني الكبير؛ ٨٢٣/٢، والمستقصى؛ ٥٠/٢، ولعمرو بن معدي كرب في ملحق ديوانه؛ ٢٠٠، ولا مريء القيس أو لعمرو بن معدي كرب في سمط اللالسي؛ ٥٣١/١. وبلا نسبة في جمهرة اللغة؛ ٤٣٧/٢، والخصائص؛ ١٤/١ و٢١.

(٧) المائدة؛ الآية: ٤٥.

(٨) لم أعثر عليه، في (ك): «قال»: وقد روى البيت في (ك) كما يلي:

أَجْرَاحُ إِنَّكَ قَدْ دُمِيتَ نَوَافِذَاً وَحَدَائِقًا لَيْسَتْ لِهِنَّ جِرَاحُ

وفي (ط): «نوافذاً وجوائقاً»...

٢٩. وَأَيَقِنَ النَّاسُ أَنْ زَارَعَهَا بِالْمَكْرِ فِي قَلْبِهِ سَيَحْصِدُهَا^(١)
 أي: إنما^(٢) مكر به عدوه، ولو واجهه لما قدر عليه^(٣)، وتقديره: أن زارعها في
 قلبه بالمكر^(٤)، ليصف ضرية في وجه الممدوح^(٥).
 ٣٠. أَصْبَحَ حَسْبَادُهُ وَأَنْفُسُهُمْ^(٦) يَحْدُرُهَا^(٧) خَوْفُهُ وَيُصْعِدُهَا^(٨)
 يُقال: حدرت السفينة أحدرها^(٩) وأحدرها حدرًا^(١٠)، فهي^(١١) محدورة. قال بشر^(١٢):
 سَتَحْدُرُنَا عَبَسٌ عَلَيْكُمْ وَعَامَرٌ وَتَرْفَعُكُمْ بِكْرٌ إِلَيْنَا وَتَغْلِبُ
 كذا^(١٣) رواه أبو تمام الراوية^(١٤)، ورواية غيره مخالفة لهذا.

(١) سقط شرح البيت من (ك).

(٢) سقطت من (د).

(٣-٤) سقط من (د).

(٥) زيادة من (د).

(٦) قال ابن المستوفي في النظام: ٤٤٥/٦: «وفي سماعي: وأنفسهم بالرفع، وأنفسهم
 بالنصب، وكلاهما جائز»، وقال الواحدي والبيان: «والواو واو الحال».
 (٧) ضبطها في (ك): «يَحْدُرُهَا»، وكتب فوقها: «معاً، معاً» أي: [يَحْدُرُهَا وَيُحْدِرُهَا]،
 وضبطها الواحدي: «يَحْدُرُهَا» على الرواية الثانية لابن جني، من الفعل الثلاثي،
 وضبطها في معجز أحمد والبيان واليازجي: «يُحْدِرُهَا»، وقال في معجز أحمد: «يَحْدُرُ
 بالفتح أفصح، يُقال: حدرت السفينة أحدرها حدرًا [وهذا كلام ابن جني] فأنحدرت.
 وأحدرت: لغة ضعيفة». وقال ابن المستوفي: «وفي الحاشية: يُقال: أحدرت السفينة، وفي
 غيرها: حدرتها، وهي لغة قليلة».

(٨) سقط شرح البيت من (د).

(٩) ضبطها في (ك): «أحدرها» و«أحدرها» بتقديم وتأخير عن الأصل.

(١٠) سقطت من (ط).

(١١) في (ك) و(ط): «وهي».

(١٢) البيت لبشر بن أبي خازم الأسدي في ديوانه: ٩.

(١٣) في (ك): «هكذا».

(١٤) سقطت من (ك).

٣١. تَبْكِي عَلَى الْأَنْصَلِ الْغَمُودُ إِذَا... أَنْذَرَهَا أَنَّهُ يُجَرِّدُهَا^(١)
تَبْكِي عَلَيْهَا؛ لَأَنَّهُ لَا تَرْجِعُ إِلَيْهَا لِمَقَامِهَا فِي الرِّقَابِ^(٢)، فَلَا تَتَفَكُّ كَذَلِكَ^(٣).
وَالْأَنْصَلُ: جَمْعُ نَصْلٍ. قَالَ أَوْسٌ^(٤):
تُخَيِّرُنْ أَنْصَاءَ وَرُكْبَنَ أَنْصَلٍ كَجَمْرِ الْفَضَا فِي يَوْمِ رِيحِ تَرْيَلَا
٣٢. لَعَلَّمَهَا أَنَّهُ تَصِيرُ دَمًا وَأَنَّهُ فِي الرِّقَابِ يَغْمِدُهَا^(٥)
٣٣. أَطْلَقَهَا فَالْعَدُوُّ مِنْ جَزَعٍ يَذْمُهَا وَالصَّدِيقُ يُحَمِّدُهَا^(٦)
قَوْلُهُ: مَنْ جَزَعٌ: حَشَوٌ، إِلَّا أَنَّهُ مَلِيحٌ، [أَي] ^(٧): إِنَّمَا ذَمَّهَا الْعَدُوُّ جَزَعًا، لَا لَأَنَّهُ
تَسْتَحِقُّ الدَّمَ فِي الْحَقِيقَةِ^(٨). وَقَوْلُهُ: أَطْلَقَهَا [أَي] ^(٩): أَكْثَرَ الضَّرْبِ بِهَا، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ
أَرَادَ: أَطْلَقَ شِفَارَهَا.
٣٤. تَنْقَدِحُ^(١٠) النَّارُ مِنْ مَضَارِبِهَا وَصَبَّ مَاءُ الرِّقَابِ يُخَمِّدُهَا^(١١)
أَي: إِذَا صَارَ السَّيْفُ إِلَى الْأَرْضِ، فَقَدِحَ النَّارُ أَنْصَبَ الدَّمَ عَلَيْهَا، فَأَخَمَدَهَا^(١٢).

- (١) سقط شرح البيت من (ك) إلى قوله: «الأنصل: جمع نصل...».
(٢) سقط ما بعدها من (ب) إلى آخر شرح البيت، ولكنه أضاف: «وطول مفارقتها».
(٣) في (ط) و(د): «كذاك»، وسقط ما بعدها إلى آخر شرح البيت من (د).
(٤) في (ك): «قال أوس». والبيت لأوس بن حجر في ديوانه؛ ٩٠، واللسان (نضا)، وتاج
العروس (نضا)، والمعاني الكبير؛ ٨٨٢/٢ و١٠٦٤. وبلا نسبة في المخصص؛ ٥٠/٦.
(٥) سقط من (ب) الأبيات (٣٢-٣٤). ولم يشرح ابن جني البيت
(٦) سقط شرح البيت من (ك). وسقط شرحه من (د) إلى قوله: «إنما ذمها...».
(٧) زيادة من (ط).
(٨) سقطت: «في الحقيقة» من (د).
(٩) زيادة من (د) و(ط).
(١٠) فوقها في (ك): «خ [أي نسخة]: تقتدح».
(١١) سقط شرح البيت من (ك).
(١٢) بعده في الأصل كلامٌ للوحيد: (ج): «ليس في البيت ما يوجب هذا، ويجوز أن تقتدح النارُ
منها، إذا وقعت على الحديد، وهو أولى من ذلك، (ح) [كذا]: «ماء الرقاب ليس

٣٥. إذا أضلَّ الهمَّامُ مَهْجَتَهُ يوماً فاطرأفهنَّ^(١) تَنَشَّدُهَا^(٢)

أي: إذا فقدَ الهمَّامُ مَهْجَتَهُ، فإنَّما يَسْأَلُ عنها^(٣) أطرافَ هذه السُّيوفِ، لأنَّها مُفَرَّاةٌ بها^(٤). ونَشَدَتْ الضَّالَّةُ: طَلِبْتُهَا، وأنشَدَتْها: [إذا]^(٥) عَرَفْتُهَا^(٦).

٣٦. قد أجمعت هذه الخليفةُ لي أُنْكَ يَا ابنَ النَّبِيِّ أَوْحَدُهَا^(٧)

٣٧. وأُنْكَ^(٨) بِالْأَمْسِ كُنْتَ مُحْتَلِماً شَيْخَ مَعْدٍ وَأَنْتَ أَمْرُدُهَا

باستعارة حسنة. وكتب بعده في (د): «وقد قال الوحيد: لم يرد هذا ولكنه وصفها إلى أنه تُخِيلُ إلى مَنْ تَأْمَلُهَا أَنْ فِيهَا نَارٌ وَأَنَّهُا تَقْدَحُ النَّارَ مِنْ مَضَارِبِهَا إِذَا وَقَعَتْ عَلَى الْبَيْضِ»، وكلام الوحيد الذي في الأصل يغير ما في (د) كما هو واضح.

(١) ضبطها في (ك): «فاطرافهنَّ»، [وذلك بضم الفاء وفتحها]، وكتب فوقها: «معاً».

(٢) ضبطها في (ك) بالتاء المثناة فوقانية والتحتانية، وكتب فوقها «معاً». وضبطها في معجز

أحمد: «تَنَشَّدُهَا»، وقال: «وقد روى أطرافهنَّ، بفتح الفاء، وتَنَشَّدُهَا [ضبطها بكسر الشين، ويجوز ضمها] بالياء وفتحها، وكذلك بالتاء وفتحها، من نَشَدْتُ الضَّالَّةَ، أي: طَلِبْتُهَا، وروى: فاطرأفهنَّ بضم الفاء، وتَنَشَّدُهَا بالتاء وضمها [وهي روايته]، من أنشدت الضَّالَّةَ: إذا عرفتُها. ورواها في الديوان: «فاطرافهنَّ يَنَشَّدُهَا»، وأشار إلى روايات أخرى. وروى الواحدي: «فاطرافهنَّ مَنَشَّدُهَا»، وقال: «ويروى: تَنَشَّدُهَا، أي: أنها تطلبُ نَارَ الملوك، ويروى: تَنَشَّدُهَا، والإنشاد: تعريفُ الضَّالَّةَ، ويروى: فاطرأفهنَّ بالنصب [نصب الفاء] وينشدها، بالياء». ونقل ابن المستوفي روايات الواحدي كاملة، وكذا فعل صاحب التبيان. وضبطها في (ط): «يَنَشَّدُهَا». وسقط شرح البيت من (ك).

(٣) سقطت من (د) و(ب) و(ط).

(٤) في (د): «به».

(٥) زيادة من (د).

(٦) ضبطها في (ط): «عَرَفْتُهَا» من غير تشديد.

(٧) لم يشرح ابن جني هذا البيت، وقد سقط من (ب).

(٨) كتب فوقها في (ك): «خف»، يقصد مخففة، وقال ابن المستوفي في النظام: ٤٥١/٦:

«ويروى: وأنت بالأمس»، وقال في معجز أحمد: «ويروى: وأنت بالأمس، مكان: وأنتك».

وَأَنْتَ، يَرِيدُ [و] ^(١) أَنْتَ ^(٢)، فَأَجْرَى الْمُضْمَرَ مُجْرَى الْمُظْهَرِ ^(٣) فِي نَحْوِ قَوْلِ الشَّاعِرِ ^(٤) :
وَصَدْرُ مَشْرِقِ اللَّيْلِ ^(٥) كَأَنَّ تَدْيِيهَهُ حَقَّ ^(٦) أَنْ

فِيْمَنْ نَصَبَ «التَّيْدِيَيْنِ». و ^(٧) كَذَا قَوْلُ الْآخِرِ ^(٨) :

- (١) زيادة من (ك) و(ب) و(ط) والنظام.
- (٢) ضبطها في (ك) و(د) : «وَأَنْتَ» بكسر الهمزة، والعبارة في (د) : «يُقَالُ: أَنْتَ وَأَنْتَ، بتخفيف النون وتشديدها»، ثم سقط ما بعدها إلى قوله : «وقال بعض العرب : فلو أنك . . . البيت ، وسقط ما عدا ذلك.
- (٣) العبارة في (ب) والنظام : «فأجراه مع المضمر مجراه مع الظاهر»، وفي (ك) : «فأجراه مع المضمر مجراه مع المظهر نحو قوله». وفي (ط) : «فأجراه مع المضمر»، ونحوه قول الشاعر:
- (٤) البيت بلا نسبة في الإنصاف؛ ١٩٧/١، وأوضح المسالك؛ ٣٧٨/١، وتخليص الشواهد؛ ٣٨٩، والجنى الداني؛ ٥٧٥، وخزانة الأدب؛ ٣٩٢/١٠ و٣٩٨ و٣٩٩ و٤٠٠ و٤٤٠، والدُّرَر؛ ١٩٩/٢، وشرح الأشموني؛ ١٤٧/١، وشرح التصريح؛ ١٣٤/١، وشرح شذور الذهب؛ ٣٦٩، وشرح ابن عقيل؛ ١٩٧/١، وشرح قطر الندى؛ ١٥٨، وشرح المفصل؛ ٨/٨٢، والكتاب؛ ١٣٥/٢، و١٤٠، وتحصيل عين الذهب؛ ١/٣٣٠، واللسان (أنس)، والمقاصد النحوية؛ ٢/٣٠٥، والمنصف؛ ٣/١٢٨، وجمع الهوامع؛ ١/٤٥٦. وفي (ط) : «كَأَنَّ تَدْيَاهُ حَقَّان».
- (٥) في (ك) : «النَّحْر»، وفي (ب) : «الفجر».
- (٦) سقط ما بعدها من (ك) إلى قوله : «وفيه قبيح»، وفي (ك) : «هو فيه قبيح».
- (٧) في (ب) : «وكقول الآخر»، وأورد عجز البيت فقط. وفي (ط) : «وكذلك قول الآخر».
- (٨) البيت لعلياء بن أرقم في الأصمعيات؛ ١٥٧، وتاج العروس (قسم)، والدُّرَر؛ ٢/٢٠٠، وشرح التصريح؛ ١/٢٣٤، والمقاصد النحوية؛ ٤/٣٨٤، ولأرقم بن علياء في شرح أبيات سيويه؛ ١/٥٢٥، ولزيد بن أرقم في الإنصاف؛ ١/٢٠٢، ولعقب بن أرقم في اللسان (قسم)، ولباغت بن صريم اليشكري في تخليص الشواهد؛ ٣٩٠، وشرح المفصل؛ ٨/٨٣، والكتاب؛ ٢/١٣٤، وله أول لعلياء بن أرقم في المقاصد النحوية؛ ٢/٣٠١، ولأحدهما أو لأرقم بن علياء في شرح شواهد المغني؛ ١/١١١، وشرح أبيات مغني الليب؛

ويوماً تُوافينا بوجهٍ مُقسَّمٍ كَأَنَّ ظِبِيَّةً تَعطو إلى نَاضِرٍ^(١) السَّلَمِ

فَيَمْنِ نَصَبَ «الطَّبِيَّةِ»، وفيه قُبْحٌ؛ لأنَّ الإضممارَ يردُّ الأشياءَ إلى أصولها في أكثرِ الأمرِ^(٢)، والأصلُ تثقيلُ النُّونِ، إلَّا أنَّه قد جاء مثله^(٣) في ضرورةِ الشعرِ^(٤)، وهو على كلِّ حالٍ قبيحٌ^(٥). قال الشاعر^(٦):

فلو أنَّك في يومِ الرِّخاءِ سألَتي فِرَاقَكَ لَمْ أَبْخَلْ وَأَنْتِ صَدِيقُ^(٧)

١٥٨/١، ولأحدهما أو لراشد بن شهاب الشكري أو لابن أصرم الشكري في خزنة الأدب؛ ٤١١/١٠. وبلا نسبة في أوضح المسالك؛ ٣٧٧/١، وجواهر الأدب؛ ١٩٧، والإعراب؛ ٦٨٣/٢، وسمط اللآلي؛ ٨٢٩، وشرح الأشموني؛ ١٤٧/١، وشرح عمدة الحافظ؛ ٢٤١ و ٣٣١، وشرح قطر الندى؛ ١٥٧، والكتاب؛ ١٦٥/٣، وتحصيل عين الذهب؛ ٣٢٩/١، والمحتسب؛ ٣٠٨/١، ومغني اللبيب؛ ٣٣/١، والمقرب؛ ١١١/٢ و ٢٠٤، وانظر البغدادي في الخزانة وشرح أبيات المغني في الحديث حول البيت.

(١) كذا في الأصل. وفي (ط) والمصادر: «وارق».

(٢) زيادة من (ك) و(ب) و(ط) والنظام.

(٣) سقطت من (ب).

(٤) سقط ما بعدها من (ب) إلى قوله: «أي: بالأمس كنت...».

(٥) في النظام: «ضعيف».

(٦) البيت بلا نسبة في الأزهية؛ ٦٢، والأشباه والنظائر؛ ٢٣٨/٥ و ٢٦٢، والإنصاف؛

٢٠٥/١، والجنى الداني؛ ٢١٨، وخزانة الأدب؛ ٢٤٦/٥ و ٤٢٧ و ٣٨١/١٠ و ٣٨٢،

والدرر؛ ١٨٩/٢، ووصف المباني؛ ١٩٧، وشرح الأشموني؛ ١٤٦/١، وشرح شواهد

المغني؛ ١٠٥/١، وشرح أبيات مغني اللبيب؛ ١٤٧/١، وشرح ابن عقيل؛ ١٩٣/١،

وشرح المفصل؛ ٧١/٨، واللسان (حرر) و(صدق) و(أنن)، ومغني اللبيب؛ ٣١/١،

والمقاصد النحوية؛ ٣١١/١، والمنصف؛ ١٢٨/٣، وجمع الهوامع؛ ٤٥٥/١، وتاج

العروس (حرر) و(أنن). وروايته في المصادر:

فلو أنَّك في يومِ الرِّخاءِ سألَتي طَلاقَكَ لَمْ أَبْخَلْ وَأَنْتِ صَدِيقُ

وسقطت كلمة «الشاعر» من (ط).

(٧) سقط ما بعده من (ك)، ويعدّه في الأصل كلاماً للوحيد جاء فيه (ح): «أعمل، على أنَّه لا

أي: بالأمس كنت، في حال احتلامك ومروءتك^(١)، شيخ معد، فكيف بك اليوم^(٢) مع علو السن والحكمة^(٣)؟ ونصب «مُحتلماً» على الحال، ونصب «شيخ معد» لأنه خبر «كنت».

٣٨. فكم^(٤) وكم نعمة^(٥) مجللة^(٦) ربيتها^(٧) كان منك مؤيدها^(٨)

يجوز له فكيف يستحسن إدخال مثل هذا في شعره؟ لا لفظة حسنة ولا عذبة، ولا جائزة، وليس يقع في مثل هذا متمكن من عنان الخلق في الشعر، وهلاً لما علم فبحه بعد أن كبير أصلحه بلفظ غيره، فما استبقاه إلا وهو عنده حسن جميل، ثم كتب بعده: «رجع».

(١) في (ب): «مروءتك».

(٢-٤) سقط من (ب).

(٤) في (ب): «وكم وكم»، وكذا رواه الواحدي واليازجي.

(٥) ضبط في (ك) و(ط): «نعمة مجللة» بالكسر والفتح، وكبت فوق كل منهما: «معاً».

وقال في معجز أحمد: «جوز في نعمة الفتح على الاستفهام والجر على الخبر، وهو أجود؛ لأنه أدل على الكثرة». وقال الواحدي: «الوجه أنه أراد «بكم» الخبر عن كثرة ماله من النعم عنده، وإن أراد الاستفهام لم يجز في نعمة إلا النصب». وقال في التبيان: «نعمة، رويت نصباً وجرّاً، فمن نصب أراد الاستفهام، ومن جرّ أراد الخبر، وهو الأولى، لأنه أراد الإخبار عن كثرة ماله»، وهذا يوافق كلام المعري والواحدي.

(٦) ضبطها في الأصل «مجللة» بكسر اللام الأولى، وفي (ك) و(د) وسائر المصادر: «مجللة»، بفتح اللام الأولى، وقال في معجز أحمد: ومجللة؛ بفتح اللام على معنى مبهمة ومعظمة [وكذا فسرّها الواحدي وغيره]، أو محكوم لها بالجلال، وبكسرهما على معنى أنها تنسب إلى الجلال والتعظيم، فهي مجللة، وقال ابن المستوفي: «ويروى: مجللة، بكسر اللام وفتحها، فالكسر أي شاملة، والفتح أي معظمة».

(٧) في (د): «ربيتها» بضم التاء وفتحها، وكبت فوقها «معاً». وفي (ك): «ربيتها»، بضم التاء، وقال في النظام: ٤٥٤/٦: «وفي نسختي وسماعي: ربيتها، على الإخبار، أي: أتميتها بالشكر ولم أضعها، روى الواحدي وغيره: ربيتها، على الخطاب». وقال في معجز أحمد: ٣٦/١: «وقد روى ربيتها، بضم التاء، والمعنى على هذا: أني شكرتها فاستوجب لها المزيد، فكتت كالمرئي لها».

(٨) سقط شرح البيت من (د) و(ب)؛ إلى قوله: «فإذا كان ممن يقدر...». وسبق الكلام في

(ب) بعبارة: «يريد فكم نعمة».

كان يُنشدُ بنصب «النعمة» وجزها، وكلاهما جائزٌ ومعناه: فكم^(١) نعمة، وكم نعمة^(٢) وإن كان ممن يُقدَّرُ أنه حذف الأولى^(٣)، واكتفى بالثانية، فالجر أقوى^(٤)، لأن «نعمة» قد وليت «كم» الجارة، ويجوز أيضاً على هذا النصب، وإن كان ممن يُقدَّرُ أنه حذف النعمة الثانية^(٥) وقدمكم الثانية^(٦)، ففصل بها بين النعمة الثانية^(٧) وبينكم^(٨) الأولى، فالوجه النصب للفصل، وقد يجوز الجر^(٩)، وهذان التقديران قد ذهب إليهما في قول الأعشى^(١٠):

إلا بداهة أو علالة
لـ سابح نهـد الجزارة

إلا أنه لا يجوز في «سابح» إلا الجر^(١١)، وهذا بابٌ طويلٌ، فأنتكَبُ استقصاء^(١٢)، وهذا كله على^(١٣) أنه أراد «بكم» الخير، وهو الوجه، فإن^(١٤) أراد الاستفهام لم يجز^(١٥) في «نعمة»^(١٦) إلا النصب^(١٧)، ومعناه: إنك بررتني، فزكا^(١٨) برك لدي.

- (١) في (ط): «وكم».
- (٢) في (د) و(ط): «إن».
- (٣) في (د): «كم» الأولى.
- (٤) كررها في (ك) ثلاث مرّات سهواً.
- (٥) ما بين القوسين زيادة من (ك) و(د) و(ب) و(ط) والنظام، وفي (ك): «فإن».
- (٦) زيادة من (ك) و(د) و(ب) و(ط) والنظام.
- (٧) سقطت من (ك) و(د) و(ب) و(ط).
- (٨) زيادة من (ك) و(د) و(ب) و(ط) والنظام.
- (٩) سقط ما بعدها من (د) إلى آخر شرح البيت، ومن (ب) إلى قوله: «وهذا كله على أنه أراد...».
- (١٠) البيت في (ك): «إلا علالة أو بداهة قارح نهـد الجزارة»، وسبق تخريجه ص ٦٠١.
- (١١-١٢) سقط من (ك).
- (١٣) سقطت من (ط).
- (١٤) في (ك) و(ب) و(ط): «وإن».
- (١٥) في (ك): «لم يجب».
- (١٦) سقطت من (ك): «في نعمة».
- (١٧) سقط ما بعدها من (ك) إلى آخر شرح البيت.
- (١٨) رسمها في الأصل: «فزكى»، والصواب من (ب) و(ط). وعبرة (ب): «فزكا عندي برك».

٣٩. كَمْ وَكَمْ حَاجَةٌ^(١) سَمَحَتْ بِهَا أَقْرَبُ مِنِّي إِلَيَّ مَوْعِدُهَا^(٢)

لك^(٣) في «حاجة» أيضاً النَّصْبُ والجَرُّ مثلُ الأوَّل^(٤)، وقوله: أَقْرَبُ مِنِّي إِلَيَّ مَوْعِدُهَا، كأنَّه^(٥) من كَلَامِ أَهْلِ التَّصَوُّفِ^(٦)، وله في شعره أشياء مثل^(٧) هذا، وهذا يدلُّك على أنَّه كان متصرفاً في أفانين الكلام مقتدراً على وجوهه المختلفة، ويريد قرب وعده من الإنجاز وقصر عمر الموعد. أخبرنا أحمد بن محمد بن محمد أبو سهيل، قال: حدثنا محمد بن يونس، قال حدثنا الأصمعي، قال: سمعت أعرابياً يقول: عِدَّةُ الكَرِيمِ نَقْدٌ وَتَعْجِيلٌ، وَعِدَّةُ اللَّئِيمِ مَطْلٌ وَتَعْلِيلٌ^(٨).

٤٠. وَمَكْرُمَاتٍ مَشَتْ عَلَى قَدَمِ الْـ بِرَّ إِلَى مَنَزَلِي تُرَدُّدُهَا^(٩)

(١) ضبطها في (ك) بالفتح والكسر، وكتب فوقها: «معاً».

(٢) سقط شرح البيت من (د).

(٣) في (ك): «ولك»، وعبرة النظام: «لك في «حاجة» النَّصْبُ والجَفْضُ».

(٤) سقطت «مثل الأول» من (ك) و(ب).

(٥) سقطت «موعداً كأنه» من (ك)، وسقطت «كأنه» من (ط).

(٦) في (ب) والنظام: «كأنه كلام الصُّوفِيَّةِ». وسقط ما بعدها من (ب) إلى آخر القصيدة. إلا

عبرة: «ويريد قرب وعده من الإنجاز»، ومن (ك) إلى قوله: «قال حدثنا الأصمعي...».

(٧) في النظام و(ط): «من».

(٨) في (ك) و(ط)، وتسويق، وبعده في الأصل كلام للوحيد: (ح): «قد كان المتنبّي صاحب

التصوّفة بالشام، وكان عند رئيس منهم بالسّاحل، وقد تقدّم القول: إنَّ الشّعْرَ لا يحسنُ فيه

كلامُ التصوّفة وكلامُ الطبِّ والفلاسفة ولا كلامُ المتكلِّمين ولا الفقهاء، فإنَّ لكلَّ طبقة من

هذه الطبقات عبارة، والشّعْرُ لا يحسنُ إلّا في الأساليب التي أتت بها العربُ وبألفاظها،

وبحسبك أن ذكر الدين والقصص يضعفُ الشّعْرَ، وإنّما تتبعُ فيه العربُ، وأمّا قوله: إنَّه كان

عارفاً بوجوه الكلام ومتصرفاً في فنونه، فيجوز أن يكون. وليس كلُّ ما تعلّمه الإنسان من

الكلام يحشّو به شعره، أرايت لو تعلّم الإنسان كلام الزّنج والترك حتّى يهر فيه، أكان

يُحسن أن يحشّو به الشّعْرَ؟ هذا قولُ بعتة عليه الهوى والعصبيّة».

(٩) ضبطها في (ك): «تُرَدُّدُهَا»، وكتب فوقها: «معاً»، أي: «تُرَدُّدُهَا» و«تُرَدُّدُهَا»، الأولى فعل

والثانية مصدر. وقال في معجز أحمد: «وروى: تُرَدُّدُهَا، وتُرَدُّدُهَا، فالأول خبر والثاني

قوله^(١): على قَدَمِ البرِّ، استعارة في غاية الظَّرْفِ^(٢)، فبهذه^(٣) اللَّفْظَةِ ونحوها
 [ينبغي أن] ^(٤)يُحْتَجَّ [بها] على من عاند^(٥) فضله، وزعم أنه لم يكن مطبوعاً، وأراد
 به المكرمات، هنا^(٦) ثياباً كان^(٧) أنفذها إليه، ألا ترى إلى قوله بعد^(٨)؟
 ٤١. أقرُّ جُلندي بها عليّ فما^(٩) أقدرُ حتَّى المماتِ أجحدها^(١٠)
 ٤٢. فعُدَّ بها لا عدمتها أبداً خيرُ صِلاتٍ^(١١) الكريمِ أعوذُها



-
- مصدر، والمنعني واحدٌ. وقال الواحدي: «ويروى: تَرَدُّدُهَا على المصدر». وكذا قال
 صاحبُ التبيان. وقد سقط شرح البيت من (ك).
 (١) سقطت من (د).
 (٢) سقط ما بعدها من (د) إلى قوله: «وأرادَ بالمكرمات...»
 (٣) في النظام: «وبهذه». وفي (ط): «وهذه».
 (٤) زيادة من (ط).
 (٥) زيادة من (ط).
 (٦) في النظام: «يُعاند».
 (٧) سقطت من (د). وعبارة (د): «ثياباً أهداها إليه».
 (٨) سقطت من (ط).
 (٩) بعده في الأصل كلامٌ للوحيد: (ح): «إن احتججنا إلى مُعاندته بهذه احتجَّ علينا بتلك،
 وتلك عددٌ كثيرٌ، وأما مطبوعٌ، فلا يُقالُ لمثله، لأنَّه يستعملُ الوحشيَّ من الكلام».
 (١٠) رواها الواحدي والتبيان: «فلا».
 (١١) لم يشرح ابن جني البيت ولا البيت الذي بعده.
 (١٢) رواية الأصل «هبات»، وفي (ك) و(د) و(ط) وسائر المصادر: «صلات»، ولم يُشر أحد
 إلى رواية أخرى. فأثبتنا ما في المصادر.

٢

ابوالعلاء المعري

(ت ٤٤٩)

قال ابو العلاء المعري (ت ٤٤٩):

وقال بمدح محمد بن عبيد الله العلوي^(١):

١ - أَهْلًا بِدَارِ سَبَّاكَ أَغِيدُهَا أَبْعَدَ مَا بَانَ عَنْكَ خُرْدُهَا

«الأغيد»: النَّاعِمُ البدن، وجمعه غيدٌ وأراد هاهنا، جارية، وذكر

(١) سورة الفرقان ٣١/٢٥.

(٢) ق. شو: «بعض الشعراء».

(٣) نسب إلى حسان بن ثابت في الواحدى ٥ والتبيان ١٨٠/٣ و ١٨٧/٤.

(٤) وذلك في أول قصيدة مدح بها كافورًا لإخشيدي. ديوانه ٤٣٩ والمذكور صدر بيت وعجزه:

وحسب الملبأ أن يكن أمانيا

(٥) في ط وب والواحدى: «على التمييز» وفي سائر النسخ: «على أنه مفعول ثان».

(٦) ق. خ: «ابن عبد الله» والتصويب من سائر النسخ والتبيان والواحدى والنظام، وقد ذكر في نسخة طلعت أن ذلك سنة ٣١٠ هـ. أنما فلم تذكر هذه المقدمة وفيها «وقال أيضًا» ويرى الأستاذ محمود شاكر مجتهدًا أن ذلك كان سنة ٣١٨ هـ. ولعله أقرب إلى الصواب. انظر هامش كتابه المتنبي ٢٧/١ ويذكر صاحب التبيان ٣٠٧/١ أن محمد بن عبيد الله هذا المملوح قد وقع قوميًا من العرب بظاهر الكوفة. وهو شاب دون العشرين سنة، فقتل منهم جماعة وجرح في جبهته. فكسبه الضربة التي في جبهته حسنًا. يقول: «وقد سمعته عن جماعة من مشيخة بلدنا» ويذكر شارحنا عندما تناول شرح البيت رقم ٢٦ من هذه القصيدة: أن المملوح أصيب في وجهه عند غزو الكفار. وقد ذكر في هامش ع والواحدى قبل هذه القطعة بيتان لم يذكر في سائر النسخ. وهما في الواحدى وع: وقال في صباه ارتجالاً: =

اللفظ ، لأنه عني الشخص ، و«الحرد» جمع الخريدة وهي : البكر التي لم تمس . ويقال أيضا : حرد بالتخفيف ، وفي قوله : «أبعد» أوجه وروايات ، والذي عليه أكثر الناس الاستفهام . وفيه ضربان من الفساد : أحدهما في اللفظ والثاني في المعنى ، والذي في اللفظ من الفساد هو : أن تمام الكلام يتعلق بالبيت الذي بعده . وذلك عيب عند الرواة يسمونه [المضمن و] المبتور ، ومثله :

لَا صَلَحَ بَيْنِي فَأَعْلَمُوهُ وَلَا بَيْنَكُمْ مَا حَمَلْتُ عَاتِقِي
سَيِّئِي وَمَا كُنَّا بَنَجْدَ وَمَا قَرَّرَ قُمْرُ الْوَادِ بِالشَّاهِقِ^(١)

والضرب الثاني من الفساد : في المعنى ، وهو أنه إذا قال : أبعد فراقهم بهم ونغزن ؟ كان^(٢) محالاً من الكلام . والرواية الصحيحة : «أبعد ما بان»^(٣) بضم الدال .

يقول : أبعد شيء فارقك جوارى هذه الدار . وروى قوم ، أبعد ما بان^(٣)

١ - بأي من وودته فأقرقنا وقضى الله بعد ذلك اجتماعا
هذه الباء تسمى : «باء التعلية» . يقول : فداء بأي من وودته . أي جعل فداء له ، ونقول :
نفسى أنت وبروحى أنت . وهو كثير في كلامهم .

٢ - وأقرقنا حولاً فلما اجتمعنا كان تسليمه عليّ وداعاً
يقول : كان تسليمه على عند الالتقاء توديعاً لفراق ثاني ، والدواع : اسم بمعنى التوديع ، يقال : ودعته
توديعاً ودواعاً ، وهذا المعنى من قول الآخر :

بأي وأمي زائر متنعّم لم يخف ضوء البدر تحت قناعه
لم استتر عناق له ليلقائه حتى ابتدأت عناق له لدواعه .

وأثبت محقق الديوان هذين البيتين في زيادات الديوان ص ٥٢٦ وقد ذكر أيضاً في التبيان ٢٧٩/٢
شرح يقرب جداً من شرح الواحلي لما : الواحدى ٦ : «وقال أيضاً في صباه بمدح محمد بن عبد الله
العلوى» التبيان ٢٩٤/٢ : «وقال في صباه بمدح محمد بن عبيد الله العلوى» الديوان ٢ : «وله أيضاً في
صباه بمدح أبا الحسن محمد بن عبد الله العلوى»

(١) البيتان لأنى عامر جد العباس بن مرداس . انظرهما مع مصادر أخرى في كتاب : «المذكر
والمؤنث» لأنى موسى الخالص يتحقق الدكتور رمضان عبد التواب .

(٢) ق : «كان» ساقطة . (٣) ق : «ما بان» مهمله .

بفتح الدال . على أنه حال من «الأغيد» والعامل في الحال «سباك» أى : سباك
أغيدها أبعد ما بان عنك . و «خردها» بدل من «الأغيد»^(١) وهذا من العجب .
أى أن السانى يسبى وهو بعيد .

ومعناه أنه أسرك بحبه . وهو على البعد منك . وانتصب «أهلاً» بفعل
مضمر^(٢) تقديره : جعل الله تعالى أهلاً بتلك الدار ؛ لتكون مأهولة ؛ أى ذات
أهل ؛ وإنما تكون مأهولة إذا سقيت الغيث فأنبت الكلاً ، فيعود إليها أهلها . وهو
في الحقيقة دعاء لها بالسقيا .

٢ - ظَلَّتْ بِهَا تَنْطَوِي عَلَى كَبِدٍ نَضِيجَةٍ فَوْقَ خَلِيهَا يَدُهَا
يريد ظَلَّتْ ، فحذف أحد اللامين تخفيفاً كقوله تعالى : (فَظَلَّتُمْ
تَفَكُّهُنَّ)^(٣) .

يقول : ظَلَّتْ بتلك الدار تنثني على كبدي واضعاً يدك فوق خليها ، والمخزون
يفعل ذلك كثيراً لما يجد في قلبه^(٤) من حرارة الوجد يخاف على كبده أن ينشق ،
وهذا كما قال غيره^(٥) :

عَشِيَّةً أَتْنِي الْبُرْدَ ثُمَّ الْوُثَّةَ عَلَى كَبِدِي مِنْ خَشْيَةٍ أَنْ تَصْدَعَا^(٦)

(١) الواحدى : « وخردها بدل من الأغيد » لم تذكر .

(٢) في الواحدى : « وانتصب أهلاً بمضمر » .

(٣) سورة الواقعة ٦٥/٥٦ .

(٤) في الواحدى وطلعت : « في كبده » .

(٥) ق : « كقول بعضهم » .

(٦) في النسخ : « أن تقطعا » وفي الواحدى والبيان ودلائل الإعجاز « أن تصدعا »

وقد نسب إلى الصمة القشيري ، وهو شاعر إسلامي بدوى من شعراء الدولة الأموية .

وفي مختار الأغاني ذكر البيت ضمن أبيات أربعة منسوبة إلى مجنون ليلى ، بهذه الرواية .

وأذكر أيام الحمى ثم أنتنى على كبدي من خشية أن تصدعا

وقال آخر :

لَمَّا رَأَوْهُمْ لَمْ يُحْسُوا مَدْرَكًا وَضَعُوا أُنَامِلَهُمْ عَلَى الْأَكْبَادِ^(١)

والانطواء كالانثناء ، والنضج لليد ، ولكن جرى نعتاً للكيد في الإعراب لإضافة اليد إليها كقوله تعالى : (مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا)^(٢) فإن الظلم للأهل ، وجرى [٢ - ب] صفة للقربة .

والمعنى : التي ظلم أهلها ، وهذا كما تقول مررت بامرأة كريمة جاريتها ، نصفها بكرم الجارية ، وجعل اليد نضيجة لأنه أدام وضعها على الكيد فأنضجت بما فيها من الحرارة ، ولهذا جاز إضافتها إلى الكيد ، والعرب تسمى الشيء باسم الشيء^(٣) إذا طالت صحبته إياه كقولهم لقضاء الدار : العذرة ، وللمطمئن من الأرض : الغائط^(٤) . وإذا جاز تسميته باسم ما يصحبه^(٥) كانت الإضافة أهون ولطول وضع يده^(٦) على الكيد أضافها إليه ، كأنها للكيد لما لم تر إلا عليها ، والحلب : غشاء للكيد رقيق لاصق بها^(٧) ، وارتفع « يدها » بنضيجة ، وهو اسم فاعل يعمل عمل الفعل كما تقول : مررت بامرأة كريمة جاريتها ، ويجوز أن تكون النضيجة من صفة الكيد ، فيم الكلام^(٨) ثم ذكر وضع اليد على الكيد ، والاول أول .

٣- يَا حَادِيْنِيْ عِيْرَهَا وَأَحْسِنِيْ أُوجِدُ مَيْتًا قَبِيْلَ أَفْقِدُهَا

(١) في الواحدي والبيان غير منسوب .

(٢) سورة النساء ٧٥/٤ .

(٣) الواحدي : « تسمى الشيء باسم غيره » .

(٤) ع واوب : « وللبطن : الغائط » .

(٥) ق : « باسم ما يتضح به » .

(٦) ق : « اليد » .

(٧) في اوع : « لاذق » وفي سائر النسخ « وقيق لاذب بها » .

(٨) ق : « وتم الكلام » .

روى (١) : «عيرها» و«عيسها» وهي أحسنها (٢) لأن العير : هي التي تحمل النساء ، والعيس : هي الإبل البيض التي تملو بياضها شقرة (٣) : والماء في «عيرها» للمحبة «وأحسبني» : أى أظننى ، والفقد : العدم ، وقوله : أفقدها ، الأصل فيه النصب ؛ لأنه أراد : قُبِلَ أن أفقدها ، إلا أنه حذف (أن) ورد الكلام إلى أصله وهو الرفع ؛ لأن العامل فيه غير مظهر .

يخاطب حاديبي العير التي كانت محبوبته في جملة ركبهما ، ويسألها أن يقفا عليه بالإبل (٤) ليستمتع بالنظر إليها ، لما ذكره في قوله : «قفا» (٥) ، ثم قال : «وأحسبني» . أى وإن التمس من الحادين وقوفهما بهذه المرأة على أن تزود منها بالنظر ، فأنى أظن أنى أوجد ميتاً قبل أن تغيب هذه المرأة ، فلا يكون في النظر إليها طائل ، وإنما صغر فقال : «قبيل» لينبه (٦) على أن موته إنما يحصل حال الفراق وقبله بوقت يسير ، وهو الوقت الذى يتحقق الفراق فيه ، وإن ما قبلهما هي حالة الوصال ولا يليق به الموت ، وقوله : «يا حاديبي» أراد به السائق والقائد ، والحادى : اسم السائق ، لكنه سمّاها باسم واحد للجمع بينهما تلياً لأحدهما على الآخر ، وفي ذلك إخبار عن عظم حال هذه المرأة الجليلة وأن لها قائداً (٧) يأخذ بزمام المطية ، وسائقاً يسوقها ، ويحتمل أن يكونا حادين على الحقيقة .

٤ - قفا قليلاً بها على فلا أقل من نظرة أزودها

(١) اعتباراً من أول شرح هذا البيت رقم ٣ يبدأ شرح المعرى وقد رتبا المفقود من نسخة الشارح الذى نقله الناسخ الأول أو تصرف فيه من الواحدى مقدار ورقة واحدة ذات وجهين . هذا غير المقدمة التى فى نسخة ميونخ .

(٢) ق ، خ : «أحسنها» مكانها بياض .

(٣) ق ، خ : «شقرة» ساقطة .

(٤) ق ، خ : «أن يقفا على الإبل» .

(٥) فى البيت الآتى رقم ٤ .

(٦) ع : «ليين» وب «ليدل» .

(٧) ع : «هى التى لها قائد» .

« قَلِيلًا » : منصوب ؛ لأنه صفة لظرف محذوف . أراد : زماناً قليلاً ، أو لأنه صفة لمصدر الفعل الذى هو « قفا » أراد : وقوفاً قليلاً . وقوله : « فَلَا أَقْلُ » ويروى بالنصب وهو الوجه ^(١) ؛ لأن « لَّا » بينى الاسم بعده على الفتح إذا كان نكرة ، و « أَقْل » نكرة ، وقد روى بالرفع على معنى (لَيْسَ) وقوله : « قفا » يتعلّق بقوله : « يا حادِيَّ عِيْرَهَا » والماء فى « بها » يحتمل أن تكون للإبل وأن [٣ - ١] تكون للمرأة .

يخاطب الحاديّين فيقول : قفا بهذه المرأة على لأتزوّد منها بالنظر إليها ، وإن كان ذلك الوقوف قليلاً ، ثم قال إن لم آخذ منها الاستمتاع وطول الملازمة واستدامة الملاقاة ^(٢) فلا أقْل من نظرة أزودها : أى إني أجعلها زادى . ويروى : « أزودها » أى يجعل تلك النظرة زادى بعد مفارقتى إياها ومثله للآخر ^(٣) :

أَلَمَّا عَلَى الدَّارِ الَّتِي لَوْ وَجَدْتَهَا بِهَا
أَهْلَهَا مَا كَانَ وَحْشًا مَقِيلُهَا
وَأِنْ لَّمْ يَكُنْ إِلَّا مُعْرَجَ سَاعَةٍ
قَلِيلٌ ، فَإِنِّي نَافِعٌ لِي قَلِيلُهَا ^(٤)

وقال الآخر ^(٥) :

قَلِيلٌ مِنْكَ يَكْفِينِي وَلَكِنْ قَلِيلُكَ لَا يُقَالُ لَهُ : قَلِيلٌ ^(٦)

(١) ١ : « الأوجه » . (٢) ق : « إن لم آخذ ... الملاقاة » ساقط .

(٣) ق : « قولاً بعض الشعراء » .

(٤) لذى الرمة فى ديوانه ٥٥٠ وفيه « إلا نعلل ساعة قليلاً » وأمالى القائل ٢١٦/٣ « إلا معرس ساعة

قليل » وفى مصارع العشاق ١٣١/١ والبيان ٢٩٦/١ « تخرج ... قليلاً » وفى شرح الرقوق « معرج ...

قليلاً » وكذا فى معاهد التنصيص ٢٥٨/٣ والحامسة ٥٩٠ لم ينسب وفى نسخى ١ وع « قليلاً » .

(٥) ق : « والآخر » .

(٦) نسب إلى أبى نصر الليكلى فى معاهد التنصيص ٢٥٩/٣ وغير منسوب فى الإبانة عن سرقات

للتبى ٣٦ وبصائر ذوى التميز/ ٣٠٧ ومعنى اللب لابن هشام وشرحه للسيوطى ١٠٧ و ٦٧٥ .

٥ - فَنَفَى فَوَادِي الْمُحِبِّ نَارُ هَوَى أَحَرَّ نَارِ الْجَحِيمِ أَيْرُدُهَا

« المحب » أراد به نفسه ، والكناية في « أيردها » لنار الهوى ، وكأن هذا البيت عِلَّةٌ في سؤاله الحاديين الوقوف بالمحبوبة .

يقول : إن في فَوَادِي نَاراً^(١) من هَوَايَ إِيَّاهَا ، والجحيم في جنبها أيردها ، يعني أن أيرد^(٢) نار الهوى مثل أَحَرَّ نَارِ الْجَحِيمِ ؛ وقصد بذلك تعظيم الهوى ، وقد ورد الخبر بأن نار جهنم تزيد على نار الدنيا بسبعين درجة ، فإذا كان أيرد هذه النار تزيد على أَحَرَّ^(٣) تلك ، فلا مبالغة فوقه .

٦ - شَابَ مِنْ الْهَجَرِ فَرْقٌ لِمَتِهِ فَصَارَ مِثْلَ الدَّمَقْسِ أَسْوَدُهَا

الفرق : موضع الفرق هاهنا ، وفرق الرأس : وسطه ، واللَّمة : ما أُلِمَّ بالمتك من الشعر ، والدَّمَقْسُ : الحرير ، أو الإبريسم الأبيض . وأسودها : ليس المراد به المبالغة^(٤) التي هي أفعل من كذا ، وهو الأشد سواداً ، وإنما أراد به الاسم أى مَسْوَدُهَا ، يعني^(٥) اللَّمة .

يقول : شاب شعر رأسي من ألم الفراق ! لا من الكبر في السن ، حتى إن الشعر الأسود صار كالحرير الأبيض . وإنما خص موضع الفرق ؛ لأن ذلك في مقدم الرأس ، والعرب تزعم أن ابتداء الشيب إذا كان منه كان فيه دلالة الكرم ، وإذا كان من جهة القفا كان فيه دلالة اللؤم ، وهذا البيت مثل قول الآخر^(٦) :

وَمَا شَابَ رَأْسِي مِنْ سِنِينَ تَتَابَعَتْ عَلَى وَلَكِنْ شَيَّيْنِي الْوَقَائِعُ

(١) ق : « في فَوَادِي نَارٍ » لاسقاط « إن » .

(٢) ق : « يعني أيرد » .

(٣) ١ : « حَرَّ » .

(٤) ق : « وليس فيه المبالغة » .

(٥) ع وا : « يعني » مهمل .

(٦) ق : « بعضهم » .

والأصل فيه قوله تعالى : (يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا) ^(١) .

٧- بانوا بخرعوبة لما كفل يكاد عند القيام يقعدھا

الضمير في قوله : «بانوا» لأصحاب العير ، أو الحداة ، والخرعوبة : الجارية الناعمة الجسم ، اللينة العصب ، الطويلة .

يقول : بانوا بجارية خرعوبة ^(٢) عظيمة العجز ، حتى إنها من كبر كفلها يقرب كفلها عند القيام من أن يقعدھا ويلقيها . ومثله لأي العتاهية ^(٣) قوله :

بَدَتْ بَيْنَ حُورٍ قِصَارِ الْخَطَا تُجَاهِدُ بِالْمَشَى أَكْفَالُهَا ^(٤)

٨- رَبِحَلَةُ أَمِيرٍ مُقْبِلُهَا سِنْحَلَةُ أَيْضُ مُجَرَّدُهَا

الرَّحَلَةُ : الضَّخْمَةُ الحَسَنَةُ الخَلْقُ ، والسَّيْلَةُ : الطَّوِيلَةُ العَظِيمَةُ . وقيل : السَّيْنَةُ اللَّحِيمَةُ . ومُقْبِلُهَا : أراد به ^(٥) شَفِئَهَا ، لأنها موضع القبلة في الغالب ، ويستحسن فيها السَّمَرَةُ ، وقيل : أراد وجهها وسَوَافُهَا ، لأن ذلك مما يقصد بالقبلة كالشفة ، ويكون وصف ذلك بالسَّمَرَةِ تَبْهِيًا على أنها عربية ؛ لأنها الغالبة على العرب ، وهي أحب ألوان النساء عندهم ، والمجرَّد : قيل أراد به سائر بدنها ، والمستحسن فيه البياض . وقيل : أراد به ما جرت العادة بتجريد في الغالب : كالوجه ، والعتق واليد والرجل . فيكون قد وصف جملة البشرة بالبياض ،

(١) سورة الزمل ١٧/٧٣ .

(٢) ق : «خرعوبة» مهمله .

(٣) اسمه : إسماعيل بن القاسم . وأبو العتاهية : كنية غلبت عليه . لأنه كان يحب الشهرة والمجون . فكنى لعتبه بذلك : ويرمى بالزندقة مع كثرة أشعاره في الزهد والمواظ . له ترجمة في طبقات ابن المعتز ٢٢٨ ومعاهد التنخيص ٢٨٥/٢ والأغاني ٣/١٢٦ و١٨٣ وابن خلكان ١/١٢٥ - ١٣٠ ومختار الأغاني ٧/١ .

(٤) أبو العتاهية أشعاره وأخباره ٦٦٢ والرواية فيه «مشت بين حور... تجاهد في المشى» والوساطة ٣١٩ ومهذب الأغاني ٤٦/٥ ومختار الأغاني ١٥/١ «مشت بين حور... تجاذب في المشى» .

(٥) ق : «بها» .

والغرض وصف المرأة بأنواع الحسن ، ليعذر في حبه لها وشغفه بها .
ويحوز في «سبحلة» و«رجلة» الجر عطفاً على «خرعوبة» والرفع على أنه خير
ابتداءً محذوف فكأنه قال : هي رجلة وهي سبحلة .

٩- يَاعَاذِلُ الْعَاشِقِينَ دَعْ فِتْنَةً أَضَلَّهَا اللَّهُ كَيْفَ تُرْشِدُهَا ؟
الفِتْنَةُ : الجماعة ، وأراد بها العشاق . وقوله : أَضَلَّهَا اللَّهُ : أغراها بالضلال ،
ووجدتها ضالة ، والظاهر أنه متعدى «ضَلَّ»^(١) والمعنى : أنها هَمَّت بالضلال
فأضلها الله ، والإرشاد : ضده^(٢) .

يقول: دعهم عن العذل على العشق ، فإن التماذى فيه ليس منهم ، حتى ينفع
عذلك فيهم ، إنما هو من الله تعالى ، أضلهم بالعشق عن سبيل السَّلوَةِ ، فكيف
ترشدكم إليها ؟ ! أو أوجدكم ضالين^(٣) عن سبيل الرشاد والسلو .

١٠- لَيْسَ يُحِيكَ الْمَلَامُ فِي هِمَمٍ أَقْرَبُهَا مِنْكَ عَنْكَ أَبْعَدُهَا .
يُحِيكَ بضم الياء أفصح ، وجاء : حاك يُحِيكَ ، والهمم : العقول
والعزائم^(٤) .

يقول : ليس يؤثر الملام في همم ، وهي همم العشاق . أقربها^(٥) في ظنك أيها
العاذل من العمل ، أبعدا عنك في الحقيقة ، وعلى هذا الهمم : هي العزائم ويحوز
أن يراد بها العقول^(٦) .

فيقول : إن العشاق لا عقول لهم ، والعذل إنما ينفع لمن له عقل ، فلا وجه إلى
ملاهمم ، وروى : « ليس يحيك الكلام » .

(١) ق : « ضل » ساقطة .

(٢) ع : « أضلها الله عن الإرشاد » .

(٣) ١ ، ع : « أو وجدتها ضالة » ب وق : « وأوجدهم » والتصويب من سائر النسخ .

(٤) ع : « أو العزائم » .

(٥) ق : « همم العشاق وأقربها » .

(٦) المذكور عن ١ وفي سائر النسخ : « الهمم هي العزيمة ويحوز أن يريد بها العقول » .

وسئل النبي عن قوله : « أَقْرَبُهَا مِنْكَ عَنْكَ أَبْعَدُهَا » فقال : أقربها منك سمياً وأبعدها عنك طاعة^(١) .

١١- يَسُّ اللَّيَالِي سَهْدَتْ مِنْ طَرَبِي شَوْقًا إِلَى مَنْ يَبِيتُ يَرْقُدُهَا

سهدت بالذال ، لأنه لا يستعمل إلا في العشق . والسهر عام^(٢) . والطرب : الحقة في فرح أو حزن ، وأرادها هنا ما يكون من الحزن ، ويرقدها : أى يرقدها فيها ، والهاء ترجع إلى « الليالى » .

يذم الليالى التى سهر فيها حزناً على المحبوبة ، لأنها ليالى المحنة ، لفارقتها من وجهين :

أحدهما من حيث الشخص ، والثانى أنها لم تقابله فى المحبة فتسهر كسهره فى تلك الليالى ، ولا ساعدته على سبيل المجاملة ، وقوله « شوقاً » : نصب لأنه مفعول له ، ويحتمل أن يكون مصدراً واقعاً موقع الحال .

١٢- أَحْيَيْتَهَا وَالدَّمْعُ تُنْجِدُنِي شُؤْنُهَا وَالظَّلَامُ يُنْجِدُهَا

إحياء الليل : هو السهر ، والشئون : مجارى الدموع ، والإنجاد : الإمداد والإعانة ، والهاء فى [٤ - ١] « أَحْيَيْتَهَا » لليالى ، وفى « شُؤْنُهَا » للدموع ، وأضافها إليها لأنها مجارياً ، والهاء فى « يُنْجِدُهَا » قيل : ترجع إلى الليالى .

ومعناه : أَحْيَيْتِ اللَّيَالِي عَلَى حَالِ تُنْجِدُنِي شُؤْنَ الدَّمْعِ فِيهَا عَلَى مَا كُنْتُ فِيهِ مِنْ طَوْلِ اللَّيْلِ الَّذِي حَصَلَ بِالْغَمِّ وَالسَّهْرِ ، لِأَنِّ مِنْ شَأْنِ الدَّمْعِ أَنْ تَخْفَفَ^(٣) عَلَى الْمَحْزُونِ ، وَكَأَنَّ الظَّلَامَ يَعِينُ اللَّيَالِي وَيُعِدُّهَا ظِلْمَةً أَكْثَرَ مِنْ ظِلْمَتِهَا ، وَيَزِيدُهَا طَوْلًا

(١) ع : « أَقْرَبُهَا مِنْكَ سَمًى وَأَبْعَدُهَا عَنْكَ طَاعَةً » مع تكرار « وَأَبْعَدُهَا » .

(٢) روى البيت فى الواحدى والبيان : « سهرت من طربي » . وقد فرق أصحاب اللغة بينهما :

« سهرت وسهدت » فقالوا : السهر : فى كل شيء . والسهد : للعاشق . ويستدلون بقول النابغة :

وَيَسْهَدُ فِي لَيْلِ التَّامِ سَلِينُهَا

ويقول الأعشى : وَبَتَ كَمَا بَاتَ السَّيِّمُ مَسْهَدًا

(٣) ع والنظام : « الدمع أن يخفف » .

إلى طولها ، لانفراده به وعدم مشاهدته ما يتشاغل به عما هو فيه من الغم كما قال الشاعر :

بلى إن للعنين في الصبح راحةً لطرّجهما طرّقيهما على كل مطّرح^(١)
وقيل : إن الهاء في «يُنجدها» للدموع .

ومعناه : أن الدموع كانت تعينني لما فيها من الراحة ، والظلام كان يعين الدموع ، وكلما ازداد الليلُ ظلمةً ازدادَ الغم .

١٣- لا نأقَتِي تَقَبُّلُ الرَّدِيفِ وَلَا بالسُّوطِ يَوْمَ الرِّهَانِ أَجْهَدُهَا

أَجْهَدُهَا^(٢) : من جهدت الناقة إذا أشققت عليها في الحمل والركوب
والرَّهَانُ^(٣) : المراهنة في مسابقة الخيل . وأراد بالناقة : التعل وأشار إلى أنه أحيا هذه الليالي وهو سائرٌ راجِلٌ ، وجعله نَعْلُهُ ناقة من قول النبي ﷺ : «المتعل رَاكِبٌ»^(٤) ثم بين مخالفتها حالها بحال الناقة من وجهين : أحدهما أنها لا تقبل الرديف ولا تسع^(٥) غير رجله ، الثاني أنها لا تجهد بالسوط يوم المراهنة ؛ لأنه ليس لها فعل في السباق ، ولا سرعة ولا إبطاء^(٦) ، ثم زاد في الدلالة على المخالفة فقال :

١٤- شِرَاكُهَا كُورُهَا وَمِشْفَرُهَا زِمَامُهَا وَالشُّسُوعُ مَقْوَدُهَا

الكُورُ : الرَّحْلُ ، والمِشْفَرُ : الشِّفَّةُ ، والمَقْوَدُ : الخيل يقاد به الناقة ،
والزِّمَامُ : السير المقتول .

(١) نسب في حاشية ابن الشجري ٢١٦ إلى الطرماح بن حكيم وروايته في الحاشية : « لطرّحها طرفيها على كل مطّرح » وروايته في الأصول : « لطرّحها فيه على كل مطّرح » وفي زهر الآداب ١٦٧/٣ كرواية ابن الشجري .

(٢) ١ : « جهدها » .

(٣) ٢ : « والركوب في الرمان المراهنة » .

(٤) لفظ الحديث كما ورد في مسلم ١٦٦٠ : « فإن الرجل لا يزال راكياً ما انتعل » .

(٥) ع : « لأنها لا تسع الرجل الثاني » .

(٦) ق وخ : « في السباق لا سرعة ولا إبطاء » .

شبه نعله بالناقة ، وشراكها بالكور ؛ لأنه يعلو ظهر الناقة ، كالشراك يعلو النعل ، وهو السير المعرض على القدم المشدود^(١) إلى جانبي النعل ، والزام : هو السير المشدود جانب منه إلى الشراك ، وجانب إلى الشسع ، والشسع : السير الذي يكون بين الأصبعين ، فشبه كل آلة من النعل بشيء من آلات الناقة^(٢) .

١٥- أَشَدُّ عَصْفِ الرِّيحِ يَسْبِقُهُ تَحْتَى مِنْ خَطْوِهَا تَأْيِدُهَا

عصف الرياح : شدة هبوبها . والهاء ، في « يسبقه » : يرجع إلى العصف المضاف إلى الرياح ، والتأيد : قوة الخطو ، من الأيد وهو القوة . يقول : قوة خطوها تحتي تسبق أشد عصف الرياح لأنها تبقى بعدها ، وتفتر الرياح ، وعنى بذلك قوة نفسه وسرعة مشيه .

وقيل : أراد بالتأيد : الثاقل والتثبّت ، كأنه جعل أهون سيره على النعل فوق أشد الهبوب للرياح^(٣) مبالغة^(٤) وكأنه قال : تثبت خطوها يسبق أشد الرياح فيصف قوته .

١٦- فِي مِثْلِ ظَهْرِ الْمَجَنِّ مُتَّصِلٍ بِمِثْلِ بَطْنِ الْمَجَنِّ قَرَدَدُهَا

القردد : الأرض الصلبة . وقيل : ما انخفض من الأرض النائية^(٥) . يصف طريقه إلى الممدوح [٤ - ب] ، وشبه ما ارتفع منه بظهر المجن ، وما انخفض منه^(٦) ببطن الترس ، وبين أن بعض طريقه كان صعوداً وبعضه كان هبوطاً وذلك دلالة^(٧) على فضل المشقة .

(١) ق : « المشدود » ساقطة .

(٢) ع : « ناقة » .

(٣) أ : « فوق أشد هبوب الرياح » .

(٤) ق : « مبالغة » ساقطة .

(٥) أ : « النائية » .

(٦) ع : « وما انخفض منه » ساقطة و « منه » ساقطة من أ وب وخ .

(٧) ق : « هبوطاً دلالة » .

فيقول : تأيد خطوها ، يسبق أشد هبوب الرياح ، في طريق مثل ظهر المجن^(١) ارتفاعاً ، متصل بطريق مثل بطن المجن انخفاضاً ، والأصل في هذا التشبيه قول الأعشى^(٢) :

وَبَلْدَةٌ مِثْلَ ظَهْرِ الثُّرْسِ مُوحِشَةٌ لِلْجَنِّ بِاللَّيْلِ فِي حَافَاتِهَا زَجَلٌ^(٣)
وقيل : إنه شبه ابتداء سفره إليه بظهر المجن ، إشارة إلى أنه كان موحشاً ، وانتهاءه ببطنه ، لما أدى إلى لقاء الممدوح ، إشارة إلى أنه كان مؤنساً ، لأن ظهر المجن يلى العدو^(٤) وبطنه يلى نفس من حملة ، والأول أقوى . ويجوز في متصل : الرفع على الابتداء أو خبره ، والجر على أنه صفة لمثل ، أو بدل له .

١٧- مَرْتَمِيَاتُ بَنَّا إِلَى ابْنِ عَيْبٍ سَدِ اللَّهِ غِيْطَانُهَا وَفَدَفَدُهَا

روى : في «مرتميات» : الرفع على أن يكون خبراً لغيطانها وفدفعها ، وتكون هي مبتدأ ، وروى بالكسر فتكون في موضع النصب ، على أن تكون حالاً سادة مسد خبر المبتدأ . والغيطان : جمع الغائط وهو المطمئن من الأرض ، والفدقد : ما تنثر منها .

يقول: رَمَتْ بَنَّا هذه الغيطان والفدقد إلى ابن عبيد الله : الذي هو الممدوح ، يذكر مشقته ليكون أقرب إلى الإكرام .

١٨- إِلَى فَتَى يُصْدِرُ الرَّمَا حَ وَقَدْ أَنَهَلَهَا فِي الْقُلُوبِ مُورِدُهَا

إلى : يتصل بقوله : «مرتميات» والإيراد : أراد به إيرادها^(٥) وهو الإتيان

(١) في : «مثل المجن» .

(٢) هو : ميمون بن قيس بن سلام ، يكنى أبا بصير . وهو أحد الأعلام من شعراء الجاهلية ومحوطاً . الأغاني ٧٦/٨ ومما عهد التصحيح ١٩٦/١ والشعر والشعراء ٢١٢ ولباب الآداب ٣٤٠ وديوان المعاني ٣٢٩/١ وشذرات الأدباء ٦٧٧/١ .

(٣) ديوانه القصيدة رقم ٢٢ وخاص الخاص ٦١ و٩٩ وخطبة الكيت ١٩ .

(٤) : «الصدور» .

(٥) أوب : «أراد به رواها» ع : «أراد إيراد : الإتيان بالمواشي» .

بالمواشي إلى الماء ، والإصدار^(١) : صرفها عنه بعد الرّى . وقوله : «أنهلها» : من الثّهل ، وهو في اللغة : الشّربة الأولى ، وروى «موردها» وهو مصدر ورد^(٢) ، ويجوز أن يكون مكان الورود^(٣) وهو جسم المطعون ، وهو رفع على أنه فاعل «أنهلها» .

يقول : رمت بنا هذه المفاوز إلى فتى يُسقى رماحه من دم قلب عدوه ، ويصدرها عنه وقد رويت من الدم . والماء في «أنهلها» للرماح ، وخص القلوب لأنها أولى المقاتل .

١٩- له أياذ إلى سابقة أعد منها ولا أعدّها
وروى : «سابقة» و«سابقة»^(٤) أي تامة . والأياذى : النعم .

يقول : إن له علينا نعماً سابقة ، لا أقدر أن أحصيها من كثرتها ، غير أني أعدّ من تلك النعم ، وأوجد منها ، يشير إلى أنه خلّصه من يد عدوّ له ، أو أنه جنى عليه بما يستحق القتل ، فوهب له نفسه ، ومثله :

لَا تَنْتَفِي بَعْدَمَا رِشْتَنِي فَإِنِّي بَعْضُ أَيَادِيكَ^(٥)

وروى «أعدّ منها» يعنى : أعدّ بعض هذه النعم ، وأما جميعها فلا أقدر أن أحصيها لكثرتها^(٦) ، لأن «من» للتبعية .

(١) : «والأصل صرفها عنه» .

(٢) : «ورد» .

(٣) : «وب» : «الورود» .

(٤) : «سابقة» ساقطة .

(٥) : غير منسوب في التبيان ٣٠٤/١ وروايته : «لا تنتفى بعد أن رشتني» . وفي التبيان ٣٨٠/٤ رواية توافق رواية شارحنا والبرقوقي ١٤٤/٣ . وفي الواحدي ١١ نسب للجهاز ثم يذكر الواحدي أن ما ذكر في الشرح هو قول ابن جني ويمنى عليه فعلاً : «وهذا فاسد لأنه ليس في البيت ما يدل على أنه خلّصه من ورطة . وأنشده من بلية . وأعفاه عن قصاص وجب عليه . ولكنه يقول : «أنا غنى نعمتك وريب إحسانك فنفسى من جملة نعمه فأن : «أعدّ منها» .

(٦) : «من كثرتها» .

٢٠- يُعْطَى فَلَا مَطْلَهُ يُكْدِرُهَا بِهَا وَلَا مِنْهُ يَنْكُدُهَا

الماء في «بها» وفي «يكدرها» وفي «ينكدها» : للأبدي . وتقدير البيت :
يعطى فلا مطله بها [٥ - ١] لأن المثل يتعدى ^(١) بالباء ، وينكدها ^(٢) .
يقول : يعطى من دون مطلق ^(٣) بما يعطيه ، ولا مدافعة ينكدها ، ولا يمتن به
إذا أعطى ، فكانه قال : له أباد لا يكدرها مطلق ولا ينكدها من فكانه ^(٤) أخذه
من قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْغُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى) ^(٥) ومثله
للحكيم ^(٦) :

فَمَا فِي جُودِهِ مَنْ وَلَا فِي بَذْلِهِ خَيْرٌ ^(٧)
٢١- خَيْرٌ قُرَيْشٍ أَبَا وَأَمَجْدُهَا أَكْثَرُهَا نَائِلًا وَأَجْوَدُهَا

المجد : الشرف ، والهاءات : للقبيلة ، التي هي قريش : «وأبا» و«نائلا» :
منصوب للتمييز ، وكان هذا المملوح علويًا ، وليس في قريش خير ^(٨) من بني
هاشم ولا في بني هاشم ^(٩) خير من العلوية : فلهذا قال : خير قريش أبا ، ففصله

(١) ق ، ع : «يعدى» .

(٢) ينكده : يكدر ، انظر اللسان . وعند الواحدى ١/١ : ينكده : ينغصه ويقلل خيره .

(٣) مطلق : فلانًا حق وبحقه : أجل موعد الوفاء به مرة بعد مرة .

(٤) ق : «وكانه» .

(٥) سورة البقرة ٢/٢٦٤ .

(٦) هو : أبو علي الحسن بن هاني بن عبد الأول بن الصباح الحكيم الشاعر المشهور بأبي نواس ،
كان جده مولى الجراح بن عبد الله الحكيم والى خراسان ، ونسبه إليه ، ولد بالبصرة ونشأ بها ثم خرج إلى
الكوفة ثم صار إلى بغداد سنة ١٩٨ . معاهد التنقيص ٨٣/١ وخزانة الأدب ١٦٨/١ وابن خلكان
٢٤٠/١ .

(٧) هذا البيت هو ثالث أربعة أبيات في ديوان أبي نواس تنتهى كلها بقافية السين فيقول
..... ولا في بذله خيس ، وفي ب وم (خسر) بالخاء مهملة .

(٨) ق : «خير» ساقطة .

(٩) ع : «ولا في بني هاشم» ساقطة .

في نفسه ، ثم في مجده ، ثم في سخائه .
قريش : اسم لمن ولدته النضر بن كنانة ، وقيل لمن ولدته فهر بن مالك^(١) .
والأصح هو الأول .

٢- أَطْعَنُهَا بِالْقَنَاءِ أَضْرَبُهَا بِالسَّيْفِ ، جَحَّجَاحُهَا مُسَوِّدُهَا
الجحججاج : السيد الممتلئ كرمًا ، والمسود : هو الذي اتفق الناس على
سيادته . فقيل : هو المخاطب بالسودد ، وذلك عن أجداده ، وهذا أبلغ في
الجلالة ، وإنما قيد الطعن بالقناة ، والضرب بالسيف ؛ إما تأكيداً كقولك : رأيت
بغينى . وإما لأن الطعن قد يكون^(٢) بغير القناة من اللسان وغيره ، كذلك قد
يكون بغير السيف ، كالخشب ونحوه ، وليس في ذلك مدح . فرفع الإشكال
بالتقيد ، والجحججاج والمسود يعنى : السيد المسود .

٢٣- أَفْرَسُهَا فَارِسًا وَأَطْوَلُهَا بَاعًا وَمِغْوَارُهَا وَسَيْدُهَا
فارِسًا : نصب على الحال .

يقول : إن هذا الممدوح^(٣) أفرس قريش . في حال كونه راكباً للفرس . فدلَّ
به على أنه إنما يركب الفرس في بعض الأحوال . إذ ركوبه في جميع الأحوال من
عادات الرائيضين ، وقيل : إنه نصب على التمييز^(٤) .

والمعنى أنه أفرس من سائر فرسان قريش ، كقولك : هو أجود قريش جواداً ،
(١) ع العبارة فيها : « قريش من ولد النضر بن كنانة . وقيل من ولد فهر بن مالك والأول هو

الأصح » .

وفي معارف بن قتيبة ٦٧ أن النضر بن كنانة هو أبو قريش وولده : مالك . وولد مالك فهر . فنه
تفرقت قبائل قريش فقبل لهم بنو فهر .

(٢) ق : « بغير القناة . . . بغير السيف » ساقط وهو ما يسمّى بانتقال النفر أثناء نسخ من كلمة
« بغير » الأولى إلى « بغير » الثانية .

(٣) ع : « نصب على الممدوح » وقد سقط ما بين الكلمتين .

(٤) ذكر ابن المستوفى في كتابه النظام أن ابن جني يرى أن « فارساً » نصب على الحال فقط لا على
التمييز وذلك كقولك : زيد أكرم الناس مستولاً . أى في هذه الحال .

وقيل : إنه أراد به : أفرسها فروسية . أى فراسة ، ويكون أيضاً نصب على التمييز
 وقوله : أطولها باعاً . كناية عن مد يديه بالعطاء ، أو يكون كناية عن تبلة كل
 ما يريد بفضل قوته وقدرته ، والمِقْوَارُ : كثير الغارة ^(١)
 ٢٤- تاجُ لُؤيَ بنِ غالبٍ وبه سَمَاءُ لَهَا فَرْعُهَا وَمَحْتَدُهَا
 لؤي بن غالب : اسمُ جدِّ النبي ﷺ ^(٢) وهو أبو قريش ، وأراد به
 القبيلة ، والمحتد : الأصل الكريم ، وأراد بالمحتد هاهنا : السلف ، وبالفرع
 الخلف منهم .

يقول : إنه تاجهم وغرَّتْهم ، وإن علوهم به ، خلفاً وسلفاً ، لانتسابهم إليه ^(٣)
 ٢٥- شَمْسُ ضُحَاهَا هِلَالُ لَيْلِهَا دُرٌّ تَقَاصِيرُهَا زَبْرَجْدُهَا

الضُّحَا : ارتفاع النهار ، والتَّقَاصِيرُ : جمع التَّقْصَارِ وهي القلادة القصيرة
 بين أن قريشاً [٥ - ب] يَسْتَفْضِيُونَ بنوره ، وجعلوه لأنفسهم كالشمس
 والهِلال ، في نهارهم وليلهم ، وأضاف الشمس إلى الضُّحَا : لأنه اسمُ لأوائِلِ
 النهار ، وأضاف الهلال إلى « الليلة » ^(٤) لأنه يسمى هلالاً في أوائل الشهر ؛ ليدل
 على حداثة سن الممدوح ، وأن فيه رجاء الزيادة والنماء ، وأنه منظور إليه ، يرفع
 الناس ويصلدون عن أمره ونهيه ، ويحكم فيهم بحكمه ، وذلك مختص بالهِلال ^(٥)
 إذ لا يُنظر إلى البدر كما يُنظر إلى الهلال ، ولا يتعلَّق بالبدر ما يتعلَّق ^(٦) بالهِلال من
 الأحكام ، ثم بين أن ^(٧) قريشاً بمتزلة القلادة زينة ، أراد أن الناس يترنِّون بهم

(١) ع زادت : « أى كأنه آلة الإغارة » .

(٢) انظر جمهرة أنساب العرب لابن حزم ١١ ونسب قريش للزبيرى ١٣ ومعارف ابن قتيبة ١٨ .

(٣) ع ، خ : « لانتساب إليهم » .

(٤) ع : « الليلة » وفي سائر الأصول « الليل » .

(٥) أ : « يختص الهلال » ع : « يختص بالهِلال » .

(٦) ب : « كما يتعلق » .

(٧) ق : « بأن » .

إذ هم رؤساؤهم ، وأن الممدوح أجل أولئك السادة قدراً ، وأعظمهم خطراً لأن
أجل ما في القلادة الدر والزبرجد ، فكان الناس يتزينون بهم ، وهم يتزينون به .
٢٦- ياليت بي ضربة أتيح لها كما أتيحت له ، محمدًا
أتيح : أى قدر^(١) .

وتقدير البيت : ياليت بي ضربة أتيح لها محمدًا كما أتيحت له ؛ كان الممدوح
أصابته ضربة في وجهه في غزو الكفار ، فتمنى هو أن تلك الضربة كانت به دون
الممدوح ، تفدية له بنفسه أو تسلية^(٢) حيث سعد بها الممدوح ، لأنه كثر^(٣) بسببها
عليه الشاء ، وكتب له من أجلها الثواب ؛ ولفظ الإيتاحة ؛ تنبيهاً على أنها كانت
اتفاقاً وفجاءة ، لا عن فضل^(٤) قوة الضارب على الممدوح ، فدلّ بذلك على
شجاعة الممدوح ؛ أو يكون إيتاحة الضرب له من حيث أنه نوه بذكرها وبذكر من
سبب إليها ، والحديدة التي وقعت بها ، فكانه كسب له الفخر ، وكسبت هي له
السعادة والثناء وجزيل الثواب .

وقد كان يستقيم المعنى من دون أن يذكر «محمدًا» ويكون تقدير البيت : في
ضربة أتيح لها ، كما أتيحت له . لأنه صرح بذكره للحاجة إليه ، وإن لم يكن في
ذلك إحالة المعنى .

٢٧- أثر فيها وفى الحديد وما أثر في وجهه مهندها
المهند^(٥) : السيف المنسوب إلى الهند ، والهاء في «فيها»^(٦) ، وفي «مهندها»
للضربة ، وتأثيره في الضربة على معينين :

(١) ق : «أتيح : أى قدر» ساقطة .

(٢) ق : «بنفسه تسلية» لاسقاط : «أو» .

(٣) خ : «أكثر» .

(٤) ع ، خ ، ا : «الفضل» .

(٥) يقول الواحدى ، المهند : المشحوذ ، وسيف مهند : مشحوذ ، والتهيد : شحذ الحديد .

(٦) ع : «وقد عطل الماء في قوله فيها وفي مهندها» هكذا العبارة . خ : «الهاء في قوله فيها» .

أحدهما - أن يكون سلاحه قد عطل وأبطل تأثيره بشجاعته فلم تؤثر ضربه فيه تأثير^(١) مثلها ، فلما كان كذلك صار كأنه لم يكن للضرب ، ولا للحديد تأثير فيه ، فيكون غرضه أن الضربة لم تعمل في الممدوح ، أو عملت عملاً قليلاً يخالف قصد الضارب ، إذ أراد أن تعمل عملاً عظيماً .

والثاني - أن يكون قد جعل الممدوح مؤثراً في الضربة والحديد ، من حيث أن الضربة وقعت على الوجه فزنته ، وماشنته ، لأنها دلالة الشجاعة^(٢) ؛ فلما كان كذلك فكان الضربة والحديد لم يؤثر فيهما ؛ لأن تأثيرهما في الشين^(٣) والإيلام ، وإذا كان على ما ذكرنا ؛ فكانه لا ألم فيه ولا شين ، والأظهر أن يكون تأثيره في الضربة والحديد من أنه نوه بذكر تلك الضربة وشرفها وشرف الحديد وقلة ، فكانه قال : أثر في الضربة بالتشريف وفي السيف بالتفليل ، وأثر السيف فيه تأثير مثله [٦ - ١] من الوجه الذي بيناه^(٤) وعلى هذا يدل البيت الذي يليه وهو قوله :

٢٨- فَاغْتَبَطْتُ إِذْ رَأْتُ تَزِينُهَا بِمِثْلِهِ وَالْجِرَاحُ تَحْسُدُهَا

الجراح : جمع جراحة ، والهاء في «تزينها» ، و«تحسدُها» للضربة ، «ورأت» من رؤية العين وهي استعارة هاهنا^(٥) .

يقول : إن الضربة فرحت بحصولها في جسمه وحلولها ببعض أجزائه ، وسائر الجراح تحسد هذه الضربة لأجل^(٦) ذلك ، وفي هذا تنبيه^(٧) على أنه كان هناك

(١) ق : «تأثير» ساقطة .

(٢) وذلك لأن الضربة على الوجه شعار المقدام . والعرب يفتخرون بالضربة في الوجه . والظعن والضرب في الظهر سبة وفضيحة .

(٣) الشين : العيب والقبح وهو خلاف : «الزين» . اللسان .

(٤) خ فيها : «بيناه» وفي سائر النسخ «شاه» .

(٥) ق : «وها هنا» .

(٦) ق : «وسائر الجراح تحسدُها هذه الضربة لأجله» .

(٧) ع : «التنبيه» .

جراحه^(١) ، فكأنه يقول : إذ رأتُ تزيّن نفسها لأنّ الهاء فيها للضربة ، وقوله : « بمثله » . فيه زيادة مبالغة ؛ لأنّ تزيّن الضربة إذا حصل بوقوعه بمثل الممدوح ، فلأن يحصل إذا وقع به أولى ، وروى « بوجهه » أى بوجه الممدوح وهو أظهر الروایتين .

٢٩- وأيقن الناس أن زارعها بالمكر في قلبه سيحصدها الهاء في « قلبه » للزراع . يقول : إن زارع هذه الضربة في وجهه بالمكر ، سيحصدها : أى أن عاقبة أمره ثول إلى أن يتقم منه ويقتله ، وذكر « المكر » يدل على أن هذا الضرب حصل اغتيالاً ومكرّاً لا مبارزة ومقاومة ! وقوله : في « قلبه » : يحتمل أن يكون ظرفاً للمكر ، يعنى أنها حصلت بالمكر الذى كان في قلبه ، دون أن يظهر ذلك له ، إذ لو ظهر لعجز عنه ، ويحتمل أنه سيحصد هذه الضربة في قلبه ، يريد أنه سيقتله^(٢) ؛ لأن القلب مقتل ، ويجوز أن تكون الهاء في « قلبه » للمدوح ، كأنه قال : أيقن الناس أن زارع هذه الضربة في قلب الممدوح سيحصدها ، فشبهها بالبذر وشبه الجزاء بالحصاد^(٣) .

٣٠- أصبح حساده وأنفسهم يحذرها خوفاً ويضعدها يحذر بالفتح^(٤) أفصح . يقال : حدرت السفينة أحديرها حدرًا فانحدرت^(٥) . وأحدرت^(٦) لغة ضعيفة .

يقول : فرع الحساد منه فرعاً عظيماً بحيث لا قرار لهم من الخوف ، حتى كأن (١) الجراحة : عمل الجراح ، وهى فرع الطب الذى يدرس فيه طرق العلاج باليد المجردة أو المزودة بالسلاح .

(٢) ع : « أى أن الممدوح يضربه في قلبه يريد أنه سيقتله » .

(٣) ق : « بالبذر والجزاء الحصاد » .

(٤) ع : « بفتح الدال » .

(٥) أ . خ وق : « أحدرها فانحدرت » .

(٦) ب : « وأحدير » .

ما بهم من الخوف يحذر أنفسهم مرةً ويصعدها أخرى ، وهذا الفزع يجوز أن يكون من حيث أنهم^(١) خافوا أن يعظم محله بانتقامه منهم ، أو خافوا نفس الانتقام .

٣١- تَبْكِي عَلَى الْأَنْصُلِ الْغُمُودِ إِذَا أَنْذَرَهَا أَنَّهُ يُجَرِّدُهَا
 ٣٢- لِعِلْمِهَا أَنَّهَا تَصِيرُ دَمًا وَأَنَّهُ فِي الرِّقَابِ يُغْمَدُهَا

الماء في «أنذرها» ، وفي «يجردها» ، للأنصل . وفي «علمها» للغمود ، وفي «أنها» للأنصل ، وكذلك في «يغمدها» والضمير في «أنه» للمدوح وقوله : «تصير دماً» أي تختضب بالدماء .

يقول : تبكى الغمود على الأنصل إذا أعلمها^(٢) المدوح ، وخوفها أنه يجردها ويخرجها من غمودها ، وإنما تبكى الغمود لأنها تعلم أنها تصير دماً ، وأنه يغمدها في رقاب أعدائه ، فيجعل رقابهم [٦ - ب] أغاداً لها بعد إغاده^(٣) إياها في أغادها ، ومثله لحسان^(٤) قوله :

إِذَا مَا غَضِبْنَا بِأَسَافِنَا جَعَلْنَا الْجَمَاجِمَ أَغْمَادَهَا^(٥)

(١) ق : «ذاتهم» .

(٢) ق ، ع : «أعلمها» .

(٣) ق : «اعمادها» .

(٤) هو : حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي ، يكنى أبا الوليد ، وهو من فحول الشعراء وكان أحد المعمرين المخضرمين ، عمر مئة وعشرين سنة ، ستون منها في الجاهلية وستون في الإسلام .

(٥) لم أعثر عليه في ديوانه فقلعه من قائل الديوان ، وقد ذكره الجرجاني في الوساطة ٣٧٦ منسوطاً إلى حسان وقال : «وقد أكثر الناس فيه بعده» ونسب إليه أيضاً في ديوان المعاني ٥١/٢ وفيه :

ويثرب تعلم أنا بها أسود تنفض ألبادها
 إذا ما غضبت بأسافنا جعلنا المجاجم أغادها

وفي الواحدى ١٤ وشرح البرقوقى ٣٩/٢ بهذه الرواية :

ونحن إذا ما عصتنا السيوف جعلنا المجاجم أغادها

وغير منسوب في التبيان ٣٠٩/١ وهو فيه بهذه الرواية :

ونحن إذا ما نصبت السيوف جعلنا المجاجم أغادها

وجاء في محاضرات الأدباء ١٦١/٢ منسوطاً إلى الحارثي .

٣٣- أَطْلَقَهَا فَالْعَدُوُّ مِنْ جَزَعٍ يَذْمُهَا وَالصَّدِيقُ يَحْمَدُهَا

الماء في «أطلقها» وفيما بعده للاتصل ، وإطلاقه لها لقتلهم بها^(١) . إطلاق يده بالضرب بها في الأعداء .

يقول : يذم العدو هذه السيوف التي أطلقها الممدوح ، لعلمهم أنه يقتلهم بها ، والصديق يثنى عليها لأنها تكسبه العز لما تجلبه من الظفر للممدوح^(٢) ، وبين أن العدو يذمها جزعاً ؛ ليدل على أنها غير مذمومة في الحقيقة^(٣) ، وحقق ذلك بقوله : «والصديق يحمدها» .

٣٤- تَنْقَدِحُ النَّارُ مِنْ مَضَارِبِهَا وَصَبُّ مَاءِ الرَّقَابِ يُخْمِدُهَا

قدحت النار فانقذحت ، والمضارب : جمع مضرب ، وهو حد السيف الذي يضرب به .

يقول : تقطع هذه السيوف ما تحتها مما نصيبه حتى تصل إلى الأرض وتهوى فيها ، ولا يردّها إلا حجر^(٤) يقدها ، ويتبعها الدم من الموضع الذي أصابته فيخمدتها .

وقيل : إن انقذاح النار : حين قدت^(٥) اللحم وقطعت العظام فتقدح منها النار من شدة الوقع ، ثم انصب عليها الدم فأخمدها .

٣٥- إِذَا أَضَلَّ الْهَمَامُ مُهْجَتَهُ يَوْمًا فَأَطْرَفُهُنَّ تَنْشِدُهَا^(٦)

أي أنها تطلب الهمام : وهو الملك العظيم الهمة ، والذي إذا همّ بالأمر

(١) ب : « وإطلاقه لها إطلاق يده بالضرب بها » ق : « وإطلاق تقتلهم بها » .

(٢) ق : « ولا يجلبه للممدوح من الظفر » .

(٣) ذكر ابن جني أن « من جزع » حشو حسن . التبيان ٣٠٩/١ .

(٤) ق : « إلا حجراً » .

(٥) ب « قطعت » ع : « قطع » .

(٦) ق : « فأطرفهن منشدها » .

أَمْضَاهُ ، وقد روى : « أَطْرَفَهُنَّ » بفتح الفاء و « نَشِدُهَا » بالياء وفتحها ، وكذلك بالياء وفتحها ، من نَشَدْتُ الضَّالَّةَ : أى طلبتها ، وروى : « فَأَطْرَفَهُنَّ » بضم الفاء و « نَشِدُهَا » بالياء وضمها . من أنشدت الضَّالَّةَ : إذا عرفها .

والمعنى على الأول : أن الهمام إذا اشتد عليه القتال حتى أضل مهجته فيه ، وهو أن يصادفها مجروحاً أو مقتولاً . فإنه ^(١) يطلبها عند أطراف سيوف هذا الممدوح . لأن من شأنها إصابة مهج الملوك . ويكون نصب « أَطْرَفَهُنَّ » على الظرف . تقديره : أطرافهن نَشِدُهَا . أو يكون المراد بإضلالها : أن يذهل عنها فزعاً ، فيكون كأنه أضلها . فعند ذلك يطلبها من أطراف سيوفه لاعتيادها ^(٢) لأرواح الملوك . فهي التى تدل كل ملك على مهجته إذا قتل . أو جرحت فلم يتهتد لها . ولم يقدر على ارتجاعها فإن أطراف سيوفه هى التى تدل عليها . ونقول : هى عندنا . إذ هى ^(٣) موكلة بمهج الملوك وسالبة لها . ويحتمل أن يكون المراد به أن أطراف سيوفه تنشد للهمام مهجته عند إضلاله إياها وإشرافه لها على الهلاك . وننقذها من الضلال فتكون هى الناشدة لها . وقد روى ^(٤) بدل : « الهمام » « الشجاع » .

٣٦- قَدْ أَجْمَعَتْ هَذِهِ الْخَلِيقَةُ لِي أَنْتَ يَا ابْنَ النَّبِيِّ أَوْحَدُهَا

٣٧- وَأَنْتَ بِالْأَمْسِ كُنْتَ مُحْتَمِلًا شَيْخَ مَعَدٍّ وَأَنْتَ أَمْرُدُهَا

[٧ - ١] الإجماع : اتفاق الكلمة على الشيء . والخلقة : البرية . والأوحد :

الذى لا ثانى له . والهاء فيه ^(٥) للخلقة . وأراد « بأنك » : أنك ^(٦) وأجراها مع

(١) ق : « فإنها » .

(٢) ق : « لاعتياده » .

(٣) ق : « أوهى » .

(٤) ق : « وروى » .

(٥) ق . خ : « فيه » ساقطة .

(٦) بعد البيت ٣٧ وردت العبارة التالية فى غ فقط وهى : « يريد أنك بالشديد فحففت مع المضمر

صرفه وأبقى عملها بالفعل والرأى حذف أحد التوئين » .

المضمر كالظاهر^(١) من قوله :

كَأَنَّ ثُدْيِيهِ حَقَّانَ^(٢)

ومحتملاً : نصب على الحال ، وشيخ معدٌّ : نصب بخبر كان ، وروى : « وَأَنْتَ بِالْأَمْسِ » مكان « وَأَنْتَ » .

يقول : قد اتفقت البرية كلهم يا ابن رسول الله على أنك أَوحد هذه البرية^(٣) ؛ وإنما قال ذلك ؛ لأنه علوي ، ولا خلاف في شرفهم ، واتفقت أيضاً أنك كنت بالأمس في حال احتلامك شيخ هذه القبيلة المنتسبة إلى معد بن عدنان ورئيسهم ، وأنت حينئذ أمرد ، فكيف بك اليوم وقد علا سنُّك ، وقد جربت الأمور ، فإذا كنت قد سُدَّتْهم في أول أوان^(٤) البلوغ فالآن أنت بالسيادة أولى .

٣٨- فَكَمْ وَكَمْ نِعْمَةٍ مُجَلَّلَةٍ رِيَّتَهَا كَانَ مِنْكَ مَوْلِدُهَا

يحوز في « نعمة » الفتح^(٥) على الاستفهام ، والجر على الخبر ، وهو أجود ؛ لأنها أدل على الكثرة ، « ومجَلَّلَةٍ » : بفتح اللام على معنى مُبَهِّمَةٌ ومعظمة ، أو محكوم لها بالجلال^(٦) ، وبكسرها على معنى أنها تنسب إلى الجلال والتعظيم فهي مجللة .

يقول : وكَمْ من نعمة^(٧) عظيمة ابتدأت بها ، ثم أتت مثلها ، وجعل ابتداءها / ولادة . وإدامتها : تربية .

(١) ق : « مع المضمر كالظاهر » .

(٢) هذا عجزيت من الشعر ورد غير مشوب في شرح الواحدي ١٤ والبيان ٣١٠/١ وهو :

وَصَدْرٌ مُشْرِقُ السَّحَرِ كَأَنَّ ثُدْيِيهِ حَقَّانُ

وفي البيان : « كَانَ ثُدْيَاهُ حَقَّانُ » .

(٣) ق : « أَوَحْدَهَا » .

(٤) ق : « فِي أَوَّلِ الْبُلُوغِ » .

(٥) في النسخ : « الضم على الاستفهام » تحريف والصواب : « الفتح » .

(٦) ق : « بِالْإِجْلَالِ » .

(٧) ا ، ب ، ع : « كَمْ نِعْمَةٍ » .

وقد روى : «ريبتها» بضم التاء ، والمعنى على هذا : أنى شكرتها فاستوجب لها

المزيد ، فكنت كالمرنى لها .

٣٩- وَكَمْ وَكَمْ حَاجَةٌ سَمَحَتْ بِهَا أَقْرَبُ مِنِّي إِلَى مَوْعِدِهَا

الموعِد : وقت الوعد ، لإنجاز الحاجة .

يقول : كم حاجة وبغية جاد الممدوح بها وقضاها لى ، وكان موعدها فى الإنجاز أقرب من نفسى إلى نفسى ، يريد بذلك ^(١) أنه يتبدى بالعطاء من غير تقديم وعد ، لأن قربه على هذا الحد كتابة عن فقد الوعد .

أو يريد طريقة الصوفية : كأنه فضل نفسه ، أى أن وقت حضور موعده أقرب إلى من نفسى إلى نفسى والأول أولى . وروى : «أقرب شىء إلى موعدها» ^(٢) وهو أظهر فى المعنى والأول أبلغ وأفصح .

٤٠- وَمَكْرُمَاتٍ مَشَتْ عَلَى قَدَمِ الْبِرِّ رِ إِلَى مَتَرَلَى تَرَدُّدِهَا

المكرمات : جمع مكرمة ، وأراد بها الخلق ، والهدايا ، والمشى استعارة ها هنا . قد جعل للبر قدماً يمشى بها .

يقول : كم من مرة ^(٣) رددتها إلى منزل ماشية على قدم برِّك وإحسانك . وقيل : دلَّ بقوله : «على قدم البر» على أن الخاطئين كانوا له ^(٤) من جملة الهدايا ، وفى خير العطايا ، كأنهم كانوا غلماناً وجوارى أهداهم إليه .

وروى : «ترددتها» ، وترددتها ^(٥) فالأول خير ، والثانى مصدر ، والمعنى

واحد .

(١) ق : «بذلك» ساقطة .

(٢) ق : «إلى موعدها» ساقطة .

(٣) أ ، ب : «مرة» .

(٤) ق : «له» ساقطة .

(٥) ع : «تردها» ق : «يردها» .

٤١- أَقَرَّ جِلْدِي بِهَا عَلَيَّ فَلَا أَقْدِرُ حَتَّى الْمَمَاتِ أَجْحَدُهَا

يقول : أَقَرَّ جِلْدِي بِهَا عَلَيَّ لِكثَرِهَا وظهور أثرها على بشرتي ونضارة وجهي بها ، وحسن خالي بسببها ، فليست أقدر ما عشت أن أجحدها ؛ لأنني إذا جحدتها شهدتُ عَلَيَّ ؛ وهو مأخوذ من قوله تعالى : (تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ) ^(١) ، [٧- ب] ومثله قول الشاعر :

إِذَا مَا جَحَدْنَا جُودَهُ ظَلَّ شَاهِدًا جَوَارِحُنَا مَهْمَا أَقَمْنَا عَلَى الْجَحْدِ
ويحتمل أنها كانت من جملة اللبوس ؛ فلهذا خصَّ الجلد بذكره ونزل «أَجْحَدُهَا» منزلة المصدر ، وتقديره فلا أقدر على جحودها ، ويحوز أن يكون الأصل أن أجحدها غير أنه حذف (أن) فوق الفعل بعده ^(٢) كقوله فيما تقدم : «فبيل أفقدها» .

٤٢- فَعُدْتُ بِهَا - لَاَعِدْمَتُهَا أَبَدًا - خَيْرَ صَلَاتِ الْكَرِيمِ أَغْوَدُهَا

عُدْتُ بِهَا : أى أعيدها «لأعديتها» : دعاء ، : لايبقاء مكرّماته ، وهو حسنٌ مليح ، و«أغودها» : أدومها عادة .

يقول : قد عودتني مكرّماتك ، فأعدها لأعديتها مدى الدهر ، فإن خير الجوائز ما تدام عافيتها ، وتعاد ، وقوله : «لأعديتها أبداً» : وإن كان دعاء للنعم ^(٣) بالبقاء ، فهو يتضمن الدعاء للممدوح بدوام القدرة على الإحسان . وقوله : «خير صلوات الكريم أعودها» : مثله ^(٤) .

(١) سورة المطففين ٢٤/٨٤ .

(٢) ق : «فوقع الفعل بعد كقوله» .

(٣) أ : «للنعم» .

(٤) أمثال المتي للصاحب ابن عباد ٣٤ ط بيروت .

٣

علي الصقلي

(ح ٥٠٠)

قال علي الصقلي (ح ٥٠٠):

وقال^(١):

[من المنسرح والقافية من المراكب]

(١) أهلاً بدار سبائك أغيدها أبعده^(٢) ما بان عنك خردوها

(٢) ظلت^(٣) بها تنطوي على كيد نضيجة فوق خلبها يدها

قوله: أهلاً؛ أي رأيت بهذه الدار داراً هي أهل للكرامة بالسقيا والزيارة. وقوله: سبائك: من السبي، والكاف فيه للمواجهة، يخاطب به نفسه أو رفيقه. والأغيد: الطويل العنق، وأراد به المرأة إلا أنه ذكر ذهاباً إلى الحبيب. ويان: بعد. والخرد: جمع «خرد» وهي الناعمة الحية.

يقول: رأيت بروية هذه الدار مكاناً أهلاً للاكرام بالسقيا والسلام، ثم خاطب نفسه فقال: سبائك أغيد هذه المرأة إلى الدار، ثم قال: أبعد ما بعد منك خردوها صرت منطوية على كيد نضجت يد صاحبها عليها؛ لدوام لزومها إياها، وخب الكيد: زيادتها، وقيل: ما بين الزيادة والكيد^(٤).

(٣) يا حاديسي عيسها^(٥) وأحسنني أوجد ميتاً قبيل أفيدوها

(٤) قفا قليلاً بها علي فلا أقل^(٦) من نظرة أزودها

(٥) فقي فؤاد المحب نار هوى^(٨) آخر نار الجحيم أبردها

(١) القصيدة في: الفسر ٢٧٢/٢، والمنصف في نقد الشعر ص ٩٤، وشرح الواحدي ص ٦، وشرح المعكري ٢٩٤/١ وشرح البرقوقي ١٧/٢، وشرح عزام ص ٢.

(٢) أبعد: فيها روايتان؛ الأولى: رواية ابن جني في الفسر ٢٧٣/٢ والواحدي ص ٦ وابن القطاع في شرح المشكل من شعر المتنبي ص ٢٥٠ (أبعده) ورواية أبي العلاء المعري والمكبري وأكثر الروايات (أبعد) على أنه حال من الأغيد. انظر بأكثير تنبيه الأديب ص ١٢١، وأشار الصقلي هنا رواية ثالثة هي: (أبعده).

(٣) قال ابن جني: تقرأ (ظلت) بفتح الظاء وكسرهما. الفسر ٢٧٥/٢ وهي بمعنى أقمت، والخلب: غشاء الكيد أو غشاء القلب.

(٤) جمع خريدة وخريد وخرودة: خرائد وخرد وخرد. الفسر ٢٧٤/٢ واللسان. مادة (خرد).

(٥) هذا التفسير منقول عن ابن جني في الفسر ٢٧٥/٢. في التهذيب (مادة زيد) زائدة الكيد: هنية صغيرة إلى جنبها.

(٦) تروي: غيرها، وهي رواية ابن جني، الفسر ٢٧٦/٢ وابن وكيع، المضاف ص ٩٥. قال المعري (ممعج: أحد غطوط) رواية أبي الفتح أصح لأن المعري هي التي تحمل النساء، والعيس: هي الأبل الأبيض التي تعلموا شقرة.

(٧) تروي: أقل بالرفع: ابن جني ٢٧٧/٢ والواحدي ص ٧.

(٨) تروي: نار جوي، وهي رواية المعكري ٢٠٥/١ والبرقوقي ٢٠/٢ واليازجي ص ٤.

الحادي : السائق بصوت، والعرير: الإبل التي تحمل الطعام، وروي عن المتنبي : حادي عيسها؛ وهي بيض الإبل التي تحمل الطعام، تقوى على الحملات. والميت والميت واحد، والفقد: العدم، وقيل: تصغير قبل، وقوله: قفا بها؛ أي قفاها، يخاطب سائقي راحلة عشيقته.

يقول: قفاها علي ساعة، فليس أقل من نظرة تجعل زادي بعد مفارقتي إياها، فإن في قلبي نارا من هوي إياها، أحر نار الجحيم في جنبها أبردها.

(٦) شَابَ مِنَ الْهَجْرِ فَرَقَ لِمَتِهِ فَصَارَ مِثْلَ الدَّمَقْسِ أَسْوَدَهَا شَابَ : من الشيب، وهو البياض المخصوص بالشعر في اللحية والرأس. وفرق الرأس: وسطه، واللثة من الشعر: ما إذا مشط وضفر ألم بالمنكب، والدماقس^(١): الإبريسم الأبيض.

يقول: شاب رأسي من مباحة الغيد والخرد فصار من شعري الأسود الأبيض مثل القز في بياضه، وإذا كان الأسود كذا فما ظنك بالأبيض، وهذا مبالغة في الوصف^(٢).

(٧) بَاتُوا بُخْرَعُوبَةً لَهَا كَفْلٌ يَكَاذُ عِنْدَ الْقِيَامِ يُقْعِدُهَا

(٨) رِيْحَلَةٌ أَسْمَرُ مُقْبِلُهَا سِيَحْلَةٌ أَبْيَضُ مُجَرِّدُهَا

الخرعوبة: الناعمة الجسم، اللينة القصب. والقيام: ضد القعود، ويقعدها: يلقيها من خلفها لثقل ردفها، والريحلة: العظيمة الخلق، في طول معتدل، والسبحلة: اللحيمة^(٣)، والمجرد: البدن، والمقبل: الشفة لأنه موضع التقبيل.

يقول: بعدوا حين بعدوا من عشيقتي بامرأة ضخمة معتدلة الطول، لحيمة سمينة، يكاد كفلها يلقيها من خلفها إذا أرادت القيام لثقله.

(١) الدماقس: رومية، الفسر ٢/ ٢٧٩ واللسان (مادة دماقس) والإبريسم: يفتح الهززة والراء، وبكسر الهززة وفتح الراء.

(٢) قال ابن سيده: في هذا البيت ثمرلة صتعة، قال (فرق لته) فخص جزءا من اللثة، ثم قال (أسودها) فعم، ووجه استواء الصنعة - لو اتزن له - أن يقول: شابت من الهجر لته... (شرح مشكل شعر المتنبي ص ٢٦).

(٣) قال ابن جني: قال أبو زيد: الريحلة: اللحيمة، السبحلة: الطويلة العظيمة (الفسر ٢/ ٢٨١).

ثم يخاطب لاثميه في هواها فيقول:

(٩) يا عاذِلَ العاشِقِينَ دَغْ فِتْنَةً أَضَلَّهَا اللَّهُ كَيْفَ تُرْشِدُهَا

(١٠) لَيْسَ^(١) يُجْحِكُ الْمَلَامَ فِي هِمَمٍ أَقْرَبُهَا مِنْكَ عَنْكَ أَبْعَدُهَا

الفِتْنَةُ: الجماعة، وقوله: أضلها الله؛ أغراها^(٢) بالضللال، أو وجدها ضالة، والأجود أن يكون متعدي «ضل»، والمعنى: إنما همت بالضللال فأضلها الله، والإرشاد يدل على ذلك، ويحك: يؤثر، والهمم: جمع همة، وهي همم العشاق.

وسئل المتنبي عن قوله: «أقربها منك عنك أبعدها».

فقال: أردت أقربها منك سمعا أبعدها عنك طاعة.

يقول: يا لائم العشاق، أترك جماعة أغراها الله بالضللال: ضلال العشق، كيف تهديها أنت؟ ثم يقول: لا يعمل لومك في همم هي أقربها منك بالسماع والاستماع إليه، وأبعدها عنك بالطاعة والإنتهاء عما تنهى عنه من هذا الحب.

(١١) بِنَسِ اللَّيَالِي سَهْدَتْ^(٣) مِنْ طَرِبِي شَوْقًا إِلَى مَنْ يَسِيتُ بَرَقْدَهَا

(١٢) أَخْيَيْتُهَا وَالدُّمُوعُ تُنْجِدُنِي^(٤) شَوْوْنَهَا، وَالظُّلَامُ يُنْجِدُهَا

يتأسف على تلك الليالي التي لم ينم فيها طربا واشتياقا، ثم يصفها فيقول: بقيت فيها ساهرا أرقا إلى الصباح على حال تنجذني الشؤون؛ وهي مجاري الدموع فيها، والظلام ينجد الليلة؛ أي يمددها بظلمة أكثر من ظلمتها، وذلك أن المغموم يستطيل لياليه وإن كانت قصيرة.

المعنى: أرقت في هذه الليالي ودموعي تزداد، وظلمة الليل كذلك في الازدياد. ويقال: أحيا فلان ليله مصليا؛ إذا سهر فيها ولم ينم.

(١) يروي: كيف يحبك... وهي رواية ابن وكيع في: المتصف في نقد الشعر ص ٩٨، وابن سيده: شرح مشكل شعر المتنبي ص ٢٦.

(٢) في (ث): مصحفة إلى: أعداها.

(٣) تروي: سهرت (بالراء) وهي رواية الواحدي ص ٩ والمكبري ٢٩٨/١. قال أبو العلاء المعري (معجز أحمد - مخطوط) سهدت (بالدال) لأنه لا يستعمل إلا في العشق، والسهر عام.

(٤) رواية أبي العلاء المعري (معجز أحمد): ودموعي تنجذني؛ من أنجذت الرجل أي أعتته.

(١٣) لَا نَاقِي تَقْبِلُ^(١) الرَّدِيفَ وَلَا بِالسَّوْطِ يَوْمَ الرِّهَانِ أَجْهَدَهَا^(٢)

(١٤) شِرَاكُهَا كُورُهَا وَمِشْقَرُهَا زِمَامُهَا وَالشُّسُوعُ مِقْوَدُهَا

الرديف: الذي يركب خلف الراكب، والرهان: المراهنة، في مسابقة الخيل. لا أجهدا أي لا أحمل عليها فوق طاقتها.

يصف نعليه، ويشبههما بناقته وأنها لا يسعان إلا لرجليه؛ فلهذا قال: لا تقبل الرديف، ولا يجهدا لأنه ليس لنعليه في السباق على الحقيقة فعل؛ لا سرعة ولا إبطاء، وذلك إلى رجليه ولما جعل النعل ناقته جعل شراكها كورها؛ وهو الرجل. والمشفر: شفتها، والزمام: السير المفتول، والشسوع: السير الذي يُعلّق بالزمام. فكل آلة النعل شبه بها شيئا من آلة الناقة ورجلها.

(١٥) أَشَدُّ عَصْفٍ^(٣) الرِّيَّاحِ يَسْبِقُهُ تَخْتِي مِنْ خَطْوِهَا تَأْيِدُهَا

عصف الرياح: هبوبها بشدة، والتأييد: التقوي^(٤).

يقول: تأيد هذه النعل من خطوها تختي تسبق أشد هبوب الرياح.

(١٦) فِي بِثَلِ ظَهْرِ الْمِجَنِّ مُتَّصِلٌ^(٥) بِمِثْلِ بَطْنِ الْمِجَنِّ قَرْدُودُهَا

(١) رواية ابن جني: تحمل الرديف (الفسر ٢/٢٨٤).

(٢) تروي: أجهدا (بضم الهزة وكسر الهاء)، وهي رواية أبي الفتح، الفسر ٢/٢٨٤ وابن سيده، شرح مشكل شعر المتنبي ص ٢٧ والواحد ص ٩ والمكبري ١/٣٠١.

(٣) روي بضم العين، فهو جمع (عصوف). يقال: ربح عاصف وعصوف. الواحد ص ١٠.

(٤) قال الواحدي: ليس المعنى على هذا، وإنما أراد الفعل من الاتقاد بمعنى: الرق واللين، فلم يحسن بناء الفعل منه، وحقه (توؤدها). شرحه ص ١٠ وكذلك انظر: ابن القطاع الصقلي، شرح المشكل من شعر المتنبي ص ٢٥٠ (مجلة المورد - العدد الثالث ١٩٧٧).

(٥) قال أبو العلاء المرعي: يجوز في (متصل) الضم على الابتداء أو خبره، والجور على أنه صفة له (مثل) أو بدل منه. (معجز أحمد) واعتمد الجور: المرعي (معجز أحمد) والواحد ص ١٠ والمكبري ١/٣٠٢.

(١٧) مُرْتَمِيَاتُ بَنَى إِلَى أَبْنِ عُبَيْدِ دِ اللَّهِ غِيْطَانُهَا وَقَدْ فَدَّهَا

الظهر: خلاف البطن، والمجن: الترس، والقردد: النائي كالقف، ومرتميات: أي راميات، والغيطان: جمع غائط، وهو المظمئن من الأرض، والفدّد: مانسز منها، وهو ضد الغائط.

يصف صعوبة الطريق في صعوده وهبوطه، فيقول: في طريق مثل ظهر الترس من ارتفاعها، مقترن بطريق مثل الترس انخفاضا، وكانت غيطانها وفداؤها ترمي بنا إلى «ابن عبيد الله العلوي».

(١٨) إِلَى فَتَى يُضْدِرُ الرُّمَاحَ وَقَدْ أَنْهَلَهَا فِي الْقُلُوبِ مَوْرَدُهَا^(١)

إلى فتى: بدل من قوله: ابن عبد الله، والأياد: الاتيان بالمواشي الماء، والاصدار: صرفها عنه بعد ألري، وقد حسن ها هنا في الرماح على وجه الاستعارة؛ لأن تحريكها في الجراحة وإدخالها كإبرادها، وإبعادها عنها كإصدارها. والمورد: الفاعل، والمورد - بفتح الميم - موضع الورود.

يقول: ترمي بنا الغيطان إلى ابن عبيد الله؛ هذا الممدوح المذكور، الذي هو فتى مصدر الرماح في حال إنهاله إياها^(٢)، وهذا لا يكون إلا بعد ارتفاع الغرض في الطعن من القتل.

(١٩) لَهُ أَيْادٍ إِلَيَّ سَابِقَةٌ^(٣) أَعْدُ^(٤) مِنْهَا وَلَا أَعْدِدُهَا

الأيادي: جمع الأيدي، وهي أيضا جمع اليد، وهي يد النعمة والاصطناع. يقول: له نعم سابقة إلي، أعد منها بعضها ولا يمكنني أن أعدها كلها لكثرتها، ويروي «أعد».

(١) رواية ابن جني: موردها (بضم الميم) على معنى اسم الفاعل. الفسر ٢٨٩/٢ وغيره (بفتح الميم) قال المبكري: ومن روى (موردها) بضم الميم، كان أجود وهو الممدوح.

(٢) أنهلها: سقاها ثانية من جسم المظمون.

(٣) تروى: سألقة. الواحد ص ١١. قال أبو العلاء المعري (مميز أحمد) روي: سابقة وسابقة أي: تامة.

(٤) رواية ابن جني: أعد منها؛ أي أنا إحداهما (الفسر ٢٨٩/٢) وهي رواية المبكري ٣٠٤/١.

(٢٠) يُعْطِي فَلَا مَظْلَهٗ^(١) يُكْدِرُهَا بِهَا وَلَا مِئَّةً^(٢) يُنْكَدُّهَا
(٢١) خَيْرُ فَرِيْشٍ أَبَا وَأَمْجَدُهَا أَكْثَرُهَا نَائِلًا وَأَجْوَدُهَا
(٢٢) أَطْعَمَهَا بِالْقَنَآةِ أَضْرَبُهَا بِالسَّيْفِ جَحْجَاحُهَا مُسَوَّدُهَا

المطل : المدافعة، والتكدير : مصدر كدر الماء، والمن : الامتنان
والتنكيد : التقليل. وأبنا ونائلا : نصب على التمييز، وأمجدها : أشرفها، والنائل :
العتاء، وأجودها : أكثرها جودا، والجحجاح : السيد الممتلىء كرمًا، والمسود :
المخاطب بالسؤدد والسيادة؛ لورائته ذلك عن أجداده، يصفه بالجدود والأبوة والبأس
والشدة.

(٢٣) أَفْرَسُهَا فَارِسًا وَأَطْوَلُهَا بِاعًا وَمِنْغَوَارُهَا وَسَيْدُهَا
أفرسها فارسا : أي أجودها فروسية وفراسة أو فرساة^(٣).

وأراد بطول الباع^(٤) وهو ما بين طرفي يديك إذا مددتها؛ في العطاء والبذل والسخاء
والنجدة، والمغوار والمغير : الذي كأنه آلة الحرب والغارة.

(٢٤) تَاجُ لُؤَيٍّ بْنِ غَالِبٍ وَبِهِ سَمًا لَهَا فَرْعُهَا مَخْتَبُهَا
التاج لملوك الفرس، وتيجان العرب عمائمها. ولؤي بن غالب : جد النبي ﷺ - وهو
تصغير اللأي؛ وهو الثور الوحشي، والمختد : الأصل.

يقول : إنه غرة لؤي وعرنينها وعلا به فرعها وأصلها، يمدحه بالجلال وإعادة رونق
الأصل بحسن الخصال.

(٢٥) شَمْسُ ضُحَاهَا، هَلَالٌ لَيْلِيَّتُهَا دُرٌّ تَقَاصِيرُهَا زَيْرَجُهَا
الضحى : ارتفاع النهار، والتقاير : جمع تقصارة^(٥)؛ وهي المخنقة، والزيرج :

نوع من الزبرجد الحجري^(٦).

(١) رواية ابن جني : مظلها (الفسر ٢/ ٢٩٠) ويروي : يكدرها به (شرح البرقوقي ٢/ ٢٩ - الهامش).

(٢) هذه رواية تفرد بها الصقلي صاحبنا، المتداولة عند الشراح هي : منه، المن مضافة الى ضمير الغائب.

(٣) الفراسة : العلم بركوب الخيل، يقال فارس بين : الفروسة والفروسية والفراسة اللسان. مادة (فرس).

(٤) طول الباع : كتابة عن الكرم، وضيقه : كتابة عن البخل.

(٥) قال ابن جني : التقاير جمع تقصار، وهي القلادة القصيرة (الفسر ٢/ ٢٩٣) وقال الواحدي : ليس هذا من القصص إنما
هو من القصرة وهي أصل المنق، والتقصار : ما يعلق على المنق. شرحه ص ١٢.

(٦) الزبرجد : الزمرد. قال الخاقاني : لم نسمع بأحد شبه الرجل بالزبرجد قبله وهذا من معانيه الأبيكار ! الرسالة الموضحة
ص ٤٠.

يقول: إنه شمس هذه القبيلة وقت الضحى - وهي أضوأ ما تكون عند ذلك - وقمر لياليها، وواسطة فلاندها، كالدر فيها والزبرجد، عزة وجلالة.
(٢٦) يَا لَيْتَ بِي ضَرْبَةُ أُتَيْحَ لَهَا كَمَا أُتَيْحَتْ لَهُ مُحَمَّدًا

(٢٧) أَثَّرَ فِيهَا وَفِي الْحَدِيدِ وَمَا أَثَّرَ فِي وَجْهِهِ مُهْنَدًا
ليت: حرف تمن، وأتيج: قدر، وأثر: عمل، وأراد بالحديد: السيف، والمهند: السيف المنسوب إلى الهند.

وتقدير البيت الأول: يا ليتني ضربة قدرت لمحمد كما قدر هذا هو لها.
يقول: ليت مثل تلك الضربة على وجهي، وإنما تشرف هذا المضروب، فإنها تشرفت به في وجهه^(١)، وذلك أن هذا الممدوح كان مشطباً، بوجهه أثر منسوبة، ومثل تلك الآثار تستقيح^(٢)، وقد حسن المتنبي ذلك لمهارته.

ثم يقول: أثر الممدوح في الضربة بالتشريف، وأثر في السيف بالتقليد، وما أثر فيه السيف تأثير مثله^(٣).

(٢٨) فَأَغْتَبَطْتُ إِذْ رَأَتْ تَزِينُهَا بِمِثْلِهِ وَالْجِرَاحُ تَحْشُدُهَا
إغتبطت: سرت الجراحة، ورأت: من رؤية العين، وهي استعارة هنا.
والتزين: تفعل من الزينة، والجراح: جمع جراحة.
يصف حال الجراحة في سرورها إذا صارت في وجهه، ورأت أن الجراحات تحسدها، لكونها عليه في مجده وكرمه وسؤدده وسائر محاسنه المأثورة.

(١) قال أبو العلاء المرعي: هذا البيت يحتمل وجهين: أحدهما، أن يريد أن هذه الضربة حسنت وجه الممدوح وشرفته ودلت على شجاعته، والآخر: أن يكون أراد: يا ليت بي: الضربة؛ أي ليتني قديته منها. تفسير أبيات المعاني ص ٨١.
(٢) هذا وهم من الشارح، لأن الضربة على الوجه شعار المقدام الشجاع، والعرب يفتخرون بالضربة في الوجه. انظر الواحدي ص ١٢ فيها.
(٣) قال ابن سيده: يجوز أن يكون أراد أن الضربة دُت حين وقعت به؛ لأنها لم تكن بحق، فكان ذلك الدم تأثير فيها. والمهند عندي من قولهم: هُنْدَتِ النِّسَاءُ نَيْيَئَهُ، ولتيم نحيل وكذلك السيف.
(شرح مشكل شعر المتنبي، ص ٢٩)

(٢٩) وَأَيَّقَنَ النَّاسُ أَنَّ زَارِعَهَا بِالْمَكْرِ^(١) فِي قَلْبِهِ سَيَحْصِدُهَا
يقول: تصور الناس أن زارع هذه الضربة في وجهه بالمكر سيحصدها عن قريب في
قلبه؛ يعني أن من ضربه في وجهه بالغدر يطعن في قلبه بالرمح فيقتل قودا.
(٣٠) أَصْبَحَ حُشَاهُ وَأَنْفُسُهُمْ يَحْدُرُهَا^(٢) خَوْفُهُ وَيُضْعِفُهَا
يصف حال أعدائه الذين ضربوه أو غيرهم، فيقول: صاروا من خوفهم منه أن أرواحهم
تارة تنحدر إلى قراراتها، وتارة ترتفع وتعلو من هيئته. ويحدرها: ينحدر بها، ويضعدها:
يعليها.

(٣١) تَبْكِي عَلَى الْأَنْصَلِ الْغُمُودُ إِذَا أَنْذَرَهَا أَنَّهُ يُجَرِّدُهَا
(٣٢) لَعَلِمَهَا أَنَّهَا تَصِيرُ دَمًا وَأَنَّهُ فِي الرِّقَابِ يُغْمِدُهَا
الأنصل: جمع النصل على أدنى العدد، ومجردها: الذي يخرجها من الجفن،
والرقاب: جمع رقبة، والأغماد: رد السيف إلى الغمد.
يقول: تبكي الأغمد على [السيف] إذا هددها بإعلام أنه يخرجها من أجفانها، وإنما
كان بكاؤها لعلمها بأنها تصبح دما، ولأنه يغمدتها في رقاب أعدائه بعد إغماده إياها في
غمودها.

(٣٣) أَطْلَقَهَا فَالْعَدُوُّ مِنْ جَزَعٍ يَذُمُّهَا وَالصَّدِيقُ يَخْمِدُهَا
(٣٤) تَنْقَدِحُ النَّارُ مِنْ مَضَارِبِهَا وَصَبُّ مَاءِ الرِّقَابِ يُخْمِدُهَا
الهاء في «أطلقها» عائدة إلى النصول، والعدو: ضد الصديق، والجزع: قلة الصبر،
والذم: ضد الحمد، والانقداح: وري النار من الزند وغيره، والمضارب: جمع
مضروب؛ وهو موضع الضرب، وإنما تنقدح النار لشدة وقع الضرب بها. وأراد بماء
الرقاب: دماء القتلى.

يقول: إن هذه السيوف لما أطلقها هذا الممدوح لم يتحرج من سفك دمائهم فأرسل

(١) قال أبو العلاء المعري (معجم أحمد - مخطوط) ذكر المكر يدل على أن هذا الضرب حصل اغتيالاً ومكراً، وكأنه يقول:

أيقن الناس أن زارع هذه الضربة في قلب الممدوح سيحصدها، فشيهاً باليد، وشبه الجزاء بالمصاد.

وقال الواحدي: يشير إلى أن هذه الضربة أتت عمارة لا بمجاهرة. (شرح ص ١٣).

(٢) رواية ابن جني: يحدرها، وكذلك رواية المكبري ٣٠٨/١

قال أبو العلاء المعري (معجم أحمد): يحدر (يفتح الهاء) أنصح.

فيها سيوفه، وكان إذا أصاب بها أعداءه برت لحومهم، وقطعت عظامهم فانقدحت النار من شدة الوقع، ثم أنصب عليها الدم فأخمدتها^(١).

(٣٥) إذا أَضَلَّ الْهَمَامُ مُهْجَتَهُ يَوْمًا فَأَطْرَافُهُنَّ تَنْشُدُهَا ويروى «تَنْشُدُهَا»^(٢) أي تطلبها، وقد مضى تفسير غريبه من قبل وهو الذي أعلمنا عليه وحططنا حوله ليعلم أنه من هذا البيت، والمعنى قد فسر على وجهين:

الأول: وقد سئل المتنبي عن قوله «إذا أضل الهمام مهجته» فقيل له: كيف يضلها؟ فقال: يشغل عنها فكأنه قد أضلها، فيكون المعنى: إذا أضل الهمام [مهجته] فإنه لا يجدها إلا [في] أطراف سيوف هذا الممدوح.

والثاني: أن يكون أضل مهجته؛ أي وجدها ضالة، أي: مشرف على الضلال والضياغ فاستعان بأسيافه حتى يطلبها.

(٣٦) قَدْ أَجْمَعْتَ هَذِهِ الْخَلِيقَةَ لِي أَنْتَ يَا بَنَ النَّبِيِّ أَوْخَدَهَا الإجماع: اتفاق الكلمة على شيء، والخلقة ها هنا: الخلق، والأوحد: الذي لا ثاني له.

يقول: قد اتفقت البرية كلهم على أنك يابن رسول الله أوجد هذه البرية؛ وإنما قال له ذلك لأنه علوي، ولا خلاف في شرف العلوي، وإقرار الناس بمثل ذلك^(٣).

(٣٧) وَأَنْتَ بِالْأَمْسِ كُنْتَ مُحْتَلِمًا^(٤) شَيْخٌ مَعْدٌ وَأَنْتَ أَمْرُدُهَا أراد بأنك: إنك، ويروى: «وأنت»^(٥) والمحتلم: الذي يحلم بالنساء في منامه والشيوخ عندهم: السيد الكبير الرئيس، ومعد: قبيلة.

(١) قال ابن سيده: أي أن الدم هو الذي يطفى تلك النار بجريه على السيف، وسمى الدم ماء لا مياه وسيلاته، وهو تجوز لا حقيقة (شرح مشكل شعر المتنبي، ص ٣٠).

(٢) ذكر أربع روايات؛ هي: تَنْشُدُهَا، أي تطلبها، وتَنْشُدُهَا من الانشاد وهو تعريف الضالة، وتَنْشُدُهَا بالياء، يعني الهمام يطلب مهجته في أطرافهن، وتَنْشُدُهَا وهي الرواية التي اعتمدها الواحدي ص ١٤ واعتمد ابن وكيع: تَنْشُدُهَا المنصف ص ١٠٨ وابن سيده في شرح المشكل ص ٣٠ تَنْشُدُهَا، والمكبري: تَنْشُدُهَا.

(٣) ولعل مثل هذا البيت من أسباب نسبة المتنبي إلى «السبعية» وهي طائفة من الشيعة جعلوا عدد الأئمة سبعة، والسابع هو اسماعيل بن جعفر الصادق المتوفى سنة ١٤٥ هـ. انظر الأصفهاني: الواضح في مشكلات شعر المتنبي ص ٨.

(٤) خالف باكتير الحضرمي كل الروايات وروى البيت هكذا: وَأَنْتَ كُنْتَ بِالْأَمْسِ.. (تنبيه الأدب ص ١٢٢).

(٥) هذه الرواية أشار إليها الواحدي في شرحه ص ١٤ ولم أعرف راوياً.

يقول : وافقت هذه البرية أنك كنت في حال احتلامك شيخ معد، وكنت بعد أمرد،
يعني أنك سدت قومك في حال الصغر ولن يسود الرجل إلا بعد كبر سنه .
(٣٨) فُكَمْ وَكَمْ نِعْمَةً^(١) مُجَلَّلَةً رِيَّتْهَا كَانَ مِنْكَ مَوْلُودُهَا
(٣٩) وَكَمْ حَاجَةً سَمَحَتْ بِهَا^(٢) أَقْرَبُ مِنِّي إِلَيَّ مَوْعِدُهَا^(٣)
يقول : كم نعمة معظمة قد قبلتها أنا، وكان مبدؤها منك؟ وكم بغية جدت بها أنت،
وقضيتها لي وكان موعدها أقرب إلي من نفسي ؛ يعني أنك لم تماطل بل جعلت موعدها
تقريبا .

والمولد والتربية استعارتان في ذلك لطيفتان .
(٤٠) وَكُفْرُمَاتٍ مَشَتْ عَلَى قَدَمِ آلِ بَرْزٍ إِلَى مَنْزِلِي تَرُدُّدُهَا^(٤)
(٤١) أَقْرَبُ جُلْدِي بِهَا عَلَيَّ فَمَا^(٥) أَقْدِرُ حَتَّى الْمَمَاتِ أَجْعِدُهَا
المكرمات : جمع مكرمة، وهي مفعلة من الكرم، والمشي : استعارة، هنا قد جعل للبر
قدما للمشي بها، والجحد : ضد الاقرار .
يقول : كم من مبرة ومكرمة رددتها إلى منزلي ماشية على قدم البرك وإحسانك، ثم
يقول : قد أفر جلدي لكثرتها، واعترف بها من حيث نعومتها وحسن حالي، فلست أقدر
على عدها ما عشت، وأثرها علي ظاهر^(٦) .
(٤٢) فَعَدَّ بِهَا لَا عَدَمَتُهَا أَبَدًا خَيْرَ صَلَاتٍ^(٧) الْكَرِيمِ أَعُوذُهَا
عد بها : أعدها، ولا عدمتها : دُعاء لها - وهو حشو مليح - والصلات : الجوائز، واحدها
صلة أعودها : أي أدومها عائدة .

- (١) الواحد ص ١٥ : وكم وكم، قال ابن جني : نعمة تنشد بالنصب والجذر وكلاهما جائز (الفسر ٢/ ٣٠٠) ورواية البارقي
«مجللة» (بكر اللام الأولى) على اسم الفاعل - وضبط «ريتها» بفتح التاء - ويعزز ذلك أن البيت بعده فيه الفعل
(سمحت) بفتح التاء - انظر العرف الطيب ١/ ١٠٠ .
(٢) سمحت بها : أي بقضائها، والممنى : قضيتها لي . الواحد ص ١٥ .
(٣) رواية أبي العلاء : «أقرب شيء إلى موعدها أي كان موعدها في الانجاز أقرب من نفسي إلى نفسي . يريد طريقة الصوفية
كأنه فصل نفسه (معجز أحمد - مخطوط) .
(٤) يروي : «ترددها» على المصدر، وترددها أي تميدها وتكررها علي، وقد أورد المعري الروايتين دون أن يفاضل بينهما
(معجز أحمد - مخطوط) وأشار الواحد أيضا إلى الروايتين السابقتين ص ١٥ .
(٥) يروي : فلا أقدر، وهي رواية ابن سيده (شرح مشكل شعر المتنبي ص ٣١، والواحد ص ١٥ والمكبري ٣١٢/١ .
(٦) قال ابن سيده : أفر بها جلدي أي نضرة العيش يادية على بشرتي (شرح مشكل شعر المتنبي ص ٣١) .
(٧) رواية ابن جني : خير هبات ... (الفسر ٢/ ٣٠٣) .

يقول : استأنف أحسان والمكرمة لا عدمتها مدى الدهر؛ فإن خير الجوائز ما يعاد
وتدام عائدتها.

٤

يحيى التبريزي

(ت ٥٠٢)

قال يحيى التبريزي (ت ٥٠٢) :

رس في صباه (١)

من اول المنسرح والقافية متراكب .

١ - أَفْلا بِذَاكَ سَبَاكَ أَغْنَاهَا
أَبْقَدَ مَا بَانَ عَنْكَ خُرْنَاهَا

ع : قال : اغنيها : وهو يريد مؤنتاً ، لانه اراد : ان هذه المرأة تشبه الغزال .
ثم حذف التشبيه . قال عدي بن الرقاع :

لولا الحياء إن رأسي قد عشا
فيه المشيب لزرت أم القاسم (٢)
وكانها بين النساء أغارها
غنيته اخوؤ من جانير جاسم
وشنان أقصنه الثعاس فزنت
في غنيته سنة وليس بنايم

شبهها بالجؤنر وهو ولد البقرة الوحشية .

ويجوز ان يكون تنكيرهم المحبوب وهم يريدون المؤنث على معنى
الشخص او الانسان . لان الانسان يقع على الرجل والمرأة .
واجود الروايتين « أَبْقَدُ » على انه (أَفْقَلُ) من البَقْد .

(١) جاء في كتاب ابن عدلان : « يمدح محمد بن عبيد الله العلوي » .

(٢) هذه الابيات من قصيدة مطلعها :

ألم على طللي عفا متقام
بين النؤيب وبين غييب النعام

انظر ديوان شعر عدي بن الرقاع المأمل عن ابي العباس ثعلب . تحقيق :
د . نوري حمودي القيسي ود . حاتم صالح الضامن . ص ١٢٢ نشر المجمع
الملمي العراقي .

والخُرْد : جمع خريدة على غير قياس . لان (فعيلًا) و (فعيلة) ليس
بأيهما ان يجمعاً على (فُعْل) وانما « خُرْد » في الحقيقة جمع « خارد »
و « خاربة » .

ومن روي « أُنْفَذ » على الاستفهام فالمراد : أقترح بهذه الدار بعدما بان
الذين كنت تكرمها لاجلهم .
وهذا البيت فيه مجاز واتساع . لان العادة جرت بان يقال : أهلاً بفلان :
للقائم ، لا الذي يُقَدَّم عليه . ولكن لما جعلها سارة له كما يُسَرُّ القائم المحبوب
جاز ان يقول لها ذلك .

٢ - ظَلَّتْ بِهَا تَنْطَوِي عَلَى كَيْبٍ
نَصِيخَةٍ فَوْقَ خَلْبِهَا يَدُهَا [١/٢٢٢]

ظَلَّتْ بِهَا تَنْطَوِي على كيد : يراد بها ، ظلمت . وفيها لغتان : اجودها فتح
الطاء والآخرى كسرهما . واكثر القراء على الفتح في قوله : ﴿ فَظَلَّتْ
تَنْكُهُون ﴾^(٣)
وروي عن يزيد بن القعقاع أنه قرأ بالكسر .
وسيوييه يذهب الى ان هذه الافعال مسموعة ، لا تُقَاس ، وكان الكسائي
يجيز ذلك في الافعال الماضية إجازة مطردة . واجاز القراء في الماضي
والمضارع . وانشد :

عليها من قَوابِم مَضْنَرَجِي
من اللاني يُكْنَى من الشقيع
اراد « يُكْنَى » فحذف النون . وحذفها يشبه حذف السين في قول ابي زيد
خَلَا أَنَّ الْعِتَاقَ مِنَ الْمَطَايَا
أَخْشَنَ بِهِ فَهْنُ إِلَيْهِ شَوْسُ^(٤)

(٣) الآية « ٦٥ » من سورة الواقعة .

(٤) الرواية في كتاب « شعراء اسلاميون » خَشَنَ به « والبيت من قصيدة مطلعها »

أراد : « أخشن » فالحاء في « أخشن » ساكنة ، ألقيت عليها فتحة السين ثم حذفت للسكون وللاجتماع المثلين . وكذلك « يُكْنَنُ » لما كانت الكاف ساكنة نقلت إليها فتحة النون التي تليها ثم حذفت . لان بعدها نونا أخرى . وقوى ذلك ان نون جمع المؤنث جاءت في الاخير .
 فاما « ظلت » فليس قبل اللام حرف ساكن تلقى عليه الحركة . واذا فتحت الطاء شبهوها بـ « لست » واذا كسرت فكانهم نقلوا إليها الكسرة التي في اللام . وازالوا عنها الفتح .
 والجلب : زيادة الكبد . ويقال : هو حجاب القلب . وقيل : هو ما بين الكبد والقلب .

واضاف « اليد » الى « الكبد » لانه اراد الشخص الذي الكبد مستقرة فيه .

واذا أخذ بمذهب ابي الطيب في المبالغة جاز ان تكون اليد مرفوعة بـ « نضيجة » لان تلك اشد للحرارة . واذا جعلت « نضيجة » صفة لكبد غير عاملة في « يدها » فالمعنى صحيح ، وليس بمبالغ .
 وترفع « اليد » بالابتداء في ظاهر مذهب البصريين ، وبمعنى الاستقرار على رأي سعيد بن مسعدة . ويخبر الصفة على رأي الكوفيين .

٢ - يا حبايبي غيبها واخسني
 أوجس متأقربا أقربا (٥)

← فباتوا يلجون وبات يشري
 بصير بالخي هاد فوش

انظر شعراء اسلاميون القسم الخاص بشعر ابي زيد الطائي . ص ٦٣١
 تحقيق د . نوري حمودي القيسي نشر عالم الكتب . التخرين من تاريخ ابن عساكر : ٤ / ١٠٩ ومعجم الانباء : ٤ / ١١١ والمقتضب ، ٢٩٩ .
 (٥) رواية ابي الفتح وابن المستوفي وابن عدلان « غيرها » .

ويروى « غيرها » . والعير : الابل الحاملة . وربما كان عليها ناس ، وربما لم يكن فيها [١ / ظ ١٢٢] ركبان .

وقد دلّ كلامه على ان المرأة في هذه العير .

وقوله : « واحسبني .. الى آخر البيت » من الكلام الذي يقال لـ « الاعتراض » لان المقصود غيره .

وقوله « قبيل افقدها » . هذا من مواضع « ان » وحذفها / ليس بمستعمل في القرآن . ولا كلام الفصح . وهو كالضرورة ، وليس بالسديد ، وانما يكره اذا كان قبل الفعل ما يقتضي ان يكون بعده مصدر . والغرض : قبيل فقدها .

٤ - قَفَا قَلِيلًا بِهَا عَلَيَّ فَلَا
أَقْلُ مِنْ نَفْثَةِ أَرْوَاهَا
يروى : « فلا اقل » و « فلا اقل »^(١) .

والمعنى الذي قصده في البيت الاول هو في هذا البيت . واعترض ذلك الكلام بونه .

٥ - نَفِي قَوَارِ انْمُحِبْ نَارَ هَوَى
أَخْبَرُ نَارِ الْجَحِيمِ ابْرُؤْهَا^(٢)
٦ - شَابَ مِنَ الْهَجْرِ فَزُقْ لِمَتِهِ
نَصَارَ مَثَلِ الدُّمَقْسِ اشْوَدَّهَا

ع : الفزق : فزق الشجر . وهو ان يفرق بين جانبي الرأس .
والدُمَقْسُ : القز الابيض ، وكل ما اشبهه فهو دُمَقْسٌ . وزعموا انه ليس
بعربي في الاصل .

(٦) « فلا اقل » هي رواية ابي الفتح وابن المستوفي وابن عدلان .

(٧) رواية ابن عدلان « نار جوى » .

والاحسن ان تكون « الهاء » في « لِمَتِهِ » راجعة الى المُجِيبِ .
واللَّمَّة : الشَّعر الذي طال حتَّى آلَمَ بالمتكَب . وجمعه : لِمَمٌ وَلِمَامٌ . وذهب
بعض الناس الى ان « الهاء » في « لِمَتِهِ » راجعة الى الفؤاد . وليس ذلك
بحسن ، لانه يجعل للفؤاد لِمَةً . وتلك استعارة ليست بحسنة ، لان العادة جرت
بانهم لا يستعملون اللَّمَّة إلا في الشَّعر .

٧ - بَانُوا بِخُرْغُونَةٍ لَهَا كَفَلٌ
يَكَادُ عِنْدَ الْقِيَامِ يُفْعِدُهَا
الْخُرْغُونَةُ والخُرْغَبَةُ : الناعمة .

ح : اللَّيْثَةُ الْقَضْبُ^(٨) . الطويلة .
ويقال للفض الناعم : خُرْغوية . ومنه قول امرئ القيس :

بَرَزَ رَزْفَةً رَخْصَةً زُوودَ
لِخُرْغُونَةٍ بَائِثَةِ الْمُتَفَطِّرِ^(٩)

٨ - رِنَخْلَةً أَشْمَـرَ مُقْبِلُهَا
سِبْخَلَةً أبيضَ مُجْرَدُهَا

ع : السَّبْخَلَةُ والرَّيْحَلَةُ : متقاربتان في المعنى ، يراد بها : الضَّخْمَةُ في طولٍ
وسِيقِن .

(٨) في القسم المطبوع من كتاب الفسر « المصّب » بالعين . وفي مخطوطة هذا الكتاب
« القصب » .

(٩) رواية الشطر الاول في الديوان « برهرمة زُوودَةُ رَخْصَةٌ » .
وهذا البيت من قصيدة مطلعها :

أَحَارِ بْنَ عَمْرٍو كَأَنِّي خُمِرُ
وَيَعِدُو عَلَى الْفَزِّ مَا يَأْتِمُرُ

انظر ديوان امرئ القيس . تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم : ص ١٥٧ .
دار المعارف بمصر .

وقال [١/ و ١٢٣] بعض الأعراب لرجل اراد ان يشتري بعبيراً : عليه
السَّبَخْلُ الرَّخْلُ الرَّاحِلَةُ الفحل . اي : يصلح ان تُرَخَّلَ وان تَتَّخِذَ فحلاً للاب
وقالت امرأة تصف بنتها :

سَبَخْلُةٌ رَخْلُةٌ
تَنَمِّي نَبَاتَاتِ النَّخْلُةِ

ووصفوا الضَّبَّ يسبحل . قال الشاعر :

سَبَخْلُ لَه نَزْكَانِ كَانَا فَضِيلَةً
على كُلِّ حَافٍ فِي الْبِلَادِ وَنَاعِلٍ^(١٠)
٩ - يَاعَايِلَ الْفَاشِقِينَ ذَغَ قَيْلَةً
أَضْلَهَا اللَّهُ كَيْفَ تُرْشِدُهَا^(١١)
١٠ - لَيْسَ يَجِيئُكَ الْمَلَامُ فِي هَمِّ
أَقْرَبُهَا مِنْكَ غَنُوكَ ابْتَدَاهَا

ع : ليس يحيك : اي : ليس يُؤَثِّرُ . والاجود عندهم . ما احاك فيه السيف
اي : ما أثّر .

ويقوى رواية من زوى في اول القصيدة « أبعد » على الاستفهام قوله في
هذا الموضع : « أَقْرَبُهَا مِنْكَ عَنْكَ ابْعِدْهَا » لان ابا الطيب قليل التكرير
ح : اي : اقربها منك ابعداها عنك في الحقيقة . ويقال ضربه بالسيف فما
احاك فيه . وحاك فيه القول .

(١٠) هذا البيت لخالد بن عبدالله القسري . من ابيات ورثت في اللسان مادة « نَزَكَ »

والنَزَكَ : نَكَرَ الْوَزْلَ وَالضَّبَّ . ويقال : نَزَكَانِ : اي قضيبان . هذا ما تزعم به العرب

(١١) المعنى : ترك عنذك لي ، كيف تعمل من اضله الله فجعله يهوى . فقد استمر

عليه الحب وسلب له وعقله فكيف تريد ارشاده . وقد اضله الله .

١ - يَشُّ اللَّيَالِي سَهْرًا مِنْ طَرَفِي
شَوْقًا إِلَى مَنْ يَبِيْتُ يَزُقُّهَا^(١٢)

١١ - أَخْبَيْتُهَا وَاللُّغْوُ تَنْجِيئِي
شَوْقُهَا وَالظَّلَامُ يُنْجِيئِيهَا

ع : احببتها ، اي ، سهرتها من اولها الى آخرها . ومنه حديث خارجة بن زيد . كان زيد لا يحيي شيئاً كما يحيي ليلة سبع عشرة من رمضان . اي : يسهرها والمعنى منقول في هذا اللفظ من ابن أتم الى الليل ، لانه اذا سهر فكانه يحيي نفسه . لان النوم عندهم ضرب من الموت .
وانما قالوا : احببت الليلة حملاً على قولهم : ليلاً نائم اي : ينام فيه وكذلك قولهم : احببته : اي : لم أتم ، فنقلت الحياة الى الليل .
وتجدني : اي : تمينني ، والشوق : جمع شاق^(١٣) ، وهي عروق تصل بين عظام الرأس . ومنها يجري الدمع .

١٢ - لَا نَأَقْتِي تَقْبِلُ الرُّؤْيَا وَلَا
بِالسُّوْطِ يَوْمَ الرُّمَانِ أَجْهَهَا^(١٤)

اراد بالناقاة هاهنا : فعله . وقد استعملت العرب ذلك ونحوه قول الشاعر :

رَكِبْنَا إِلَيْكَ السَّبْثَ فِي كُلِّ مَهْمٍ
خَفِيَ الصَّوْى إِذَا اغْوَزْنَا الرِّكَائِبَ [١/ظ ١٢٣]

(١٢) جاء في كتاب ابن عدلان .

يريد : تم الليالي التي سهر فيها ولم يلم ، لما اخذه من القلق وخفة الشوق على من يحب وقد كان يرقد لياليه ، لانه كان خالياً من الشوق ، لا يجد من اسباب امتناع الرقاد ما يجده العاشق ، واين الخلي من الشجي .

(١٣) جاء في اللسان مادة « شوق » .

الشوق والاشتياق نزاع النفس الى الشيء . والجمع : اشواق . شاق اليه شوقاً .

(١٤) رواية اللسر « تحمل » مكان « تقبل » .

وقال آخر:

رواحلنا ست ونحن ثلاث
تُجَنَّبُهُنَّ الماء في كل منزل^(١٥)
والزمان: أكثر ما يذكر في الخيل. وقد كانوا يستبقون على الإبل فيراهنون.
١٤ - شَرَاكُهَا كُورُهَا وَمِشْفَرُهَا
زَمَامُهَا وَالشُّشُوعُ وَمِشْرُهَا
لما جعل النمل ناقة جعل لها كوراً. مثل الكور الذي هو رِجْلُ الناقة.
واستعار لها مشفراً.
وأعرف ما يكون المشفر للابل.
والشُّسُوع: جمع شُسَع. ولم يقولوا: اششاع ولا أششع. والقياس أن
يقولوا ذلك.

١٥ - أَشَدُّ عَضْفِ الرِّيحِ يَشْبِقُ
تَخْتِي مِنْ خَطْوِهَا تَائِدُهَا^(١٦)
١٦ - فِي مِثْلِ ظَهْرِ الْمِجَنِّ مُنْصِلٌ
بِمِثْلِ بَطْنِ الْمِجَنِّ قَرْدُهَا
شبه الأرض بظهر المجن. وهو القُرس. لأنها خالية من النبات. وهي في
ذلك مُزْتَفَعَةٌ مع غَلْظٍ وجعلها تتصل بأرض مثل بطن المجن، لأنها منخفضة.

(١٥) ورد هذا البيت في كتاب الفسر وفي كتاب ابن عدلان عند شرحهما بيت المتنبي
برواية «منهل» مكان «منزل».

(١٦) قال الواحدي في شرح هذا البيت:

أهون شلر ناقتي يسبق الريح. وهو في الحقيقة وصف لشدة غزوه متنفلاً.
والتأيد (تفعل) من الأيد. وهو التقوي. وليس المعنى على هذا. وإنما أراد التنقل
من الأثاء: هو الترفق واللين، ولم يحسن بناء التنقل منه، وحقه تأودها.

وَيَقَالُ لَوْسَطَ الظَّهْرِ : قَرْدُودِهِ . وَهَذَا الْبَيْتُ يَرَوَى ... (١٧) . السَّلامَانِي

فَازْكَبْ مِنَ الْأَمْرِ قَرَادِيدَهُ
بِالْحَزْمِ وَالْقَوَّةِ أَوْ بِأَيِّعِ
أَي : أَرْكَبُ مَا غَلَطَ مِنْهُ .

١٧ - مُزْتَمِيَاتٌ بَنَّا إِلَى ابْنِ عُيَيْنٍ
اللَّهُ غَيِّطَانَهُمَا وَقَدْ ذُكِرَ هَا

الغائط : المظمن من الأرض . وهو الغوط أيضاً . فإذا قالوا : غيطان : جاز
أن يكون جمع غائط . مثل : حائط وحيطان . ويجوز أن يكون جمع « غوط »
مثل : نور ونيران .

(والغدغد : الأرض الغليظة المرتفعة الخصى . فلا يزال يبرق
فيها) (١٨) .

١٨ - إِلَى فَتَى يُضِدُّ الرُّمَاحَ وَقَدْ
انْهَلَهَا فِي الْقُلُوبِ مُؤِيدَهَا

ع : النَّهْلُ : الشَّرْبُ الْأَوَّلُ . يُقَالُ : انْهَلَ إِبْلُهُ . وَالنَّاهِلُ عِنْدَهُمْ مِنَ الْأَضْدَادِ .
يَكُونُ فِي مَعْنَى الشَّارِبِ ، وَفِي مَعْنَى الْعِطْشَانِ ، وَالْأَصْلُ أَنْ يَكُونَ النَّهْلُ فِي
مَعْنَى الشَّرْبِ . وَقَدْ انْشَدُوا بَيْتَ النَّابِغَةِ عَلَى أَنَّ النَّاهِلَ : الْعِطْشَانُ . وَهُوَ قَوْلُهُ :

وَالطَّاعِنُ الطُّفْنَةَ يَوْمَ الْوَعَى
يَنْهَلُ مِنْهَا الْأَسْلُ النَّاهِلُ (١٩) [١/١٢٤]

(١٧) الاسم غير واضح .

(١٨) الكلام المحصور بين القوسين لابي الفتح ورد في الفسروفيه اضطراب . وصوابه .

« .. المرتفعة ذات الخصى ، فلا تزال الشمس تشرق فيها » .

(١٩) هذا البيت من أبيات أولها :

والله والله للبقم الفتى الـ
أعرج لا لكش ولا الخامل

وكانهم قالوا للظالمين « ناهل » على معنى الغال . اي : انه يشرب ان شاء الله . او يكونوا ارادوا : انه سوف ينهل فيما بعد ، لانه يحتمل ان يقال هذا للبحير : « ناهل » اي : ينهل فيما يستقبل .

١٩ - لَه اِيَّايَ اِلَيَّ سَابِقَةً
أَعْدُ مِنْهَا وَلَا أَعْدُهَا

يريد : انه قد وقب له نفسه . اي : هي لا تحصى كثرة وانا أخذها^(٢٠) .

٢٠ - يُقْطِي فَلَا مَنَاقِلُ يُكْدِرُهَا
بِهَا وَلَا مَنَاقِلُ يُنْكَدِرُهَا

اي : هي اياد لا يكدرها قَطْل ، ولا ينكدها مَن . وقوله : « بيا » اي : بالايادي .

٢١ - خَيْرُ قُرَيْشٍ أَبَا وَأَنْجِدُهَا
اَكْثَرُهَا نَائِلًا وَأَجْرُهَا^(٢١)

٢٢ - أَطْعَمَهَا بِالْقَنَاقَةِ أَضْرَرُهَا
بِالسَّيْفِ جَحَجَسَ أَخَهَا مُسَرُّرُهَا

بالقناة والسيف تأكيد . كتوله تعالى : ﴿ وَلَا طَائِرُ يَطِيرُ بِحَنَاحَيْهِ ﴾^(٢٢) .
رأيتاه بعيني ودلّمتاه بخي^(٢٣) .

انظر شرح ديوان النابغة الذبياني ص ٦٩ منشورات دار مكتبة الحياة /

بغروت .

(٢٠) هذا كلام ابي الفتح نقله التبريزي بتصريف .

(٢١) المعنى : انا اياه خير قريش ، لانه ابن رسول الله ﷺ ، وهو لذلك امجدها واجردها .

(٢٢) الآية ٢٨ من سورة الانعام .

(٢٣) هذا كلام ابي الفتح ذكره التبريزي وقد تصوف فيه .

٢٣ - أَفَرَسَهَا فَارِساً وَأَطْرَفَهَا
بَاعاً وَيَغْوَاظَهَا وَشَيْئَهَا

ي : هو أفرسها إذا ركب فرسه . ركان فارساً . اي : هو أفرسها في هذا
الوقت على هذه الحال . وليس ممن يوصف بالفروسية في غير هذه الحال ، فإذا
صار إليها نكل .

والهاء : الكثير الفارة . والجمع : المغاوير . قال الكميت :

ومغاوير عندفئ مغاوير مساعير ليلة الإلجام^(٢٤)

ونصب « فارساً على الحال لا على التمييز . وهو كقولك : زيد أكرم الناس
مغيراً ، اي : في هذه الحال .

٢٤ - تَسَاجُ لُؤْيِي بِنِ غَالِبٍ رُبِي
سَمًا لَهَا نَزْعُهَا وَمَخْرَجُهَا

التخيد : الأصل . من قواهم : حَتَدَ بالمكان : إذا أتام به . ويقال للعين من
عين الماء : شي خُنْدٌ : إذا كان ساوياً لا ينقص .

٢٥ - شَدَسُ شُخَاهَا هِلَالٌ لَيْلِيهَا
نُرٌّ تَقَاصِيرُهَا زَرْجِيهَا

التقاصير : جمع بقصار . وهي قِلَادَةٌ قصيرة ، لا تتل على الصدر . ويقال
لها : مَقْصَرَةٌ ومَقَاصِيرُ ، قال :

أَبْصُرْتُ مِنْ أَسْمَاءَ لِمَحاً بِأَمِيرٍ
يَلْقَمُ لَقْماً يَقْطَعُ الْمَقَاصِيرَ^(٢٥) [١/ظ ١٢٤]

ويقال : زَرْجَدٌ وزَرْجِد .

(٢٤) ورد البيت في الهاشميات ص ١٠ ، وهذا الشرح وما ورد فيه من شاهد لابي الفتح

ورد في كتابه الفسر .

(٢٥) هذا الشرح مع الشاهد ورد في كتاب الفسر لابي الفتح .

ع : والزبرجد فيما قيل : مُقَرَّبٌ . وذهب قوم الى تسميتهم قيس بن حسان
أحد بني ضُبَيْفَةَ بن قيس بن ثعلبة : « بُرْجَدًا » : مراد به الزبرجد . سقوه
بذلك لِحُسْنِهِ .

ولم تجر العادة بأن يحذفوا اوائل الاسماء الرباعية ولا الخماسية ؛
ويجوز ان يكون مأخوذاً من « البرجد » وهو الكساء المخطط . كانه عندهم
أحسن من الكساء الذي يكون غير مُخَطَّط .

٢٦ - يَالَيْتَ بِي ضَرْبَةً أَتِيحُ بِهَا
كَمَا أَتِيحَتْ لَهُ مُخْئِئُهَا^(٢٦)

ع : هذا البيت يحتمل وجهين : احدهما : ان يريد ان هذه الضربة خَسَنَتْ
وجه الممنوح وشَرَفَتْهُ ، وبلَّت على شجاعته .
والآخر : ان يكون اراد : ياليت بي هذه الضربة . اي : ليتني فديته منها .
فهو في الوجه الاول مُتَّقَنٌ خيراً . وفي الثاني جاعل نفسه فِدَاءً
للممنوح .

وأتيح : قُدِّرَ .

٢٧ - أَثَرُ فِيهَا وَفِي الْحَدِيدِ وَمَا
أَثَرُ فِي وَجْهِهِ مُهْنُهَا

(أثر : استعارة ومجاز . لان الضربة عرض ولا يصح التأثير فيها)^(٢٧) .
اثر في الضربة بالتشريف ، وفي الحديد بالتفليل .

٢٨ - فَاغْتَبَطْتُ إِذْ رَأَتْ تَرْتُّنَهَا
بِمِثْلِهِ وَالْجِرَاحُ تَخْشُئُهَا

يحتمل ان يكون الجراح جمع جِرَاحَةٍ ، وان يكون جمع : جُرُوحٍ وَجُرُوحٍ^(٢٨) .

(٢٦) رواية ابي الفتح وابن عدلان « لها » مكان « بها » .

(٢٧) هذا الكلام المحصور بين القوسين لابي الفتح ورد في الفسر .

(٢٨) وهذا الكلام لابي الفتح ايضاً ورد في الفسر .

٢٩ - وَأَيَّقَنَ النَّاسُ أَنَّ زَارِعَهَا
بِالْفَكْرِ فِي قَلْبِهِ سَيَخْصِمُهَا
(اي . إنما مكر به عدوه ، ولو واجهه لما قدر عليه . وتقديره : ان زارعها في
قلبه بالمكر)^(٢٩) .

اراد قي قلبه ... إليه ليضربه .

٣٠ - اضْبَحْ حُسْبَاءَهُ انْفُسَهُمْ
يُخْبِرُهَا خَوْفُهُ وَيُضْعِفُهَا
حدثت السفينة واحدرتها : واحد^(٣٠) .

٣١ - تَبْكِي عَلَى الْأَنْضُلِ الْقُمُودُ إِذَا
انْزَرَقَا أَنَّهُ يُجِرُّهَا [١/١٢٥]
لانها لا ترجع اليها لمقامها في الرقاب^(٣١) .

٣٢ - لِيَعْلَمَهَا أَنَّهَا تَصِيرُ نَمَاءً
وَأَنَّهَا فِي الرِّقَابِ يُقْبِلُهَا^(٣٢)
٣٣ - أَطْلَقَهَا فَالْقَنُودُ مِنْ جَزَعٍ
يَنْزُمُهَا وَالصُّدِيقُ يَخْتَدِمُهَا

(٢٩) وهذا الكلام المحصور بين القوسين لابي الفتح ورد في الفسر .

(٣٠) لفظة غير واضحة جاء رسمها على هيئة « الفرس » .

(٣١) هذا قسم من كلام ابي الفتح نقله التبريزي .

(٣٢) وهذا ايضاً جزء من كلام ابي الفتح ذكره التبريزي هنا .

(٣٣) جاء في كتاب ابن عدلان .

المعنى : لعلم القمود انه يغمس السيف في دماء الاعداء حتى تتلخ بها ، وتصير

كانها دم لخفاء لونها بلون الدم . وانه يتخذ من رقاب الاعداء اغماًداً . اي : انها

لا تعود الى القمود . فلذلك تبكي عليها .

قوله : « من جزع » خشو إلا أنه مليح . اي : انما نفعها العدو جزعاً . لا انما
مما يستحق النّم في الحقيقة .
وقوله : « اطلقها » ، اي : اكثر الضرب بها ، ويجوز ان يكون اراد : اطلق
شقارها (٣٤) .

٢٤ - تَذْذِيحُ النَّارِ مِنْ مَضَارِيرِهَا
وَضَبُّ مَاءِ السُّرُوبِ يُشْبِئُهَا
اي : اذا بلغ السيف الى الارض ففج النار ، انضبت الدم عليها
فأشبعها (٣٥) .

٣٥ - إِذَا أَغْلَسَ الْهُمَامُ يُهْجِئُهَا
يَوْمًا فَانْزَاهُنَّ تُشْبِئُهَا
ويروي « فَاغْلَزَاهُنَّ » « يَنْشُدُهَا وَتَنْشُدُهَا » . اي : اذا نزل عن نفسه قوته
السيف . فكانها عرفتته نفسه .

(اي : اذا فقد الهمام هجئته فانما يسأل اطراف هذه السيف عذبا .
لانها متراة بها) (٣٦) .

ع : ويجوز ان يكون اراد : ان الهمام وهو الملك اذا أغل نفسه نشدها في
اطراف هذه الرماح . ويكون المعنى : معنى نكاته جعل اطراف طراً .
ويحتمل أن يجعل ، نشئت متعبداً الى مفعولين ، فيكون التقدير : ان
الهمام ينشد هجئته في اطرافون .

وقولهم : نشدت الضالة : من قولهم : نشدتك الله . وهو في ذكر الله متعد
الى مفعولين . كان القائل ذلك يريد : ذكرتك الله فطلبته عندك .

(٢٤) هذا كلام ابي الفتح ورد في كتابه الفسر .

(٣٥) وهذا ايضاً كلام ابي الفتح ورد في كتابه الفسر .

(٣٦) الكلام المحصور بين القوسين لابي الفتح ورد في الفسر .

٣٦ - قَدْ اجْتَفَتْ هُنَا الْخَلِيقَةَ لِي
أَتُكَّ بِإِبْنِ الْقَيْيِ أَخْذُهَا
٣٧ - وَأَتُكَّ بِالْأَمْسِ كُنْتُ مُخْتَلِمًا
شَيْخٌ مَقْدَرٌ وَأَنْتَ امْرُؤٌ

(اي : كنت في حال احتلامك شيخ معد . وكيف بك اليوم مع غُلُو السُّنِّ
وَالْحُكْمَةِ) (٣٧).

ع : « أن » المشددة إذا خففت فالوجه أن يكون ما بعدها مرفوعاً ، كما
قال سبحانه : ﴿ وَأَخِرْ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ (٣٨) . وربما نصبرنا الاسم الذي
بمدها وهي مُخَفَّة [١/٢٥ ظ] وَيُنَشَّدُ :

وَمَسَارُ فُشْرِقُ النُّجُومِ
كَأَنَّ ثَنِيْدِي خُفَّان

ويروى : ثنياد .

وقوله : « وَأَتُكَّ » على لغة من نصب . لأن هذه الكاف لا تكون ضمير

المرفوع .

ونصب « مختلماً » على الحال . ويجعل « شيخ معد » خبر كان .
وزعم بعض النحويين أن « كان » لا تعمل في الحال . فإذا أُخِذَ بهذا
القول حُولَ على قوله : كنت بالأمس . وجعل العامل في الحال الفعل المضمر
الذي عدل في قوله « بالأمس » والقياس لا يمنع أن تعمل « كان » في الحال ،
لأنها فعل متصرف . ويرفع فاعلاً وينصب مفعولاً ، أو شبهاً بالنسبة .
ومقد : يحتمل أن تكون المعيم فيه زائدة ، وأن تكون أصلية . واشتقاقه إذا
جملت المعيم زائدة من : عدت . وإذا كانت أصلية فقد استعملوا من هذا اللفظ
أشياء . قالوا : غَيْثٌ ثَقْدٌ مَقْدٌ . يريدون بالقيث : الثبت . اي : هو غَضٌّ ناعم .

(٣٧) وهذا الكلام المحصور بين القوسين لأبي الفتح نكته التبريري بلغة .

(٣٨) الآية « ١٠ » من سورة يونس .

وقالوا : مَقَدُ الذُّنُبِ الشَّاةُ : اذا اختطفها . وقالوا : نَزَعُ مَقَدٍ يعنون : نَزَعُ
من البئر . اي : شديد . قال الراجز :

يَا سَفْدُ يَا بِنَ غَمَرٍ يَا سَفْدُ
هَلْ يَزُوِيَنَّ ذُوْنَكَ نَزَعُ مَقَدٍ^(٣٩)

وقالوا : مَقَدُ الرَّجُلُ : اذا صار لَصاً . قال الراجز :

أَخْشَى عَلَيْهَا طَيِّباً وَاسِداً
وَحَارِيْنَيْنِ خَرَبَا فَمَقَدَا^(٤٠)
لَا يَخْشَبَانِ اللَّهَ إِلَّا رَقْدَا^(٤١)

واستدلوا على ان الميم في « مَقَد » اصلية بقولهم : تمعد الغلام
سَمِيرَ وَشَبَّ . قال الراجز .

وَزَيْتُ حَتَّى اِذَا تَمَعْدَا
وَصَارَ نَهْدَا كَالْجِصَّانِ اجْرِدَا
كَانَ جَزَائِي بِالْقَصَا انْ أُجْلِدَا^(٤٢)

وفي الحديث : اخشوشنوا . واخشوشنوا وتمعدنوا ، اي : تشبهوا بـ
ابن عدنان . لانهم كانوا اهل شظف وغيث ليس بواسع .
ومَقَدُ الفرس : ما تحت فخذ الفارس . وعلى ذلك فسروا قول ابن الجهم

(٣٩) هذا الرجز لاحمد بن جندل الشقيدي . ورد في اللسان مادة « معد » والقسم
منه في اللسان هو :

• وساقيان شيط وجفد •

(٤٠) رواية المخطوطة « وَمَقَدَا » .

(٤١) ورد هذا الرجز في اللسان مادة « معد » .

(٤٢) ورد القسم الاول من هذا الرجز في اللسان مادة « معد » . وهو « زَيْتَا »

فَأَمَّا زَالٌ شَرَّجَ عَنْ مَقْدُ
فَأَجِدُزُ بِالْمَصَائِبِ أَنْ تَكُونَا^(١٢).

وقد استعملوا « المَعْدُ » في الرجل . يريدون الخاصة . وما قاريها . قال
خزائن [١٢٦ و ٤] :

رَأَتْ رَجُلًا قَدْ لَوَّحَتْهُ مَخَامِصُ
وَطَافَتْ بِرَنَانِ الْمُعَذِّينِ ذِي شَحْمٍ^(١٣)
٢ - فَكَمْ وَكَمْ يَنْفَعُ مُجَلَّلَةً
وَنَيْتُهَا كَانَ مِنْكَ مَوْلَاهَا^(١٤)

ع : مُجَلَّلَةً : أي : تَعَمَّ الجسد حتى تصير له كالجلال . ومن روى
« مُجَلَّلَةً » بالفتح . أراد : مُعْظَمَةً . من قولهم : شيء جليلٌ وجللٌ . ويحتمل أن
يعني بالمججلة : أني جَلَّلْتُهَا .

(٤٢) هذا البيت من قصيدة مطلعها :

ألا	ليت	المنازل	قد	تلينا
فلا	يرمين	عن	شَرَّجَ	حزينا

انظر شعر عمرو بن احرر الباهلي ، جمع وتحقيق : د . حسين عطوان :
ص ١٦١ . طبع مجمع اللغة العربية بدمشق .
ورود في اللسان مادة « معد » برواية « سرجي » و « بالحوادث » مكان
« بالمصائب » ورواية الديوان « بالحوادث » .

(٤٤) هذا البيت من قصيدة مطلعها :

لَلْعَدَدِ عِلْمٌ أَمِ الْأَدْيِيدِ رَأَتْ
أَقُولُ لَهَا قَدْ لَوَّحَتْهُ مَخَامِصُ
انظر ديوان الهذليين : ١٢٨ / ٢ . نشر الدار القومية للطباعة والنشر
القاهرة .

(٤٥) رواية مخطوطة الكتاب « نِعْمَةٌ مُجَلَّلَةٌ » و « نِعْمَةٌ مُجَلَّلَةٌ » . بالنصب والجر معاً
رواية ابن عدلان .. نِعْمَةٌ مُجَلَّلَةٌ بفتح اللام .

ح : كان يفشده^(١٦) بنصب النعمة وجزها . وكلا الوجهين جائز . ومعناه
نكم نعمة وكم نعمة . فإن كان ممن يقدر انه حذف الاولى ، وانقضى بالثانية
فالجز أتوى . لان نعمة قد وليت « كم » الجارة ، ويجوز النصب .
وإن كان ممن يقدر انه حذف النعمة الثانية وتكم « كم » الثانية ففصل
بين النعمة الثانية وبين « كم » الاولى ، فالوجه للنصب 'الفصل' .
ويجوز الجز . وقد ذهب اليها في قول الاعشى :

إِلَّا بُذَاقَةً أَوْعُتْ
لِـ « سَابِجٍ » هَلِ الْجُرَاةُ^(١٧)

إلا انه لا يجوز في « سابج » إلا الجز .
واراد بـ « كم » الخبر . وهو الوجه . فان اراد بـ « كم » الاستفهام لم
يجز في « نعمة » إلا النصب .
ومعناه : انك بروتتي فزكا برك لدي .

٣٩ - وَكَمْ وَكَمْ خَاجِرٍ شَغَذَتْ بِهِ
الْقَرْبُ وَيُنِي إِلَيَّ مُسْرُوتُهُمَا

لك في حاجة : النصب والجز مثل الاول^(١٨) .

٤٠ - وَفُكَّرُتْ مَنَاتٍ مَشَتْ عَلَى قَسَمٍ
إِلَيْهِ إِلَى نَفْسِي تُرَدُّهُمَا

(٤٦) يقصد المتنبي .

(٤٧) رواية البيت في الديوان : « لَا غَلَاةَ أَوْ بَدَاةَ » وهو من تصيدة مطلقها :

يَاجِجَاتِي مَا كُنْتُ جَارَةً

بِمَا نَتَّ لِحَمَلِنَا غَفَاةَ

انظر ديوان الاعشى الكبير . شرح وتعليق د . م . محمد حسين ص ١٥٩ .

معصر المتابعة الشعرية .

(٤٨) ورد هذا الشرح في كتاب الفسر لابن الفتح .

ج : اراد بالمكرمات هاهنا ثياباً انفذها إليه بدليل قوله :

٤١ - أَقْرُ جِلْدِي بِهَا عَلَيَّ فَلَا
أَقْبِرُ حَتَّى الْمَمَاتِ أَجْهَدُهَا

ع : كانه اراد الثناء عليه بأنه كساة . وهو نحو قوله في الاخرى .

فَبِرُكَّتٍ مِنْ غَيْثٍ كَانَ جُلُودًا
بِهِ تَنْبِتُ الدِّيَاجَ وَالْوَشْيَ وَالْمَصْبَا^(١١)

قوله : « فما اقدر حتى الممات اجدها » : هذا من مواضع « ان » .
المراد : فما اقدر ان اجدها . واثباتها حسن اذا لم تدع الى ذلك ضرورة .
[١ / ظ ١٢٦] .

٤٢ - فَكُنْ بِهَا لَاغْرِيَتْهَا أَبَدًا
خَيْرُ صَلَاتِ الْكَرِيمِ أَغْوَدُهَا^(١٢)

• • •

(٤١) هذا البيت من قصيدة مطلعها :

لَسَيْتُكَ مِنْ رِيحٍ وَأَنْ زِدْتَنِي كَرِيماً
فَسَأَلْتُكَ كُنْتَ الشَّرْقَ لِلشَّمْسِ وَاللَّيْلَ لَهَا

وقد مر ذكرها .

(٥٠) بداية أبي الفتح « هزوات » مكان « صلوات » .

٥

ابو البقاء العكبري

(ت ٦١٠)

قال ابو البقاء العكبري (ت ٦١٠):

وقال في صباه يمدح محمد بن عبد الله العلوي:

١ - أَهْلًا بِدَارِ سَبَاكَ أَغْنِيْهَا أَبْعَدَ مَا بَانَ عَنْكَ خُرْدُهَا

١ - المعنى: قال أبو الفتح: الأذى بعثني على مفارقتكم، فصار الأذى يداً، لأنه كان سبباً للفرقة. ونقله الواحدي.

٢ - المعنى: يريد: ما بيني وبينكم من الحال، لا من البعد في الأوطان.

قال الواحدي: إن الجفاء أعان قلبي على الشوق، فلا يغلبه شوق إليكم: أي لا أشتاق إليكم إذا تذكرت ما كان بيننا قبل الفراق. قال: والذي ذكرناه قول ابن جني، وعليه أكثر الناس.

وقال العروضي: هذا غلط، ولا يراه قوله: «أعان قلبي». ومن تخلص من بلية لم يتداركه شوق إليها.

ومعنى البيت الأول: ما كنت أحسبه عندكم أذى كان إحساناً إلى جنب ما ألقاه من غيركم، كما قال الآخر:

عَتَبْتُ عَلَى سَلَمَى فَلَمَّا هَجَزْتُهَا وَجَزْتُ أَقْوَاماً بَكَيْتُ عَلَى سَلَمَى

ثم قال: إذا تذكرت ما بيني وبينكم من صفاء المودة، أعانني ذلك على مقاومة الشوق إذا علمت أنكم على العهد، والوفاء بالمودة.

قال الواحدي: وقول أبي الفتح أظهر.

١ - الإعراب؛ قوله: «أهلاً» منصوب بمضمر، تقديره: جعل الله أهلاً بتلك الدار، فتكون مأهولة، وهو في الحقيقة دعاء لها بالشقيا.

وقال ابن القطاع: قال بعضهم: هو نصب على مذهب الاستفهام، بإضمار الظن، [أي] أنتظن أهلاً بدار؟ وكيف يظن ذلك وهو يراها خالية قفاراً، وإنما نصب على مذهب

الدَّعاء، لأن عادة الشعراء إذا وقفوا على ديار أحبابهم حيوها بالسلام، ودعوا لها بالسقيا ورجوع الأهل، كقول امرئ القيس:

ألا عِمْ صباحاً أيها الطُّللُ البالي

وكقول جرير:

سقى الزَّمَلُ جَوْنَ مُسْتَهْلٍ رِيَابُهُ وما ذاك إلا حُبٌّ من حِلٍّ بالرمل
أي من أجل حب من حل بالرمل. ولكنه منصوب على مذهب الدَّعاء، أي أعاد الله أهلاً بدار، وأهل الله أهلاً بدر، ثم رجع إلى نفسه فقال: أبعد ما بان عنك خردها، ولم تزودك عند رحيلك زار تدعو لها؟ انتهى كلامه.

وقال: من روى «أُبْعِدْ» بسكون الباء، فقد حكى حالة ماضية له معها بقوله: «ظلت»، ويضم حيثل عند تمام البيت قائلاً، أو تقول يا حادي، وتكون الأبيات إلى قوله: بانوا بخرعوبة» حكاية للحال، ومن روى «أُبْعِدْ» بفتح الباء فمعناه: عشقتها لكثرة ما سمعت من حسن وصفها، ولا يحتاج إلى إضمار، وهذه المبالغة على هذا الوجه، وإن كانت بعيدة في الرجوع.

قال الواحدي: وفي «أبعد» روايات، والذي عليه الأكثر هو الاستفهام، وفيه ضربان من الفساد، أحدهما في اللفظ، وهو أن تمام الكلام يكون في البيت الذي بعده، وهو عيب في الشعر يسمى المَضْمَن والمبتور، ومثله:

لا صلحَ ينسي فاعلموه ولا يَنْتَكِبُ ما حملت عاتقي
سَيْفِي وما أُنَا يَنْجِد وما قَرْيَنُ قُفْرُ الوادِ بالشَّاهِقِ

والثاني في المعنى، وهو أنه إذا قال: أَبْعِدْ فراقهم تهيم وتحزن، كان محالاً من الكلام. والرواية الصحيحة: «أُبْعِدْ ما بان»: أي أبعد شيء فارقك جوارى هذه الدار. وروى قوم «أبعد» بالنصب، على أنه حال من «الأغيد»، والعامل في الحال «سباك». يريد: سباك أبعد ما بان عنك، وهذا من العجب أن السابي يسبي وهو بعيد. يريد أنه أسرك بحبه وهو على البعد منك.

الغريب: الأغيد: الناعم، وجمعه غيد، وذكر اللفظ على إرادة الشخص أو الإنسان، والإنسان يقع على الذكر والأنثى. والخرد: جمع خريدة، وهي البكر التي لم تمس، ويقال في جمعه: خَرْدٌ (بالتخفيف)، وأكثر ما يستعمل في «الغيد» العتق.

المعنى: أنه لما دعا للدار بالسقيا ورجوع الأهل إليها بكى، وقال: هذه الدار أبعد

- ٢ - ظَلَّتْ بِهَا تَنْطَوِي عَلَى كَيْدِ نَضِيجَةٍ قَوْقٍ خِلْهَا يَدُهَا
٣ - يَا حَادِيَنِي غَيْرَهَا وَخَشِيَنِي أَرْجَدُ مَيَّأً قُبَيْلَ أَنْقُدُهَا

شيء فارقك، وبان عنك جواربها الناعمت الأبيكار.

٢ - الإعراب: ظلت: أصله ظللت، فحذف إحدى اللامين تخفيفاً، كقوله تعالى: ﴿فَظَلْتُمْ تَفَكُهُون﴾. ويدها: ارتفعت «بنضيجة»، وهي اسم فاعل يعمل عمل الفعل، كما تقول: مررت بامرأة كريمة جاريتها. ويجوز أن تكون «النضيجة» من صفة الكبد، وترتفع «اليد» بالابتداء عند البصريين، وعندنا بخبر الصفة، وعند علي بن مسعدة بالاستقرار، وإذا كانت «نضيجة» عاملة في «اليد» كان أبلغ.

الغريب: الخلب: قيل عشاء الكبد، وقيل غشاء للقلب رقيق، وقيل: الخلب: ما بين الزيادة والكبد، وجعل اليد نضيجة، وأضافها إلى الكبد، لأنها دام وضعها على الكبد، فأنضجتها بما فيها من الحرارة، فلهذا جاز إضافتها إلى الكبد، والعرب تسمي الشيء باسم غيره إذا طالت صحبته إياه، كما قالوا لفناء الدار: العذرة: وإذا جاز تسميته باسم ما يصحبه كانت الإضافة أهون.

المعنى: يقول: وقفت بتلك الدار واضعاً يدي على كبدِي، والمحزون يفعل ذلك كثيراً لما يجده في كبدِه من حرارة الشوق والوجد، حتى يخاف على كبدِه أن تنشق، كما قال الشاعر:

عَشِيَّةً أَتْنِي الْبُرْدَ ثُمَّ الْوُثْءَ عَلَى كَيْدِي مِنْ خَشْيَةٍ أَنْ تَقْطَعَا
وكيت الحماسة قول الصمة القشيري:
وَأَذْكُرُ إِيَّامَ الْحَمَى ثُمَّ أَتْنِي عَلَى كَيْدِي مِنْ خَشْيَةٍ أَنْ تَصْدَعَا
وكقول الآخر:

لَمَّا رَأَوْهُمْ لَمْ يُجِشُوا مُذْرِكاً وَضَعُوا أَسْمِلَهُمْ عَلَى الْأَكْبَادِ
قال الواحدي وقد ذكره أبو الطيب بقوله:

فيه أَيْدِيكُمَا عَلَى الظَّفَرِ الْخُلْدِ لِمَوِ وَأَيْدِي قَوْمٍ عَلَى الْأَكْبَادِ

٣ - الإعراب: نادى «الحادين» وحذف ما ناداهما له وذكره فيما بعد البيت، وهذا مما يسمى الاعتراض، اعتراض له كلام هو من شأنه وقصته ولو كان كلاماً ليس من قصته وشأنه فسد، وإذا كان منه جائزاً، كقول الآخر:

وقد أدركتني، والحوادث جمّة أَيْسَةُ قَوْمٍ لَا ضِعَافَ وَلَا عُزْلَ

- ٤ - قَلِيلًا بِهَا عَلَيَّ فَلَا أَقْلُ مِنْ نَظَرَةِ أَرْوَدَهَا
٥ - قَفِي فُؤَادِ الْمُحِبِّ نَارُ جَوَى أَحْزَنَارِ الْجَحِيمِ ابْرُدَهَا
٦ - شَابَ مِنَ الْهَجْرِ قَرْقُ لَيْتِهِ فَصَارَ بِثَلِّ الدِّمَقْسِ اشْرُدَهَا

فصل بين الفعل والفاعل بما هو من قصته، لأن إدراك الأئمة من جملة الحوادث، وكذلك قول أبي الطيب ليس بأجنبي عما هو فيه من القصة، وأراد «قيل أن أفقدها»، فلما حذف «أن» رفع الفعل، كبيت الكتاب في رواية البصريين:

ألا أيهذا الرّاجري أحضر الرّغسى

الغريب: العير: الإبل التي تحمل الميرة، ويجوز جمعه على عيرات، ذكره الجوهري هكذا.

المعنى: يريد: يا حاديي إبلها أظنّ أنني أموت قبيل أن أفقدها، وبين ما دعاهما له بقوله: [قفا قليلاً... إلخ].

٤ - الإعراب: من روى «أقلّ» بالرفع جعل «لا» بمنزلة «ليس»، كبيت الكتاب:

من صَدَّ عن نيرانها فأنا ابن قيس لا براخ

يريد أنه ليس عندي براخ. والضمير في «بها» يعود على المحبوبة، وإن شئت فعلى العير.

المعنى: يريد: يا حاديي عيرها قفا بها عليّ قليلاً أتأمل بنظرة كثيرة، والنظرة للمحب، ولا سيما عند الوداع. وفي هذا نظر إلى قول ذي الرقة:

وَأَنْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا تَعْلُلُ سَاعَةً قَلِيلًا فَلَئِنْ نَافَعْتُ لِي قَلِيلُهَا

٥ - الغريب: الجحيم: النار الشديدة التوقد العظيمة، وكلّ نار عظيمة فهي جحيم. قال تعالى: «قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ». والجاحم: المكان الشديد الحر، قال الأعشى:

يُعِيدُونَ لِلْهَيْجَاءِ قَبْلَ لِقَائِهَا غَدَاةَ احْتِضَارِ الْبَاسِ وَالْمَوْتِ جَا حِم

وجحمت النار: كثر جمرها ولهبها وتوقدها، ففيه جحيم وجاحمة.

المعنى: يقول: في فؤاد المحبّ، يعني نفسه، نار شديدة التوقد، أحزّ نار شديدة أبرد من نار الهوى، يريد أن الهوى أشدّ من نار الجحيم حرارة، أعادنا الله منهما.

٦ - الغريب: اللّمة: الشعر الذي يُلَمّ بالمنكب، والجمع: لِمَمٌ ولِمام. ويسمى الشعر القليل في الرأس: وَفْرَة، فإذا كثر عن ذلك قيل: جُمة، فإذا ألَمّ بالمنكب قيل: لِقَة.

- ٧ - بَأْتُوا بِخُرْعَوِيَّةٍ لَهَا كَفَلٌ يَكَادُ عِنْدَ الْقِيَامِ يُقْعِدُهَا
٨ - رِيْخْلَةٌ أَسْمَرُ مُقْبَلُهَا سَبْخَلَةٌ أَيْضُ مُجْرَدُهَا

والفرق: حيث يفرق الشعر. والدمقس: الحرير الأبيض، ومنه قول امرئ القيس:

فَنَلَّ الْعَذَارَى يَرْتَمِينَ بِلُجْمِهَا وَشَحِمَ كَهْدَابِ الدَّمَقْسِ الْمُقْبِلِ
ويقال فيه: مِدْقُسٌ وَمِدْقَاسٌ. أنشد الأصمعي:

سَوَيْنَ أَغْشَارَ الْأَدِيمِ كَأَسِي مِنْ ثَلَاثَةِ كَهْدَبِ الدَّمَقَاسِ
وأسودها: مسودها.

المعنى: يريد لعظم ما أصابه من الفراق شاب رأسه، حتى صار مسوداً لعمته أبيض،
وذلك من هجر الحبيب، وبعده عنه. يصف ما صار إليه بعده.

٧ - الغريب: الخرعية والخرعبة (أيضاً): المرأة الشابة اللينة الطويلة الطرية، ومنه
قول امرئ القيس:

بَرْقَرَقَةٍ رَأْدَةٌ رَخْصَةٌ كَخُرْعَوِيَّةِ الْبَانَةِ الْمُفْطِرِ

وقال الجوهري: الخرعية والخرعبة: الدقيقة العظام الناعمة والغصن الخرعوب:
المتنى.

المعنى: يقول: بانوا بامرأة ناعمة لها كفل، وهو الردف، يكاد إذا قامت يقعد لها لكثرة
ما عليه من اللحم. والمرأة توصف بثقل العجيزة. وقوله: «يكاد» يريد قرب من ذلك.
وكاد: فعل وضع لمقاربة الفعل، وإثباته نفي في المعنى، فأراد قرب من ذلك ولم يفعل،
وهذا منقول من قول أبي دلامة:

وَقَدْ حَاوَلْتُ نَحْوِي الْقِيَامَ لِحَاجَةٍ فَأَثْقَلَهَا عَنْ ذَلِكَ الْكَفْلُ التَّهْدُ
ومثله لأبي العتاهية:

بَدَتْ بَيْنَ حُورٍ قَصَارِ الْخَطَا تُجَاهِدُ بِالْمَشْيِ أَثْقَالَهَا
وأصله لعمر بن أبي ربيعة المخزومي:

تَشْوُ بِأَخْرَاهَا قَتَابَى قِيَامَهَا وَتَمْشِي الْهُوَيْنَى عَنْ قَرِيبٍ فَتَجْهَرُ

٨ - الغريب: الرُبْحلة: اللحمة الطويلة العظيمة، ورجل ربحل؛ وكذلك السبحلة،
ورجل سبحل. قالت امرأة تصف بنتاً لها:

رِيْخْلَةٌ سَبْخَلَةٌ تَنْبِي نَمَاءَ التَّخْلَةِ

- ٩ - يا عاذِلَ العاشِقِينَ دَغْ فِقَةً أَضَلُّهَا اللَّهُ كَيْفَ تُزِيلُهَا
 ١٠ - لَيْسَ يَجِيكَ الْمَلَامُ فِي هِمِّ أَقْرَبُهَا مِنْكَ عَنْكَ أَبْعَدُهَا
 ١١ - وَشَنَّ اللَّبَالِي سَهْرَتٌ مِنْ طَرِيٍّ شَوْقاً إِلَى مَنْ يَبِيْتُ يَزُقُّهَا

والمقبل: موضع التقييل، وهو الشفة، ويوصف بالسمرة. قال ذو الرمة:

لَمَيَاءٌ فِي شَفَتَيْهَا جُورَةٌ لَفَسَ

والمجرد: ما تعرّى من الثوب، وهو الأطراف.

والمعنى: وقال «أبيض المجرد» وهو الذي يضييه الريح والشمس، وهو الظاهر لمن يراه قال: فعلى هذا أن سائر جسدها الذي لم يره الناظرون أشدّ بياضاً من المجرد، فقد وصفها بسمرة الشفة وبياض اللون، يقول: ساروا بهذه المرأة التي هذه صفتها.

٩ - الغريب: الفئة: الجماعة من الناس، ويريد بهم العشاق.

والمعنى: يقول لمن يعذله في المحبة: دع غني عذلك، كيف تعذل من أضله الله في الهوى، حتى استولى عليه وخلب عقله؟ كيف تفعل هذا؟ أتريد رشاده وقد أضله الله؟ لا تقدر على هذا.

قال الواحدي: إنهم لا يضغطون إلى عذلك، لما بهم من ضلال العشق. ثم ذكر قلة نفع لومه.

١٠ - الغريب: يقال: حاك وأحاك: إذا أثر.

والمعنى: يقول: ليس يؤثر لومك في همم، أقرب الهمم منك أبعدا عنك في الحقيقة.

وقال الواحدي: أقربها في تقديرك أبعدا عنك في الحقيقة، أي الذي تظنه ينجع فيه لومك، هو الأبعد مما تظن.

١١ - الإعراب: المقصود بالذم محذوف، وهو نكرة موصوفة «بسهرت». والعائد إليه من صفته محذوف أيضاً، والتقدير: ليال سهرت فيها. ومثله في الكتاب العزيز: ﴿ومن آياته يريكم﴾، تقديره: آية يريكم بها البرق خوفاً. وقد جاء في الشعر حذف النكرة المجرورة الموصوفة بالجملة في قول الراجز:

مَا لَكَ عِنْدِي غَيْرُ سَهْمٍ وَحَجَزٍ وَغَيْرُ كَبْدَاءٍ شَدِيدَةٍ الْوَتَزِ
 تَرْمِي بِكَفِّي كَانَ مِنْ أَرْمَى الْبَشَرِ

يريد: بكفي رجل، فحذفه وهو ينويه، وقوله: «من طريي» مفعول له، وهو

بمعنى اللام، كما تقول: جئت من أجلك ولأجلك، وأكرمته لمخافة شـهـه، ومن مخافة شـهـه، وشوقاً: يحتمل أن يكون مفعولاً لأجله، عمل فيه «طري»، فيكون الشوق علة للطرب، والطرب علة للسهر، ولا يعمل سهرت في قوله «شوقاً» لأنه قد تعدى إلى علة، فلا يتعدى إلى أخرى إلا بعاطف، كقولك: أقمت سهراً وخوفاً، وسرت طرباً وشوقاً، ويحتمل أن ينصب بمحذوف، كأنه قال: شقت شوقاً، وشاقتي التذكر شوقاً. وشقت: فعل ما لم يسم فاعله، كما يقول المملوك: قد بعث، أي باعني مالكي، وكقول الجارية وقد سئلت عن المطر: غشنا ما شئنا، أي أغاثنا الله. وقوله: «إلى من» يتعلق بالشوق لأنه أقرب المذكور إليها، وإن شئت علقت بالطرب، إذا نصبت شوقاً بالطرب، وإن نصبت بالمحذوف لم تعلقه بالطرب، لأنك تفصل بشوق، وهو أجني من الطرب وصلته.

وكان الوجه أن يقول: يرقد فيها، كما تقول يوم الجمعة خرجت فيه، ولا تقول خرجته إلا على سبيل التوسع في الظرف، فجعله مفعولاً به على السعة، كقوله:

ويؤمأ شهيدناه سُلَيْمًا وعامراً

ففي البيت أربعة محذوف: حذف المقصود بالدم، وهو ليال، وحذف من سهرت فيها، وحذف الضمير من سهرت، وكان يقول سهرتها، والرابع حذف من يرقد فيها. وروى: سهرت وسهدت (بالراء والذال). وقد فرق أهل اللغة بينهما، فقالوا: السهر بالراء: في كل شيء، وبالدال: للذيق والعاشق، واستدلوا بقول النابغة:

ويشهد في ليل الثمام سليمها

ويقول الأعشى:

ويش كما بات السليم مُسَهِّداً

وقوله: «يش» اختلف أصحابنا والبصريون في «نعم ويش»، فقال أصحابنا: هما اسمان. وقال البصريون: بل هما فعلان ماضيان لا يتصرفان. ووافقهم من أصحابنا علي بن حمزة المقرئ.

حججتنا على أنهما اسمان، أن حرف الجر يدخل عليهما، لما قد جاء عن العرب أنها تقول: ما زيد بنعم الرجل. قال حسان بن ثابت الأنصاري:

أَلَسْتَ بِنَعْمِ الْجَارِ يُؤَلِّفُ بَيْتَهُ أَخَا قَلَةٍ أَوْ مُعَدِّمَ الْمَالِ مُضْهِمًا

وحكى عن بعض فصحاء العرب أنه قال: نعم السير على بش العير.

وقال الفراء: إن أعرابياً بشر بمولودة، فقليل له: نعم المولودة مولودتك، فقال والله ما هي بنعم الولد، نصرتها بكاء، وبزها سرقة فدخول حرف الجر عليهما دل على أنهما

اسمان. وحجة أخرى: أن حرف النداء يدخل عليهما، وهو لا يدخل إلا على الأسماء، في قولهم: يا نعم المولى، ويا نعم النصير، ولا يجوز أن يقال: المقصود بالنداء محذوف للمعلم به، والتقدير فيه: يا الله نعم المولى فحذف المنادى لدلالة حرف النداء عليه، كما يحذف حرف النداء لدلالة المنادى عليه. فإن قيل ذلك. فجوابنا أن المنادى إنما يقدر محذوفاً إذا ولي حرف النداء فعل أمر، وما جرى مجراه، كقراءة علي بن حمزة والحسن ويعقوب والأعرج (ألا يا أسجدوا) تقديره: يا هؤلاء اسجدوا، وكقول ذي الرمة:

ألا يا أسلمى يا دار مَيَّ على اليلَى ولا زال مُنْهَلًا بِجَزَعائِكَ الْقَطْرُ
وكقول المرقش:

ألا يا أسلمى لا صَرَمَ لي اليَوْمَ فاطِماً ولا أبداً ما دام وصلك دائماً
وكقول الآخر:

أَسْلَمَ يا اسْمَعْ يا بن كُلِّ خَلِيفَةٍ ويا سائِسَ الدُّنْيَا ويا جَبَلَ الْأَرْضِ

أراد: يا هذا. وشواهد كثيرة، وإنما اختص هذا دون الخبر بفعل الأمر، لأن المنادى مخاطب، والمأمور أيضاً مخاطب، فحذفوا الأَوَّلَ من المخاطبين، اكتفاءً بالثاني، ولا خلاف أن نعم المولى خبر، فيجب أن لا يقدر المنادى محذوفاً، فدلَّ على أن النداء لا يكاد ينفك عن الأمر أو ما جرى مجراه، من الطلب والنهي، ولذلك لا يكاد يوجد في كتاب الله نداء ينفك عن أمر أو نهى، ولهذا لما جاء الخبر في قوله: ﴿يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له﴾ شفعه الأمر، وهو استمعوا له، فلما كان الأمر والنداء جملتي خطاب، جاز أن يحذف المنادى من الجملة الأولى، وليس كذلك: يا نعم المولى، لأن نعيم خبر، فلا يجوز أن يقدر المنادى محذوفاً. ودليل آخر على أنهما اسمان: لا يحسن اقتران الزمان بهما، كسائر الأفعال، لأنك لا تقول: نعم الرجل غداً، ولا أمس، ولا بش الرجل غداً ولا أمس. ودليل آخر: أنهما غير متصرفين والتصرف من خصائص الأفعال. ودليل آخر: أنهما لم يكونا فعلين ماضيين، لأنه يجوز دخول اللام عليهما في خبر إن، تقول: إن زيداً لنعم الرجل، وعمراً لبش الغلام، وهذه اللام لا تدخل على الماضي، وهي تدخل على الاسم وعلى الفعل المضارع، فدلَّ على أنهما اسمان. ودليل آخر: أنه قد جاء عن العرب: نعيم الرجل، وليس في أفعال العرب فاعيل، فدلَّ على أنهما اسمان.

وحجة البصريين: اتصال الضمير المرفوع بهما، على حد اتصاله بالفعل المتصرف.

وحجة أخرى: اتصالهما بتاء التانيث الساكنة، التي لا يقلبها أحد في الوقف هاء، كما

- ١٢ - أَخِيَّتُهَا وَالذُّمُّوعُ تُنْجِدُنِي شُؤْنُهَا وَالظَّلَامُ يُنْجِدُهَا
 ١٣ - لَا نَاقَتِي تَقْبَلُ الرَّدِيفَ وَلَا بِالسُّوْطِ يَوْمَ الرِّهَانِ أَجْهَدُهَا
 ١٤ - سِرَّاكُهَا كُورُهَا وَمِشْقَرُهَا زِمَامُهَا وَالشُّعْرُ مَقْوَدُهَا

قلبوها في رحمة وشجرة، وذلك قولهم: نعمت الجارية، وهذه التاء يختص بها الفعل الماضي.

المعنى: يريد ذم الليل الليالي التي سهر فيها ولم ينم، لما أخذه من القلق وخفة الشوق إلى من يحب، وهو كان يرقد الليالي، لأنه كان خالياً من الشوق، لا يجد من أسباب امتناع الرقاد ما يجده العاشق، وأين الخلي من الشجي. وفيه نظر إلى قول أبي نواس:

شَكُونَا إِلَى أَخْبَانِنَا طُولَ لَيْلِنَا فَقَالُوا لَنَا مَا أَقْصَرَ اللَّيْلُ عِنْدَنَا!
 ١٢ - الإعراب: الضمير في «أخيبتها» و«ينجدها» لليالي، والضمير في «شؤونها» للدموع.

الغريب: إحياء الليل: سهره، وترك النوم فيه. وأنجدت الرجل: أعتته. والشؤون: جمع، الواحد: شأن، وهي مجاري الدمع.

المعنى: قال الواحدي: فلان يحيي الليل: أي يسهر فيه، وفلان يميت الليل: أي ينام الليل، لأن النوم أخو الموت، واليقظة أخت الحياة. يقول: كان للدموع من الشؤون إمداد، ولليالي من الظلام إمداد. والمعنى أن تلك الليالي طالت وطال البكاء فيها. قال: ويجوز أن تعود الكناية في «ينجدها» إلى «الشؤون»، وذلك أن من شأن الظلام أن يجمع الهموم على العائيق. وفي اجتماعها عون للشؤون على تكثير الدمع، بين هذا قول الشاعر:

يَضُمُّ إِلَيَّ اللَّيْلُ أَشْأَاءَ حُبِّهَا كَمَا ضَمَّ أَزْرَارَ الْقَمِيصِ الْبَنَائِقُ

١٣ - الغريب: الرديف: هو ما يرتد خلف الراكب. والرهان: السباق، وأجهدت الدابة وجهدها: إذا طلبت أقصى ما عندها من السير. والناقة (هنا) نعله.

المعنى: أنه يريد بناقته نعله، فلا يقدر أن يردف عليها، كما يردف على النياق، ولا يقدر أن يضربها بسوطه، فإذا راهن للسباق لا يقدر أن يضربها ولا يجهدها. وهذا من قول أبي نواس:

إِلَيْكَ أبا عَبَّاسٍ مِنْ بَيْنِ مَنْ مَشَى عَلَيْهَا امْتَنَيْنَا الْحَضْرَمِيَّ الْمُلْتَمَسَا
 فَلَانَصَّ لَمْ تَعْرِفْ حَيِّنًا إِلَى طَلَا وَلَمْ تَذِرْ مَا قَرَعَ الْفَتِيقَ وَلَا الْهَنَا

ويروى: فلانص لم تسقط جنيئاً من الوجى.

- ١٥ - أَشَدُّ عَصْفِ الرِّيحِ يَنْبِقُهُ تَخْنِي مِنْ حَطْوِهَا تَأْيِدُهَا
١٦ - فِي مِثْلِ ظَهْرِ الْمِجَنِّ مُقْصِلٌ يُمَثِّلُ بَطْنِ الْمِجَنِّ قَرْدُهَا

ومثله قول الآخر:

رَوَّاجِلُنَا سِتٌّ وَنَحْنُ ثَلَاثَةٌ نُجَبِّهُنَّ الْمَاءَ فِي كُلِّ مَنَهْلٍ
لأنه لا يخاض بالنعل الماء.

قال الواحدي: وقد قيل مثل هذا في بيت عترة:

فَيَكُونُ مَرْكَبُكَ الْقَعُودُ وَرَحْلُهُ وَابْنُ الثُّعَامَةِ يَوْمَ ذَلِكَ مَرْكَبِي
ابن الثعامة: عرق في باطن القدم، يعني أنه راكب أخمصه.

١٤ - المعنى: جعل شراك نعله بمنزلة الكور للناقة. والمَشْفَرُ: ما يقع على ظهر الرجل من مقدم الشراك، جعل ذلك بمنزلة الزمام للناقة. والشَنُوعُ: التي تكون في الأصابع بمنزلة المقود للناقة، وهو الحبل الذي يقاد به سوى الزمام.

١٥ - الغريب: عصف الرياح: شدة هبوبها، ومن روى بضم العين فهو جمع عصفوف. يقال: ربح عاصف وعصفوف بمعنى، والجمع عصف. ومعنى تأيدها: تأنيها وتلبثها.

وقال ابن القطاع: يقال آد الشيء يشد أيداً: إذا قوي، قال: ولو قال: تأودها. لكان قد بالغ، وآد الشيء يؤود أوداً: إذا أثقل. وفي كلام العرب: ما أدك فهو لي آند، أي ما أثقلك فهو لي مثقل، فيكون المعنى أشد عصف الرياح يسبقه ثقل سيرها، وهذا غاية المبالغة، وكذلك لو قال: تأودها، لكان أيضاً قد بالغ، التؤود والتؤيد: الترفق، يقال وأد يند وأداً، والتاء في التؤدة مبدلة من واو، مثل تخمة: فيكون المعنى أشد عصف الرياح يسبقه ترفق سيرها، وهذا هو المبالغة. وقيل: إن التأيد: في بعض اللغات: الرفق، وأنشد الخليل في ذلك:

تَأْيِدُ عَلَيَّ هَذَاكَ الْمَلِيكَ فَإِنَّ لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالَا
أي ترفق، وهذه كلها ضروب من السير.

وقال الواحدي: أهون سير ناقتي يسبق أشد سير الريح. وهو في الحقيقة وصف لشدة عدوه متنعلاً. والتأيد: تفعل من الأيد، وهو التقوى، وليس المعنى عن هذا، وإنما أراد التفعل من الاتئاد، وهو الترفق واللين، ولم يحسن بناء التفعل منه، وحقه تأودها.

١٦ - الإعراب: الظرف متعلق بما في البيت الأول، تقديره: يسبقها تأيدها في مثل ظهر المِجَنِّ. ومتصل: يروى بالخفض والرفع، والرفع أقوى، لأنه خبر مبتدأ مؤخر، وهو «قردوها».

الغريب: المِجَنِّ: الترس. والقَرْدَدُ: أرض فيها نجاد ووهاد، وقيل: القردد: تلال صفار.

وقال أبو الفتح: شبه الأرض بظهر المِجَنِّ، لما كانت خالية من النبات، وظهر المِجَنِّ ناتيء، ويطنه لإطياء، فهو كالصعود والحدور.

المعنى: يريد أنه يسبقها في مفازة مثل ظهر المِجَنِّ، متصل قردوها بمثل بطن المِجَنِّ، فأرضها الصلبة تتصل بمفازة أخرى مثل بطن المِجَنِّ.

١٧ - مُرْتَمِيَاتٌ بَنَا إِلَى ابْنِ عُيَيْنَةَ - لَمْ يَلْهُ غِيْطَانُهَا وَقَدْ فَدَّهَا

الغريب: المجن: الترس. والقردد: أرض فيها نجاد ووهاد، وقيل: القردد: تل صغار.

وقال أبو الفتح: شبه الأرض بظهر المجن، لما كانت خالية من النبات، وظهر المجن ناتيء، وبطنه لإطياء، فهو كالصمود والجذور.

المعنى: يريد أنه يسبقها في مفازة مثل ظهر المجن، متصل فرددها بمثل بطن المجن فأرضها الصلبة تتصل بمفازة أخرى مثل بطن المجن.

١٧ - الإعراب: من روى «مرتميات» بالرفع: قال الأعلام في شرح هذا البيت: غيطاء وفددها مرفوعان بمرتميات، على لغة من قال: أكلوني البراغيث، وهي لغة ضعيفة.

وقال ابن القطاع: ولا حاجة إليها لضعفها إذا كان الكلام يصحح دونها. والمعنى قوله: «غيطانها» مرفوع بالابتداء، و«مرتميات» خبر مقدم، والضمير في «غيطانها» وفددها يعود على الأرض، التي تقدم ذكرها بقوله: «في مثل ظهر المجن». يريد: غيطان ه الأرض وفددها مرتميات بنا، ومن روى «مرتميات» بالنصب فإنه أراد غيطانها وفددها تزال مرتميات، وأضمر لا تزال لدلالة المعنى، وهو كثير في كلام العرب لا يحتاج إلى شاهد.

قال الواحدي: «مرتميات» بالنصب على روايته، من صفة المحذوف في البيت الذي تقدم، على تقديره: في مفازة مرتميات، وجمع المرتميات، حملاً على لفظ «الغيطان» كما قال:

أَيَا لَيْلَةَ خُرْسِ الدَّجَاجِ طَوِيلَةً بِيغْدَادَ مَا كَادَتْ عَنِ الْفَجْرِ تَنْجَلِي

وكان الوجه أن يقول: خرساء الدجاج، ولكنه حملة على المعنى من لفظ الدجاج حيث كان جمع دجاجة، ويجوز أن يقدر المحذوف على لفظ الجمع، فيصح «مرتميات» كأنه قال: في مفاز مثل ظهر المجن مرتميات بنا. قال: وارتفع الفقد والغيطاء بمرتميات.

الغريب: الغيطان: جمع غائط، وهو المطمئن من الأرض. والفدند: الأرض الغليظ المرتفعة.

المعنى: يريد لا تزال هذه المفاز ترمينا إلى الممدوح، بقطعتنا إياها بالسير، فكانت تلقينا إليه.

- ١٨ - إِلَى قَتَى يُضِلُّ الرِّمَاحَ وَقَدْ أَنَهَلَهَا فِي الْقُلُوبِ مُورِدَهَا
 ١٩ - لَأُأَيِّدَ إِلَيَّ سَابِقَةً أَعَدُّ مِنْهَا وَلَا أَعْدَدُهَا
 ٢٠ - يُعْطِي فَلَا مَطْلَ يُكَدُّهَا بِهَا وَلَا مِثْلُ يُكْثَرُهَا

١٨ - الإعراب: إلى قَتَى: بدل من «ابن عبيد الله». ومن روى «موردها» بضم الميم، كان أجود، وهو الممدوح، فاعل أنهلها.

الغريب: أنهلها: سقاها، وهو الشرب الأول. والعَلَل: الشرب الثاني. ويصدر الرماح: أي ينزعها بعد الطعن من المطعمون.

المعنى: يقول: يصدر رماحه عن الحرب، يرجعها ويرددها، وقد سقاها دم القلوب. وقال الواحدي: يرجعها ويرددها وقد سقاها بموضع ورودها في قلوب الأعداء دماءهم. ويجوز أن يكون المورد بمعنى المصدر، فيكون المعنى سقاها في القلوب ورودها، يريد أنها وردت في قلوب الأعداء.

١٩ - الإعراب: إليّ: لا من صلة لفظ «الأيادي»، بل هي من صلة معناه، لأنه يقال: لك عندي، ولا يقال: لك إليّ يد، ولكن لما كان معنى الأيادي: الإحسان، وصلها بإلى، والعرب تصل الفعل بالمعنى لا باللفظ. قال الله تعالى: ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره﴾ أي يخرجون عن أمره. وقال تعالى في قصة يوسف: ﴿وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن﴾. والمعنى لطف بي، ويجوز أن يكون من صلة السبق أو السلف.

الغريب: الأيادي: جمع يد، وهي النعمة، ويجمع على أياد، والجارحة على أيد.

المعنى: يقول: له عندي نعم كثيرة، أنا بعض نعمه.

قال أبو الفتح: أنا بعضها، كما قال الحماسي:

لَا تَتَيْفَنِّي بَعْدَ أَنْ رَشَّتَنِي فَلَأُنْصِي بَعْضَ أَيَادِيكََا

يريد أنه وهب له نفسه:

قال الواحدي: وهذا فاسد، لأنه ليس في البيت ما يدل عليه، ولا فيه ما يدل على أنه خلصه من بلية، أو أعفاه من قصاص وجب عليه، لكنه يقول: أنا غدي نعمته، وريب إحسانه، فتنفي من جملة نعمه، فأنا أعد منها. ومن روى «أعد» كان المعنى أنه يعد بعض أياديه، ولا يأتي على جميعها بالعد، لكثرتها. وهو قوله ولا أعددها، كأن هذا من قوله تعالى: ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾ أي لا تعدوا جميعها، ومن قوله تعالى: ﴿وأحصى كل شيء عددا﴾.

٢٠ - الغريب: فلا مطله: يريد فلا مطله بها، فلما فصل بالأجنبي، بين المصدر والباء

٢١- خَيْرُ قُرَيْشٍ أَبًا وَأَمَجَدُهَا أَكْثَرُهَا نَائِلًا وَأَجْوَدُهَا

أضمر العامل من لفظه، تقديره: لا يمطل بها بعد قوله يكدرها. ومثله قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ، يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾. والتقدير: على رَجْعِهِ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ لَقَادِرٌ، فلما فصل خير إن بين المصدر وبين الظرف بطل عمله، ولزم إضمار ناصب من لفظ الرجوع، فكانه قال: يَزِجُّهُ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ وَالضَّمَائِرُ تَعُودُ عَلَى الْإِيَادِي.

المعنى: يقول: له أباء لا يكدرها مطل، ولا ينكدها من، وكلم يرد أن له مطلقاً. لا يكدرها، ومثلاً لا ينكدها؛ وإنما أراد انتفاء المطل والمن عنه البتة، ومن هذا قول امرئ القيس:

عَلَى لَا حِبِّ لَا يُهْتَدَى بِمَنَارِهِ

لم يرد أن فيه مناراً لا يهتدى به، ولكنه نفى أن يكون به منار، والمعنى: لا منار به يهتدى به. ومثله قول الآخر في وصف مفازة:

لَا تُفْنِغُ الْأَزْنِبُ أَقْوَالَهَا وَلَا تَرَى الضَّبَّ بِهَا يَنْجَحِزُ

لم يرد أن بها أرنباً لم يفزع، ولا ضباً، ولكنه نفى أن يكون فيها حيوان.

وقال الواحدي: تقدير البيت: يعطى، فلا مطلقه بالإيادي يكدرها، يريد أنه لا يمطل إذا وعد إحساناً، ولا يمن بما يعطى، فينكده، أي ينقصه ويقلل خيره. وكان يقال: المنة تهدم الصنعة. ولهذا مدح الله قوماً فقال تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يَتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنَا وَلَا أَدَى﴾. وقال الشاعر:

أَفْسَدَتْ بِالْمَنِّ مَا أَسَدَيْتَ مِنْ حَسَنِ لَيْسَ الْكَرِيمُ إِذَا أَغْطَى يَمَانٍ

٢١ - الإعراب: أباً: نصب على التمييز. و «نائلاً» كذلك.

الغريب: أمجدها: من المجد، أي وخيرها مجداً، والمجد: الكرم، والمجيد: الكريم وقد مجد (بالضم) فهو مجيد وماجد، والمجد والشرف يكونان بالآباء؛ يقال: رجل شريف ماجد، له آباء متقدمون في الشرف والمجد، والحسب والكرم يكونان في الرجل وإن لم تكن له آباء لهم شرف. ومجده أمجده: أي غلبته بالمجد.

المعنى: يقول: إن أباه خير قریش، لأنه ابن رسول الله ﷺ، فهو خيرهم أباً، لأنه ليس في قریش أشرف من أبيه. وقریش: القبيلة، فلذلك قال: أمجدها وأجودها، أي أجود قریش، أي أكرمها.

وقال الواحدي: أجودها: يجوز أن يكون مبالغة من الجود، أي الكرم، ومن الجود:

٢٢ - أَطْعَمَهَا بِالْقَنَاءِ أَضْرَبَهَا بِالسَّيْفِ جَحَّجَاهَا مُسَوِّدَهَا
 ٢٣ - أَفْرَسَهَا فَارِساً وَأَطَوَّلَهَا بَاعاً وَمَغَوَّازَهَا وَمَسَّيْدَهَا
 ٢٤ - تَاجُ لُؤَيٍّ بْنِ غَالِبٍ وَبِهِ سَمَا لَهَا فَرْعُهَا وَمَخَيَّدَهَا

الذي هو المطر والجودة.

٢٢ - الغريب: الجحجاج: السيد العظيم، والجمع الجحجاج، قال الشاعر:

مَاذَا يَبْدُرُ فَالْعَقْدُ قَلَّ مِنْ مَرَايِبِ جَحَّاجِ

وإن شئت جحاجة، وإن شئت جحاجيح، والهاء عوض من الياء المحذوفة، ولا بد منها أو من الياء، ولا يجتمعان.

وقال أبو محمد عبد الله بن بري النحوي في رده على الجوهري: جمع جحجاج جحاجيح، وإنما حذفها الشاعر من البيت ضرورة. والمسود: الذي سوده قومه، فهو يسودهم.

المعنى: يريد: أنه أطعم قريش، وأضربها، يريد أنه أشجعها وعظيمها وسيدها. وذكره مع الطعن والضرب القناة والسيف للتأكيد، كقوله تعالى: «يَطِيرُ بِجَنَاحِهِ» كما يقال: مشيت برجلي، وكلمته بفعي، ورأيته بعيني. وقيل: إنما ذكر مع الطعن والضرب القناة والسيف، لأنهما يستعملان فيما لا يكون بالرمح والسيف، كقولهم: طعن في السن وضرب في الأرض.

٢٣ - الإعراب: فارساً: حال كما تقول زيد أكرم الناس، أي في هذه الحالة، وباعاً: تمييز، ولا يجوز أن يكون فارساً تمييزاً، فلما قال: «أفرسها» قال «فارساً» أي في هذه الحالة إذا ركب فرسه، لأن «أفرس» يكون من الفرس والفراسة.

الغريب: طويل الباع: يريد الكريم، وهو مما يمدح به الكرام، يقال فلان طويل الباع: إذا امتدت يده بالكرم؛ ويقال للثيم: ضيق الباع. والمغوار: الكثير الغارة.

المعنى: يقول: هو أفرس قريش إذا ركب فرسه وأكرمها، وأكثرها غارة وسيدها، فليس في قريش في زمانه أحد يضاهيه.

٢٤ - الإعراب: لها: أتى بها ليقيم الوزن. وسما فرعها: كلام تام حسن؛ ويجوز أن يكون أتى به ليؤكد الإضافة.

الغريب: لؤي بن غالب: هو أبو قريش. وسما: علا وارتفع. والمخيد: الأصل، قيل هو من حَتَدَ بالمكان: أي أقام به.

المعنى: يقول: هو تاجهم، فهو لهم بمنزلة التاج، يتزينون به ويتشرفون، وبه ارتفع

- ٢٥- شَفَسَ ضَحَاهَا، هَلَالُ لَيْلَيْهَا دُرُّ تَقَاصِيرِهَا، زَرَجَدُهَا
 ٢٦- يَا لَيْتَ بِي ضَرْبَةَ أُتِيحَ لَهَا كَمَا أُتِيحَتْ لَهُ مُحَمَّدُهَا
 ٢٧- أَثَرُ فِيهَا وَفِي الْحَدِيدِ وَمَا أَثَرَ فِي وَجْهِهِ مُهَيَّأُهَا

فرعهم وأصلهم، يريد الآباء والأولاد.

٢٥- الغريب: قال ابن جني: التقاصير: جمع تقصار، وهي القلادة القصيرة لا تنزل على الصدر.

وقال الواحدي: ليس هذا من القصر، إنما هو من القصير، وهي أصل العنق، والتقصير ما يعلق على القصير: والزبرجد. قال الجوهري: هو جوهر معروف، وقال في موضع آخر: الزمرد: الزبرجد.

المعنى: يريد أنه في قریش كالشمس في النهار، وكالقمر في الليل، والدر والزبرجد في القلادة، فهو أفضلهم وأشرفهم، وبه زيتهم وفخرهم، ويجوز أن يكون أراد أحسنهم، لأن الشمس أكثر ما يكون نورها وحسنها عند الضحى، وهلال ليلها لأنهم يعتمدون عليه، ويتطلعون إليه، كما يتطلع إلى الهلال ليلة يستهل فيها. يريد: أن أعين الناس تنظر إليه إذا ركب وخرج إلى الناس كما تنظر إلى الهلال عند بدوه.

٣٦- الإعراب: قوله «ضربة»: اسم «ليت»، والجار والمجرور خبرها. وحرفا الجر متعلقان بالفعلين.

الغريب: أتاح الله له: أي قدر.

المعنى: يقول: يا ليت بي، يتمنى أن تكون الضربة التي في وجه الممدوح التي قدرت له قدرت له، ففدته بنفسه، ووقعت بي دونه.

قال الواحدي: ويجوز أن يكون الممدوح أتاح وجهه للضربة، حيث أقبل للحروب، وثبت حتى جرح، فتمنى أبو الطيب رتبته في الشجاعة. وأضاف «محمدًا» إلى الضربة، إشارة إلى أنها كسته الحمد فأكثرته، حتى صار هو محمدًا بها. انتهى كلامه.

كان محمد بن عبيد الله هذا الممدوح قد واقع قومًا من العرب بظاهر الكوفة، وهو شاب دون العشرين سنة، فقتل منهم جماعة، وجرح في وجهه، فكسته الضربة حسنًا، فتمنى أبو الطيب مثل ضربته، فهذا سمعته من جماعة من مشيخة بلدنا.

٢٧- الغريب: المهند: المشحوذ. وسيف مهند. مشحوذ. والتهنيد: شحذ الحديد.

المعنى: أثر فيها: هو استعارة ومجاز، لأن الضربة عرض لا يصح فيه التأثير. والمعنى يريد أن الضربة قصد الضارب بها إزهاق روحه وإهلاكه، فردّه عن قصده، فهذا

٢٨ - فَاغْتَبَطْتُ إِذْ رَأْتُ تَزُولُهَا بِمِثْلِهِ وَالْجِرَاحُ تَخْشُدُهَا
٢٩ - وَأَيْقَنَ النَّاسُ أَنَّ زَارِعَهَا بِالْمَكْرِ فِي قَلْبِهِ سَيَخْشُدُهَا

تأثير فيها، وما أثر في وجهه مهندما، أي حدة السيف الذي ضربها. أي ما شان وجهه ولا أثر فيه أثراً قبيحاً، لأن الضربة كسته حسناً إلى حسنه، وجمالاً إلى جماله، وأيضاً فإن الضربة على الوجه شعار الشجاع والمقدام، والعرب تفتخر بالضرب في الوجه، كما قال البُصَيْن بن الحُمَام:

قَلَسْنَا عَلَى الْأَغْصَابِ نَذْمَى كُلُّوْمُنَا وَلَكِنْ عَلَى أَفْدَانِنَا تَقَطُرُ الدِّمَاءُ
وكقول جابر بن رالان:

وَلَكِنَّمَا يَخْرَى امْرُؤٌ يَكْلِمُ اسْتَهَ قَنَا قَزْوِيهِ إِذَا الرِّمَاحُ هَوَيْنَا

٢٨ - الغريب: الغبطة: أن يتمنى مثل حال المغبوط، من غير أن يريد زوالها عنه، وليس بحسد. تقول منه: غبطته بما نال، أغبطه غبطاً وغبطة، فاغبط، وهو كما تقول: بمنعته فامتنع، وحبسته فاحتبس. قال حُرَيْث بن جبلة العذري:

وَبَيْنَمَا الْمَرْءُ فِي الْأَحْيَاءِ مُغْتَبِطٌ إِذَا هُوَ الرَّفْسُ تُغْفِرُهُ الْأَعَاصِيرُ
يَيْكِي عَلَيْهِ غَرِيبٌ لَيْسَ يَغْرِفُهُ وَدُو قَرَابَتِهِ فِي الْحَيِّ مَسْرُورٌ

مغبط (بكسر الباء): أي مغبوط، والاسم: الغبطة، وهو حسن الحال.

المعنى: قال الواحدي: اغتبطت الضربة لما رأت تزينها بالمدح، حين حصلت على وجهه، وحسنتها الجراح، لأنها لم تصادف شرف محلها. والاعتباط يكون لازماً ومتعدياً. ومعنى «بمثله»: به. والمثل: صلة، تقول: مثلي لا يفعل هذا: أي أنا لا أفعله، قال الشاعر:

يَا عَاذِلِي دَغْنِي مِنْ عَذْلِكََا مِثْلِي لَا يَقْبَلُ مِنْ يِثْلِكََا

معناه: أنا لا أقبل منك. ومن هذا قوله تعالى: «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ». انتهى كلامه.

٢٩ - الإعراب: الضمير في «قلبه»: للزراع، ويكون المعنى: سيحصد ما فعل في قلبه بالمكر. يريد أن يجازيه بما فعل ضربة في قلبه يقتله بها. والضربة في القلب لا تخطيء المقتل، هذا ذكره الواحدي. و«في قلبه» على هذا القول من صلة «الحصد»، ويجوز أن يكون من صلة «المكر»، ويكون المعنى: أن الزارع بالمكر الذي أضمره في قلب نفسه.

المعنى: يقول: إن هذه الضربة مكر بها عدوه، ولو واجهه لما قدر عليه، وقد علم الناس يقيناً أن الذي مكروه بهذه الضربة زارع سيحصد زرع ما زرع، أي يجازيه به هذا الممدوح.

- ٣٠ - أَصْبَحَ حُسَادُهُ وَأَنْفُسُهُمْ يُخْدِرُهَا خَوْفُهُ وَيُصِيدُهَا
 ٣١ - تَبْكِي عَلَى الْأَنْصُلِ الْغَمُودُ إِذَا أَنْذَرَهَا أَنَّهُ يُجَرِّدُهَا
 ٣٢ - لَعَلَّيْهَا أَتُهَا تَصِيرُ دَمًا وَأَنَّهُ فِي الرِّقَابِ يُغْمِدُهَا
 ٣٣ - أَطْلَقَهَا فَالْعَدُوُّ مِنْ جَزَعٍ يَذُّهَا وَالصَّدِيقُ يَخْمَدُهَا

في نسخة: أعداؤه.

٣٠ - الإعراب: وأنفسهم: الوار وار الحال، يريد: أصبح حساده وحال أنفسهم أن خوفه يُهَيِّطُهُمْ وَيُصِيدُهُمْ.

المعنى: يريد: أقلقهم خوفه حتى أقامهم وأقعدهم، وأحدرهم وأصعدهم، فلا يستقرّون خوفاً. قال الواحدي: وهذا كما قال:

أَبْدَى الْعِدَاةُ بِكَ الشُّرُورَ كَأَنَّهُمْ قَرَّحُوا وَعِنْدَهُمُ الْمُقِيمُ الْمُقِيدُ
 ٣١ - الغريب: الغمود: جمع غمد، وهو ما يغمد فيه السيف.

المعنى: يقول: إذا أنذرها بتجريدها تبكي عليها، لأنها لا ترجع إليها، لمقامها في الرقاب، فلا تنفك لذلك، وقد ذكره بعد.

٣٢ - المعنى: يقول: لعلم الغمود أنه يغمس السيف في دماء الأعداء حتى تلتطخ بها، وتصير كأنها دم، لخفاء لونها بلون الدم، وأنه يتخذ لها من رقاب الأعداء أغمداً، أي أنها لا تعود إلى الغمود، فلذلك تبكي عليها، والمعنى من قول عنترة:

وَمَا تَدْرِي خُرَيْمَةُ أَنَّ تَيْلِي يَكُونُ جَفِيرَها الْبَطْلُ النَّجِيدُ
 ومثله في المعنى:

وَنَحْنُ إِذَا مَا نَفَّيْنَا الشُّيُوفَ جَعَلْنَا الْجَمَاجِمَ أَغْمَادَهَا
 وقول الحماسي:

مَنَابِرُهُمْ بَطُونُ الْأَكْدِ فَتِ وَأَغْمَادُهُمْ رُؤُوسُ الْمُلُوكِ
 وقول ابن الرومي:

كَفَى مِنَ الْعَزِّ أَنْ هَزَّوْا مَنَاصِلَهُمْ فَلَمْ يَكُنْ غَيْرَ هَامِ الصَّيْدِ أَجْفَانِ

٣٣ - المعنى: قال أبو الفتح: من جزع: حشو حسن، يريد أنه أطلق الأنصل، فذمها العدو، خوفاً منها، وحملها الصديق لحسن بلائها، وقابل بين الذم والحمد. ويجوز أن يكون أطلق شفارها، وأطلق الضرب بها، وذمها العدو خوفاً، لا أنها تستحق الذم.

٣٤- تَنْقِصُ النَّارُ مِنْ مَضَارِبِهَا وَصَبَّ مَاءُ الرِّقَابِ يُخَيِّدُهَا
 ٣٥- إِذَا أَضَلَّ الْهَمَامُ مَهْجَتَهُ يَوْمًا فَأَطْرَافُهُنَّ تُنْشِدُهَا
 ٣٦- قَدْ أَجْمَعَتْ هَذِهِ الْخَلِيقَةُ لِي أَنْكَ يَا بَنَ النَّبِيِّ أَوْحَدُهَا
 ٣٧- وَأَنْكَ بِالْأَمْسِ كُنْتَ مُخْتَلِمًا شَيْخَ مَعَدٍّ وَأَنْتَ أَمْرُدُهَا

٣٤- الغريب: قال أبو الفتح: إذا صار السيف إلى الأرض، قدح النار لشدة الضرب، وإذا اتصب عليه الدم أحمَد النار، وقابل بين الانقذاح والخمد، فكان الانقذاح ضرماً.

الإعراب: يروى: فأطرافهنَّ (بالنصب) ينشدها (بالياء المثناة تحتها)، يريد أن الهمام ينشد مهجته في أطرافهنَّ. ونصب «أطرافهنَّ» «ينشد» مؤخراً، كما تقول: زيداً ضربته. ويروى: منشدها، وهو موضع الطلب.

المعنى: يقول: إن الهمام إذا أضلَّ مهجته، وهو أن يقتل فلا يدري قاتله، إنما يطلب مهجته من أطراف سيوف الممدوح. والإنشاد: هو تعريف الضالة، لأن سيوف الممدوح قواطل الملوكة.

في نسخة: البرية.

٣٦- الغريب: الخليقة: هم الخلائق والخلق، وقد قرئ في الشاذ: «إني جاعل في الأرض خليفة».

المعنى: يقول: الخلائق قد أجمعوا موافقين لي، أنك أوحدهم فضلاً ونسباً وشجاعة وكرماً.

قال الواحدي: يجوز أن يكون على التقديم والتأخير، أي أوحدها لي، أي أوحدها إليّ إحساناً وإفضالاً، ولا يكون في هذا كثير مدح ويجوز أن يكون أجمعت فقالت لي، والقول يضمن كثيراً، كقوله تعالى: «وإذ يرفع إبراهيم القواعد في البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا»، أي ويقولان: ربنا تقبل، وكقوله تعالى: «والملائكة يدخلون عليهم من كل باب، سلامٌ عليكم» أي ويقولون: سلام عليكم.

٣٧- الإعراب: وأنت: أراد: أنك بالتشديد، فخفف ضرورة، مع الضمير، كقول الآخر:

فلو أنك في يوم الرِّخاء سألتني طلاقك لم أبخل وأنت صديق
 وإنما يحسن التخفيف مع المظهر كقوله:
 وصذر مشرق التَّخْرِ كَانَ نَذِيَاهُ حُقَّانِ

لأن الضمائر تردّ الأشياء إلى أصولها، وإذا خفت مع المظهر فتعملها في مقدّر، وهو ضمير الشأن، وترفع بعدها الجملة خبراً عنها تقول: علمت أن زيداً قائم، ومنه: «وآخر دعوهم أن الحمد لله ربّ العالمين»، و«أن لعنة الله» في قراءة نافع وعاصم وأبي عمرو وقنيل، وإذا وليها الفعل لم يجمعوا عليها مع النقص الذي دخلها وحذف اسمها، أن يليها ما يجوز أن يليها وهي مثقلة، فكان الأحسن أن يفصل بينها وبينه بأحد أربعة أحرف السين. وسوف، ولا، وقد، فتقول: علمت أن سيقوم، وسوف يقوم، وأن لا يقوم، وقد يقوم. قال تعالى: «علم أن سيكون منكم مرّضى». قال جرير:

زَعَمَ الْقِرْزُدُقُ أَنْ سَيَقْتُلُ يَزْبَعاً أَبْيَشُ بِطُولِ سَلَامَةٍ يَا مَرْبَعُ

وقال أمية بن أبي الصلت:

وَقَدْ عَلِمْنَا لَوْ أَنَّ الْعِلْمَ يَنْفَعُنَا أَنْ سَوْفَ يَبْئُجُ أَوْلَانَا بِأَخْرَانَا

وأما قوله تعالى: «وأن ليس للإنسان إلا ما سعى» جاء بغير حرف من هذه الحروف الأربع، فذلك لأن ليس ضعيفة في الفعلية، لعدم تصرفها وقد جعلها أبو علي حرفاً زماناً، ثم رجع عن ذلك. وقوله: محتملاً: حال، والعامل في الحال «كان».

قال أبو الفتح وجماعة من أهل الصناعة: من جعل كان لا تعمل في الأحوال فغير مأخوذ بكلامه، لأن الحال فضلة في الخبر منكورة، فرائحة الفعل تعمل فيها، فما ظنك بكان، وهي فعل متصرف يعمل الرفع والنصب في الاسم الظاهر والمضمر، وليست «كان» في نصبها الأحوال بأسوأ حالاً من حروف التنبيه والإشارة.

قال الشريف بن الشجري: قال المعري: «كان» لا تعمل في الحال، ويجعل العامل في الحال «وأنك بالأمس» أي الفعل المضمر، الذي عمل في قوله: «وأنك بالأمس». قال: وهذا سهو من قائله، لأنك إذا علقت قوله: «بالأمس» بمحذوف، فلا بد أن يكون «بالأمس» خبراً لأن أو لكان، لأن الظرف لا يتعلق بمحذوف إلا أن يكون خبراً أو صفة أو حالاً أو صلة، ولا يجوز أن يكون خبراً «لأن» ولا «لكان» لأن ظروف الزمان لا تكون أخباراً عن الجثث، ولا صفات لها، ولا صلوات، ولا أحوالاً لها، فإذا استحال أن يتعلق «بالأمس» بمحذوف علقة «بكان»، وأعملت «كان» في محتملاً. وقوله شيخ معد: خبر كان.

المعنى: يقول: كنت في حال احتلامك وأمر دينك شيخ معد، يرجعون إلى رأيك وعقلك، فكيف اليوم مع علوّ سنك، وقد جزيّت الأمور، وعرفت الأشياء، ولقيت الحروب. وقوله: وأنت أمردها عطف على الحال، أي محتملاً أمرد.

- ٣٨ - فَكَمْ وَكَمْ يَنْفَعُ مُجَلَّلَةً رَيْبَتَهَا كَانَ مِنْكَ مَوْلِدُهَا
 ٣٩ - وَكَمْ وَكَمْ حَاجَةٌ سَمَخَتْ بِهَا أَقْرَبُ رَيْبِي إِلَيَّ مَوْلِدُهَا
 ٤٠ - وَتَكْرُمَاتٍ مَشَتْ عَلَى قَدَمِ الْبِرِّ إِلَى مَنْزِلِي تُرَدُّدُهَا
 ٤١ - أَقْرَبُ جِلْدِي بِهَا عَلَيَّ فَلَا أَقْدِرُ حَتَّى الْمَمَاتِ أَجْمَعُهَا

٣٨ - الإعراب: نعمة: رويت نصباً وجرأً فمن نصب أراد الاستفهام، ومن جر أراد الخبر، وهو الأولى، لأنه أراد الخير عن كثرة ماله.

الغريب: المججلة: العظيمة.

المعنى: يريد كم نعمة لك عندي، فلم تكن واحد فتتسى على طول العهد، وإنما هي كثيرة لا تحصى. وربيتها: قرنتها بأمثالها.

٣٩ - الإعراب: يجوز في «حاجة» ما جاز في «نعمة»، والباء تتعلق «بسمحت»، وحرفاً الجز يتعلقان «بأقرب».

المعنى: أقرب: قال الخطيب: هو من كلام الصوفية، وهذا يدل على أنه كان متصرفاً في أفانين الكلام.

وقال الواحدي: سمحت بقضائها، فحذف المضاف، ويريد قضيتها لي. وكذلك موعدها، أي موعد قضائها، وهذا إخبار عن قصر الوعد وقربه من الإنجاز، ولا شيء أقرب منك إليك، فإذا قرب موعد الإنجاز، صارت الحاجة عن قريب مقضية.

٤٠ - الإعراب: مكرمات: عطف على حاجة. وعلى: متعلق «بمشئت». وإلى: متعلق «بترددها». ويروي: ترددها، على المصدر.

المعنى: قال أبو الفتح: على قدم البر: استعارة من أحسن الكلام، في غاية الظرف. والمكرمة ما يكرم به الإنسان من بر ولطف، وأراد بها ثياباً أهدها له، ويدل عليه قوله: أقر جلدي.

قال الواحدي: على قدم البر: يريد أن حاملها إليه كان من جملة العطية التي أعطاها، يريد أنه كان غلاماً من جملة الهدية والبر، ويجوز أن تكون مكرمات على إثر مكرمات، وقوله ترددها، أي تعيدها إليّ، وتكررها عليّ.

في نسخة: مما.

٤١ - الإعراب: قوله: حتى الممات: يريد إلى الممات، كقوله تعالى: «حتى مطلع الفجر» أي إلى مطلع الفجر. وحتى: هي عندنا حرف ينصف الفعل المستقبل، من غير تقدير أن، وهي حرف جز يجر الاسم من غير تقدير خافض، كما تقول وعدته حتى الصيف.

٤٢ - قَدْزِيهَا لَا عَدِيْثَهَا أَبَدًا خَيْرُ صَلَاتِ الْكَرِيمِ اغْوَدُهَا

- ٦٣ -

وقال أيضاً في صباه:

١ - كَمْ قِيلَ، كَمَا قُتِلْتُ، شَهِيدٍ بِيَاضِي الطَّلَى وَوَزِدِ الْخُدُودِ

وقال الكسائي: تخفض الاسم بإلى مضمرة أو مظهرة، وذهب البصريون إلى أنها حرف جرّ يجرّ الاسم، وينصب الفعل بإضمار أن. حجتنا: إن كانت بمعنى كي كما في قولك: أطع الله حتى تَدْخُلَ الجنة، فقد قامت مقامها، وكي تنصب بنفسها، وكذا ما قام مقامها، وصارت كواو القسم، لأنها قامت مقام الباء، وعملت عملها، وكذا واو «رب»، وتخفض الاسم لأنها قامت مقام إلى، وإلى تخفض بنفسها، وحجة البصريين إجماعنا على «حتى» أنها من عوامل الأسماء، فلا يجوز أن تُجعل من عوامل الأفعال، فوجب أن يكون الفعل منصوباً بأن مقدّرة دون غيرها، لأن «أن» مع الفعل بمنزلة المصدر الذي يدخل عليه حرف الجرّ، ويدلّ على أن الفعل منصوب بعد حتى بأن، لا بحتى قول الشاعر:

داويت عين أبي الدهيق بمطله حتى المضيف ويُغْلَو القعدان

فالمضيف: مجرور بحتى، ويعلو: عطف عليه، فلو كانت هي الناصبة لوجب أن لا يجيء الفعل ههنا منصوباً بعد مجيء الجرّ، لأن حتى لا تكون في آن واحد جارة وناصبة.

المعنى: يقول لا أقدر أجحد نعمك، لأن جلدي قد أقربها، وهو ظهور الخلع واللباس للناظرين، فكأنه يلبسها مُقَرَّرَ ناطق، كقول الناشء الأكبر:

ولو لم يتيح بالشكر لفظي لَخَبَرْتُ بعيني بما أوليتني وشمالي

٤٢ - الغريب؛ الصّلات: جمع صِلَة، وهي العطية.

المعنى: يطلب منه إعادة العطية، ويقول له: إن خير ما وصل به الكريم أكثره عَوْداً.

٦

احمد بن علي الازدي (ت ٦٦٤):

قال أحمد بن علي الأزدي (ت ٦٦٤):

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه استعين

[٢٥٧/ب] (١)

هذه مأخذ على الشيخ الإمام أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي في شرح ديوان أبي
الطيب، أحمد بن الحسين المتني.

من ذلك قوله: (٢) {المنسرح}

فَقِي فُؤَادَ الْمَحِبِّ نَارُ جَوَى أَحَرَّ نَارِ الْجَحِيمِ أَبْرَدُهَا (٣)
قال: الجحيم: النار الشديدة التوقد، العظيمة؛ يقول: أحرُّ النار، العظيمة المتوقدة،
أبردُ نارِ الهوى، يعني أن نارَ الهوى أشدَّ حرارةً.
وأقول: إن نارَ الجحيم على تفسيره إضافة الشيء إلى نفسه، وذلك غير جائز، وإنما
الجحيم ما هنا من أسماء النار في الآخرة نحو: جهنم، ولظى، وسقر، فعلى هذا
يحسن إضافة النار إلى الجحيم، تخصيصاً لها؛ لأنها أعظمُ نار، وأحرها، وأشدّها.
وهذا الذي قصده المتني، وفي ذلك كثرة غلو، وقلة تحرّج، يجعل أبرد نارٍ للهوى أشدَّ
حرارةً من أحرّ نارٍ للجحيم، وهو مجاز شعري، لا يتحرّج منه مثل المتني.

(١) فخر المرقم الرقم ٢٥٦ فتركت الترقيم على ما هو عليه لكي أحافظ على ترتيب المخطوط عموماً.

قلت: وجه الورقة ٢٥٧/أ يابض.

(٢) هذا البيت، والآيات العشرة بعده، من قصيدة قالها في صباه يمدح بها محمد بن عبد الله العلوي مطلعها:

أهلاً بدارِ سبائكٍ أغيدُها أبعدُ ما بأنْ عنك خردُها

وانظر البيت وشروحه عند: الواحدي ٨: ابن جنّي ١: ١٥٠/أ-ب؛ ابن وكيع ٨٥: المعري ١: ١٨؛

الصلفي ١: ٣٤؛ التبريزي ١٢٢/١؛ الكندي ١: ١/٢؛ المعكيري ١: ٢٩٦؛ اليازجي ١: ٩٦؛ البرقوقي

٢: ٢٠.

(٣) رواية صدر البيت عند الواحدي:

فَقِي فُؤَادَ الْمَحِبِّ نَارُ هَوَى

وقوله: ^(١) [المنسرح]

في مثل ظهر المجن متصل بمثل بطن المجن قرددما
قال: القردد: أرض فيها نجاد (١/٢٥٨) ووهاد، وظهر المجن نات ويطنه لاط^(٢) فهو
كالصعود والهبوط؛ أراد: يسبقه تأييدها في مقارة مثل ظهر المجن، متصل قرددما بمثل
بطن المجن؛ أي: أرضها الصلبة تتصل بمقارة^(٣) أخرى مثل بطن المجن.
فيقال له: القردد: المكان الغليظ المرتفع، وليس كما ذكرت، من أنه أرض فيها نجاد
ووهاد. وإنما غره ذكر ظهر المجن ويطنه، فظن أنه تشبيه بأرض واحدة، وإنما هو تشبيه
أرضين؛ مرتفعة ومنخفضة، متصلة إحداهما بالآخرى، وقد بين ذلك بقوله: "في
مقارة مثل ظهر المجن" إلى آخره. فتناقص في كلامه ولم يشعر

وقوله: ^(٤) [المنسرح]

له إباد إلي سالفه أعد منها ولا أعددما^(٥)
قال: "إلي" من صلة معنى الأيدي، لا من صلة لفظها؛ لأنه يقال: (٦) له عندي
يد، ولا يقال: له إلي.

(١) انظر البيت وشروحه عند: الواحدي ١١٠: ابن جني ١/١٥٢؛ الاصفهاني ٩٠: المري ١/٥٨؛ شرح ١:
٣٢؛ الصقلي ١: ٣٧؛ التبريزي ١: ١٢٣؛ ب/الكندي ١: ١/٢؛ المكبري ١: ٣٠٢؛ اليازجي ١: ١٩٧

البرقوقي ٢: ٢٧.

(٢) قراءة الواحدي ١٠: "... ناتن ويطنه لاطن ..."

(٣) قراءة الواحدي ١٠: "... الصلبة متصلة بمقارة ..."

(٤) انظر البيت وشروحه عند: الواحدي ١١١: ابن جني ١/١٥٢؛ ب/ابن وكيع ١٨٩: المري ١: ٢٥؛ الزوزني

١/٣٠؛ الصقلي ١: ٣٨؛ التبريزي ١: ١/١٢٤؛ ابن بسلام ٣٧؛ الكندي ١: ٢/٢؛ المكبري ١: ٣٠٤

اليازجي ١: ١٩٨؛ البرقوقي ٢: ٢٨.

(٥) رواية صدر البيت عند الواحدي:

له إباد إلي سالفه

ثم قال الواحدي في الشرح: "ويرى: سالفه".

(٦) قراءة الواحدي: "... لأنه يقال: لك عندي يد، ولا يقال: لك إلي يد ..."

قلت: وكرر المؤلف كتابة جملة "لأنه يقال" وشطب الأولى منها.

وأقول: يُريدُ بِمعنى الأيادي الإحسان؛ لأنه يُقال: له إحسانٌ إليّ،^(١) ولا يُقال: له أيادٌ إليّ، فيُقال له: "إليّ"، هنا، بِمعنى عند، وقد استعمل ذلك كثيراً؛ منه قولُ الرَّاعي: (٢) [الطويل] (٢٥٨/ب)

تُقال إذا رآد النساءُ، خريدةً صناعٌ فقد سادت إلي الغواني

أي: عندي

وقال أبو كبير: (٣) [الكامل]

أم لا سبيل إلى الشبابِ وذكره أشهى إلي من الرّحيقِ السّلسلِ

أي: عندي.

وقولُ غيرهما.

وقال في معنى البيت: قال أبو الفتح: أي: أنا أحدها، كما قال الجمار: (٤) [السريع]

لا تتفتني بعد ما رشتني فإنني بعضُ أياديكَ

ثم قال: يريدُ أنه وهبَ له نفسه!

قال الواحدي: (٥) وهذا فاسد؛ لأنه ليس في البيت ما يدل على أنه خلصه من ورطة، أو أنقذه من بلية، أو أعفاه من قصاصٍ وجب عليه، ولكنه يقول: أنا غدي نعمته، وريبُ إحسانه، فننسي من جملة نعمه.

(١) كتب المؤلف الجملة "له إلي إحسان" ثم شطب كلمة "إلي" وأخرها بعد كلمة "إحسان".

(٢) ديوانه ٢٨٢.

(٣) السكري، شرح أشعار الهذليين ١٠٦٩.

(٤) هو محمد بن عمرو بن حماد البصري (ت ٢٥٠هـ). شاعر مفوه مطبوع فاسق هجاء!

انظر عنه: ابن المعتز، طبقات ٣٧١-٣٧٤؛ الخطيب البغدادي، تاريخ ٣: ١٢٥-١٢٦؛ المرزباني، معجم ٣٧٤. وانظر البيت عند: ابن جني ١: ١٥٢/ب؛ وانظر البيت أيضًا عند الواحدي ١١ والمكبري ١: ٣٠٤، ورواية صدره عندهما:

لا تتفتني بعد أن رشتني

والبيت عند المكبري منسوب إلى "الحماسي" ولعله تصحيف عن "الجماري" أو "للجماري".

(٥) الواحدي، شرح ١١.

فيقال: أما استشهاده بالبَيْتِ على ما ذكر، فحَسَنٌ لَيْسَ [فيه] (١) طعن. وأما قوله: 'يريدُ أنه وهبَ له نفسه'، فيريدُ أنه كان في جَهْدٍ من العِيشِ، وعلى شَقٍّ من الفقرِ فأنقذه بِعَطَائِهِ وَحَبَائِهِ، فقوله غيرُ فاسدٍ بما فسَّرتهُ وألزمتهُ ودَهَبَتْ به عن غير وجهٍ لِتَرْجِهَ عليه الأخذَ، بل هو مطابقٌ لما رأيتهُ (١/٢٥٩) من حيث لا تعلم.

وقوله: (٢) [المنسرح]

يا ليتَ بي ضربةً أُتِيحَ لها كما أُتِيحتَ له مُحَمَّدًا
قال: كانَ هذا العَلَوِيُّ قد أصابتهُ في بعضِ حُرُوبِهِ ضربةٌ على وَجْهِهِ (٣)، فقال: ليتَ
الضربةُ التي قُدِّرَ لها مُحَمَّدًا - يعني الممدوحَ - كما قُدِّرَتْ له، كانتَ بي؛ أي: ليتني
فديتهُ من تلك الضربةِ، فوقعتَ بي دونهُ.
ويجوز أن يكونَ الممدوحُ أتاحَ وَجْهَهُ للضربةِ حينَ ثَبَّتَ في الحَرْبِ فُجْرَحَ (٤) فتمنَّى
المتنبِّي رتبتهُ في الشَّجَاعَةِ، وأضافَ محمدًا إلى الضربةِ إشارةً إلى أنها كَسَتْهُ الحَمْدُ (٥)
فأكثرتَ حتى صارَ مُحَمَّدًا بها.

فيقالُ له: الوجهُ الأولُ الذي اعتمدتَ عليه، بِتَقْدِيمِكَ له، فاسدٌ لانه لا يسوغُ له أنْ
يَفْدِيَهُ من ضربةٍ كَسَتْهُ حَمْدًا على قولك، ولم تُؤثِّرْ فيه بل أثَّرَ فيها. فهذا التَّمَنِّي بمعنى
الدُّعَاءِ لِلْمَتَنَّبِيِّ، والدُّعَاءُ على الممدوحِ على هذا الوجه. والوجهُ الصَّحِيحُ هو الثاني،
وهو أنه تَمَنَّى رُتْبَتَهُ في هذه الحال التي قُدِّرَتْ له من الشَّجَاعَةِ.

(١) ملحقة بين السطرين.

(٢) انظر البيت وشروحه عند: الواحدي ١٢: ١ ابن جني ١٥٣: ١ ب؛ الفتح الوهمي ٥١: الأصفهاني ٩١:

المعري ٥٨/ب؛ شرح ٢٩: ١ ابن سيده ٢٨: ١ أبي المرشد ٨١: الصقلي ٤٠: ١ التبريزي ١٢٤: ١ ب؛

ابن بسام ٢٩: الكندي ٢: ١ ب؛ المعري ٣٠٧: ١ اليارجي ٩٩: ١ البرقوقي ٣٠: ٢.

(٣) قراءة الواحدي: "... قد أصابته ضربة على الوجه في بعض الحروب ...".

(٤) قراءة الواحدي: "... حيث أقبل إلى الحرب وثبت حتى جرح ...".

(٥) قراءة الواحدي: "... كسبه الحمد ...".

وقوله: "وأضاف مُحَمَّدًا إلى الضربة إشارة إلى أنها كَسَتْهُ الحَمْدُ وَاكْتَرَتْ حتى صارَ مُحَمَّدًا [٢٥٩/ب] بها" خطأ من وجهين:

أحدهما: أنه جعل الضربة كَسَتْهُ حَمْدًا، وذلك بالعكس بل اِكْتَسَتْ به، ويدلُّ على ذلك قوله فيما بعد: ^(١) [المنسرح]

وَاعْتَبَطْتُ إِذْ رَأَيْتُ تَزِينُهَا بِمِثْلِهِ وَالْجِرَاحُ تَحْسُدُهَا

يعني: أن الضربة فَرِحَتْ، لما تَزَيَّنَتْ بِالْمَدْحِ، في خَالِ حَسَدِ الْجِرَاحِ لَهَا؛ لأنها تَمَنَّتْ أَنْ تَكُونَ مَكَانَهَا، لما حَصَلَ لَهَا مِنَ الشَّرَفِ بِهِ دُونَهَا.

والوجه الثاني: من الخطأ قوله: "كَسَتْهُ الحَمْدُ والشَّرَفُ حتى صارَ مُحَمَّدًا"، وذلك أنه جعل "مُحَمَّدًا" ها هنا صِفَةً تَكْثِيرٌ كما يُقَالُ: كَرَّمَتْهُ فهو مُكْرَّمٌ، وَقَدَّمَتْهُ فهو مُقَدَّمٌ. وليس كذلك بل "مُحَمَّدٌ" اسمٌ عَلِمَ على الممدوح، أَضَافَهُ إلى الضربة لِشِدَّةِ اعْتِنَاءِ الممدوح بذلك الفعل، والإكثار منه قَوْلُهُمْ: عَمَرُوا القَنَا، وَزَيَّدُوا الخَيْلَ، وَقَيْسُ الرَّايِ، وَقَيْسُ اللَّيَّانِ، وَحَاتِمُ الْجُودِ، [وقولُ الراجز: ^(٢) (الرجز)]

يَا زَيْدُ زَيْدُ الِيعْمَلَاتِ الذُّبُلِ ^(٣)

وأشبه ذلك.

وقوله: ^(٤) [المنسرح]

أَثَرُ فِيهَا وَفِي الْحَدِيدِ وَمَا أَثَرُ فِي وَجْهِهِ مُهَنْدَهَا

قال: قَصَدَ السَّيْفَ، وَالضَّرْبَةُ إِزْهَاقُ رُوحِهِ وَإِهْلَاكُهُ، فَرَدَّهَمَا عَنْ قَصْدِهِمَا فَهَذَا تَأْثِيرُهُ

(١) الواحدي، شرح ١٣، ورواية أوله: فاغْتَبَطْتُ.

(٢) البيت لعبد الله بن رواحة، ديوانه ١٥٢.

(٣) ما بين المقوفتين إضافة من الحاشية بإشارة من المؤلف.

(٤) انظر البيت عند: الواحدي ١١٢؛ ابن جني ١/١٥٤؛ المري ٥٨/ب؛ شرح ١/٢٩؛ الصقلي ١/٤٠؛

التبريزي ١/١٢٤؛ ب؛ الكندي ١/٢؛ ب؛ المكبري ١/٣٠٧؛ اليازجي ١/٩٩؛ البرقوق ٢/٣٠.

فيهما. وقوله:

... .. وما أثر في وجهه مهتدما [١/٢٦٠]
أي: ما شأنه، ولا أثر تأثرا قبيحا لأن الضربة على الوجه شعار الكرام، والعرب
تفتخر بالضرب على الوجه. ألا ترى إلى قول الحصين: ^(١) [الطويل]
ولسنا على الأعقاب تدمى كلومنا ولكن على أقدامنا تقطر الدما
فيقال: هذا خبط عشواء! وكلام من هو ذاهب عن الرشيد ليس - كما ذكر في
الخطبة - سالكا الجدد ولا سابقا غيره: ^(٢) [البيط]
... .. سبق الجواد إذا استولى على الأمد
وقول المتنبي: [المنسرح]

أثر فيها وفي الحديد
ليس كما زعمت أنت وغيرك، وإنما هذا من المقلوب على طريق المبالغة؛ يقول:
الممدوح أثر في الضربة وفي السيف اللذين من شأنهما أن يؤثرا وما أثرا فيه، وذلك
نحو قوله: ^(٣) [الطويل]
طوال الرديئات يقصفها دمي ويض السريجات يقطعها لحمي

وقوله: ^(٤) [المنسرح]

(١) هو الحصين بن الحمام المري الغطفاني النبطي، شاعر جاهلي من المقلين. انظر عنه: ابن سلام، طبقات
١٥٥؛ ابن قتيبة، الشعر ٦٣٠؛ الأصبهاني، الأغاني ١٤: ١-١٦؛ المروزي، شرح ١٩٨.
وبيته هنا أوسط ثلاثة أبيات مشهورة له وهي في المصادر أعلاه.

(٢) يقصد «خطبة» الواحدي لكتابه، صفحة ٤، وعجز البيت هنا للتأنيف النبطي، ديوانه ٢١. وصدره:
إلا لملك أو من أنت سابقه

(٣) الواحدي، شرح ١٣٠.

(٤) انظر البيتين وشروحهما عند: الواحدي ١٣؛ ابن جني ١: ١٥٤؛ ابن وكيع ٩٣؛ المعري ١: ٣٢؛
الصقلي ١: ٤١؛ التبريزي ١٢٤/ب - ١٢٥/أ؛ الكندي ١: ٣؛ العكبري ١: ٣٠٨-٣٠٩؛ اليازجي
١: ٩٩؛ البرقوقي ٢: ٣٣.

تَبْكِي عَلَى الْأَنْصَلِ الْغُمُودُ إِذَا أَنْذَرَهَا أَنَّهُ يُجَرِّدُهَا
لَعَلِمَهَا أَنَّهَا تَصِيرُ دَمًا وَأَنَّ فِي الرِّقَابِ يُغْمِدُهَا

قال: يَقُولُ: إِذَا أَنْذَرَ الْغُمُودَ بِتَجْرِيدِ السَّيْفِ، بَكَتْ عَلَيْهَا، لَعَلِمَ الْغُمُودُ أَنَّهُ يَغْمِسُ السَّيْفَ^(١) فِي رِقَابِ الْأَعْدَاءِ، حَتَّى تَصِيرَ كَأَنَّهَا {ب/٢٦٠} دَمٌ، لِحَقَاءِ لَوْنِهَا بِلَوْنِ الدَّمِ؛ وَأَنَّهُ يَتَّخِذُ لَهَا أَغْمَادًا مِنْ رِقَابِ الْأَعْدَاءِ؛ أَي: أَنَّهَا لَا تَعُودُ إِلَى الْغُمُودِ فَلِلَّذَلِكَ تَبْكِي عَلَيْهَا.

وَأَقُولُ: لَوْ أَمَّ ذَلِكَ بَانَ قَالَ: لِلْمَصَاحِبَةِ الَّتِي بَيْنَهُمَا؛ لِأَنَّ الْمَصَاحِبَ يَبْكِي لِفِرَاقِ مَصَاحِبِهِ، لَا قَادَ وَاجَادَ.

وهذان البيتان، يُرَى كَانَ الثَّانِي مِنْهُمَا تَتِمَّةً لِلأَوَّلِ؛ يَزِيدُ فِي مَعْنَاهُ، أَوْ لَا مَعْنَى لَهُ مِنْ دُونِهِ، وَلَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ بَلْ إِذَا انفَرَدَ الْبَيْتُ الْأَوَّلُ مِنَ الثَّانِي، كَانَ مُسْتَقِلًّا بِنَفْسِهِ وَأَكْمَلَ مَعْنَى؛ وَيَسَانَهُ: أَنَّهُ إِذَا أَنْذَرَ الْغُمُودَ أَنَّهُ يُجَرِّدُ السَّيْفَ، بَكَتْ عَلَيْهَا لَعَلِمَهَا بِالْعَادَةِ أَنَّهُ سَيَقْتُلُهَا فِي جِسْمِ الْقَتِيلِ بِهَا، لَمَّا ذَكَرْنَا مِنَ الصُّحْبَةِ الَّتِي بَيْنَهُمَا. وَإِذَا اتَّصَلَ بِالْبَيْتِ الثَّانِي كَانَ الْمَعْنَى أَنَّ الْغُمُودَ تَبْكِي لِفِرَاقِهَا، لَكُونِهَا تَصِيرُ فِي غُمُودٍ غَيْرِهَا وَهِيَ الرِّقَابُ، وَالبُكَاءُ عَلَى الْفَائِزِ الْمَاضِي [أَوَّلَى]^(٢) مِنَ الْبُكَاءِ عَلَى الْبَاقِي النَّاتِي، وَالْمَدِيحُ بِهِ أَكْمَلُ وَالْمَعْنَى أَجْمَلُ.

وَقَوْلُهُ: ^(٣) [المنسرح]:

تَنْقَدِحُ النَّارُ مِنْ مَضَارِبِهَا وَصَبَّ مَاءُ الرِّقَابِ يُخْمِدُهَا

(١) قراءة الواحدي ١٣: "... أَنَّهُ يَغْمِدُ السَّيْفَ فِي دِمَاءِ الْأَعْدَاءِ حَتَّى تَتَلَطَّخَ بِهَا وَتَصِيرُ ...".

(٢) فِي الْأَصْلِ "أَبْلَغُ" وَقَدْ شُعِبَتْ وَكُتِبَ فَوْقَهَا "أَوَّلَى" وَبِهَا أَخَذْتُ.

(٣) انظر البيت وشروحه عند: الواحدي ١٤: ١ ابن جني ١: ١٥٤: ١/١٥٤؛ الوحيد (ابن جني ١: ١٥٤: ١/١٥٤)؛ المعري

١: ٣٣؛ ابن سيده ٣٠: ٤١؛ الصقلي ١: ٤١؛ التبريزي ١: ١٢٥؛ الكتني ١: ٣؛ المعكيري ١: ٣٠٩؛

اليارجي ١: ١٠٠؛ البرقوقي ٢: ٣٤.

{١/٢٦١} قَالَ: إنها تصير إلى الأرض لشدة الضرب فتوري النار، ثم يُخمد ما ينصب من الدماء عليها.

وأقول: لم يرد بمضاربيها ضربها وإنما أراد حُدودها، فالنار تنقذ منها لعنفها وجودتها وحسن جواهرها، لا بالضرب والإيراء بالبلوغ إلى الأرض؛ لأنها لا توري النار إلا وقد سبقت الدماء، ومستحيل الإيراء مع صبّ الدماء^(١)، فينبغي أن يكون انقذاح النار [منها]^(٢) قبل الضرب بها وصبّ ماء الرقاب عليها. وإذا كانت السيوف قد شبهت كلها بالنار فالأولى أن [تُشبه]^(٣) حُدودها بالنار، أو تُجعل النار تنقذ منها^(٤).

وقوله: ^(٥) {المنسرح}

قد أجمعت هذه الخليفة لي أنك - يا ابن النبي - أوحدها
قال: أجمعت الخليفة موافقة لي، أنك أوحدها. ويجوز أن يكون على التقدير
والتأخير؛ أي: أوحدها إحساناً إلي وإفضالاً علي، ولا يكون في هذا كبير مدح.
ويجوز أن يكون: أجمعت فقالت لي؛ لأن القول يُضمر كثيراً.
وأقول: هذه الوجوه كلها تحيّل على {٢/٢٦١} ب) تقرير قوله: "لي"، وهي أينما
قررت قلقة مضطربة، ولو أنه قال:

قد أجمعت سادة الأنام معي

أو:

لهجر التكلف وأمن التعسف.

(١) في الأصل: "فانقذاح النار منها" ثم شطبت.

(٢) ملحقة بين السطرين.

(٣) في الأصل: "أن تجعل" ثم شطب الفعل، وكتب بعده: "تُشبه".

(٤) في الأصل بعد هذا: "لكونها للأرواح مزهقة كما أن النار للأجسام محرقة" ثم شطبت هذه العبارة كلها.

(٥) انظر البيت وشروحه عند: الواحدي ١١٤: ١ ابن جني ١: ١٠٤/ب، المعري ١: ٣٤، الصقلي ١: ٤٢،
البربري ١: ١٢٥/أ، الكندي ١: ٣/أ، المعكري ١: ٣١٠، البازجي ١: ١٠٠، البرقوقي ٢: ٣٤.

وقوله: ^(١) [المنسرح]

ومكرّمات مَشَتْ على قَدَمِ الـ سِرُّ إلى مَزَلِي تُرَدِّدُهَا
أَقْرَّ جِلْدِي بِهَا عَلَيَّ فَمَا أَقْدَرُ حَتَّى الْمَمَاتِ أَجْجِدُهَا

قال: أراد بالمكرّمات ما هنا ثياباً أنفذهَا؛ أي: أقرَّ الجلدُ بظهورِ ما عليه من الخلع للناسِ الناظرين إليه، فكأنه باكتسائه ناطقٌ مُقرٌّ، كما قال النّاشيءُ الأكبر: ^(٢) [الطويل]
وَلَوْ لَمْ يَبْحَ بِالشُّكْرِ لَفُظِي لَخَبَرَتْ يَمِينِي بِمَا أَوْلَيْتَنِي وَشِمَالِيَا
وأقول: المعنى الذي قصده أبو الطّيب، أتمُّ ممَّا ذكره الواحدي، وهو أنه أراد بالثوبِ الناطقِ بِشُكْرِهِ جِلْدُهُ؛ جَعَلَهُ كَأَنَّهُ كَسَاهُ إِياهُ بِجُودِهِ وإِحْسَانِهِ، وهو من قول الخطيب: ^(٣) [الطويل]
سَقَرُوا جَارَكَ الْعَيْمَانَ لما تَرَكْتَهُ وَيَرَدُّ عَنْ بَرْدِ الشِّتَاءِ مَشَافِرُهُ
سَتَامًا وَمَخْضًا أَنْبَتَ اللَّحْمَ فَاكْتَسَتْ عِظَامُ أَمْرِي مَا كَانَ يَشْبَعُ طَائِرُهُ
^(٤) [ومثله قوله: ^(٥)] [الوافر]

وإن يَكُ سَيْفٌ دَوْلَةٍ غيرَ قَيْسٍ فمَنهُ جِلْدُ قَيْسٍ وَالثِّيَابُ

(١) انظر البيتين وشروحهما عند: الواحدي ١٥: ١ ابن جني ١٥٥: ١-ب؛ ٩٧-٩٨ المصري ٥٩: ١ شرح
١: ٣٧ ابن سيده ٣١: ١ الصقلي ٤٣: ١ التبريزي ١: ١٢٦/أ؛ الكندي ١: ٣/ب؛ المكي ١: ٣١٢
اليازجي ١: ١٠٠؛ البرقوقي ٢: ٣٧.

قلت: ورواية صدر البيت الثاني عند الواحدي والمكي:

أَقْرَّ جِلْدِي بِهَا عَلَيَّ فَلَا

(٢) هو أبو العباس عبد الله بن محمد المعروف بابن شرشير، شاعر نحوي عروضي. قال عنه المزياني:
"وشعره كثير وهو على كثرة قليل الفائدة! ... وقد قرأت بعض كتبه فدللتني على هوسه واختلاطه".

عاش في بغداد معظم حياته، ثم رحل إلى مصر وتوفي بها سنة ٢٩٣هـ.

انظر عنه: ابن المعتز، طبقات ٤١٧؛ الخطيب البغدادي، تاريخ ١٠: ٩٢-٩٣؛ ابن خلكان، وفيات ٣:

٩١-٩٢. قلت: ولم أعر على البيت في نشرتي ديوان الشاعر.

وانظر البيت عند الواحدي، شرح ١٥: ١ والمكي، التبيان ١: ٣١٢.

(٣) ديوانه ٣١، ورواية البيت هناك:

قَرَوَا جَارَكَ الْعَيْمَانَ لما تَرَكْتَهُ وَقَلَصَ عَنْ بَرْدِ الشَّرَابِ مَشَافِرُهُ

(٤) ما بين المعقوفين إضافة من الحاشية بإشارة من المؤلف.

(٥) الواحدي، شرح ٥٤٦.

٧

عبد الرحمن الحضرمي

(ح ٩٧٥)

قال عبد الرحمن الحضرمي (ح ٩٧٥) :

١٧ - القصيدة التي «ولها في صباه على طريق رياضة نفسه ولم يشدها أحدا» ثم سمع بها محمد بن عبيد الله العلوي المشطوب (٧٩) .
أولها : المنسرح ، قافية التراكب (٨٠) :

أهلاً بدارٍ سبَّكَ أَغْدُهُما أَبْعَدُ ما كانَ عَنْكَ خُرْدُهُما
الأغيد : الناعم البدن ، وجمعه : غَيْدٌ ، وأكثر ما يستعمل الغَيْد في العُنُق .

واراد - هنا - جارية ، وذكر اللفظ ؛ لأنه عنى به الشخص ، والمراد بأغيدها : غَيْدُها ، أو غيداؤها (٨١) . والخُرْدُ جمع خريدة ، وهي البكر التي لم تَمْسَسْ (٨٢) ، ويقال - أيضا - : خُرْدٌ ، بالتخفيف ، وهو أقيس .

وفي هذا المطلع فساد من جهة اللفظ والمعنى ؛ لأن الرواية التي عليها أكثر الناس (٨٣) رواية قوله : « أَبْعَدُ » - بفتح الهمزة والباء بعدها ، وسكون العين - على معنى الاستفهام (٨٤) ، وعلى هذا فيتوقف تمام الكلام على البيت الذي بعده ؛

(٧٩) من حاشية : ك ، وفي العبارة نقصان أتمناه من الديوان .

(٨٠) الديوان (هندية) : ٤٠ - وضبطت لفظة (أَبْعَدُ) بأسكان الباء وفتح العين ، على أنها اسم تفضيل . وكذا في : ك ، ب .

(٨١) ك ، ب : غيداها .

(٨٢) ب : لم تَمْسَسْ وكلتاها صحيحة .

(٨٣) ب : التي أكثر الناس عليها

(٨٤) ك : على نقض الاستفهام .

لأن جوابه فيه ، وهو طلب (٨٥) . وتوقف معنى البيت على ما بعده عيب عند الشعراء (٨٦) .

هذا فساد من جهة اللفظ .

وأما فساد من جهة المعنى ؛ فلأنه إذا قال : أبعد فراقهم تهتم وتجن كان محالاً من الكلام ؛ لأن الشيء لا يهتم به ويحزن له إلا قبل وقوعه لا بعده ، وأما من رواه بسكون الباء ، وفتح العين (٨٧) :

أَبْعَدُ مَا بَانَ عَنْكَ خُرْدُهَا

فهى (٨٨) رواية صحيحة . والمعنى عليه : أَبْعَدُ شَيْءٍ فَارَقَكَ فِرَاقَكَ جَوَارِي هَذِهِ الدَّارِ (٨٩) .

وروى : (أَبْعَدَ) - بفتح الدال - على أنه حال من (الأعيد) ، (تن/٢٤) و (٩٠) العامل في الحال (سبأك أعيدُها أبعد ما كان منك) ، وهذا من العجب أن يُسبى ، وهو بعيد ، والمعنى (٩١) : أنه أسرك بحسنه ، وهو على البعد منك .

(٨٥) ب : ظلت ...

(٨٦) ب : ... على الشعراء .. ويريد المؤلف بالعيب - هنا - ما يسمونه ب (التضمين) ، وهو اعتماد البيت اللاحق على البيت السابق بمتعلق لفظي أو إعرابي ، كوجود ان الشرطية وفعلها في البيت الاول وتأخر جواب الشرط الى البيت الثاني ، وغير هذا ، وهو نوعان ، تضمين مكروه ، وتضمين جائز ... وللإتساع في هذا الجانب انظر الجزء الاول من كتاب العمدة لابن رشيق .

(٨٧) وهكذا ضبطت في الديوان (هندية) : ٤ وبعبارة (بسكون الخ) .

ساقطة من : ب .

(٨٨) أول الورقة : ٣٥ ب

(٨٩) ك : شبيء فارقك فارقك هذه الدار .

(٩٠) من هنا الى قوله : (وهذا من العجب ... ساقط من : ب .

(٩١) ك : ... سرك بحبه .

من عيوبها :

من عيوبها : ومن عيوبها قوله في المديح :

وَأَنْتَ كُنْتَ بِالْأَمْسِ مُحْتَلِمًا
شَيْخَ مَعَدٍّ وَأَنْتَ أَمْرَدُهُمَا

فإن لفظ : (أَنْتَ) قيل على اللسان والسمع ، ضعيف من جهة العربية ؛
لأنه خَفَّفَ : (أَنْ) مع المضمر ، ولا تخفف إلا مع المظهر •

والمعنى : أنت - بالأمس - كنت في حال احتلامك ومردتك^(٩٢)
- شيخ معدد فكيف^(٩٣) - اليوم - مع علو السن والحكمة !؟

من محاسنها :

ومن محاسنها قوله في الغزل :

ففي فؤاد المحب نَارُ جَوَى أَحْرُ نَارِ الْجَحِيمِ أَبْرَدُهُمَا

ومن محاسنها - أيضا - قوله في الغزل :

يَا عَاذِلَ الْعَاشِقِينَ دَعُ فِتْنَةً أَضَلَّهَا اللَّهُ ! كَيْفَ تُرْشِدُهُمَا ؟ !

ومن محاسنها قوله في المديح :

قَدْ أَجْمَعْتُ هَذِهِ الْخَلِيقَةَ لِي أَنْتَ يَا ابْنَ النَّبِيِّ أَوْحَدُهُمَا

والقصيدة غالبها غرر ومحاسن •

* * * *

١٨ - القصيدة التي أولها^(٩٤) : (من الطويل - قافية التدارك) :

عَوَازِلُ ذَاتِ الْخَالِ فِي حَوَاسِدِ

وَأَنْ ضَجِيعَ الْخَوْدِ مِثْنَى لِلْمَجْدِ^(٩٥)

(٩٢) ك : وبرودتك
(٩٣) (معد) ساقطة من : ك

(٩٤) في هامش : ك : سيفية •

(٩٥) انظر الابانة فيما يقابله من معاني شعر الشعراء السابقين : ١٥٣ • وانظر

الديوان : (هندية) : ٢٤٢ يمدح سيف الدولة • وفي المعبرى : ١

• ٢٦٨

٨

ناصر اليازجي

(ت ١٢٨٧)

قال ناصف اليازجي (ت ١٢٨٧) :

قفا قليلاً بها علي!

قال أيضاً في صباه يملح محمد بن عبيد الله العلوي المشطب :

أهلاً بدارِ نَبَاكَ أَغْيَدُهَا أَبْعَدُ مَا بَانَ عَنْكَ خَرْدُهَا
ظِلَّتْ بِهَا تَبْطُوي عَلَى كَيْدِ تَضِيجَةٍ فَوْقَ خَلْبِهَا يَدُهَا
يَا حَادِيَّ عَيْرَهَا وَأَحْسَبُنِي أَوْجَدُ مَيْتًا قُبِيلَ أَفْقِدُهَا
قِفَا قَلِيلًا بِهَا عَلَيَّ فَلَا أَقْلَ مِنْ نَظْرَةٍ أَرَوْدُهَا
فَقِي فُؤَادِ الْمُحِبِّ نَارُ جَوِّي أَحَرُّ نَارِ الْجَحِيمِ أَبْرَدُهَا
شَابَ مِنْ الْمُتَجَرِّ قَرَقُ لِمَتِهِ فَصَارَ مِثْلَ الدَّمَقْسِ أَسْوَدُهَا

لصاحبه: كفاني من فعل التحول بي أني قد خفيت عن أعين الناظرين حتى إني لو لم أكلملك لم تعلم بمكاني ولم يقع بعرك علي .

١ أهلاً منصوب بمضمر والتقدير جعل الله أهلاً بتلك الدار أي جعلها عامرة بالأهل . والأغيد الناعم المشي ليناً ، وهو وصف للحبيبة وإنما ذكره على معنى الشخص . وبان بعد . والخرد جمع الخريدة على غير قياس وهي المرأة الحبيبة .

٢ ظلت أصله ظلت فحذفت إحدى اللامين تخفيفاً . وغلب الكيد غشاؤها . ويدها مبتدأ خبره الظرف المقدم عليه والجملة نعت آخر لكيد . أي ظلت بتلك الدار تنشي على كبدك التي أنفجها حر الحزن واضعاً يدك فوق غشاها من الألم .

٣ العير الإبل التي تحمل عليها الميرة . ويروي عيسها وهي الكرام من الإبل . وقوله أحسبني إلى آخر البيت اعتراض . وقبيل تصغير قبل وأراد قبيل أن أفقدها فلما حذفت ان عاد الفعل إلى الرفع كما كان بدونها .

٤ أي فلا شيء أقل .

٥ الجوى هو الحرقه وشدة الوجد من عشق أو حزن .

٦ اللمة الشعر يجاوز شمة الأذن . والدقمس الحرير الأبيض .

بَا عَاذِلَ الْعَاشِقِينَ دَعَا فِئْتَهُ أَضْلَاهَا اللَّهُ كَيْفَ تُرْشِدُهَا
لَيْسَ بِحِكِّ الْمَلَامُ فِي هِمِّهِ أَقْرَبُهَا مِنْكَ عَنْكَ أَبْعَدُهَا
بِشْرِ اللَّيَالِي سَهْدَتْ مِنْ طَرَبٍ شَوْقًا إِلَى مَنْ بَيْتُ يَرْفُدُهَا
أَحْبَبْتُهَا وَالْأَمْعُ تُنْجِدُنِي شُؤْنُهَا وَالظَّلَامُ يُنْجِدُهَا
لَا نَاقَتِي تَقْبِلُ الرَّدِيفَ وَلَا بِالسَّوْطِ يَوْمَ الرِّهَانِ أَجْهَدُهَا
شِرَاكُهَا كُودُهَا وَمِشْفَرُهَا زِمَامُهَا وَالشُّسُوعُ مِقْوَدُهَا
أَشَدُّ عَصْفِ الرِّيَّاحِ يَسْبِقُهُ تَحْتِي مِنْ خَطْوِهَا تَأْوَدُهَا
فِي مِثْلِ ظَهْرِ الْمِجَنِّ مُتَّصِلٍ بِمِثْلِ بَطْنِ الْمِجَنِّ قَرَدَدُهَا

- ١ الفئة الجماعة يريد بها العاشقين . وأضلها الله نعت فئة .
- ٢ يحك يؤثر . أي لا يؤثر ملائكة في همم أقربها إلى قبول نصيحك هل حسب ظنك هو أبعدا عنه في الواقع فإن كانت هذه صفة الأقرب فما ظنك بالأبعد .
- ٣ سهدت أي سهرت .
- ٤ يقال أحيا الليل إذا سهره كله وأنجده أعانه . والشؤون مجازي الدع من الرأس . أي سهرت هذه الليلة كلها ولدموع إمداد من شؤنها وقليلة إمداد من الظلام . أي أن دموعه تجود واليلة تطول .
- ٥ أراد بناقته نمله . والرديف الراكب خلف الراكب . والسوط ما يضرب به . والرهان السباق . وأجهد الدابة وجهدها حملها في السير فوق طاقتها .
- ٦ الشراك سير التعل . والكور رجل الناقة . والمشفر من الناقة بمنزلة الشفة من الإنسان . وزمام التعل ما تشد إليه شوعها وهي السيور التي تكون بين خلل الأصابع . والمقود الخيل الذي تقاد به الدابة . جمل شراك نمله بمنزلة الرجل للناقة وزمامها بمنزلة المشفر لها والشسوع بمنزلة المقود .
- ٧ التأود التأيل . ويروي تأيدها من الأيد وهو القوة والصلابة . وكلامها لا يناسب المقام والصحيح توأدها من التؤدة بمعنى التمهّل .
- ٨ مثل نمت لحفوف أي في فلاة مثل ظهر المجن وهو الترس . ومتصل نمت سببي لفلاة المحلوفة . والتؤدة الأرض المرتفعة وهو فاعل متصل والضمير المضاف إليه لفلاة . أي أن هذه الفلاة مبددة

مُرْتَمِيَاتٍ يَتَنَا إِلَى ابْنِ عَبَّيْنِ ۚ لِي اللَّهِ غِيْطَانُهَا وَقَدْ قَدَّمَا ۚ
 إِلَى فَتَى بَصْدِرِ الرَّمَاخِ وَقَدْ أَنْهَلَهَا فِي الْقُلُوبِ مُورِدُهَا ۚ
 لَهُ أَبَادٍ إِلَى سَابِقَةِ أَعْدَ مِنْهَا وَلَا أَعْدَدُهَا ۚ
 يُعْطِي فَلَا مَطْلَةَ يُكْدَرُهَا بِهَا وَلَا مَنَّةً يُنَكِّدُهَا ۚ
 خَيْرُ قُرَيْشٍ أَبَا وَأَمْجَدُهَا أَكْثَرُهَا نَائِلًا وَأَجْوَدُهَا ۚ
 أَطْعَمَهَا بِالْقَنَاءِ أَضْرَبَهَا بِالسِّيفِ جَحْجَاحُهَا مُسَوِّدُهَا ۚ
 أَفْرَسُهَا فَارِسًا وَأَطْوَلُهَا بَاعًا وَمِغْوَارُهَا وَسَيْدُهَا ۚ
 تَاجُ لُؤَيٍّ بْنِ غَالِبٍ وَبِهِ سَمَاءُ لَهَا قَرْعُهَا وَمَحْتَدُهَا ۚ
 شَمْسُ ضُحَاهَا هِلَالُ لَيْلَتِهَا دُرٌّ تَقْصِيرُهَا زَبَرْجَدُهَا ۚ

- مثل ظهر المجن يتصل ما ارتفع منها بأماكن منخفضة مثل بطن المجن يعني أنها ذات جبال ووداد .
 ١ مرتميات أي منبئات وهو خبر مقدم عن قوله غيطانها في عجز البيت . والغيطان بطون الأرض .
 والتدفد الأرض الغليظة . والضمير في غيطانها وفددها للمغارة .
 ٢ أنهلها سقاها . وموردها ، يروي بفتح الميم على معنى المصدر ، وبضمها على معنى اسم الفاعل
 وهو الأجود . أي يبيد الرماح وقد سقاها من دماء قلوب أعدائه .
 ٣ أيادٍ نعم .
 ٤ الضمير في بها المظلة . وفي يكدرها وينكدها للأيدي المذكورة في البيت السابق . ويروي مظه
 وبه ومنه . يعني أنه لا يطل قبل المطاء ولا يمن بعده .
 ٥ نائلاً عطاء .
 ٦ القنأة الرمح . والجحجاح السيد الشريف . والمسود الذي جملة قومه سيداً . قال الواحلي :
 ذكر القنأة والسيف تأكيداً للكلام مع الطعن والضرب كما يقال مشيت برجلي وكلمته بغيري .
 ٧ فارساً حالاً أي إذا ركب فرسه . والمنوار الكثير الفارات .
 ٨ لؤي أبو قريش . والمحتد الأصل .
 ٩ التقاصير القلائد مفردة تقصار وتقسارة . والزبرجد حجر كريم والضمير المضاف إليه للتقاصير .

يَا لَيْتَ بِي ضَرْبَةَ أُتِيحَ لَهَا كَمَا أُتِيحَتْ لَهُ مُحَمَّدُهَا
 أَثَرَ فِيهَا وَفِي الْحَدِيدِ وَمَا أَثَرَ فِي وَجْهِهِ مُهْتَدُهَا
 فَاعْتَبَطَتْ إِذْ رَأَتْ تَزَيَّنَّتْهَا بِمِثْلِهِ وَالْجِرَاحُ تَحْصُدُهَا
 وَأَيَّقَنَ النَّاسُ أَنْ زَارِعَهَا بِالْكَرِّ فِي قَلْبِهِ سَيَحْصِدُهَا
 أَصْبَحَ حُسَادُهُ وَأَنْفُسُهُمْ يُحْدِرُهَا خَوْفُهُ وَيُصْعِدُهَا
 تَبْكِي عَلَى الْأَنْصُلِ الْغُمُودُ إِذَا أَنْذَرَهَا أَنَّهُ يُجَرِّدُهَا
 لِيَعْلَمَهَا أَنَّهَا تَصِيرُ دَمًا وَأَنَّهُ فِي الرِّقَابِ يُغْمِدُهَا

١ أتىح أي قدر . ومحمدا نائب فاعل أتىح أي أتىح لها محمدا كما أتىحت له . وكان الممدوح قد أصابته ضربة على وجهه في الحرب فهو يتنى لو كانت هذه الضربة به فقدها منها أو يتنى مثلها لنفسه لما فيها من دليل الشجاعة والإقدام .

٢ المهند السيف المطبوع من حديد المهند . والمعنى أن كلا من الضربة وحديد السيف قصد إهلاكه فردها عن قصدها فذلك تأثيره فيها . ويمكن أن يكون المراد أنه أثر في الضربة والسيف ضعفاً بإرعاش يد الضارب لحيته واستعظام الإقدام عليه ولذلك لم يؤثر السيف في وجهه أثرأ يعتد به أو لم يغير وجهه عن إقدامه أي لم يصرفه إلى الفرار .

٣ أي أن هذه الضربة وجلت نفسها سعيدة لما رأت أنها قد تزينت بوقعها في وجهه وحسنتها بقية الجراح لأنها لم تصادف لها مكاناً شريفاً مثل هذا .

٤ يشير إلى أن هذه الضربة أنه غدرأ لا كفاحاً وأن ضاربها قد زرع زرعاً غيباً لا بد أن يحصده أي ينال جزاءه عليه . والفسير في قلبه يحتمل أن يعود إلى الممدوح أي أن الضارب قد زرع هذه الدواة في قلبه وأن يعود إلى الضارب أي زرعها بمكر في قلبه .

٥ حساده فاعل أصبح وهي التامة . وجملة أنفسهم وما بعدها حال . أي أنه أطلق حساده فهم لا يستقرون خوفاً منه .

٦ أي أن غمود سيوفه تبكي على نصالها إذا أنذرها أنه يجرد تلك النصال لعلها أن النصال المذكورة ستلبس لون الدم لكثرة ما تطلق به فيذهب رونقها وأنه سيجعل الرقاب غموداً لها بدلاً منها .

أَطْلَقَهَا فَالْعَدُوَّ مِنْ جَزَعٍ بِدُمُهَا وَالصَّدِيقُ بِحَمْدُهَا^١
تَنْفَذُ النَّارُ مِنْ مَضَارِبِهَا وَصَبُّ مَاءِ الرِّقَابِ بِخُمِدُهَا^٢
إِذَا أَضَلَّ الْهَمَامُ مُهْجَتَهُ يَوْمًا فَاطْرَافُهُنَّ تَنْشُدُهَا^٣
قَدْ أَجْمَعْتَ هَذِهِ الْحَلِيقَةَ لِي أَنْتَ يَا ابْنَ النَّبِيِّ أَوْحَدُهَا^٤
وَأَنْتَ بِالْأَمْسِ كُنْتَ مُحْتَلِمًا شَيْخٌ مَعْدٍ وَأَنْتَ أَمْرُدُهَا^٥
وَكَمْ وَكَمْ نِعْمَةً مُجَلَّلَةً رَبَّيْتَهَا كَانَ مِنْكَ مَوْلِدُهَا^٦
وَكَمْ وَكَمْ حَاجَةً سَمَحْتَ بِهَا أَقْرَبُ مِنِّي إِلَى مَوْعِدُهَا^٧
وَمَكْرُمَاتٍ مَشَتْ عَلَى قَدَمِ الْبِرِّ إِلَى مَنَزِلِي تُرَدِّدُهَا^٨
أَقْرَ جِلْدِي بِهَا عَلَيَّ فَلَا أَقْدِرُ حَتَّى الْمَمَاتِ أَجْحَدُهَا^٩
فَعُدَّ بِهَا لَا عَدِمْتُهَا أَبَدًا خَيْرُ صَلَاتِ الْكَرِيمِ أَعُودُهَا^{١٠}

- ١ الضمير في أطلقها للانصل . والجزع ذهاب الصبر من شدة المخافة .
- ٢ الهام الملك العظيم . والمهجة الروح . ونشد الضالة طلبها ليعرف مكانها . أي إذا أضل الملك العظيم مهجته من الدهش فأطراف هذه السيوف تطلبها حيث هي فتبني إليها . ويروى منشدها اسم مكان أي إذا قتل ملك ولم يعرف قاتله فسيوفه هي المكان الذي تطلب مهجته منه لأنها قوائم الملوك .
- ٣ أنك محقة من أنك للضرورة . والمحتمل التلام بلغ مبالغ الرجال وهو حال من التاء في كنت . وشيخ ممد خير كان . والضمير في أمردها لمد . أي وأنت بالأمس حين كنت غلاماً أمرد كنت شيخاً بي ممد فكيف اليوم مع كمال السن والعقل .
- ٤ مجللة شاملة .
- ٥ أي موعدها أقرب إلي من نفسي يشير إلى قصر الوعد وقرب الإنجاز وسرعة .
- ٦ ويروى ترددها على المصدر . يريد بالمكرمات هنا ثياباً أنفذهها إليه ولذلك يقول بمدّه أقر جلدي بها علي . وقوله على قدم البر أي أن حاملها كان من جملة الهدية بكونه غلاماً للمدوح . ويجوز أن يراد أنها على أثر بر سابق .
- ٧ أنكرها . أي اعترف جلدي بها لظهورها علي .
- ٨ الصلات المطايا . وأعودها أكثرها عوداً .

٩

عبد الرحمن البرقوقي

(ت ١٣٦٣)

قال عبد الرحمن البرقوقي (ت ١٣٦٣) :

وقال في صباه يمدح محمد بن عبيد الله العلوي المشطب :
أَهْلًا يَدَارِ سَبَّكَ أَغِيدُهَا أَبْعَدُ مَا بَانَ عَنْكَ خَرْدُهَا (١)

إليكم . هذا هو ما ذهب إليه ابن جني والواحدى ، ولكن الإمام العروضى قال : إن هذا غلط ، وإنما معنى البيت الأول : ما كنت أحسبه عندكم أذى كان إحسانا إلى جنب ما ألقاه من غيركم . وذلك كما قال الآخر :
عَتَبْتُ عَلَى سَلَمٍ قَلْبًا هَخَرْتُهُ وَجَرَبْتُ أَقْوَامًا بَكَيْتُ عَلَى سَلَمٍ
ثم قال : إذا تذكرت ما بيني وبينكم من صفاء المودة أعاتى ذلك على مقاومة الشوق إذا علت أنكم على العهد والوفاء بالمودة .

(١) سباه : أسره بحبه ؛ والأغيد : الناعم المثنى لنا ؛ والمراد : الحبيبة . وذكر على معنى الشخص . والخرد : جمع خريدة ، وهى البكر التى لم تمس ، أو الحبيبة . لما دعا للدار - التى سباه من كان بها - بأن تكون مأهولة قال : أبعد شئ فارقك جوارى هذه الدار التاعمات الأبيكار ؛ فقوله أهلا : منصوب بمضمر ؛ والتقدير : جعل الله أهلا بتلك الدار : أى جعلها عامرة بالأهل . وهو فى الحقيقة دعاء لها بالسقى لأن عادة الشعراء إذا وقفوا على ديار أحبابهم حيوها بالسلام ودعوا لها بالسقى ورجوع الأهل ، كقول جرير :

سَقَى الرَّمْلَ جَوْنَ مُسْتَهْلٍ رَبَابُهُ

وما ذاك إلا مُحِبٌّ مِّنْ حَلٍّ بِالرَّمْلِ (٢)

دأى من أجل حب من حل بالرمل ، وقوله أبعد : روى أبعد ؟ - على أنه استفهام - ويكون المعنى : أبعد ما بان عنك خردها ولم تزودك عند رحيلها زادا تدعو لها . وروى أبعد - بالنصب - على أنه حال من الأغيد ، والعامل

(١) الجون : السحاب الأسود ، والرياب : ما كان دون السحاب ، ومستهل : منهل .

ظَلَّتْ بِهَا تَتَطَوَّى عَلَى كَيْدٍ نَضِيجَةٍ فَوْقَ خِلْبِهَا يَدُهَا (١)

في الحال : سباك . يريد سباك أبتدأ ما بان عنك : أى أنه أسرك بحبه ، وهو على البعد منك . قال الواحدى : والرواية الصحيحة أبتدأ ما بان . أقول : وهى التى أثبتناها فى هذا الديوان .

(٤) ظلت : أصله ظلت ، فحذفت إحدى اللامين تخفيفاً ؛ وخطب الكبد : غشاؤها . ويدها : مبتدأ ؛ والخبر : الظرف المقدم عليه . والجملة : نعت آخر لكبد . وقال المكبرى : يدها ارتفعت بنضيجة ، إذ أنها تعمل عمل الفعل ، كما تقول : مررت بامرأة كريمة جاريتها ، ثم قال : وجعل اليد نضيجة وأضافها إلى الكبد لأنها دام وضعها على الكبد ، فأنضجت بها فيها من الحرارة ؛ فلماذا جاز إضافة إلى الكبد ، والعرب تسمى الشيء باسم غيره إذا طالت صحبته إياه ، كما قالوا لفناء الدار : العذرة (١) وإذا جاز تسميته باسم ما يصحبه كانت الإضافة أهون . يقول : ظلت بتلك الدار تنثنى على كبدك التى أنضجت حرارة الوجد واضعاً يدك فوقها . والمحزون يفعل ذلك كثيراً لما يجد فى كبده من حرارة الوجد ، كأنه يخاف أن تنشق كما قال الحماسي :
وَأَذْكُرُ أَيَّامَ الْحَيِّ ثُمَّ أَنْشَيْ

عَلَى كَيْدِي مِنْ خَشْيَةٍ أَنْ تَصْدُعَا (٢)

(١) العذرة : العاطط . قال اللغويون : إنما سعى فناء الدار عذرة لأنها كانت تلقى بأثنية الدور

(٢) للصمة بن عبد الله القشيري من أبيات جميلة أولها :

حَذَنْتُ إِلَى رَبِّئَاوْتَفْسُكَ بِأَعْدَتْ مَزَارِكُ مِنْ رَبِّئَاوْتَشْعْبَا كَمَا مَعَا
فَمَا حَسَسُ أَنْ تَأْتِيَ الْأَمْرَ طَائِعَا وَتَجَزَّعَ أَنْ دَاعِيَ الصَّبَابَةِ أَسْمَعَا
قَفَاوَدَعَا نَجْدَا وَمَنْ حَلَّ بِالْحَيِّ وَقَلَّ لِنَجْدٍ عِنْدَنَا أَنْ يُودَعَا

يَا حَادِي عَيْرِمَا وَأَحْسِنِي أَوْجَدُ مَيْتًا قَيْلَ أَقْدَمَا (١)

وقال الآخر :

لَمَّا رَأَوْهُمْ لَمْ يَحْسُوا مُذْرِكَا وَضَعُوا أُنَامِلَهُمْ عَلَى الْإِكْبَادِ
(١) العير : الإبل التي تحمل عليها الميرة ، ويروى عيسها : وهي كرام
الإبل . وقوله قَيْلَ أَقْدَمَا : أراد قَيْلَ أَنْ أَقْدَمَا ، فلما حذف أَنْ : عاد
الفعل إلى الرفع كبيت الكتاب - كتاب سيدييه - :
* أَلَا أَيُّهَا اللَّاتِييُ احْضُرِ الْوَعَى (١) *

بِنَفْسِي تِلْكَ الْأَرْضَ مَا أَطْيَبَ الرَّبَا وَمَا أَحْسَنَ الْمَصْطَافَ وَالْمُتَرَبَّعَا
وَلَمَّا رَأَيْتُ الْبِشْرَ أَعْرَضَ دُونَنَا وَجَالَتْ بَنَاتُ الشُّوقِ يَحْنَنُ نُزْعَا
بَكَتْ عَيْنِي الْيُسْرَى فَلَمَّا زَجَزْتَهَا عَنْ الْجَهْلِ بَعْدَ الْحِلْمِ أَسْبَلْنَا مَعَا
تَلَفْتُ تَحْوَا لِحَى حَتَّى وَجَدْتُني وَجَعْتُ مِنْ الْأَصْغَامِ لَيْتَا وَأَخْدَعَا
وَأَذْكَرَ أَيَّامَ الْحَيِّ [البيت]
وَلَيْسَتْ عَشِيَّاتُ الْحَيِّ بِرَوَاجِعِ إِلَيْكَ وَلَكِنْ خَلَّ عَيْنِكَ تَذَمُّعَا
الشعب : الحى ، والبشر : جبل ، وأعرض : أبدى عرضه وجانبه ، وبنات الشوق
توازعه . ونزعا . جمع نازع أى مشتاق ، والليت : صفحة العنق ، والاخذع :
عرق فيها .

(١) صدر بيت لطرفة بن العبد من معلقته ، وعجزه :

* وَأَنْ أَشْهَدَ اللَّذَاتِ هَلْ أَنْتَ مُخْلِدي *

وبعده :

فَإِنْ كُنْتُ لَا تَسْطِيعُ دَفْعَ مَذِيٍّ قَدَعْنِي أَبَادِرُهَا بِمَا مَلَكَتْ يَدِي
[يقول طرفة : يامن يلومنى على حضور الحرب لئلا أقتل ، وعلى أن أنفق مالى
فى اللذات : ما أنت مخلدى إن نزلت على حكمك ، وإذن دعنى أسبق الموت بالفتح
بإفراق مالى يعنى أن الموت لا بد منه ، فلا معنى للبخل وترك اللذات] .

قَلِيلًا بِهَا عَلَى فَلَا أَقَلَّ مِنْ نَظَرَةٍ أَزُودُهَا^(١)

وقوله وأحسنى الخ: جملة اعتراضية . دعا الحاديين ثم ترك ماداعها له
فذكره في البيت التالي ، وأتى بهذه الجملة المعارضة الجميلة . قال العكبرى :
نادى الحاديين ، وحذف ما ناداهما له ، وذكره فيما بعد البيت . وهذا مما
يسمى الاعتراض : اعترض له كلام آخر هو من شأنه وقصته ، ولو كان
كلاما ليس من قصته وشأنه فسد ، وإذا كان منه كان جائزا ، كقول الآخر :
وقد أدركتني - والحوادث بجملة - أسنة قوم لا ضماف ولا غزل
فصل بين الفعل والفاعل بما هو من قصته ، لأن إدراك الأسنة من
جملة الحوادث .

(١) يقول - للحاديين الذين يحذون غيرها أو عيسها - : احبسها على
قليل لا نظر إليها وأزود منها نظرة فلا شيء أقل منها . وقريب من هذا المعنى
قول ذى الرمة :

وإن لم يكن إلا مُعَرَّجُ سَاعَةٍ قَلِيلًا فَإِنِّي نَافِعٌ لِي قَلِيلًا^(٢)
وروى بعضهم أقل - بالرفع - على أن لا بمنزلة ليس ، كبيت الكتاب :
مَنْ قَرَّ عَنْ نِيرَانِهَا فَأَنَا ابْنُ قَيْسٍ لَا بَرَّاحٍ^(٣)

(١) قبله :

أَلَا عَلَى الدَّارِ الَّتِي لَوْ وَجَدْتُهَا بِهَا أَهْلُهَا مَا كَانَ وَحْشًا مَقِيلُهَا
أَلَا : أنزلا ، ووحشا موحشا ، والمقيل : النوم في الظهيرة ؛ والمعرج : التعرج
وهو الإقامة . وقليلها : مبتدأ ؛ ونافع : خبره ، والمعنى ظاهر .

(٢) من أبيات لسعد بن مالك - شاعر جاهلي من شعراء الحماة - وأول الأبيات

يَا بُوْسَ لِلْحَرْبِ الَّتِي وَضَعْتَ أَرَاهُطَ فَاسْتَرَا حُوا
وبعده :

وَالْحَرْبُ لَا يَبْقَى لِحَا جِهَا التَّخْيِيلُ وَالْمَرَا حُ

فِي قَوَادِ الْحَبِّ نَارُ جَوَى أَحْرُ نَارِ الْجَحِيمِ أُبْرَدَهَا (١)
شَابَ مِنَ الْحَجَرِ فَرَقٌ لِمَتِهِ فَصَارَ مِثْلَ الدَّمْعِ أَسْوَدَهَا (٢)

يريد: ليس عندي راح.

(١) غنى بالحب: نفسه، والجوى: الحرقه وشدة الوجد من عشق أو
حزن، والجحيم: النار العظيمة الشديدة التوقد. وكل نار توقد على نار: جحيم؛
وجحمت النار: اضطربت وكثر جمرها ولهبها وتوقدها؛ ومكان جاحم:
شديد الحر؛ قال الأعشى:

يُعَدُّونَ لِلْهَيْجَاءِ قَبْلَ لِقَائِهَا غَدَاةَ احْتِضَارِ الْبَاسِ وَالْمَوْتِ جَاحِمٌ

يقول: إن نار الجوى أشد حرارة من نار الجحيم؟

(٢) اللثة من الشعر: ما ألم بالمنكب وجاوز شحمة الأذن، ويسمى
الشعر القليل في الرأس: وفرة، فإذا كثر عن ذلك: قيل جمة، فإذا ألم
بالمنكب: قيل لثة. والفرق حيث يفرق الشعر من الرأس. والدمقس:
الحرير الأبيض؛ وأسودها: مسودها. يقول: لعظم ما ألم به من هجر الحبيب
أبيض شعره حتى صار ما كان أسود من لثته أبيض.

إِلَّا الْفَتَى الصَّبَارُ فِي النَّجْدَاتِ وَالْفَرَسُ الْوَقَّاحُ

يأبؤس للحرب — يقول يأبؤس الحرب، ومعنى وضعت أراهم حطهم
وأسقطتهم فلم يكن لهم ذكر في هذه الحرب فاستراحوا من مكابذتها كالنساء.
وقوله فأنا ابن قيس أي أنا المشهور في النجدة لما سمعت؛ والبراح: مصدر
يرح الشيء براساً، إذا زال من مكانه. والجاحم: المكان الشديد الحر، والتخيل:
التكبر، من الخيلاء. يقول: إنها تزيل نخوة المنخو، وذلك أن أصحاب الغناء يتكرمون
عن الخيلاء بمخال المتشبع. فإذا جرب فلم يحمد اقتضع وسقط؛ والمراح — بكسر
الميم — النشاط.

بَانُو بِخُرْعُوِيَّةٍ لَهَا كَفْلٌ يَكَادُ عِنْدَ الْقِيَامِ يُقْعِدُهَا (١)
رَبْحَلَةً أَسْمَرَ مُقْبِلَهَا سَبْحَلَةً أَيْضُ مُجْرَدَهَا (٢)

(١) الخرعوية : الشابة اللينة الطرية ؛ وقوله يكاد : يريد قرب من ذلك ، وكاد : فعل وضع لمقاربة الفعل ، وإثباته نبي في المعنى ، فأراد قرب من ذلك ولم يفعل . قال اللغويون . كدت أفعل : معناه عند العرب قاربت الفعل ولم أفعل ، وما كدت أفعل : معناه فعلت بعد إبطاء . يقول : ذهبوا بامرأة ناعمة إذا قامت يكاد ردفها يقعدا لكثرة ما عليه من اللحم . وهم يصفون المرأة بنقل العجيزة وكثرة لحمها . وقد تعاور هذا المعنى شعراء العربية كثيراً ؛ قال ذو الرمة :

تَنَوُّ بِأُخْرَاهَا فَلَا يَأْ قِيَامُهَا وَتَمَشَّى الْهَوَيْنَاعِنَ قَرِيبٍ قَهْرُهَا (١)
ويقول أبو العتاهية :
بَدَّتْ بَيْنَ حُورٍ قَضَارٍ الْخَطَى مُتَجَاهِدٌ يَأْمَلُشِي أَكْفَالُهَا
وقال أبو دلالة :

وَقَدْ حَاوَلْتُ نَحْوِي الْقِيَامِ لِحَاجَةٍ
فَأَنْقَلَبْتُ عَنْ ذَلِكَ الْكَفَلِ النُّهْدُ

(٢) الربحلة والسبحلة : من نعوت النساء ، وهي الجسميمة الطويلة العظيمة . والمقبل : موضع التقبيل ، وهو الشفة ، وتحمد فيها السمرة . قال ذو الرمة :
لِمَاءٍ فِي شَفَتَيْهَا خُرَّةٌ لَعَسُ فِي الثَّلَاثِ وَفِي أَنْبِيَاسِهَا شَنْبُ

(١) قوله تنو بأخراها يقول : إن أخراها - وهي عجيزتها - تنبتها : أي تسقطها إلى الأرض اضخمها وكثرة لحمها في أردافها ، ومن ثم كان قيامها إذا هي قامت بعد لأي أي بعد مشقة وجهد وإبطاء .

يَا عَاذِلَ الْعَاشِقِينَ دَعِ فِتْنَةَ أَضَلَّهَا اللَّهُ كَيْفَ تُرْشِدُهَا (١)
 أَلَيْسَ يُجِيبُكَ الْمَلَأَمُ فِي هَمِّهِمْ أَقْرَبَهَا مِنْكَ عَنْكَ أَبْعَدُهَا (٢)
 يَنْسُ اللَّيَالِي سَهْرَتُ مَنْ طَرَبِي شَوْقًا إِلَى مَنْ يَبِيتُ يَرْقُدُهَا (٣)

والمجرد: ما تعرى من الثوب، وهو الأطراف. وصفها بسعة الشفق وياض اللون، وخص المجرد لأنه إذا ابيض المجرد - الذي تصيبه الريح والشمس، وهو الذي يظهر للرائين - كان سائر بدنهما - الذي لا يصيب الريح ولا الشمس - أشد يابضاً.

(١) الفتنه: الجماعة، يريد العاشقين. يقول: يا من يلوم العشاق على عشقهم دع لومك قوما أضلهم الله في الهوى حتى تهالكوا فيه واستولى عليهم حتى استبد بهم، فكيف ترشدهم بعد ذلك؟ أي أنهم لا يصغون إلى لومك، لما بهم من ضلال العشق.

(٢) أحاك فيه الشيء وحاك: أثر. يقول: إن لومك لا يؤثر في همم أقربها منك في تقديرك أبعداها عنك في الواقع: أي أن الذي أظنه ينجع فيه لومك هو الأبعد مما تظن.

(٣) يذم الليالي التي لم ينم فيها لما أخذه من القلق وخفة الشوق إلى الحبيب الذي يرقد الليالي ساليا لا يجد من أسباب السهر ما كان يجد هو. وأين الخلل من الشجى؟ وهذا ينظر إلى قول أبي نواس:

شكونا إلى أحبابنا طولَ ليلنا فقالوا لنا ما أقصّر الليلَ عندنا
 وإليك ما أورده العكبري في شرح هذا البيت قال: المقصود بالذم محذوف، وهو فكرة موصوفة بسهرت، والعائد إليه من صفته محذوف أيضا، والتقدير ليلال سهرت فيها؛ ومثله في الكتاب العزيز (وَمِنْ آيَاتِهِ يَرِيكُمْ) تقديره آية يريكم بها البرق خوفا، وقد جاء في الشعر حذف النكرة المجردة الموصوفة بالجملة في قول الراجز:

مَا لَكَ عِنْدِي غَيْرُ سَهْمٍ وَحَجَرٍ وَغَيْرُ كِبْدَاءٍ شَدِيدَةٍ الْوَرْدِ
تَرْمِي بِكَفِّي كَانَ مِنْ أَرْمَى الْبَشَرِ (١)

يريد بكفي رجل فخذفه وهو ينويه ؛ وقوله من طرفي : مفعول له ، وهو بمعنى اللام . كما تقول جئت من أجلك ولأجلك ، وأكرمتك لمخافة شره ومن مخافة شره ؛ وشوقا : يحتمل أن يكون مفعولا لأجله عمل فيه طرفي فيكون الشوق علة للطرب ، والطرب علة للسهر ، ولا يعمل سهرت في قوله شوقا لأنه قد تعدى إلى علة فلا يتعدى إلى أخرى إلا بعاطف ، كقولك أفت سهرنا وخوفنا ، وسرت طربنا وشوقنا . ويحتمل أن ينصب بمحذوف كأنه قال شقت شوقا ، وشاقتي التذكر شوقا ، وشقت فعل . مالم يسم فاعله ، كما يقول المملوك : قد بعثت أي باعني مالكي ، وكقول الجارية - وقد سئلت عن المطر - غشنا ماشتنا : أي أغاثنا الله ، وقوله إلى من : يتعلق بالشوق لأنه أقرب المذكور إليها ، وإن شئت علقت به بالطرب إذا نصبت شوقا بالطرب ، وإن نصبت بالمحذوف لم تعلقه بالطرب ، لأنك تفصل بشوق وهو اجنبي عن الطرب وصلته ، وكان الوجه أن يقول يرقد فيها كما تقول يوم الجمعة خرجت فيه ، ولا تقول خرجته إلا على سنبل التوسع في الظرف فجعله مفعولا به على السعة كقوله * ويوم شهدناه سُلَيْمًا وعامرا (٢) *

(١) قوس كبداء : غليظة المقبض ، ألا الكف . وقوله ترمي . يروي جادت من الجودة . وقال ابن جني : روى أيضا بفتح ميم من أي بكفي من هو في الرمي من أرمى البشر ، وكان على هذا زائدة . وعلى هذا لا شاهد فيه (٢) عجزه :

* قَلِيلٌ سَوَى الطَّنْعَنِ النَّهَالِ نَوَافِلُهُ *

شهدناه : أي شهدنا فيه ؛ وسلم وعامر قيلتان من قيس عيلان ؛ والتوافل هنا :

قضى البيت أربعة حذف : حذف المقصود بالذم - وهو ليل - وحذف من سهرت فيها ، وحذف الضمير من سهرت : فكأنه يقول سهرتها . والرابع حذف من يرقد فيها . وروى سهرت وسهدت - بالراء والبدال - وقد فرق أهل اللغة بينهما فقالوا : السهر - بالراء - فى كل شيء ، وبالدال : اللدغ والعاشق . واستدلوا بقول النابغة :

* يُسَهَّدُ مِنْ نَوْمِ الْعِشَاءِ سَلِيمُهَا ^(١) * ويقول الأعشى :

* وَبَيْتٌ كَمَا بَاتَ السَّلِيمُ مُسَهَّدًا ^(٢) *

وقوله بنس : اختلف أصحابنا والبصريون فى نعم وبنس ، فقال أصحابنا هما اسمان ، وقال البصريون بل هما فعلان ماضيان لا يتصرفان ، وواقعهم من أصحابنا : على بن حمزة المقرئ . حججنا على أنهما اسمان أن حرف الجر يدخل عليهما لما قد جاء عن العرب أنها تقول ما يزيد بنعم الرجل . قال حسان بن ثابت الأنصارى رضى الله عنه :

الغنائم . يقول : يوم لم يغم فيه إلا النفوس لما أوليناهم من كثرة الطعن والنهال المرتوية بالدم . وأصل النهل : أول الشرب ، والعلل : الشرب بعد الشرب ، والطعن : مناجع طعنة .

(١) عجزه : * لَحْلَى النَّسَاءِ فِي يَدَيْهَا قَعَا قَع *
يقال فلان يسد : أى لا يترك أن ينام .

(٢) صدره : * أَلَمْ تَغْتَمُضْ عَيْنَاكَ لَيْلَةَ أَرْمَدَا *
وهذا البيت مطلع أبيات يمدح بها سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وبعده :

وما ذاك من عشيق النساء وإنما تناسيت قبل اليوم خلة مهذبا
إلى آخر الآيات . وقوله ليلة أرمدا : يريد ليلة أرمدا - أى عيناه - أى أصحابها رمد ، وهو وجع العين ، والسليم : الملدوغ ، والمسهد : الذى منع النوم ، والخلة : الصداقة ، ومهدد : اسم امرأة .

أَلَسْتُ بِنِعْمِ الْجَارِ يُؤَلِّفُ بَيْتَهُ

لدى العرفي ذا مال كبير ومُنْدِمًا^(١)
وحكى عن بعض فصحاء العرب أنه قال : نَعَمْ التَّسِيرُ عَلَى يَتْسَنِ الْعِيرِ ، وقال
الفرّاء : إن أعرابيا بشر بأشقى قيل له نعم المولود مولودتك ، فقال : والله ما هي
بنعم الولد ، نصرها بكاء وبرها سرقة . فدخل حرف الجر عليهما دل على
أنهما اسمان . وحجة أخرى : إن حرف النداء يدخل عليهما وهو لا يدخل
إلا على الأسماء في قولهم : يا نعم المولى ويا نعم النصير : ولا يجوز أن يقال
المقصود بالنداء محذوف للعلم به والتقدير فيه : يا الله نعم المولى . يحذف
المنادى لدلالة حرف النداء عليه . كما يحذف حرف النداء لدلالة المنادى
عليه . فإن قيل ذلك ، فجوابنا : المنادى إنما يقدر محذوفا إذا ولى حرف
النداء فعل أمر . وما جرى مجراه ، كقراءة على بن حمزة والحسن ويعقوب
والأعرج : أَلَا يَا تُسْجُدُوا ، تقديره : يا هؤلاء اسجدوا . وكقول ذي الرمة
أَلَا يَا نَسْلِي دَارَ مَيِّ عَلَى الْبَلِي وَلَا زَالَ مُنْهَلًا بِجَرَاعَتِكَ الْقَطْرِ^(٢)
وكقول الآخر :

أَمْسَلَمْ يَا سَمْعَ بْنَ كُلِّ خَلِيفَةٍ وَيَا سَائِسَ الدُّنْيَا وَيَا جَبِلَ الْأَرْضِ^(٣)

(١) قوله يولف بيته لدى العرف : أى يجعله مألفاً لدى العرف . أكان غنياً
أم فقيراً (٢) مى : هى محبوبته ، وعلى : بمعنى مع ، ومنهلاً : منصباً ؛ والجرعاء
مؤنث الأجرع : الموضع المختلط ترابه بالحصى ؛ والقطر : المطر . يدعوها بالخصب
(٣) هذا البيت لأبي نخلية يمدح به مسلمة بن عبد الملك ، وقد أورده القالى على
الوجه الآتى :

أَمْسَلَمْ لِمَنْى يَا ابْنَ كُلِّ خَلِيفَةٍ وَيَا فَارِسَ الْهَيْجَاوِيَا قَمَرَا الْأَرْضِ
شَكَرْتُكَ إِنَّ الشُّكْرَ حَبْلٌ مِّنَ التَّقَى

وَمَا كُلُّ مَنْ أَوْلَيْتَهُ نِعْمَةً يَقْضَى

أراد ياهذا : وشواهد كثيرة ، وإنما اختص هذا دون الخبر بفعل الأمر ، لأن المنادى يخاطب ، والمأمور أيضاً مخاطب ، فحذفوا الأول من المخاطبين اكتفاء بالثاني ، ولا خلاف أن نعم المولى خبر ؛ فيجب أن لا يقدر المنادى محذوفاً ، فدل على أن النداء لا يكاد ينفك عن الأمر ، أو ما جرى مجراه من الطلب والنهي ، ولذلك لا يكاد يوجد في كتاب الله نداء ينفك عن أمر أو نهى ، ولهذا لما جاء الخبر في قوله تعالى : يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ، شفعه الأمر - وهو استمعوا له - فلما كان الأمر والنداء جلتى خطاب جاز أن يحذف المنادى من الجملة الأولى ، وليس كذلك يانعم المولى ، لأن نعم : خبر ، فلا يجوز أن يقدر المنادى محذوفاً ، ودليل آخر على أنهما اسمان ، أنهما لا يحسن اقتران الزمان بهما كسائر الأفعال ، لأنك لا تقول : فم الرجل غداً ولا أمس ولا ينس الرجل غداً أو أمس ؛ ودليل آخر : أنهما غير متصرفين ، والتصرف من خصائص الأفعال ، ودليل آخر : أنهما لم يكونا فعلين ماضيين لأنه يجوز دخول اللام عليهما في خبر أن ، تقول إن زيدا لنعم الرجل وعمراً لنس الغلام . وهذه اللام لا تدخل على الماضي ، وهي تدخل على الاسم ، وعلى الفعل المضارع ، فدل على أنهما اسمان . ودليل آخر : أنه قد جاء عن العرب نعيم الرجل وليس في أفعال العرب فاعيل ، فدل على أنهما اسمان . وحجة البصريين اتصال الضمير المرفوع بهما على حد اتصاله بالفعل المتصرف . وحجة أخرى : اتصالهما بباء التأنيث

وَأَلْقَيْتَ لَمَّا أَنَّ آتَيْتُكَ زَارًا عَلَى لَخَافَ سَابِغِ الطُّوْلِ وَالْعَرَضِ
وَنَوَّهْتَ مِنْ ذِكْرِي وَمَا كَانَ خَامِلًا
وَلَكِنْ بَغِضَ الذِّكْرِ أَنْبَهُ مِنْ بَغِضِ
وَإِنَّ لَا شَاهِدَ فِيهِ .

أَحْيَيْتَهَا وَالْدُمُوعُ تُنَجِدُنِي شُؤْنَهَا وَالظَّلَامُ يُنَجِّدُهَا (١)
لَا نَاقِي تَقَبَّلُ الرَّدِيفَ وَلَا بِالسَّوْطِ يَوْمَ الرَّهَانِ أُجْبِدُهَا (٢)

الساکنة الی لا یقلبها أحد فی الوقف هاء کما قلبوها فی رحمة وشجرة ، وذا قولهم نعمت الجارية ، وهذه التاء یختص بها الفعل بالماضی .
(١) إحياء الليل : سهره ، وأنجده : أعانه ؛ والشئون : قبائل الرأس ، وجماری الدموع ، والضمير فی أحييتها وينجدها : لليلی والضمير فی شئونها للدموع .
يقول : كان للدموع من الشئون امداد ، وللایل من الظلام امداد ، یعنی تلك الليالی طالت وطال البكاء فيها ، ويجوز أن یكون الضمير ینجدها عائدا إلى الشئون ، وذلك أن من شأن الظلام أن یجمع الهم على العاشق وفي اجتماعها عون للشئون على تكثير البكاء . بین هذا قول قیس المجنون :

يَضُمُّ إِلَى اللَّيْلِ أَطْفَالَ حُبِّهَا كَمَا ضَمَّ أَزْوَارَ الْقَمِيصِ الْبَنَاتِيقَا
(٢) الرهان : السباق ، وأجهد الدابة وجهدها : حملها فی السیر فوق طائر .
يقول : إن ناقي - ويريد نعله - لا تقبل الرديف - وهو الذي یرتد خلفه -
الراكب - وإذا راهنت عليها لم أجهد بها بالسوط ؛ وهذا كما قال فی قوله قد تقدمت :

وَحَيِّتُ مِنْ خَوْصِ الرِّكَابِ بِأَسْوَدٍ مِنْ دَارِشٍ فَقَدَرْتُ أَمْشِي رَاكِبًا
وهذا المعنى من قول أبي نواس :

إِلَيْكَ أَبَا عَبَّاسٍ مِنْ بَيْنِ مَنْ مَشَى عَلَيْهَا امْتَطَيْنَا الْخَضِرَى الْمَلْسَمَ

(١) أراد بالأطفال : الاحزان المتولدة عن الحب ، والبناتق : جمع بنيقة ، ودم طوق الثوب الذي يضم النحر وما حوله ، وإذا أنشد البيت :
* كما ضم أزوار القميص البناتق *
كما هو فی أصله ، فالبناتق : العرى التي تدخل فيها الأزرار .

شَرَكَهَا كُورَهَا وَمِشْفَرَهَا زِمَامُهَا وَالشُّسُوعُ مِقْوَدُهَا^(١)
أَشَدُّ عَصْفِ الرِّيحِ يَسْبِقُهُ تَحْتَى مِنْ خَطْوِهَا تَأْيِدُهَا^(٢)

فلا تص لم تعرف حينئذ إلى طَلَا^(٣) ولم تَذِرِ مَا بَرَعَ الْفَنِيْقُ وَلَا الْمِينَا^(٤)
ومثله قول الآخر :

رَوَّاحُنَا سَيْتٌ وَنَحْنُ ثَلَاثَةٌ نَجْتَسِمُ الْمَاءَ فِي كُلِّ مَنَهْلٍ
(١) الشراك : سير النعل ؛ والكور : رحل الناقة ؛ والمشفر من الناقة : بمنزلة الشفة من الإنسان ؛ وزمام النعل : ما تشد إليه شسوعها ، وهي السور التي تكون بين خلال الأصابع ؛ والمقود : الحبل الذي تقاد به الدابة . جعل شراك نعله بمنزلة الرحل للناقة ، وزمامها بمنزلة المشفر لها ، والشسوع بمنزلة المقود .

(٢) عصف الرياح شدة هبوبها ومن روى بضم العين فهو جمع عصفوف يقال ربح عاصف وعصفوف : بمعنى ، والجمع عصف . ويريد بقوله تأيدها : تأنيها وتلبها . يقول : أهون سير ناقى — يعني نعله — يسبق أشد سير الرياح يصف المتنبي نفسه بأنه شديد التمدد ومتنعلا . وقال الواحدى في قوله تأيدها : التأيد تفعل من الأيد ، وهو التقوى ، وليس المعنى على هذا ، وإنما أراد التفعل من الاتاد وهو الترفق . واللين ، ولم يحسن بناء التفعل منه ، وحقه تأودها . وقال ابن القطاع : يقال آد الشيء يئيد أبداً : إذا قوى . ولو قال تأودها لكان قد بالغ ، وآد الشيء يؤد أوداً : إذا أثقل . وفي كلام العرب ما أدك فهو لى آند : أى ما أثقلتك فهو لى مثقل ، فيكون المعنى أشد عصف

(١) نعل حضرى : إذا كان ملتصقاً وهو الذى فيه طول وإطافة دلى هيئة اللسان والطلا : الولد من ذوات الطلف ، والقرع : الجرب ، والفنيق : النعل المكرم من الإبل الذى لا يركب ولا يهان لكرامته ، والهناء : القطران . تقول هنأت البعير : إذا طليته بالهناء وهو القطران .

فِي مِثْلِ ظَهْرِ الْجَنِّ مُتَّصِلٍ بِمِثْلِ بَطْنِ الْجَنِّ قَرَدُهَا^(١)
مُرْتِمَاتٌ بَنَاتٌ إِلَى ابْنِ عِيْسَى اللَّهِ غِيْطَانَهَا وَقَدَفُهَا^(٢)

الرياح يسبقه ثقل سيرها . وهذا غاية المبالغة . وكذلك لو قال : تأودها
لكان أيضاً قد بالغ ، فالتؤد والتؤد والوثيد الترفق . يقال : وأم يد وأدا ، والتام
- في التؤدة - مبدلة من وار ، مثل تخمة ، فيكون المعنى : أشد عصف
الرياح يسبقه ترفق سيرها ؛ وهذا هو المبالغة . وقيل إن التأيد في بعض
اللغات الترفق ، وأنشد الخليل في ذلك :

تَأْيِدٌ عَلَى هَذَاكَ الْمَلِيكَ فَإِنْ لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالًا

أى ترفق

(١) في مثل ظهر الجن : أى يسبقها تأيدها في مفازة مثل ظهر الجن
فمثل نعت المحذوف : أى في مفازة أو فلاة . والجن : العرس . ومتصل نعت سبب
لمفازة المحذوفة . وقرددها : فاعل متصل ، وتروى متصل - بالرفع - على
أنها خبر مبتدأ مؤخر ، وهو قرددها ، والقردد : الأرض المرتفعة الغليظة أو
أرض فيها نجاد ووهاد . قال ابن جني : شبه الأرض بظهر الجن لما كانت
خالية من النبات ، وظهر الجن ناء ، وبطنه لاطع فهو كالصعود والحدود
أى أن هذه المفازة محدبة مثل ظهر الجن يتصل ما ارتفع منها بأماكن
منخفضة مثل بطن الجن : يعنى أنها ذات جبال ووهاد .

(٢) مرتميات : خبر مقدم ، وغيطانها : مبتدأ مؤخر ؛ وتروى مرتميات
- بالنصب - صفة لمفازة ، وغيطانها : فاعل مرتميات : والغيطان : جي
غائط ، وهو المطنن من الأرض . والقدف : الأرض الغليظة المرتفعة
يقول : إن هذه المفاوز غيطانها وقددها ترمينا إلى الممدوح بقطنا إياه
بالسير ، فكانها تلقينا إليه .

إِلَى قِيٍّ يُصْدِرُ الرَّمَاحَ وَقَدْ أَنهَلَهَا فِي الْقُلُوبِ مُورِدَهَا (١)
 لَمْ يَأْدِ إِلَى سَابِقَةٍ أُعِدَّ مِنْهَا وَلَا أُعِدَّتْهَا (٢)
 تَنْتَفِيَتْ فَلَا مَطْلَةَ يُكْدِرُهَا بِهَا وَلَا مَنَّةً يُنْكِدُهَا (٣)

(١) إلى قِيٍّ: بدل من ابن عبيد الله . ويصدر الرماح : ينزعها بعد الطعن من المظنون . وأنهلها : سقاها . وموردتها - بضم الميم - على أنها اسم فاعل - وهو المندوح - فاعل أنهلها ؛ ويروى بفتح الميم على معنى المصدر ، فيكون المعنى أنهلها في القلوب ورودها : يبنى أنها وردت قلوب الأعداء ، والأولى أجود . يقول : ينزع الرماح وقد سقاها من دماء قلوب الأعداء . وعبارة الراجح : يرجعها ويردها وقد سقاها بموضع ورودها في قلوب الأعداء دماء .

(٢) الأماذي : النعم ، وإلى : صلة سابقة ، أو صلة الأيادي مضمنة معنى الإحسان ، كأنه قال له إحسان إلى ، لأنه يقال لك عندي يد ، ولا يقال لك إلى يد ، والعرب تصل الفعل بالمعنى لا باللفظ : قال تعالى وقد أحسن في إذ أخرجني من السجن ، والمأني لطيف بي . وقوله أعد منها : يريد أني أعدى نعمته ، ورييب إحسانه ، فنفسي من جملة نعمه ؛ فأنا أعد منها ، وقال ابن جني : أنا بعضها ، كما قال الحماسي :

لَا تَنْتَفِيْتُ بَعْدَ أَنْ رَشْتَنِي فَإِنِّي بَعْضُ أَيَادِيكَ

يريد أنه وهب له نفسه؛ وتروى : أعد منها : أي أنه يعد بعض أيادي ، ولا يأتي على جميعها عدا لكثرتها ، وهو قوله ولا أعددها . كأن هذا من قوله تعالى وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ، أي لا تعدوا جميعها . ومن قوله تعالى وأحصى كل شيء عددا .

(٣) الضمير في بها : للبطلة ، وفي يكدرها وينكدها : الأيادي ؛

خَيْرُ قُرَيْشٍ أَبَا وَأَجَدَهَا أَكْثَرُهَا نَائِلًا وَأَجُودَهَا (١)

ويروى مظهره ومنه وبه بدل بها . يقول : إنه لا يمثل قبل العطاء ولا يبعده . وينكدها : أى ينقصها ويقلل خيرها ؛ وكان يقال : المنة تهدم الصنية وقد مدح المولى جل وعز قوما فقال : « ثم لا يتبعون ما اتفقوا منّا ولا أدنى وقال الشاعر :

أَقْسَدَتْ بِلَانٍ مَا قَدَّمَتْ مِنْ حَسَنٍ لَيْسَ الْكَرِيمُ إِذَا أُعْطِيَ بِمَنَّا
وعبارة العكبرى : يقول : له آياد لا يكدرها مظل ولا ينكدها من ولم يُرد أن له مطلا لا يكدرها ، ومنّا لا ينكدها ، وإنما أراد انه المظل والمن عنه ألبتة . ومن هذا قول امرئ القيس :

* عَلَى لَا حِبِّ لَا يُهْتَدَى بِمَنَّا * .

لم يرد أن فيه منارا لا يهتدى به ، ولكنه نفي أن يكون به منار والمعنى لا منار به يهتدى به . ومثله قوله الآخر فى وصف مقارزة :
لَا تُفْزِعُ الْأَرْزَبُ أَهْوَاهَا وَلَا تَرَى الصَّبَّ بِهَا يَنْجَحِرُ
لم يرد أن بها أربنا لم يفرع ولا ضبا ، ولكنه نفي أن يكون فيها حيوان
وعبارة الواحدى : يعطى فلا مظه بالآبادى يكدرها : أى أنه لا يعطى
إذا وعد إحسانا ، ولا يمن بما يعطى فينكده .

(١) يقول : إن أباه خير قريش ، لأنه ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم خيرهم أبأ ، لأنه ليس فيهم أحد أبوه أفضل من أبى الممدوح . والنائل العطاء ، وأبأ ونائلا : منصوبان على التمييز ؛ والمراد بقريش : القبيلة ، ومن قال أجددها وأجودها ، والمجد قبل هو الأخذ من الشرف والسود ، ما يكتفى وقال ابن السكيت : الشرف والمجد يكونان بالآباء ، يقال رجل شرف ماجد : أى له آباء متقدمون فى الشرف . قال : والحسب والكرم

(١) المراد بالكرم هنا : ضد اللؤم .

أَطْعَمَهَا بِالْفَنَاءِ أَضْرَبَهَا بِالسِّيفِ جَجَّحَاحَهَا مَسُودَهَا (١)
 أَفْرَسَهَا فَارِسًا وَأَطْوَلَهَا بَأَا وَمِغْوَارَهَا وَسَيْدَهَا (٢)
 تَاجُ لُؤَى بْنِ غَالِبٍ وَبِهِ سَمَاءُهَا فَرْعُهَا وَمَحْتَدُهَا (٣)
 شَمْسُ ضَحَاها هَلَالُ لَيْلِهَا دُرُّ قَاصِرِهَا زَبْرَجْدُهَا (٤)

يكونان في الرجل ، وإن لم يكن له آباء لهم شرف ، وأجودها : اسخاها .
 (١) الجججاج : السيد الشريف ، وقد تقدم الكلام عليه . والمسود :
 الذي سوده قومه . قال الواحدى : ذكر الفناء والسيف مع الطعن والضرب
 تأكيداً للكلام ، كما قال تعالى : يطير بجناحيه ، وكما يقال : مشيت برجلي ،
 وكنت بفعلى .

(٢) فارسا : حال . أى هو أفرسها إذا ركب فرسه ، وأكد الكلام
 بذكر الحال ، لأن أفرس يكون من الفرس والفراصة . وطول الباع بما
 يمدح به الكرام . يقال فلان طويل الباع : إذا امتدت يده بالكرم . ويقال
 القيم : ضيق الباع ؛ والمغوار : الكثير الغارة .

(٣) لؤى : أبو قریش . يقول : هو لهم بمنزلة التاج ، به يتشرفون
 ويميزون ، وبه علا فرعهم وأصولهم : أى الأبناء والآباء ، والمحتد :
 الأصل ؛ وقوله لها : أتى بها لقيم الوزن ، أو ليؤكد الإضافة ، وإلا فقوله
 سماء فرعها : كلام تام حسن .

(٤) التقاصير : القلائد التى تعلق على القصرة ؛ والقصرة : أصل العنق ،
 مفردة : تقصار وتقصرة . يقول : هو فيما بينهم كالشمس في النهار ، والهلال
 في الليل ، والدر والزبرجد في القلادة : أى هو أفضلهم وأشهرهم ، وبه يزينهم
 وغرهم . قال العكبرى : ويجوز أن يكون أراد أحسنهم لأن الشمس
 أكثر ما يكون نورها وحسنها عند الضحى ، وهلال ليلتها ، لأنهم يعتمدون

يَالَيْتَ بِي ضَرْبَةً أُبَيِّحَ لَهَا كَمَا أُتِيحَتْ لَهُ مُحَمَّدًا ^(١)
أَثَرَ فِيهَا وَفِي الْحَدِيدِ وَمَا أَثَرَ فِي وَجْهِهِ مُهَنْدًا ^(٢)

عليه ، ويتطلعون إليه ، كما يتطلع إلى الهلال ليلة يستهل فيها . يريد أن أعين الناس تنظر إليه إذا ركب وخرج إلى الناس كما تنظر إلى الهلال عند بدوه .

(١) كان هذا الممدوح قد أصابته ضربة على وجهه في بعض الحروب . قال العكبري : كان محمد بن عبيد الله هذا الممدوح قد واقع قوما من العرب بظاهر الكوفة وهو شاب دون العشرين فقتل منهم جماعة وجرح في وجهه فكسته الضربة حسنا ، فقال : ليت الضربة التي قدر لها محمدًا — يعني الممدوح — كما قدرت الضربة له ، كانت بي : أي لیتی كنت فداؤه من تلك الضربة فوقعت بي دونه . ويجوز — كما قال الواحدی — أن يكون الممدوح أتاح وجهه للضربة حيث أقبل للحروب وثبت حتى جرح ، فتمنى أبو الطيب رتبته في الشجاعة ، وأضاف محمداً إلى الضربة إشارة إلى أنها كسته الحمد فأكثر حتى صار هو محمداً بها .

(٢) المهند : السيف المطبوع من حديد الهند . يقول : إن الضربة والسيف قصدا إهلاكه فردّهما عن قصدهما ، فذلك تأثيره فيهما . فقوله وما أثر في وجهه مهندًا : أي لم يشنه ولم يعبه فلم يؤثر تأثيراً قبيحاً ، وإنما زاده حسناً ، لأن الضربة على الوجه شعار المغوار ، والعرب يفتخرون بذلك . قال الحصين بن الحمام المرثي :

وَلَسْنَا عَلَى الْإِغْتَابِ نَذْمِي كُلُّومَنَا

وَلَكِنْ عَلَى أَقْدَامِنَا تَقَطَّرُ الدَّمَا ^(١)

(١) الكلوم : الجروح . وقيل البيت :

تَأَخَّرْتُ اسْتَبَقِي الْحَيَاةَ فَلَمْ أَجِدْ لِنَفْسِي حَيَاةً مِثْلَ أَنْ اتَّقَدَّمَا

فَأَشْفَقْتُ إِذْ رَأَيْتُ تَزِينَهَا بِمِثْلِهِ وَالْجِرَاحَ تَحْدُهَا (١)

والظن والضرب في الظهر عند دم مسبة وفضيحة . قال الشاعر :
وَلَكِنَّمَا يَخْزَى اِمْرُؤٌ يَكْلِمُ اسْتَهُ

قَالَ قَوْمُهُ إِذَا رُمِيَتْ هَوْنًا
وَلَوْ أَنَّ تَقُولُ : إِنَّهُ أَثَرُ فِي الضَّرْبَةِ وَالسِّيفِ ضَعْفًا يَارِعَاشُ يَدِ الصَّارِبِ
لَمِيتَ وَاسْتَعْظَمَ الْإِقْدَامُ عَلَيْهِ ، فَلَمْ يَوْثِرِ السِّيفُ فِي وَجْهِهِ أَثَرًا يَعْتَدُّ بِهِ ، أَوْ لَمْ
يَصْرُفْهُ عَنِ الْمَضَى فِي الْقِتَالِ .

(١) يقول : إن هذه الضربة عدت نفسها سعيدة حين رأت أنها قد تزينت
بمصور لها في وجهه ، وحسنتها بقية الجراحات ، إذ لم تصب موضعاً كريماً مثل
هذا ، وقوله بمثله : يريد به ، والمثل : صلة ، تقول مثلي لا يفعل هذا : أي أنا
لا أفعله . قال الشاعر :

بِأَعَاذِلِي دَعْنِي مِنْ مِثْلِكَ مِثْلِي لَا يَقْبَلُ مِنْ مِثْلِكَ

معناه أنا لا أقبل منك ، ومن هذا قوله تعالى « ليس كمثل شيء » ، والغبطة
حسن الحال ، أو هي النعمة والسرور ، تقول غَبَطْتُهُ بِمَا نَالَ أَعْبَطُهُ غَبَطًا
وَحَبَطَةً فَاعْتَبَطَ هُوَ ، كقولك منعتك فامتنع وحبسته فاحتبس ؛ قال حريث بن
جيلة العذري :

فَوَيْلًا لِمَنْ فِي الْأَحْيَاءِ مُعْتَبِطٌ إِذَا هَوَّ الرَّئِيسُ تَعَفُّوه الْأَحْيَاءِ (١)

وبعد :

فَتَلَقَّ هَامًا مِنْ رِجَالِ أَعَزَّةٍ عَلَيْنَا وَهُمْ كَانُوا أَعَزَّ وَأَكْرَمًا
(١) قبله :

فَاسْتَقْدَرَا اللَّهَ خَيْرًا وَأَرْضَيْنَ بِهِ فَبَيْنَا الْعُسْرُ إِذْ دَارَتْ مَيَاسِيرُ
وبعد :

يَشْكِي عَلَيْهِ غَرِيبٌ لَيْسَ يَفْرِهُ وَذُو قَرَابَتِهِ فِي الْحَى مُسْرَرُ

وَأَيَّقَنَ النَّاسُ أَنَّ زَارِعَهَا بِالْمَكْرِ فِي قَلْبِهِ سَيَحْصِدُهَا (١)
أَصْبَحَ حُصَادُهُ وَأَنْفُسُهُمْ يُحْدِرُهَا خَوْفُهُ وَيُصْعِدُهَا (٢)

قال الجوهري: أنشدته معتبط - بكسر الباء - أى مغبوط ، أى والاسم
الغبطة ، وهى حسن الحال .

(١) الضمير فى قلبه : يعود إما إلى الزارع - أى الضارب - أى زرعها
بمكر فى قلبه ، وإما إلى الممدوح : أى أن الضارب قد زرع هذه العداوة فى
قلبه . يقول: إن هذه الضربة جاءت بماكرة وغدراً ، لا مواجهة وكفاحاً ،
وأن ضاربها قد بذر بذراً خيثاً لا بد حاصده : أى ملاق جزاءه عليه من
الممدوح .

(٢) الواو - فى وأنفسهم - واو الحال . يقول : لأنه رمى حصاده بالمقيم
المقعد ، فهم لا يستقرون على حال من القلق خوفاً منه وذعراً . وهذا كما قال:
أَبْدَى الْعِدَاءُ بِكَ السُّرُورَ كَأَنَّهُمْ فَرَحُوا وَعِنْدَهُمُ الْمَقْعَدُ

حتى كأن لم يكن إلا تذكرةٌ والدَّهْرُ أَيَّسًا حال دهاير
[قوله استقدر الله خيراً : أى اطلب منه أن يقدر لك خيراً . وقوله فيينا العسر:
فالعسر مبتداً ، وخبره محذوف ، تقديره : فيينا العسر كأن أو حاضر . إذ دارت
مياسير : أى حدثت وحلت ، والمياسير : جمع ميسور ، والرمس : القبر ، والأعاصير :
جمع إعصار ، وهى الريح تهب بشدة . وقوله كأن لم يكن إلا تذكرة : فيمكن تأمة ،
وتذكره فاعل بها ، واسم كأن : مضمَر ، تقديره كأنه لم يكن إلا تذكره ، والماء
- فى تذكره - على الماء المقدرة ، والدهر : مبتداً ، ودهاير : خبره ، وأيتنا حال :
ظرف ، والعامل فيه : ما فى دهاير من معنى الشدة . وقولهم دهر دهاير : أى شديد
كقولهم ليلة ليلاء . وقيل الدهاير : جمع الدهور ، أراد أن الدهر ذو حالين من
يؤس ونعم . وقال الزحشرى : الدهاير : تصاريف الدهر ونوائبه ، مشتق من لفظ
الدهر ، ليس له واحد ، فأنظره ، كعبايد] .

تَبَكَّى عَلَى الْأَنْصِلِ الْغَمُودِ إِذَا أَنْذَرَهَا أَنَّهُ يُجَرِّدُهَا (١)
لَعَلَّهَا أَنَّهَا تَصِيرُ دَمًا وَأَنَّهُ فِي الرِّقَابِ يُنَمِدُهَا (٢)
أَطْلَقَهَا فَالْعَدُوُّ مِنْ جَزَعٍ يَنْمُهَا وَالصَّدِيقُ يَحْمَدُهَا (٣)

(١) و (٢) يقول : إذا أنذر الغمود — جمع غمد — بتجريد السيوف بكى الغمود على السيوف لعلها أن السيف المذكورة ستغمد في دماء الأعداء حتى تطلق بها وتصير كأنها دم ، وأن الممدوح سيجعل الرقاب غمودا لها بدلا منها . وهذا المعنى تعارره الشمران من قديم . قال عنترة :
وَمَا تَذَرِي مُجَرِّيَةَ أَنْ تَبْلِي يَكُونُ جَفِيرَهَا الْبَطْلُ النَجِيدُ (١)
وقال حسان :

وَمَنْ إِذَا مَا عَصَبْنَا السَّيْفَ جَمَلْنَا الْجَمَاجِمَ أَغْمَادَهَا
وقال الحماسي :

مَنْ بَطُونُ الْكَفِّ وَأَعْمَادُهُنَّ رُؤُوسُ الْمُلُوكِ (٢)
ويقول ابن الرومي :

كَسَاهُمُ الْعِزَّانُ عَزَّوَا مَنَاصِلَهُمْ فَالَهَا غَيْرَ هَامِ الصَّيْدِ أَجْفَانُ
(٣) يقول : أطلق الأنصل فدمها العدو خوفا وجزعا منها ، وحدها الصديق لحسن بلائها في العدو .

(١) الجفير : الكنانة والجمعة التي تحمل فيها السهام .

(٢) قبله :

وإِنَّا لَتَضْحُجُ أَسْيَافُنَا إِذَا مَا اصْطَبَحْنَ يَوْمَ سَفُوكِ

[اصطبحن : شربن وقت الغداة ، وجعل اليوم سفوكا لأن السفك يقع فيه .
ولوله منايرهن : أراد أنها إذ تنتضي فكأنها تخطب واعظة للأعداء زاجرة لهم .
يقول : إن سيوفنا تصير إذا شربت الصبوح من دم الأبطال في يوم سفوك للدماء
بهذه الجملة]

تَقْدَحُ النَّارُ مِنْ مَضَارِبِهَا وَصَبَّ مَاءُ الرِّقَابِ يُخْذِمُهَا (١)
 إِذَا أَضَلَّ الْهَمَامُ مُهْجَتَهُ يَوْمًا فَأَطْرَافُهُنَّ تَنْشُدُهَا (٢)
 قَدْ أَجْمَعْتَ هَذِهِ الْخَلِيقَةَ لِي أَنْتَ يَا ابْنَ النَّبِيِّ أَوْحَدُهَا (٣)
 وَأَنْتَ بِالْأَمْسِ كُنْتَ مُحْتَلِمًا شَيْخَ مَعْدٍ وَأَنْتَ أَمْرُدُهَا (٤)

(١) يقول: إنها من شدة الضرب تهوى إلى الأرض فتقْدَحُ منها النار فيخمدوها ما ينصب من الدماء عليها.

(٢) الهمام هنا: الملك العظيم، والمهجة: الروح، ونشد الضالة: طلبها ليعرف مكانها. يقول: إذا قتل ملك ولم يعرف قاتله، فإنما سيوفه هي التي تطلب مُهْجَتَهُ منها، لأن سيوف الممدوح قوائل الملوك؛ أو تقول: إن سيوف الممدوح هي التي تتأثر له، ويروى بدل تنشدها: منشدها اسم مكان: أى أن سيوفه هي المكان الذى تطلب مهجة المقتول منه، لأن سيوفه - كما قلنا - قوائل الملوك ويروى فأطرافهن ينشدها - بنصب أطرافهن - وينشدها - بالياء المثناة التحيّة أى ينشدها فى أطرافهن.

(٣) الخليفة: الخلائق والخلق. يقول: إن هذه الخلائق قد أجمعوا موافقين لى أنك أوحدهم فضلا ونسبا وشجاعة وكرما. وقال الواحدى يجوز أن يكون على التقديم والتأخير: أى أوحدها لى: أى أوحدها لى إحسانا وفضالا، ولا يكون فى هذا كثير مدح... ويجوز أن يكون أجمعت فقالت لى... والقول يضمّر كثيرا، كقوله تعالى «وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا» أى ويقولان: ربنا تقبل.

(٤) وأنت: مخففة من أنك ضرورة، والمحتمل: الغلام بلغ مبلغ الرجال وهو حال من التاء فى كنت، وشيخ معد: خبر كان، والضمير فى أمردها: لمعد؛ وقوله وأنت أمردها: عطف على الحال: أى محتلما أمرد. يقول: وأنت بالأمس

كنت غلاماً مرد كنت شيخ معذ يرجعون إلى رأيك ، فكيف اليوم مع
 طر السن ووفور العقل ؟ هذا : وما هي هذه طريقة نحوية للعلامة العسكبرى قال :
 قوله وأنتك : أراد أنك بالتشديد ، تخفف ضرورة مع الضمير ، كقول الآخر :
 قلوا أنك في يوم الرخاء سألتني

طلاقك لم أبخل وأنت صديق^(١)

ولما يحسن التخفيف مع المظهر كقوله :

وصدر مشرق النحر كأن تدياه حقان^(٢)

لأن الضمائر تزد الأشياء إلى أصولها ، وإذا خففت مع المظهر فتعملها
 ، مقدر ، وهو ضمير الشأن ، وترفع بعدها الجملة خبراً عنها ، قول : علت
 أن زيد قائم ، ومنه : وآخر دعوانهم أن الحمد لله رب العالمين ، و « أن لعتة » :
 في فلاة نافع وعاصم وأبى عمرو وقبل ، وإذا وليها الفعل لم يجمعوا عليها

(١) بعده :

فأرد تزويج عليه شهادة ولا رد من بعد إخراج عتيق

ويروى فراقك - بدل طلاقك - وصديق : فعيل الواحد والجمع والمؤنث ،
 والحرار : مصدر حر يحر من باب تعب : أى صار حراً ، والمراد بالرخاء : قيل
 لزوم العقد ، والرخاء : السعة : أى وقت إمكانه ، ولم أبخل : أى به : أى بل كنت
 أجيبك إليه . وقوله فإرد الخ : أى لو سألتني ذلك في وقت يقبله ، وهو ما قبل
 العقد لفعلت ، لكنه في وقت لا يقبله ، وهو بعد لزوم العقد لأنه لا يرد تزويج
 بعد إتمام شروطه ولزومه بالشهادة ، كما لا يرد بعد العقد عتيق إلى الرق .

(٢) مشرق : مضى ، والنحر موضع القلادة من الصدر ؛ وحقان : ثنية حق ،
 وهو الرعاء المنحوت من العاج وغيره . يقول : إن هذا الصدر مضى أعلاه ، وكان
 التدين فيه حقان في الاستدارة والصفر .

مع النقص الذي دخلها وحذف اسمها ، أن يليها ما يجوز أن يليها ، وهي مثقلة ، فكان الأحسن أن يفصل بينها وبينه بأحد أربعة أحرف : السين ، وسوف ، ولا ، وقد ؛ فنقول : علبت أن سيقوم ، وسوف يقوم ، وأن لا يقوم ، وقد يقوم ، قال تعالى : « علم أن سيكون منكم مُرْضًى » قال جرير :
 رَعِمَ الْفَرَزْدَقُ أَنْ سَيَقْتُلُ مَرْبَعًا أَبْشَرَ بِطُولِ سَلَامَةِ يَامِزِجٍ^(١)
 وقال أمية بن أبي الصلت :

وقد علينا لو أن العلم ينفعنا أن سوف يُتبع أولانا بأخرانا
 وأما قوله تعالى « وأن ليس للإنسان إلا ما سعى » جاء بغير حرف من هذه الحروف الأربع ، فذلك لأن ليس ضعيفة في الفعلية لعدم تصرفها ؛ وقد جعلها أبو علي حرفاً زماناً ، ثم رجع عن ذلك . وقوله محتملاً : حال ، والعامل في الحال : كان . قال أبو الفتح وجماعة من أهل الصناعة : من جعل كان لا تعمل في الأحوال : فغير مأخوذ بكلامه ، لأن الحال فضلة في الخبر منكورة ، فرائحة الفعل تعمل فيها ، فما ظنك بكان ، وهي فعل متصرف يعمل بالرفع والنصب ؛ في الاسم الظاهر والمضمر ، وليست كان في نصبها الأحوال بأسوأ حالا من حروف التنبيه والاشارة ؟ قال الشريف ابن الشجري : قال المعري : كان لا تعمل في الحال ، ويجعل العامل في الحال وأنتك بالامس : أي الفعل المضمر الذي عمل في قوله وأنتك بالامس قال :

(١) مربع - بكسر الميم - لقب وعوة أبي سعيد راوى جرير ، وكان الفرزدق قد حلف ليقتله ، ومطلع القصيدة :

بأنّ الخليلُ بِرَأْمَتَيْنِ قودَعُوا أو كلما رَقَعُوا لِسَيْنٍ تَجَزَعُ
 وآخرها :

ورأيتَ بَنِكَ بِأَفَرَزْدَقٍ قَصَرْتَ ورأيتَ قوسَكَ ليس فيها مِزَعُ

كَمْ وَكَمْ نِعْمَةٍ مُجَلَّلَةٍ رِيَّتَهَا كَانَ مِنْكَ مَوْلِدُهَا (١)
 كَمْ وَكَمْ حَاجَةٍ سَمَحَتْ بِهَا أَقْرَبُ مِنِّي إِلَى مَوْعِدِهَا (٢)
 وَتُكْرِمَاتٍ مَشَتْ عَلَى قَدَمِ الْبِرِّ إِلَى مَنْزِلِ تَرَدُّدِهَا (٣)

وهنا سهو من قائله ، لأنك إذا علقت قوله بالأمس بمحذوف ، فلا بد أن يكون بالأمس خبراً لأن أو لكان ، لأن الظرف لا يتعلق بمحذوف ، إلا أن يكون خبراً أو صفة أو حالاً أو صلة ؛ ولا يجوز أن يكون خبراً لأن ولا لكان ، لأن ظروف الزمان لا تكون أخباراً عن الجثث ولا صفات ولا ملات ولا أحوالاً لها ، فإذا استحال أن يتعلق بالأمس بمحذوف علقت به كان ، وأعملت كان في محتلها . وقوله شيخ معد : خبر كان .

(١) مجللة : شاملة من جلال المطر الأرض : طبقها ؛ وريتها : تعهدها بأن قوتها بأمانها ؛ وكان منك مبدؤها : أى ابتدأها ، أى ابتداء حتى بالصنعة ثم ريتها فلم تكن واحدة تنسى على طول العهد ، بل متعددة متوافرة . وقوله نعمة : قال العكبري : رويت - نصيباً وجراً - : فمن نصب أراد الاستفهام ، ومن جر أراد الخبر ، وهذا الأجود ، لأنه أراد الخبر عن كثرة ماله .

(٢) سمحت بها : أى قضيتها ؛ وموعدها : أى مواعدها ؛ أى أن موعد قضائها : أى أن موعد قضائها أقرب إلى من نفسى . يريد قصر الوعد وسرعة الانجاز . وقال الخطيب التبريزي : هو من كلام الصوفية ، وهذا يدل على أنه كان متصرفاً في أفانين الكلام .

(٣) المكرمة : ما يكرم به الإنسان من بر و الطاف ، يريد بها هنا ثياباً أهدها إليه ، ولذلك يقول في البيت التالي : أفر جلدى بها على . وقوله على قدم البر : استعارة جميلة بارعة . وقال الواحدى : قوله على قدم البر : أى أن حاملها كان من جملة الهدية لأنه كان غلاماً للمدح . ويجوز أن يراد

أَقْرَّ جِلْدِي بِهَا عَلَى فَلَا أَقْدِرُ حَتَّى الْمَمَاتِ أَجْجِدُهَا «١»
فَعَدَّ بِهَا لِأَعْدِمَتِهَا أَبَدًا خَيْرُ صَلَاتِ الْكَرِيمِ أَعُودُهَا «٢»

أنها على أثر بر سابق، وتردها: أي تعيدها إلى وتكررها على. ويروى
تردها على المصدر.

(١) أي اعترف جلدي بها لظهورها على. فكأنه باكتسائه بها ناطق
مقر، كما قال النابغة الأبرار:

لَوْ لَمْ يَنْجُ بِالشُّكْرِ لَفُطِّي لِحَبْرَتِ يَمِينِي بِمَا أَوْلَيْتَنِي وَشَعَالِيَا
(٢) أعودها: أكررها عوداً. يطلب منه إعادة العطية.

١٠

عبد الرحمن السقاف

(ت ١٣٧٥)

قال عبد الرحمن السقاف (ت ١٣٧٥) :

المجلس الثاني

[قال أبو الطيب المتنبي في «المكبري» ٢٩٤/١ من المنسرح]:

أَهْلًا بِدَارِ سَبَاكَ أَغْيَدُهَا أَبْعَدَ مَا بَانَ عَنْكَ خُرْدُهَا^(١)

جرت عادة الشعراء بالسلام على ديار الأحباب ، والدعاء عادة الشعراء البكاء
لآثارهم بالشقيا ، وما أشبه ذلك ، فقال عمرو القيس [في «ديوانه» من على الأطلال
الطويل]:

أَلَا عِمَّ صَبَاحًا أَهْيَا الْطَّلُّ الْبَالِي [وَهَلْ يِعْمَنْ مَنْ كَانَ فِي الْعَصْرِ الْخَالِي]

وقال القطامي [في «ديوانه» ٢٣ من البسيط]:

إِنَّا مُحَيُّوكَ فَاسْلَمْ أَهْيَا الْطَّلُّ وَإِنْ بَلَيْتَ وَإِنْ طَالَتْ بِكَ الطَّلِيلُ

وقد أحب الناظم أن يتسمت آثارهم ، كما في قوله [في «المكبري» ٥٦/١ اقتداء المتنبي بهم

من الطويل]:

فَدَيْتَاكَ مِنْ رَنْعٍ وَإِنْ زِدْتَنَا كَرْبَا فَإِنَّكَ كُنْتَ الشَّرْقَ لِلشَّمْسِ وَالْغَرْبَا

(١) الأعيذ : الناعم .

وقوله [في «المكبري» ٣٧٧/٢ من البسيط] :

فَعِمَّ صَبَاحًا لَقَدْ هَيَّجَتْ لِي شَجْنًا وَازْدُدْ تَحِيَّتَنَا إِنَّا مُحِيزُونَ^(١)

وقوله [في «المكبري» ٣٦/٤ من البسيط] :

فَمَا أَمْرٌ بِرَسْمٍ لَا أَسْأَلُهُ وَلَا يَذَاتِ خِمَارٍ لَا تَرِيْقُ دَمِينِ

مخالفتهم غير أنه غايرهم في قوله [في «المكبري» ٢٤٩/٢-٢٥٠ من الوافر] :

مُلِثُ الْقَطْرِ أَغْطَشَهَا رُبُوعًا وَإِلَّا فَاسْقِهَا السَّمَّ التَّجِينَا^(٢)

أَسْأَلُهَا عَنِ الْمُتَدِيرِهَا فَلَا تَذِرِي وَلَا تُذِرِي دُمُوعًا^(٣)

ولقد بالغ المعري في قوله [في «سقط الزند» ١٩٦ من الطويل] :

تَحِيَّةٌ كَسَرَى فِي السَّنَاءِ وَتُبِعَ لِرُبْعِكَ لَا أَرْضَى تَحِيَّةً أَرْبُعَ^(٤)

شرح المطلع والناظم في البيت الذي نتكلم عليه يدعو للدار بأن تكون مأهولة ، وكان الواجب أن يقول : (أَهْلًا لِذَا) ؛ لِيُضَحَّ معنى الدعاء للدار ؛ لأنَّ من معاني (اللام) بيان المدعو له ، كما في قولهم : (سَقِيَا لَهُ) .

(١) عِمَّ صباحاً: كلمة تحية. وفي «الديوان»: (طرباً): بدل (شجناً).

(٢) في «الديوان» و«المكبري»: (السَّمَّ التَّجِينَا) بدل (السَّمَّ التَّجِينَا). المُلِثُ :

الدائم المقيم . النجيع ، يقال : نَجَّعَ فِيهِ الدَّوَاءُ وَأَنْجَعَ : إِذَا عَمِلَ ..

(٣) الْمُتَدِيرِهَا : أي مَحْدِثُهَا دَارًا ، وَالْأَصْلُ : الْمُتَدِيرِينَ فِيهَا ، فَأُضَافَ إِلَى

الضمير .

(٤) السَّنَاءُ : الرَّفْعَةُ . تُبِعَ : مِنْ مَلُوكِ الْيَمَنِ ، جَمْعُهُ تَبَايَعَةٌ : سُمُّوا بِذَلِكَ ؛ لِأَنَّهُ

يَتَّبِعُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، كُلَّمَا هَلَكَ وَاحِدٌ .. قَامَ مَقَامُهُ آخَرُ مُتَابِعًا لَهُ عَلَى مِثْلِ

سِيرَتِهِ . وَتُبِعَ مَعُطُوفٌ عَلَى كَسَرَى ، أَي تَحِيَّةٌ كَسَرَى وَتُبِعَ .. لِرُبْعِكَ .

أَمَّا (ألباء) : فلا معنى لها ، وإن تكلفت الشارح في تأويلها .

وأما قوله : (أَبْعَدَ مَا بَانَ عَنْكَ خُرْدُهَا) . . فـ (الخُرْدُ) : جمع خريدة ، وهي البكر التي لم تُمس . و (أَبْعَدَ) : أَفْعَلُ تفضيل .

ومعناه : أَنَّ أَهْلَ الدَارِ قد بَعُدُوا كُلَّهُمْ ، غَيْرَ أَنَّ الْخُرْدَ أَبْعَدُ . ثُمَّ لا يخلو أَنَّ يُرِيدَ وصفَهُم بِالْبُعْدِ حالَ الإقامة ، وفيهِ نظرٌ ؛ لِأَنَّ وصفَ الرجالِ بِالْبُعْدِ قد يُفْهَمُ مِنْهُ الإِشَارَةُ إِلَى تَحِلِّهِمْ^(١) ، أَوْ حَالِ الْإِرْتِحَالِ ، وَهُوَ حَيْثُ ظَاهِرٌ ؛ لِأَنَّهُمْ وَإِنْ تَحَمَّلُوا معاً ، فَأَوَّلُ مَنْ يُقَدِّمُ النِّسَاءَ ، ثُمَّ يَزِدْنَ بُعْداً بِالْغَيْبَةِ وَالصِّيَانَةِ ، وَكَثِيراً مَا يَوْجَدُ ذِكْرُ بَعْدِيَّهِنَّ فِي أَفَانِينَ الْقَوْلِ ، كَمَا هُوَ مُكَرَّرٌ فِي « دِيَوَانِهِ » مِنْهُ قَوْلُهُ [فِي « الْمُكْتَبَرِيِّ » ٢٢٥/١ مِنْ الْكَامِلِ] :

سِرْبٌ مَحَاسِنُهُ حُرْمَتُ ذَوَاتِهَا دَانِي الصِّفَاتِ بَعِيدُ مَوْصُوفَاتِهَا
وقوله [فِي « الْمُكْتَبَرِيِّ » ١١١/٤ مِنْ الطَّوِيلِ] :

دِيَارُ اللَّسَوَاتِي دَارُهُنَّ عَزِيزَةٌ بِطُولِ الْقَنَا يُخَفِّظُنَ لَا بِالتَّمَائِمِ^(٢)

وَهُوَ مِنْ قَوْلِ الطَّرِمَاحِ [فِي « دِيَوَانِهِ » ٣٥٠ مِنْ الطَّوِيلِ] :

وَمَا مُنِعَتْ دَارٌ وَلَا عَزَّ أَهْلُهَا مِنْ النَّاسِ إِلَّا بِالْقَنَا وَالْقَنَابِلِ^(٣)

قريب المرأى بعيد
المنال

وقوله - أعني الناظم - [فِي « الْمُكْتَبَرِيِّ » ١١١/١ مِنْ الْبَسِيطِ] :

(١) التَّحِلَّةُ : الإقامة .

(٢) فِي « الدِّيَوَانِ » : (بَطُولِي) بَدَلُ (بَطُولٍ) ، وَهُوَ مُؤَنَّثُ أَطْوَلٍ ، مِنْ إِضَافَةِ الصِّفَةِ إِلَى الْمَوْصُوفِ .

(٣) الْقَنَابِلُ - جَمْعُ قَنْبَلَةٍ - : وَهِيَ الطَّائِفَةُ مِنَ النَّاسِ وَمِنْ الْخَيْلِ ، قِيلَ : مَا بَيْنَ الثَّلَاثِينَ إِلَى الْأَرْبَعِينَ .

بَيْضَاءُ تُطْمَعُ فِيمَا تَخْتِ حُلَّتِهَا وَعَزَّ ذَلِكَ مَطْلُوبًا إِذَا طَلَبَا
كَأَنَّهَا الشَّمْسُ يُعْنِي كَفَّ قَابِضِهِ شُعَاعُهَا وَيَرَاهُ الْطَّرْفُ مُقْتَرِبًا

وقوله [في «المكبري» ٧٥/٣ من البسيط] :

تَكَرَّرَ هَذَا الْمَعْنَى عِنْدَ مَنْ تَزُرُّ قَوْمَ مَنْ تَهْوَى زِيَارَتَهَا لَا يُتَحَفُّوكَ بِغَيْرِ الْبَيْضِ وَالْأَسَلِ^(١)

الشعراء

وقال كثير [في «ديوانه» ٩٧ من الطويل] :

كَأَنِّي أَنَادِي صَخْرَةً حِينَ أَغْرَضْتُ مِنْ الصُّمِّ لَوْ نَفْسِي بِهَا الْعُصْمُ زَلَّتِ^(٢)

وقال الطرماح [في «ديوانه» ٤٣٥ من الطويل] :

تَرَاهَا عِيُونُ النَّاطِرِينَ إِذَا بَدَتْ قَرِيبًا وَلَا يَسْتَطِيعُهَا مَنْ يَرُومُهَا

وقال ابن الأحنف [في «ديوانه» ٢٢١ من المتقارب] :

هِيَ الشَّمْسُ مَسْكَنُهَا فِي السَّمَاءِ فَعَزَّ الْقَوَادِ عَزَاءَ جَمِيلًا

وقال ابن عينية [من الطويل] :

فَقُلْتُ لِأَصْحَابِي: هِيَ الشَّمْسُ ضَوْؤُهَا قَرِيبٌ وَلَكِنْ فِي تَسَاوُلِهَا بُعْدٌ

ولا يخرج عنه قول جرير [من الكامل] :

حُورٌ حَرَائِرُ مَا هَمَمْنَ بِرَبِّيةٍ كَطَبَاءِ مَكَّةَ صَبَدُوهْنَ حَرَامُ
يُحْسِنَنَّ مِنْ لَيْنِ الْحَدِيثِ زَوَانِيَا وَيَصُدُّوهْنَ عَنِ الْخَنَاءِ الْإِسْلَامُ

(١) البَيْضُ : السيوف . وَالْأَسَلُ : الرماح . قال الشاعر :

نَخْنَعُ زَيْدًا وَسَعْلًا لَمْ رَأَى وَفَعِ الْأَسَلُ

(٢) الصُّمُّ - جمع صُمَّاء - : وهي الصخرة الصلبة . الْعُصْمُ - جمع أعصم - :

والأعصم من الأطباء والوعول : الذي في ذراعيه بياض .

وما أحسن قوله مع نظره إلى ما نحن فيه من قريب [من الطويل] :
 وَأَذْنَيْنِي حَتَّى إِذَا مَا سَبَيْتَنِي يَقُولُ يُحِلُّ الْعُصْمَ سَهْلَ الْأَبَاطِحِ
 تَجَافَيْتَ عَنِّي حِينَ لَا لِي حِيلَةٌ وَخَلَفْتَ مَا خَلَفْتَ بَيْنَ الْجَوَانِحِ
 وفيه نظر إلى قوله جل شأنه : ﴿ كَذَّبَ الشَّيْطَانُ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَنِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ ﴾ [الحشر : ١٦] .

وفي معناه قول امرأة ابن الدُمَيْنَةِ [في «ديوانه» ٤٢ من الطويل] :
 وَأَنْتَ الَّذِي أَخْلَفْتَنِي مَا وَعَدْتَنِي وَأَشْمَتَ بِي مَنْ كَانَ فَيْكَ يَلُومُ
 وَأَبْرَزْتَنِي لِلنَّاسِ ثُمَّ تَرَكْتَنِي لَهُمْ غَرَضًا أُرْمَى وَأَنْتَ سَلِيمٌ
 فَلَوْ أَنَّ قَوْلًا يَكْلِمُ الْجِسْمَ قَدْ بَدَا بِجِسْمِي مِنْ قَوْلِ الْوُشَاةِ كُلُّومُ
 وقال العَبَّاسُ بْنُ الْأَحْنَفِ [في «ديوانه» ٨٤ من البسيط] :

أَبْكِي الَّذِينَ أَذَاقُونِي مَوَدَّتَهُمْ حَتَّى إِذَا أَيقَظُونِي لِلْهَوَى رَقَدُوا
 وَأَسْتَهْضُونِي فَلَمَّا قُمْتُ مُتَّصِبًا بِثِقَلِ مَا حَمَلُونِي عَنْهُمْ قَعَدُوا

وقال بعضهم [في «الأغاني» ٥٣/٢] : بينا أنا وصديق لي من قريش . . . لقاءً وعتاب
 إِذَا بَظِلُّ نِسْوَةٍ فِي الْقَمَرِ ، فَسَمِعْتُ وَاحِدَةً تَقُولُ : أَهْوَ هُوَ ؟ فَقَالَتْ
 الْآخَرَى : نَعَمْ ، فَدَنْتَ مِنِّي ، وَقَالَتْ : قُلْ لِمَا حَبَلَكِ [من البسيط] :
 لَيْسَتْ لِيَا لَيْلِكَ فِي خَاخٍ بِعَائِدَةٍ كَمَا عَاهَدْتَ وَلَا أَيَّامُ ذِي سَلَمٍ ^(١)

(١) خَاخٌ : اسم موضع بين الحرمين ، وقد ورد ذكره في حديث علي عند البخاري (٤٨٩٠) وغيره : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَرْسَلَهُ وَالزَّيْبِرَ وَالْمَقْدَادَ وَقَالَ : «انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ فَإِنْ بِهَا ظَمِئَةٌ . . . » الحديث .

فلم يحز جواباً ، فقلتُ عنه [من الطويل] :

فَقُلْتُ لَهَا : يَا عَرُّ كُلِّ مُصِيبَةٍ إِذَا وَطَنْتَ يَوْمًا لَهَا النَّفْسُ ذَلَّتْ

فدعيتني إلى بيتها ، وقالت : ما أفظَّ جوابك ، وبكت ، وشكت
ما أضربُ بها من هوى صاحبي ، فدعوتهُ لها ، فعاتبتُها طويلاً ، ثُمَّ
تمثلتُ بأبيات امرأة ابن الدُمَيْثَةِ ، ثُمَّ سكنت ، فقال الفتى [من الطويل] :

غَدَزْتُ وَلَمْ أَغْدُرْ وَخُنْتُ وَلَمْ أَخُنْ وَفِي دُونِ هَذَا لِلْمُحِبِّ عَزَاءُ
جَزَيْتُكَ ضِعْفَ الْوُدِّ ثُمَّ صَرَمْتَنِي فَحُبُّكَ فِي قَلْبِي أَدَى وَشَقَاءُ

فَقَالَتْ [من الطويل] :

تَجَاهَلْتُ وَضَلِي حِينَ لَجْتُ عَمَائِي تَهْلَأُ صَرَمَتِ الْخَبَلِ إِذْ أَنَا مُنْصِرُّ
وَلِي مِنْ قُوَى الْخَبَلِ الَّذِي قَدْ قَطَعْتَهُ نَصِيبٌ وَإِذْ رَأَيْتُ جَبِينُكَ مُوقَرُّ
وَلَكِنَّمَا أَذْنَتِ بِأَلْهَجٍ بَغْتَةً وَلَسْتُ عَلَى مِثْلِ الَّذِي جِئْتَ أَقْدِرُ

فَقَالَ الْفَتَى [من الطويل] :

لَقَدْ جَعَلْتُ نَفْسِي - وَأَنْتِ أَجْتَرَمْتِي وَكُنْتُ أَحَبَّ النَّاسِ - عَنْكَ تَطِيبٌ (١)
فبكت ، ثُمَّ قالت : أما وقد جعلت نفسك تطيب .. فما فيك
بعدها خيرٌ ، والسلام .

وقال قيسُ بنُ المُلَوَّحِ [في «ديوانه» من الطويل] :

وَمَنْتَنِي حَتَّى إِذَا مَا رَأَيْتَنِي عَلَى شَرَفٍ لِلنَّاطِرِينَ قَرِيبِ
صَدَدْتُ وَأَشْمَتُ الْعَدُوَّ بِقُرْبِنَا أَثَابَكَ يَا لَيْلَى الْجَزَاءُ مُثْنِي

(١) أجترم : قطع .

ومما يُنسبُ إلى سيفِ الدولة قوله [في ديوانه « من الطويل »] : ما أصعبُ الفطام بعد
تَجَنَّى عَلَيَّ الذَّنْبُ وَالذَّنْبُ ذَنْبُهُ وَعَاتَيْتَنِي ظُلْمًا وَفِي شِقْهِ الْعَنْتَبُ الرضاع
وَأَعْرَضَ لَمَّا صَارَ قَلْبِي بِكَمِّهِ فَهَلَّا جَفَانِي حِينَ كَانَ لِي الْقَلْبُ

وَأَشَدُّ الْأَصْمَعِيِّ لِبَعْضِ الْأَعْرَابِ [من الطويل] :
وَمُسْتَخْفِيَاتٍ لَيْسَ يَخْفَيْنَ زُرْنَا يُسْحِنَ أَذْيَالَ الصَّبَابَةِ وَالذَّلُّ
جَمَعَنَ الْهَوَى حَتَّى إِذَا مَا مَلَكَتْهُ نَزَعَنَ وَقَدْ أَكْثَرَنَ فِتْنًا مِنَ الْقَتْلِ
مَرِضَاتٍ رَجَعَ الطَّرْفُ خُرْسٍ عَنِ الْخَنَا تَأَلَّفَنَ أَمْوَاءَ الْقُلُوبِ بِلاَ بَذْلِ
مَوَارِقَ مِنْ خُتْلِ الْمُحِبِّ عَوَاطِفَ يَقْتُلُ أَوْلَى الْأَبَابِ بِالْجِدِّ وَالْهَزْلِ^(١)
يُعْتَفِي الْعُدَالُ فِيهِنَّ ، وَالْهَوَى يُحَدِّرُنِي مِنْ أَنْ أَطْنِعَ ذَوِي الْعَذْلِ

وقال المجنون [في « ديوانه » ١٨٣ من الطويل] :
يُعْرِضُنَ بِالذَّلِّ الْمَلِيحِ وَإِنْ يُرْذُ جَنَاهُنَّ مَشْغُوفٌ فَهِنَّ مَوَانِعُ
وقال ابنُ ميادة [في « ديوانه » ١٦٣-١٦٤ من الطويل] :

مَوَانِعُ لَا يُعْطِينَ حَبَّةَ خَرْدَلٍ وَهِنَّ دَوَانٍ فِي الْحَدِيثِ أَوَانِسُ
وَيَكْرَهُنَّ أَنْ يَسْمَعَنَّ فِي اللَّهِوِ رِيَّةٌ كَمَا كَرِهَتْ صَوْتَ اللَّجَامِ الشَّوَامِسُ^(٢)
وأملئْ أبو بكرُ الأنباريُّ في بعضِ مجالسه أبياتاً في بحرِها ، الكائناتِ الباخلاتِ
وقافيتها ، وبعضِ معناها ، وهي :

وَبِالْقَرْيَةِ الْبَيْضَاءِ إِنْ زُرْتَ أَهْلَهَا مَهَا مُهْمَلَاتٍ مَا عَلَيْهِنَّ سَائِسُ
خَرَجْنَ لِحُبِّ الرَّيِّبِ مِنْ غَيْرِ رِيَّةٍ عَفَافُ بَاغِي اللَّهِوِ مِنْهُنَّ آيسُ

(١) يقال : مرق السهم من الرمية : إذا نَقَذَ إلى الجانبِ الآخرِ .

(٢) الشوامس : من شَمَسَ الفرس : إذا منع ظهره .

همير بن أبي ربيعة وعبد الملك بن مروان
 و يروى : أَنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ اسْتَقْبَلَ عُمَرَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ ،
 فَقَالَ لَهُ : لَقَدْ عَلِمْتُ قَرِيشَ أَنَّكَ أَطَوَّلُهَا صَبُوءَ ، وَأَبْعَدُهَا تَوْبَةً ، أَمَّا
 لَكَ فِي نِسَاءِ قَرِيشٍ مَا يَكْفِيكَ عَنْ نِسَاءِ بَنِي عَبْدِ مَنَاظٍ ؟ أَلَسْتَ الْقَائِلَ
 [كما في «ديوانه» ٢٠٨-٢٠٧ مِنْ الطويل] :

نَظَرْتُ إِلَيْهَا بِالْمُحْصَبِ مِنْ مِني وَلِي نَظَرٌ - لَوْلَا التَّحَرُّجُ - عَارِمٌ^(١)
 فَقُلْتُ : أَصْبَحُ أَمْ مَصَابِيحُ رَاهِبٍ بَدَتْ لَكَ خَلْفَ السُّجْفِ أَمْ أَنْتَ حَالِمٌ^(٢)
 بَعِيدَةٌ مَهْوَى الْقَرْطِ إِمَّا لِنَوْفَلٍ أَبْوَهَا وَإِمَّا عَبْدُ شَمْسٍ وَهَاشِمٌ^(٣)
 فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ بَعْدَ هَذَا قَوْلِي [كما في «ديوانه»
 : [٢٠٩]

طَلَبْنِ الْهَوَى حَتَّى إِذَا مَا وَجَدْنَاهُ صَدَرْنَا وَهَنَّ الْمُسْلِمَاتُ الْكَرَائِمُ
 فَاسْتَحْيَا مِنْهُ عَبْدَ الْمَلِكِ ، وَوَصَلَهُ ، وَقَضَى حَوَائِجَهُ .

الكاسيات العاريات وقال آخر في المعنى [مِنْ الطويل] :

تَعَطَّلْنَ إِلَّا مِنْ مَحَاسِنِ أَوْجِهِ فَهِنَّ حَوَالٍ فِي الصِّفَاتِ عَوَاطِلُ^(٤)
 كَوَاسٍ عَوَارٍ صَامِتَاتٍ نَوَاطِقُ بَعْثٌ كَلَامٍ بِاخِلَاتٍ بَوَاطِلُ
 بَرَزْنَ عَفَافاً وَاحْتَجَبْنَ تَسْتُرًا وَشَيْبَ بِحَقِّ الْقَوْلِ مِنْهُنَّ بَاطِلُ
 فَذُو الْجِلْمِ مُرْتَادٌ وَذُو الْجَهْلِ طَامِعٌ وَهَنَّ عَنِ الْفُخْشَاءِ حِينَئِذٍ نَوَاطِلُ

(١) عَارِمٌ : خارجٌ عن القصد .

(٢) السُّجْفُ والسُّجْفُ : السُّرُ .

(٣) بعيدة مهوى القُرط : كناية عن طول عنقها .

(٤) حَوَالٍ : صاحباتٌ حلية . حَوَاطِلُ : خالياتٌ مِنَ الحلي .

وَلَمْ يَنْسَ حَظَّهُ الْبُحْتَرِيُّ مِنْ هَذَا الْمَعْنَى ، فِي مِثْلِ قَوْلِهِ [ن]

ديوانه ١١٥٠٠ من الكامل :

مِنْ كُلِّ مُزْهَقَةِ الْقَوَامِ غَرِيرَةٍ جُعِلَتْ مَحَاسِنُهَا هَوًى لِلْأَنْفَسِ
تَبْدُو بِعَظْفَةٍ مُطْمِعٍ حَتَّى إِذَا شُعِلَ الْخَلِيٌّ ثَنَتْ بِصَلَّةٍ مُؤَيِّسِ

ولكنَّ الباري عزَّ شأنه يقول : ﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي الْكَلَامِ الْحَقُّ قَلْبُهُ مَرْضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴾ [الاحزاب : ٣٢] .

وَبَصُرَ بَعْضُهُمْ بِأَمْرَةٍ فَتَانَةٍ عَلَى ضَفَّةٍ (الرُّصَافَةِ) ، فَقَالَ : إِذَا كُنْتَ رِيحًا فَقَدْ
وَأَجِئْتَ إِعْصَارًا
يَرْحَمُ اللَّهُ أَبَا الْجَهْمِ ، فَقَالَتْ لَهُ : يَرْحَمُ اللَّهُ أَبَا الْعَلَاءِ .

أَرَادَ : قَوْلَ عَلِيِّ بْنِ الْجَهْمِ [ن] « دِيوانه ٢٢٠٠ من الطويل » :

عُبُودُ الْكَمَا بَيْنَ الرُّصَافَةِ وَالْجِسْرِ جَلَبْنَ الْهُوًى مِنْ حَيْثُ أَذْرِي وَلَا أَذْرِي

وَأَرَادَتْ : قَوْلَ أَبِي الْعَلَاءِ - وَهُوَ مَوْضِعُ الْمُنَاسِبَةِ - [مِنَ الطويل] :

فَيَا دَارَهَا بِالْخَيْفِ إِنَّ مَزَارَهَا قَرِيبٌ وَلَكِنْ دُونَ ذَلِكَ أَهْوَالُ

وَذَكَرَ أَبُو نُوَّاسٍ : أَنَّ سَمَاءَ^(١) أَصَابَتْهُمْ فِي طَرِيقِ الْحَجِّ ، فَخَرَجَ أَبُو نُوَّاسٍ يَأْكُلُ الْفَتَاةَ
يَتَنَزَّهُ فِي بَعْضِ غِيَاضِ الْعَرَبِ ، حَتَّى رُفِعَ لَهُ بَيْتٌ ، فَإِذَا فِيهِ عَجُورٌ^(٢) بِعَيْنِهِ وَوُقُوعُهُ فِي شَرِّ
عِنْدَهَا فَتَاةٌ مَبْرَقَةٌ ، سَحَرَتْهُ بِعَيْنَيْهَا الْكُنْجَلَاوِينَ^(٣) ، فَاسْتَسْقَاهَا الْمَاءَ
مَرَّتَيْنِ ، فَقَالَتْ الْعَجُورُ [مِنَ الطويل] :

هُمَا اسْتَسْقَيَا مَاءً عَلَى غَيْرِ ظَمَاءٍ لَيْسَتْ مَتَاعًا بِاللَّحْظِ مِمَّنْ سَقَاهُمَا

(١) السَّمَاءُ : الْمَطَرُ .

(٢) الْكُنْجَلُ : سَعَةُ شَقِّ الْعَيْنِ .

- ومن هذا أخذ البرعي قوله [في «ديوانه» ١٢٢ من الكامل] :

مَا الْمَاءُ مِنْ طَلْبِي وَلَكِنْ رُبَّمَا مَدَّتْ بِهِ فَنَالَ مِنْ يَدَيَّ يَدِي -

فلما رآته العجوز يكاد ياكل بعينه الفتاة .. قالت [من الطويل] :

فَمَا لَكَ مِنْهَا غَيْرَ أَنَّكَ نَاصِحٌ بِعَيْنَيْكَ عَيْنَيْهَا ، فَهَلْ ذَاكَ نَافِعُ ؟

فقال [من الطويل] :

فَإِنْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا تَعْلُلُ سَاعَةً قَلِيلًا فَإِنِّي نَافِعٌ لِي قَلِيلُهَا

ولما استبأه لحظها ، وأستهواه لفظها .. قال - يستطعمها

الشُّقُورَ - [من المتقارب] :

إِذَا بَارَكَ اللَّهُ فِي مَلْبَسٍ فَلَا بَارَكَ اللَّهُ فِي الْبُرْقِعِ

يُرِيكَ وَجُوهَ الدُّمَى غِرَّةً وَيَكْشِفُ عَنْ مَنْظَرِ أَنْفَعِ

فتزعت برقعها ، فإذا وجه يستحي القمر من جماله ، ذكر من

حُسنه ما لا يحضرني لفظه ، فقال عند ذلك [من الطويل] :

عَلَى وَجْهِ مَيِّ مَسْحَةٍ مِنْ مَلَاخَةٍ وَتَحْتَ الْكِيَابِ الْعَارُ لَوْ كَانَ بَادِيَا

فما كان منها إلا أن أخذتها هزّة ، وخلعت ما كان عليها من

الكياب ، ووقفت غريانة ، قال : فإذا صدر كأنه صفيحة مرمية ، فيه

نهدان كأنهما حقًا عاج^(١) ، ثم أتى في وصف أعضائها ، بما ذهب

(١) الحق والحقة - بالضم - : وعاء منحوت من الخشب والعاج وغير ذلك ، مما

يصلح أن ينحت منه . قال الشاعر :

وَصَدْرٌ مُشْرِقٌ اللَّوْنُ كَأَن تَذِيَاهُ حُقَانٌ

عن حفظي أكثره - وهو موجود في «ديوانه» - عند ذلك قال [من الطويل]:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَاءَ يَخْبُثُ طَعْمُهُ وَإِنْ كَانَ لَوْنُ الْمَاءِ أَبْيَضَ صَافِيَا
فَمَا كَانَ مِنْهَا إِلَّا أَنْ قَطَعْتَ أَمْلَهُ ، وَزَوَّدْتَهُ الْيَأْسَ .

وبعقب رجوعهم تعرّض لها ، فألفاها بين أربع لا تنقص عنها واحدة منهن في الحسن والجمال ، فبقرت لهن حديثها معه على مسمع منه ، فعاتبتها في إعراضها عنه ، مع تعلّقه بهواها ، وقُلْنَ لها : ما يضرُّك أن تُتولى ، وما معك إلا من يستر عليك ؟! ولو أنّه علّق بإحدانا هواه . . . لما كان لها أن تُخَيِّب رجاءه ، فطمع فيها ، وواعدته إلى غار ، دلّته عليه ، فما هي إلا ساعة ، ودخل عليه عبد أسود ينعظ بمثل ذراع البكر^(١) ، فوَلَّى هارباً ، وما نجا فيما يقول إلا بنفسه بعد لأي ما ، وما أحسبه صادقاً في دعوى السلامة ، بل صرّح ابن عبد ربّه في «عقده»^(٢) بعدمها ، وما كان إلا عرضة ذلك ، ويا طالما شهرته عنان وغيرها بمثل ذلك .

وبما أن جُلَّ أشعار الحكاية من كلام ذي الرُّمّة . . فلا بُدَّ أنْ لَهُ قصة ذي الرمة وهي قضية من نوعها ، ثُمَّ رَأَيْتُ ابْنَ خَلْكَانَ ذَكَرَهَا بِإِختصارٍ^(٣) ، وذكر

(١) ينعظ بمثل ذراع البكر : يُحرّك بِذَكَرِ كانه من طول ذراع الفتي من الإبل .

(٢) وهو الكتاب الشهير : «المقد الفريد» .

(٣) ذكر ابن خلكان في «وفيات الأعيان» (١٢/٤) : أَنَّ ذَا الرُّمَّةَ لَمْ يَرِ مَيَّةَ قَطُّ إِلَّا

فِي بَرَقٍ فَأَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى وَجْهِهَا فَقَالَ [من الوافر] :

جَزَى اللَّهُ الْبَرَّاقِعَ مِنْ ثِيَابِ عَنِ الْفُثَيَانِ شَرّاً مَا يَفِينَا
يُؤَارِئِنَ الْمِلَاحَ فَلَا نَرَاهَا وَيُخْفِينُ الْقَبَاحَ فَيَزْدَهِينَا=

قوله في البرقع [من الوافر] :

جَزَى اللهُ الْبَرَقَعَ مِنْ ثِيَابٍ عَنْ الْفَتَيَانِ شَرًّا مَا بَقِينَا
يُؤَارِسْنَ الْمَلَحَ فَلَا نَرَاهَا وَيُخْفِنَ الْفَبَاحَ فَيَزْدَهِنَا

وينا وائل بن قاسط ووادي السباع
بيننا وائل بن قاسط بوادٍ في طريقه إلى (الرقّة) .. إذ بصر
بأسماء بنت دريم القضاعية ، وكانت امرأة حسنة ، فيها بقية من
الشباب ، فهم بها حين رآها مسفرة ، فقالت : والله ، لئن قصدتني
بسوء .. لأدعوك أسبغ ، فقال : ما أرى في الوادي أحدا ،
فصاحت بينها : يا كلب ، يا ذيب ، يا فهذ ، يا سرحان ، يا نمر ،
يا حمار ، يا ضبع .. إلى آخرها ، فسأل الوادي رجالا عشرين ،
جاؤوا يتعادون بالسيوف ، كما قيل [من البسيط] :

سَأَلْتُ عَلَيْهَا شِعَابَ الْحَيِّ حِينَ دَعَتْ أَنْصَارَهَا بِوُجُوهِ كَالدَّنَانِيرِ
فَقَالَتْ لَهُمْ : أَكْرَمُوا ضَيْفَكُمْ ، وَلَمْ تَكْشِفْ لَهُمُ الْحَدِيثَ ،
وِإِلَّا .. لَتَوَزَّعُوا لِحَمَّةٍ ، فَعَقَرُوا ، وَقَالَ : مَا أَرَى هَذَا الْوَادِي إِلَّا
وَادِي السَّبَاعِ ، فَأُطْلِقَ عَلَيْهِ مِنْ يَوْمئِذٍ .

= فنزعت البرقع عن وجهها ، وكانت باهرة الحسن ، فلما رآها مسفرة .. قال :
عَلَى وَجْهِ مَيِّ مَسْحَةٌ مِنْ مَلَاخٍ
البيت المتقدم ، فنزعت ثيابها ، وقامت عريانة ، فقال :
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَاءَ يَخْبِثُ طَعْمُهُ
البيت المتقدم ، فقالت له : أتحب أن تذوق طعمه ؟ قال : إي والله ،
فقالت له : تذوق الموت قبل أن تذوقه .
وذكر الأصفهاني في « الأغاني » (١٨ / ٣٠) : أَنَّ هَذِهِ الْآيَاتِ مَنْحُولَةٌ عَلَى
ذِي الرُّمَّةِ وَلَيْسَتْ لَهُ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ .

وفيه كَانَ قَتْلُ الزبيرِ بنِ العوّامِ مُنْصَرَفَةً مِنْ حَادِثَةِ الْجَمَلِ ، وَقَدْ
كَرَّهَ فِي شَعْرِهِ سُحَيْمُ بْنُ وَثِيلٍ الرِّياحِيُّ ، فَقَالَ [مِنْ الطويل] :

مَرَزْتُ عَلَى وَادِي السَّبَاعِ وَلَا أَرَى كَوَادِي السَّبَاعِ حِينَ يُظْلِمُ وَادِيَا

وعلى ذكرِ عَقَّةِ النِّسَاءِ وَبُعْدِهِنَّ نَقُولُ : إِنَّهُ لَا يُمْكِنُ لِلْإِنْسَانِ أَنْ
يَكْلَهُنَّ إِلَى مَا يَتَّقَى بِهِ فِيهِنَّ مِنْ ذَلِكَ ، فَإِنَّ الْبَعِيدَ يَقْرُبُ بِالْاِحْتِيَالِ ،
وَالْعُصْمُ تَسْهُلُ بِالْاِسْتِزَالِ^(١) ، وَقَدْ قَالَ بَعْضُهُمْ [مِنْ الْكامل] :

عُسِرَ النِّسَاءُ إِلَى مُيَاسَرَةٍ وَالصَّغْبُ يَسْهُلُ بَعْدَ مَا جَمَحَا

وقَالَ آخَرُ خُثْعَمَ [مِنْ الطويل] :

وَأَلَّتْ يَمِينُنَا كَالزُّجَاجِ رَقِيقَةً وَمَا حَلَفْتُ إِلَّا لِتَخَنَّتْ مِنْ أَجْلِي

وبهذا ذَكَرْتُ قَوْلَ عاتِكَةَ بِنْتِ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ فِي رِثَائِهَا
لِبَعْضِ أَزْوَاجِهَا [كما في «خزانة الأدب» (٢٨٠/١٠) مِنْ الطويل] :

فَأَلَيْتُ لَا تَنْفَكُ عَنِّي حَزِينَةً وَأَلَيْتُ لَا تَنْفَكُ جِلْدِي أَغْبَرَا

فَأَسْتَأْذَنَ عَلَيْهَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ صَبِيحَةً بَنَائِهَا
عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، وَقَالَ لَهَا : أَيْنَ قَوْلُكَ :
(فَأَلَيْتُ... إِلَى آخِرِهِ) ؟ فَقَالَتْ : مَا أَكْثَرَ مَا تَنْفَسُخُ عَزَائِمُ الرِّجَالِ ،
فَضَلًّا عَنْ عَزَائِمِ النِّسَاءِ ، أَوْ مَا يَقْرُبُ مِنْ هَذَا الْمَعْنَى .

وَكَانَتْ تَحْتَ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِّيقِ ، فَقُتِلَ عَنْهَا مِنْ سَهْمٍ

(١) العِصْمُ ، هُوَ : الْغِزَالُ ، وَالْمَقْصُودُ : أَنَّ الْمَرْأَةَ يَنْبَغِي التَّحْفِظَ عَلَيْهَا ، وَيَكْفِي فِي
ذَلِكَ أَنَّ سَيِّدَنَا زَكَرِيَّا لَمْ يَكُلْ سَيِّدَتَنَا مَرْيَمَ وَهِيَ فِي الْمَحْرَابِ عَنْ السُّؤَالِ ﴿أَنَّ
لِلَّهِ قُدْرًا﴾ وَهِيَ مِنْ هِيَ ، مِنْ سَيِّدَاتِ الْعَالَمِينَ عَقَّةٌ وَطَهَارَةٌ .

رُمِيَهُ فِي (الطَائِفِ) فَتَزَوَّجَهَا زَيْدُ بْنُ الْخَطَّابِ ، فَقُتِلَ عَنْهَا بِ
 (الْيَمَامَةِ) ، ثُمَّ كَانَتْ تَحْتَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، فَقُتِلَ وَهِيَ عِنْدَهُ ،
 ثُمَّ تَزَوَّجَهَا الزَّبِيرُ بْنُ الْعَوَّامِ ، فَقَتَلَهُ أَبْنُ جَرْمُوزٍ ، وَهِيَ فِي عَصَمَتِهِ ،
 ثُمَّ خَطَبَهَا عَلِيٌّ ، فَقَالَتْ : أَضِلُّ بِأَبْنِ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ عَنِ الْقَتْلِ ،
 وَلَكِنَّهَا تَزَوَّجَتْ بِأَبْنِ الْحُسَيْنِ - كَمَا رُوِيَ - فَقُتِلَ عَنْهَا ، فَكَانَ أَهْلُ
 الْمَدِينَةِ يَقُولُونَ بَعْدَ ذَلِكَ فِي «الطَّبَقَاتِ» ١١٢/٣ : مَنْ أَرَادَ الشَّهَادَةَ ...
 فَلْيَتَزَوَّجْ بَعَاتِكَةَ . وَفِي أَحَادِيثِهَا لَطَائِفٌ ، وَفِي أَخْبَارِهَا نَوَادِرٌ ، وَفِي
 أَشْعَارِهَا بَدَائِعٌ ، وَبِحُسْنِهَا فِي هَذَا الْمَوْضِعِ مَا أَشْرْنَا إِلَيْهِ .

وَأَوَّلَى مَا يَتَوَسَّلُ بِهِ الْمَرْءُ لَتَحْصِينَ أَهْلِهِ . . . التَّلَزُّمُ بِالْعَفَافِ فِي
 نَفْسِهِ ، وَلِلَّهِ دَرُّ الْخِزَاعِيِّ ، أَوْ مَسْكِينِ الدَّارِمِيِّ فِي قَوْلِهِ [بِإِنْ السَّرِيعِ] :

مَا أَحْسَنَ الْغَيْرَةَ فِي حِينِهَا وَأَقْبَحَ الْغَيْرَةَ فِي كُلِّ حِينٍ
 حَسْبُكَ مِنْ تَخْصِينِهَا ضَمُّهَا مِنْكَ إِلَى خُلُقِي كَرِيمٍ وَدِينٍ
 لَا تَطْلُعُ مِنْكَ عَلَى عَوْرَةٍ فَيَتَّبِعَ الْمَقْرُونُ حَبْلَ الْقَرِينِ
 وَفِي الْحَدِيثِ : « عَقُّوا نِعَفَ نِسَائِكُمْ » (١) .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ [الشَّافِعِيُّ فِي « دِيَوَانِهِ » مِنْ الْكَامِلِ] :

عَقُّوا نِعَفَ نِسَائِكُمْ فِي الْمَخْرَمِ وَتَجَنَّبُوا مَا لَا يَلِيْقُ بِمُسْلِمٍ
 إِنَّ الْزَّنَا دَيْنٌ إِذَا أَقْرَضْتَهُ كَانَ الْوَفَاءُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ فَأَعْلَمَ

فَالْفَسَادُ دَيْنٌ يُؤْخَذُ بِهِ مِنْ أَهْلِ الزَّانِي وَذَرَّتِيهِ لَا مُحَالَةَ ، وَلَوْ كَانُوا
 أَحْمَى مِنْ جِبَاهَاتِ الْأُسُودِ ، وَأَمْنَعُ مِنْ عُقْبَانِ الْجَوِّ ، وَالْأَخْبَارُ فِي

(١) أَخْرَجَهُ عَنْ عَائِشَةَ الصَّدِيقَةِ الطَّبْرَانِيِّ فِي « الْأَوْسَطِ » (٨/٢) مَطْوَلًا .

ذَلِكَ كَثِيرَةٌ ، وَالْعِيَانُ يُؤَكِّدُهَا ، وَاللَّهُ غَيُورٌ عَلَى عِبَادِهِ ، وَهُوَ الْعَدْلُ فِي أَحْكَامِهِ^(١) .

كَانَ ابْنُ سِيرِينَ يَقُولُ : مَا غَشِيَتْ أَمْرًا قَطُّ فِي نَوْمٍ وَلَا يَقْظَةٍ ، الْعَفَّةُ حَتَّى فِي النَّوْمِ غَيْرَ أُمَّ عَبْدِ اللَّهِ ، وَإِنِّي لَأَرَى الْمَرْأَةَ لَا تَحِلُّ لِي فِي الْمَنَامِ ، فَأَصْرَفُ نَظْرِي .

فَالَمَّ بِهِ النَّاطِقُ فِي قَوْلِهِ [فِي «الْمَكْرِي» ٢٦٨/١ مِنَ الطَّوِيلِ] :
يَرُدُّ يَدًا عَنْ ثَوْبِهَا وَهُوَ قَادِرٌ وَيَعْصِي الْهَوَى فِي طَيْفِهَا وَهُوَ رَاقِدٌ
الشعراء في هذا الموضوع

وَقَالَ الْمَعْرِيُّ [فِي «سَقَطِ الزَّيْدِ» ٦٧ مِنَ الطَّوِيلِ] :
كَرِيمٌ حَلِيمٌ الْجَنِّ وَالنَّفْسِ لَا يَرَى إِذَا هُوَ أَغْفَى مَا يَرَى النَّاسُ فِي الْحُلَمِ
وَقَالَ [فِي «سَقَطِ الزَّيْدِ» ٥٩ مِنَ الطَّوِيلِ] :

مَقْصِي طَاهِرُ الْجُنَّانِ وَالنَّفْسِ وَالْكَرَى وَشَهِدَ الْمَنَى وَالْجَنِبَ وَالذَّنْبِلَ وَالرُّذْنَ^(٢)
وَقَالَ ابْنُ طَبَّاطَبَا [مِنَ الْكَامِلِ] :

يَقْظَاتُهُ وَمَنَامُهُ شِرْعٌ كُلُّ بِكُلٍّ مِنْهُ مُشْتَبِهٌ
إِنْ هَمَّ فِي حُلَمٍ بِفَاحِشَةٍ زَجَرَتْهُ عَقَّتُهُ فَيَتَبَيَّهُ
وَلَكِنَّ التَّهَامِيَّ خَضَعَ لِبَعْضِ الْقَوْلِ ؛ إِذْ يَقُولُ [فِي «دِيَوَانِهِ» ٣٣٦ مِنْ
الْبَسِطِ] :

(١) لَمَّا أَخْرَجَ ابْنُ النُّجَّارِ فِي «ذِيلِ تَارِيخِ بَغْدَادِ» عَنْ أَنَسٍ : «مَنْ زَنَى... زَنَى بِهِ وَلَوْ بِحَيْطَانِ دَارِهِ» .

(٢) الْكَرَى : النَّوْمُ ، وَتَقْيِضُهُ : الشُّهُدُ ، وَقَوْلُهُ : شَهِدَ الْمَنَى : أَيَّ أَنَّهُ إِذَا سَهَرَ فِي أَمْرِ يَتَمَنَّا... لَمْ يَسْهَرْ إِلَّا فِيمَا لَا تَبْعَةَ لَهُ . الرُّذْنُ : الْكُفُّ .

إِنِّي لِأَضْرِفُ نَفْسِي عَنْ مَحَاسِنِهَا تَكْرُماً وَأَكْفُ الْكَفَّ عَنْ لَمَمٍ^(١)
وَلَا أَهْمُ وَلِي نَفْسٌ تُنَازِعُنِي أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، إِلَّا سَاعَةَ الْحُلُمِ

الفيف الأعمى نزلَ خارجيَّ على بعضِ إخوانِهِ مِنْهُمْ مستتراً مِنَ الْحَجَّاجِ ،
فشَخَصَ المنزولُ عليه لبعضِ شَأْنِهِ ، وقالَ لزوجِهِ : يا ظيبا ،
أستوصي بضيفي خيراً ، وكانتِ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ وجهاً ، ولَمَّا عادَ
بعدَ شهرٍ . . قالَ لها : كَيْفَ كَانَ ضَيْفُكَ؟ قالتَ : ما أَشْغَلُهُ بِالْعَمَى
عن كلِّ شيءٍ ، وكانَ أَطْبَقَ جَفْنِيهِ حَتَّى لَا يراها ، إِلَى أَنْ عادَ
زوجُها^(٢) .

* * *

(١) قال الشيخ عبد القادر القصاب الديرعطاني في مواظبه :

من كف فكة ، وفك كفه . . فذباب الشر عنه كفه .

(٢) كذا في «المستطرف» (٢/٣٤٩) .

[قال أبو الطيّب المتنبّي في «العُكْبَرِيّ» ٢٩٥/١ من المنسرح:]

ظَلْتُ بِهَا تَنْطَوِي عَلَى كَبِدٍ نَضِيجَةٍ فَوْقَ خَلْبِهَا يَدُهَا

(الخلبُ) : غشاء القلب^(١) ، أو الكبد .

قال الشارحُ : وجعلَ اليدَ نَضِيجَةً ، وأضافَهَا إلى الكبدِ ؛ لأنها شرح المطلع
دَامَ وضعُهَا على الكبدِ ، فَأَنْضَجَتْهَا بما فِيهَا مِنَ الْحَرَارَةِ ، فلهَذَا
جَازَ إِضافَتُهَا إِلَيْهَا ، والعَرَبُ تَسْمِي الشَّيْءَ بِأَسْمٍ غَيْرِهِ إِذَا طَالَتْ
صَحْبَتُهُ لَهُ ، والإِضافةُ أَهْوَنُ . اهـ .

وأقولُ : إِنَّهُ أَصَابَ فِي بَعْضٍ ، وَأَخْطَأَ فِي آخَرَ ، أَمَّا الَّذِي رَأَى الْمُؤَلِّفُ
أَصَابَ فِيهِ : فَتَوَجَّهَ إِضافةَ اليَدِ إلى الكبدِ بِطَوْلِ المِلاَسَةِ والصَّحْبَةِ .
وَأَمَّا الَّذِي أَخْطَأَ فِيهِ : فَرَعَمَهُ أَنَّ النَّاظِمَ جَعَلَ اليَدَ نَضِيجَةً ،
وَالْحَالُ أَنَّهُ لَمْ يَتَعَرَّضْ لَهَا بِنَضِجٍ وَلَا غَيْرِهِ ، وَإِنَّمَا تَعَرَّضَ لِلْكَبِدِ ،
فَجَعَلَهَا نَضِيجَةً ، وَهُوَ الْمَعْقُولُ ، وَالْمَحْزُونُ كَثِيرًا مَا يَضَعُ يَدَهُ عَلَى
كَبِدِهِ ؛ خَشْيَةَ الْانْفِطَارِ مِمَّا يَجِدُهُ مِنْ حَرَارَةِ الْوَجِدِ ، وَمِثْلُهُ كُلُّ مَنْ
فُوجِيَ بِعَظِيمٍ يُهِيلُ ، وَلَمَّا فِيهِ مِنَ الْفَوَائِدِ يَقُولُ جَلَّ أَسْمُهُ لِمَوْسَى :
﴿وَأَضْمَمْتُ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ﴾ [القصاص : ٣٢] .

اصطلاح الناصري
الأكباد

وقال ابنُ الدُّمَيْنَةِ [في «ديوانه» من الطويل] :

عَشِيَّةً أَتَيْتُ الْبُرْدَ ثُمَّ أَلْوَنُهُ عَلَى كَبِدِي مِنْ خَشْيَةِ أَنْ تَقَطَّعَا

(١) وفي التنزيل : يَسْمَى شَغَافًا ، قال تعالى : ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ [يوسف : ٣٠] .

وقال [في «ديوانه» ١٥٠ من الطويل] :

لِيَهْنِكَ إِمْسَاكِ بِكَفِّي عَلَى الْحَشَا وَرَقْرَاقِ دَمْعِي رَهْبَةً مِنْ مَطَالِكِ

وقال الصَّمَّةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَشِيرِيُّ [في «ديوانه» ٩٦ من الطويل] :

وَأَذْكُرُ أَيَّامَ الْحِمَى ثُمَّ أَتْنِي عَلَى كَيْدِي مِنْ خَشْيَةٍ أَنْ تَقْطَعَا

وقال عمرُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ فِي كِتَابٍ مِنْهُ إِلَى الثَّرِيَّا [في «ديوانه» ٤٩٠ من
مَجْزُوءِ الْوَاقِعِ] :

فِيْمَنِيكَ قَلْبُهُ يَبِيدُ وَيَمْسَحُ عَيْنُهُ يَبِيدُ

وقال معاذُ بْنُ كُلَيْبٍ [مِنَ الطَّوِيلِ] :

فَقَدْ طَالَ إِمْسَاكِ عَلَى الْكَيْدِ الَّتِي بِهَا مِنْ هَوَى لَيْلَى الْغَدَاةِ صُدُوعُ

وقال أبنُ مِيَادَةَ [في «ديوانه» ١٣٣ من الطويل] :

عَشِيَّةً أَتْنِي بِالرَّدَاءِ عَلَى الْحَشَا كَأَنَّ الْحَشَا مِنْ دُونِهِ أُسْعِرَتْ جَفَرَا

وَعَنَى الْمَهْدِيَّ فِي قَصَّةٍ تَطْلُقُهُ بِقِطْعَةٍ فِيهَا [مِنَ الْبَسِطِ] :

لَهُ يَدٌ تَسْأَلُ الرَّحْمَنَ عَافِيَةً مِمَّا بِهِ وَيَدٌ أُخْرَى عَلَى كَيْدِهِ

وقال عبدُ الصَّمَدِ بْنُ الْمُعَدَّلِ [مِنَ السَّرِيعِ] :

مُكْتَتِبٌ ذُو كَيْدٍ حَرَرَى تَبْكِي عَلَيْهِ مُقْلَةً عَبْرَى

يَرْفَعُ يُنْمِئُهُ إِلَى رَبِّهِ يَذْعُرُ وَفَوْقَ الْكَيْدِ الْيُسْرَى

وقال بعضُ الفقهاءِ عِنْدَ خُرُوجِهِ إِلَى الْحَجِّ مِنْ (بَغْدَادَ) ، كَمَا

ذَكَرَهُ أبنُ خَلِّكَانَ [في «وفيات الأعيان» ٢٦٠/٣ من الطويل] :

مَدَدْتُ إِلَى التَّوَدِيعِ كَفًّا مَرِيضَةً وَأُخْرَى عَلَى الرَّمَضَاءِ فَوْقَ فَوَادِي

فَلَا كَانَ هَذَا الْيَوْمَ آخِرَ عَهْدِنَا وَلَا كَانَ ذَا الْتَوْدِيعِ آخِرَ زَادِنِي

وقد تكرر المعنى في «ديوان الناظم» غير أنني لا أذكر منه إلا ما تكرر هذا المعنى عند
أشار إليه الشارح ، وهو قوله [في «المكبري» ٣٦/٢ من الخفيف] :
المتبي

فِيهِ أَيْدِيكُمَا عَلَى الظَّفَرِ الْخُلْدِ - وَأَيْدِي قَوْمٍ عَلَى الْأَكْبَادِ

ومما أبر في الموضوع قولني من قصيدة [في «ديوان المؤلف» ق ٤٢ من بيت للمؤلف في
الموضوع
الطويل] :

وَيَهْفُو بِقَلْبِي الْوَجْدُ لَوْلَا تَدَاوَلَتْ . يَمِينِي فِي إِمْسَاكِهِ وَشِمَالِي

وربما وضعت المرأة يدها على رأسها ، أو على وجهها من اختلاف الإشارات في
الخبجل ، أو الوجيل ، ومنه قوله تعالى : ﴿ فَأَقْبَلَتْ أَمْرَأَتُهُ فِي صَرَفٍ ^{التعبير}
فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴾ [الذاريات : ٢٩] .

وقال رجل من بني العنبر ، وكان مملوكاً ، ورأته زوجته يطحن لصفيفه الملك المتواضع
[من الطويل] :

تَقُولُ وَصَكَّتْ وَجْهَهَا بِيَمِينِهَا أَبْعَلِي هَذَا بِالرَّحَا الْمُتَقَاعِسِ !؟

وفي «الصحيح» : أَنَّ أَمْرَأَةً سَأَلَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ : هَلْ عَلَى ^{لا حياء في تعلم أمور}
المرأة مِنْ غُسْلِ إِذَا هِيَ اخْتَلَمَتْ ؟ فَغَطَّتْ أُمُّ سَلَمَةَ وَجْهَهَا ، ^{الدين}
وقالت : أَوْتَحْتَلِمُ الْمَرْأَةُ ؟ فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « تَرِثُ
يَمِينُكَ ، وَبِمِ يَنْسِبُهَا وَلَدُهَا !؟ » ، ثُمَّ قَالَ لِلسَّائِلَةِ : « نَعَمْ ، إِذَا
رَأَتْ الْمَاءَ »^(١) . أو ما يقرب من هذا السياق .

والكلام في ماء المرأة إيجاباً وسلباً وصفة . لا يليق بالاستطراد

(١) رواه عن أم سلمة البخاري (٢٨٢) في الغسل ، ومسلم (٣١٣) في الحيض .

في هذا المجلس لاقتضائه التطويل ، فله مكانه ، ورأيت فيه من
زمان تاليفاً للسيد أحمد الحسيني المصري .

ويروى : أنَّ فَرَعاً أدرك نساء ثلاثاً ، فوضعت يدها إحداهنَّ على
نديها ، والأخرى على بطنها ، والثالثة على ركبها^(١) ، فقال بعض أهل
الأزكان^(٢) : أمّا الأولى : فمرضع ، وأمّا الثانية : فحُبلى ، وأمّا
الثالثة : فبكر . فكان كما قال .

النساء واختلاف التعبير
عند الفرع

* * *

(١) الركب - بالتحريك - : العانة ، وقيل : منبتها ، وقيل : هو ما انحدر عن البطن

فكان تحت الثَّني ، وفوق الفرج .

(٢) أهل الأزكان : أهل الفراس .

[قال أبو الطيّب المتنبي في «المكبري» ٢٩٦/١ من المنسرح:]

يَا حَادِي عَيْسَهَا وَأَحْسَبُنِي أَوْجَدُ مَيْتًا قُبِيلَ أَفْقِدُهَا
قَفَا قَلِيلًا بِهَا عَلَيَّ فَمَا أَقَلَّ مِنْ نَظَرَةِ أَرْوُدُهَا

يقول لخداة عيسها : قفوا بها علي قليلاً ؛ لأتزوّد منها نظرة ، شرح المطلع
وقد أعترض بين النداء والمنادي بقوله : (وأحسبني أموت قبيل
تحرّركم بها) ، وهذا يؤيد احتمال وصفه حين الارتحال ،
والجملة المعترضة المذكورة مأخوذة من قول العربي [من الخفيف] :
لَيْسَ بَيْنَ الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ إِلَّا أَنْ يَرُدُّوا جَمَالَهُمْ فَتَزَمًا^(١)

وقد سمعته علي بن جعفر من جاريته الشطباء ، فطرب ، لم العجلة؟
وصاح ، وقال : يا سبحان الله ! ما هذه العجلة ؟ ألا يكون
قربة^(٢) ، ألا يعلقون سفرة^(٣) ، ألا يسلمون على جار^(٤) ؟ !

والمعنى متكرّر عند الناظم ؛ منه قوله [في «المكبري» ٣٢٨/١ من الشعراء والموت من
الفراق

الكابل] :

الْيَوْمَ عَهْدُكُمْ فَأَيْنَ الْمَوْعِدُ؟ هِنَهَاتَ لَيْسَ لِيَوْمٍ عَهْدُكُمْ غَدُ

(١) زَمَ البعير : إذا ألْبَسَ الزمام ، وهو اللجام .

(٢) الوكاء : الخيط الذي يشد به الكيس وغيره .

(٣) السفرة : طعام يُتخذ للمسافر ومنه سُيِّبَتِ السفرة التي يوعى فيها الطعام
مجازاً .

(٤) كذا في «الأغاني» (٣٥٨/٢٤) .

الْمَوْتُ أَقْرَبُ مِخْلَبًا مِنْ يَمِينِكُمْ وَالْعَيْنُشُ أَبْعَدُ بَعْدَكُمْ لَا تَبْعُدُوا^(١)

ولقد أجاد الحلي في قوله [في «ديوانه» ٦١٧ من الطويل] :

قَفِي وَدَعِينَا قَبْلَ وَشِكِ الْتَفَرُّقِ فَمَا أَنَا مَنْ يَخِيَا إِلَى حِينٍ نَلْتَقِي

وَأَلَمَ بِهِ الْبُرْعَى فِي قَوْلِهِ [في «ديوانه» ١٤١ من الكامل] :

أَعِدِ الْوَدَاعَ فَمَا أَرَاكَ تَرَانِي [وَأَاطِلْ بِكَ لِيْنِ أَهْلِ الْبَانِ]

وما أكثر استيقاف العيس للترؤد بالنظر حين الوداع في أشعار العرب ، منه قول عمرو بن كلثوم [في «ديوانه» ٧٨ من الوافر] :

قَفِي قَبْلَ الْتَفَرُّقِ يَا طَعِينَا نُخَبِّرُكَ الْيَقِينِ وَتُخَبِّرُنَا

وقول القطامي [في «ديوانه» ٣١ من الوافر] :

[قَفِي] قَبْلَ الْتَفَرُّقِ يَا ضَبَاعَا وَلَا يَكُ مَوْفَتْ مِنْكَ الْوَدَاعَا

قَفِي فَادِي أَسِيرِكَ إِنَّ قَوْمِي وَقَوْمِكَ لَا أَرَى لَهُمْ أَجْتِمَاعَا

وقول قيس بن الخطيم [في «ديوانه» ٥٤٥٣ من المنسرح] :

رَدَّ الْجَمَالَ الْخَلِيطُ فَأَنْصَرَفُوا مَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ أَنَّهُمْ وَقَفُوا^(٢)

لَوْ وَقَفُوا سَاعَةً نُسَائِلُهُمْ رَيْثُ يُضْحِي جِمَالُهُ الْسَلَفُ^(٣)

وأول ما سُمِعَتْ لفظة (السلف) آتت أكثر الناس منها الآن من أول من قال لفظة (السلف)

(١) في «الديوان» و«المكبري» : (أَبْعَدُ يَنْكُمُ) بدل (أَبْعَدُ بَعْدَكُمْ).

(٢) الخليط : المخالط لهم في الدار .

(٣) يضحى : من الضحاء وهو أن ترى الإبل ضحى . السلف : القوم الذين يتقدمون الظعن في السير .

هذا الشعر ، ثُمَّ من قوله ﷺ بعد مُؤارة عثمان بن مظعون : « نَعَمْ السَّلَفُ » (١) .

وفي باب الأذان من « حاشية البجيرمي على فتح الوهاب » تفسير السلف بالسلف بالصحابة ، والخلف بمن بعدهم ، وقال بعضهم : السلف من قبل الأربع مئة ، والخلف من بعدهم .
وفي باب الجماعة منها : أنَّ السلف هم أهل القرون الثلاثة الأول ، والخلف من بعدهم .

والبيتان من كلمة شاعرة لقيس ، وكان رجلاً شجاعاً ، جميل المنظر ، براق الثنايا ، ما رآته حليمة رجل قط إلا ذهب عقلها ، وتمنت أن يكون لها قياضاً عن صاحبها ، وكان يقسم أيامه ثلاثاً ، يوماً : يحكم بين قومه ، ويوماً : ينشد شعره ، ويوماً : ينظر في المرأة إلى جماله .

وقال ابن الدُمينة فيما نحن بسبيله [في « ديوانه » ١٣ من الطويل] :

فَفِي قَبْلِ وَشِكِ الْبَيْنِ يَا ابْنَةَ مَالِكٍ وَلَا تَحْرِمِينَا نَظْرَةً مِنْ جَمَالِكَ
فَفِي يَا أُمَيِّمَ الْقَلْبِ تَقْضِي لُبَانَةً وَتَشْكُو الْهَوَى ثُمَّ أَفْعَلِي مَا بَدَأَ لَكَ (٢)

قال حبيب [أبو تمام في « ديوانه » ٢٤٢ من الكامل] :

مَا فِي وَفُوقِكَ سَاعَةً مِنْ بَاسٍ تَقْضِي ذِمَامَ الْأَرْبَعِ الْأَذْرَاسِ
قال أبو عبادة [من الخفيف] :

مَا عَلَى الرُّكْبِ مِنْ وَقُوفِ الرُّكَّابِ فِي مَغَانِي الْأَصْبَا وَرَسْمِ التَّصَايِي

(١) ومثله في دعاء الميت : « واجعله لنا سلفاً » قيل : هو من سلف المال ، كأنه قد

أسلفه وجعله ثمناً للأجر والثواب الذي يجازى على الصبر عليه .

(٢) اللَّبَانَةُ : الحاجة .

ولئن خرج هذان عن خصوص الاستيقاف يوم الرحيل . . فقد
دخلوا في عموميه الشامل ؛ لقول ذي الرُّمَّة [من الوافر] :

تَمَامُ الْحَجِّ أَنْ تَقِفَ الْمَطَايَا عَلَى خَرْقَاءَ وَاضِعَةَ الْكُثَامِ

نرجو من الله تعالى وقال البغدادِيُّ [ابن زريق في «ديوانه» من البسيط] :

وَأَغْطِفَ عَلَيَّ الْمَطَايَا سَاعَةً فَعَسَى مِنْ شَيْءٍ شَمَلِ الْهُوَى بِالْبَيْنِ يَجْمَعُهُ

وقال الأندلسي [إسماعيل بن محمد الشقندي في «نفع الطيب» ٢٣٣/٣ من

البسيط] :

اسْتَوْقِفِ الرَّكْبَ قَدْ لَاحَتْ لَكَ الدَّارُ وَأَسْأَلُ بِرَبْعِ نَسَاءَتِ عَنْهُ أَفْهَارُ
لَا خَفَفَ اللَّهُ عَنِّي بَعْدَ بُعْدِهِمْ فَإِنِّي سِرْتُ وَالْأَخْبَابُ مَا سَارُوا

ما سبب التفات المسافرين ومن مذاهب العرب : ألفت المسافرين رجاء العود .

العربي؟

قال شاعرهم [من الطويل] :

تَلَقَّتُ أَرْجُو رَجْعَةَ بَعْدَ نَيْةٍ فَكَانَ الْفَتَاتِي زَائِدًا فِي بِلَائِنَا

ومنه قول الشريف الرضي [في «ديوانه» من الكامل] :

وَلَقَدْ مَرَرْتُ عَلَى طُلُولِهِمْ وَرُسُومَهَا بِيَدِ الْبَلَى نُهْبُ
فَوَقَفْتُ حَتَّى ضَجَّ مِنْ لَغَبٍ نَضْوِي وَلَجَّ بِعَذْلِي الرَّكْبُ
وَتَلَقَّتْ عَيْنِي وَمُذْ خَفِيَتْ عَنِّي الطُّلُولُ تَلَقَّتْ الْقَلْبُ

وقيل : إِنَّهُ لم يقصد التفاوض للرجوع ؛ إذ لا فائدة فيه ، وقد
صارت نُهْبًا بِيَدِ الْبَلَى ، وإنما حملة عليه فزط الوجد ، وألم
التحشُّر .

وقد مرَّ بعضهم بديارِ الشريفِ الرضيِّ ، فتمثَّلَ بالأبياتِ ؛ إذ رآها من بدائع الإتهاق
 مأويةً على عروشِها ، وعليها سمةُ الشرفِ ، وأثارةُ العزِّ ، وهو لا
 يلحظُ بصاحبِ الديارِ ، ولا بأنَّه قائلُ الأبياتِ ، فكانَ من بدائع
 الاتِّفاقِ .

وقال الصَّمَّةُ بنُ عبدِ الله القشيريُّ [في «ديوانه» ٩٤ من الطويل] : أنت مسكين يا صمة

تَلَفْتُ نَحْوَ الْحَيِّ حَتَّى وَجَدْتُنِي وَجِئْتُ مِنَ الْأَضْغَاءِ لَيْثًا وَأَخْذَعًا^(١)

من قصيدة له فخمة اللفظ ، منقَّحة المعنى ، قالها حينَ تَعَنَّتْ
 عليه عُمَةُ ورَدَّه عن بنته ريثاً ، وكانَ قد جمعَ الإبلَ المَعَيَّةَ لجهازِها ،
 فلَمَّا آيَسَهُ عُمَةُ . . أطلقَ عَقْلَها ، وضربَها ، فعادَ كلُّ بعيرٍ إلى أهله ،
 فقالت مخطوبتُهُ : ما رأيتُ كالْيَوْمِ رجلاً ضَيَّعَهُ قَوْمُهُ^(٢) !

ومطلع القصيدة [في «ديوانه» ٩٤ من الطويل] :

حَنَنْتُ إِلَى رِيَا وَنَفْسُكَ بَاعَدَتْ مَرَارَكَ مِنْ رِيَا وَشَعْبَاكُمَا مَعَا

ويأتي بعضها في غضونِ هذه المجالسِ بحسبِ المناسباتِ ،
 وهي من أعذبِ الشعرِ وأشجاءه ، وقد مرَّ في المجلسِ الأوَّلِ ما يشيرُ
 إلى بعضِ هذا .

وقال آخرُ [من الطويل] :

لَحَظْنَا هُمْ حَتَّى كَأَنَّ عُيُونَنَا بِهَا لَقَوَّةٌ مِنْ شِدَّةِ اللَّحْظَانِ^(٣)

(١) اللَّيْثُ : صفحة العنق . الأخدعان : عرقان خفيَّان في موضعِ الحجامَةِ مِنَ
 العنقِ .

(٢) «ديوان الحماسة» (٦٢/٢) .

(٣) اللَّقَوَّةُ : داءٌ يكونُ في الوجهِ يَنْفُجُ منه الشَّدَقُ .

الألم ساعة الوداع عند الشعراء
وَأَمَّا الشكايةُ مِنْ أَلَمِ التَّوَلَّى سَاعَةَ الْوَدَاعِ : فَمِمَّا لَا يُحْصَى كَثْرَةُ
فِي أَشْعَارِهِمْ ، وَمِنْهُ قَوْلُ أَمْرِئِ الْقَيْسِ [فِي « دِيوانه » ١٤٤ : مِنَ الطَّرِيلِ :

كَأَنِّي غَدَاةَ الْبَيْتِ يَوْمَ تَحْمَلُوا لَدَى سَمَرَاتِ الْحَيِّ نَاقِفُ حَنْظَلٍ^(١)

وهو متكررٌ عند الناظم ؛ مِنْهُ قَوْلُهُ [فِي « الْمُكْتَبَرِي » ٢٣٥/٢ : مِنَ الطَّرِيلِ :

حُشَّاشَةٌ نَفْسٍ وَدَعَتْ يَوْمَ وَدَعُوا فَلَمْ أَذِرْ أَيْ الظَّاعِنِينَ أَشْبَعُ

وقوله [فِي « الْمُكْتَبَرِي » ٨٧/٤ : مِنَ الْكَامِلِ :

قَدْ كُنْتُ تَهْزَأُ بِالْفِرَاقِ مَجَانَّةً وَتَجُرُّ ذَيْلِي شِرَّةً وَعُورَامَ^(٢)

لَيْسَ الْقِيَابُ عَلَى الرُّكَّابِ وَإِنَّمَا هُنَّ الْحَيَاةُ تَرَحَّلَتْ بِسَلَامٍ^(٣)

مُتَلَاخِظِينَ نَسُحُ مَاءِ شُؤُونِنَا حَدَرًا مِنَ الرُّقَبَاءِ فِي الْأَكَامِ^(٤)

أَزْوَاحُنَا أَنَّهُمْ لَمْتْ وَعِشْنَا بَعْدَهَا مِنْ بَعْدِ مَا قَطَرَتْ عَلَى الْأَقْدَامِ

وقوله [فِي « الْمُكْتَبَرِي » ٢٥٩/٢ : مِنَ الْكَامِلِ :

أَرْكَائِبَ الْأَخْبَابِ إِنَّ الْأَذْمُعَا نَطَسُ الْخُدُودِ كَمَا تَطِئُ الْيَرَمَعَا^(٥)

(١) غداة البين : صبيحة الفراق . السمرات : شجرٌ في الحي ، جمع سمرّة . ناقف الحنظل : أشق الحنظل فتدع عيناى ؛ لشدة مرارته ؛ لأن من يشقه يجد أثر مرارته في حلقه وأنفه وعينه .

(٢) المجانة : الخلاعة . الشرة : الحدة والنشاط . العورام : الشدة والقوة والشراسة .

(٣) القباب : الهودج . الركاب : الإبل .

(٤) النسخ : السكب المتتابع . الشؤون - جمع شأن - : وهو مجرى الدمع . الأكام - جمع أكمة - : وهي القف من حجارة واحدة ، وقيل : هو دون الجبال ، وفي « الديوان » : (نسخ) بدل (نسخ) ، و(الأكمام) بدل (الأكام) .

(٥) وطم الشيء : كسره ودقّه . اليرمع : حجارة بيض صغار رخوة .

فَاغْرِفْنِ مَنْ حَمَلَتْ عَلَيْكُمُ النَّوَى وَأَمْسَيْنَ هَوْنًا فِي الْأَرْمَةِ خُضْعًا^(١)
قَدْ كَانَ يَمْنَعُنِي الْحَبَاءُ مِنَ الْبُكَأِ فَالْيَوْمَ يَمْنَعُهُ الْبُكَأُ أَنْ يَمْنَعَا

والأخيرُ من خالص الشعر ، ومختار الكلام ، وكنت أظنه من
مختصراته ، حتّى رأيتُ أبا ذؤيب الهذلي سبقه إلى بعضه في قوله [في
ديوانه ١٤٦ من الكامل] :

وَلَقَدْ أَرَى أَنَّ الْبُكَاءَ سَفَاهَةٌ وَلَسَوْفَ يُولَعُ بِالْبُكَأِ مَنْ يُفْجَعُ
وَأَقْتَفَاهُ ابْنُ مُطَيْرٍ ، حيثُ يقول - من كلمة له مؤنّقة - [في «ديوانه»
٤٩ من الطويل] :

وَكُنْتُ أَذُودُ الْعَيْنَ أَنْ تَرَدَّ الْبُكَأُ فَقَدْ وَرَدَتْ مَا كُنْتُ عَنْهُ أَذُودُهَا
ولا يبعدُ عنه قول كثير [في «ديوانه» ٩٥ من الطويل] :

وَمَا كُنْتُ أَذْرِي قَبْلَ عَزَّةٍ مَا الْبُكَأُ وَلَا مُوجِعَاتِ الدَّهْرِ حَتَّى تَوَلَّتْ
وقول المجنون [من الطويل] :

وَأَبْكَيْتُمَانِي وَسَطَ صَخْبِي وَلَمْ أَكُنْ أَبَالِي دُمُوعَ الْعَيْنِ لَوْ كُنْتُ خَالِيًا
ويأتي بعض ما يشبهه في شرح قوله [في «المكبري» ٣٠٨/١ من المنسرح] :

أَصْبَحَ حُسَادُهُ وَأَنْفُسُهُمْ يُخْدِرُهَا خَوْفُهُ وَيُضْعِدُهَا
وقبل قوله [في «المكبري» ٣٤/٤ من الطويل] :

فَنَبْ - وَإِنْقَا بِالله - وَثَبَّةٌ مَاجِدٍ يَرَى الْمَوْتَ فِي الْهَيْجَا جَنَى النَّخْلِ فِي الْقَمِ

(١) الأرمّة - جمع الزمام - وهو الحبل الذي يجعل في البرّة والخشبة ، وفي عنق
البعير .

وفي الموضوع قوله [في] «المكبري» ٢٢٥/١ من الكامل :

يَسْتَأَقُ عَيْنَهُمْ أَنْ يَنْسِي خَلْقَهَا تَتَوَهُمُ الزَّفَرَاتِ رَجَعُ حَدَائِهَا^(١)

وقوله [في] «المكبري» ٢٤٦/١ من الكامل :

لَمَّا تَقَطَّعَتِ الْحُمُولُ تَقَطَّعَتْ نَفْسِي أَسَى وَكَأَنَّهُنَّ طُلُوحُ^(٢)
وَجَلَّ الْوَدَاعُ مِنَ الْحَبِيبِ مَحَاسِنًا حُسْنُ الْعِرَاءِ وَقَدْ جُلِينَنَ قَبِيحُ

وقوله [في] «المكبري» ١١٥/٢ من البسيط :

وَكَاتِمُ الْخُبِّ يَزُمُ الْبَيْتِ مُنْهَكُ وَصَاحِبُ الدَّمْعِ لَا تَخْفَى سَرَايُهُ

وقوله [في] «المكبري» ١٦٢/٢ من الكامل :

فَدَ كُنْتُ أَحْذَرُ بَيْنَهُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَوْ كَانَ يَنْفَعُ حَائِنًا أَنْ يَخْذَرَا^(٣)

وقوله [في] «المكبري» ١٩٤/٢ من الكامل :

إِنْ كُنْتُ ظَاعِنَةً فَإِنَّ مَذَامِعِي تَكْفِينِي مَزَاوِدَكُمْ وَتُرْوِي الْعَيْسَا^(٤)

(١) في «الديوان» : (زَجَرَ) بدل (رَجَع). الحداة: هم المغنّون خلف الإبل.

(٢) الطُلُوح - جمع طُلُح - : وهي شجرة حجازية ، جَنَاتُهَا كجَنَاتِ السَّمَرَةِ ، ولها شوكٌ أَخْجَرٌ ، ومَنَابِتُهَا بطون الأودية ، وهي أعظمُ العِصَاهِ شوكاً ، وأصلُها عوداً ، وأجودُها صَمْغاً ، والطلح أيضاً: الموز.

(٣) المعنى : كنت أحذر فراقهم قبل وقوعه ولكن الهالك لا ينفعه الحذر ، وفي «الديوان» : (خَائِفًا) بدل (حَائِنًا) والصواب ما هو مثبت.

(٤) مَزَاوِدُكُمْ - جمع مَزَوْد - : وهو وعاءٌ يجعلُ فيه الزادُ ، أو وعاءُ الماءِ الذي يُتَزَوَّدُ للسفرِ ، وهو المرادُ هنا . وفي «الديوان» و«المكبري» : (مَزَادُكُمْ) بدل (مَزَاوِدُكُمْ).

وقوله [في «المكبري» ٢٩٥/٢٠ من الوافر] :

نَظَرْتُ إِلَيْهِمْ وَالْعَيْنُ شَكَرَتْ فَصَارَتْ كُلُّهَا لِلدَّمْعِ مَاقًا^(١)

وقوله [في «المكبري» ٣٠٨-٣٠٧/٢٠ من الطويل] :

وَلَمْ أَرَ كَالْأَلْحَاطِ يَوْمَ رَحِيلِهِمْ بَعَثَنْ بِكُلِّ الْقَتْلِ مِنْ كُلِّ مُشْفِقٍ
أَدْرَنْ عُمُونًا حَائِرَاتٍ كَأَنَّهَا مُرَكَّبَةٌ أَحْدَاقُهَا فَوْقَ زُنْبِقٍ
عَشِيَّةً يَغْدُونَا عَنِ النَّظَرِ الْبَكَاءِ وَعَنْ لَذَّةِ التَّوَدُّيعِ خَوْفُ التَّفَرُّقِ

وقوله [في «المكبري» ٣٤١/٢٠ من الطويل] :

هُوَ الْبَيْنُ حَتَّى مَا تَأْتِي الْحَزَائِقُ وَيَا قَلْبُ حَتَّى أَنْتَ مِمَّنْ أَفَارِقُ^(٢)
وَقَفْنَا وَمِمَّا زَادَ بَنَاءُ وَقُوفُنَا فَرِيقِي هَوَى: مِنَّا مَشُوقٌ وَشَاقِقُ

وقوله [في «المكبري» ٢٢٢-٢٢١/٣٠ من الزافر] :

بَقَايِي شَاءَ لَيْسَ هُمْ أَرْتَحَالًا وَحُسْنُ الصَّبْرِ زَمُّوا لَا الْجَمَالَ
تَوَلَّوْا بَعْتَةً فَكَأَنَّ بَيْنَنَا تَهَيَّيْنِي فَفَاجَأَنِي أَغْتِيَالًا
كَأَنَّ الْعَيْسَ كَانَتْ فَوْقَ جَفْنِي مُتَبَاخَاتٍ فَلَمَّا تُرِنَ سَالًا

وقوله [في «المكبري» ٢٣٤/٣٠ من الكامل] :

جَدَقَ الْحِسَانُ مِنَ الْغَوَائِي هِجْنَ لِي يَوْمَ الْفِرَاقِ صَبَابَةً وَغَلِيلًا^(٣)

(١) العينُ الشكرى : الممتلئة بالدمع . المَاقُ : طرفُ العينِ ممَّا يلي الأنفَ وهو مخرجُ الدمعِ مِنَ العينِ .

(٢) تَأْتِي : تَهَلَّلَ وَتَرَفَّقَ . الْحَزَائِقُ : الجماعةُ مِنَ الناسِ .

(٣) الغليلُ والغُلَّةُ : شدَّةُ العطشِ وحرارتهُ .

وقوله [في «المكبري» ٤٠/٢٢٠ من البسيط] :

قَدْ عَلِمَ الْبَيْنُ مِنَّا الْبَيْنَ أَجْفَانَا تَذَمَّى وَأَلَفَ فِي ذَا الْقَلْبِ أَخْرَانَا

وقوله [في «المكبري» ٤٠/١٩٦ من الكامل] :

بُنَا فَلَوْ حَلَيْتُنَا لَمْ تَذَرِ مَا أَلْوَانُنَا مِمَّا امْتَقَعْنَا تَلَوْنَا^(١)
أَفْدِي الْمَوَدَّةَ الَّتِي اتَّبَعْتُهَا نَظَرًا فُرَادَى بَيْنَ زَفَرَاتِ ثُنَا

وقوله [في «المكبري» ١٠/٣٤٢ من المقارب] :

فَوَاحِشَرْنَا مَا أَمَرَ الْفِرَاقَ وَأَغْلَقَ نِيرَانَهُ بِالْكُبُودِ

ويعجبني قول بعضهم في شكوى الفراق [من الخفيف] :

إِنَّ يَوْمَ الْوَدَاعِ قَطَعَ قَلْبِي قَطَعَ اللَّهُ قَلْبَ يَوْمِ الْوَدَاعِ

وقول الآخر [من الكامل] :

وَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّهُمْ نَذَرُوا دَمِي أَوْلِي دَمِ يَوْمِ الْفِرَاقِ يُرَاقِ؟!

وقول ابن الفارض [في «ديوانه» ١٥٢ من الكامل] :

وَبِمَا جَرَى فِي مَوْقِفِ التَّوَدُّعِ مِنْ أَلَمِ التَّوَيَّ شَاهَدْتُ هَؤُلَ الْمَوْقِفِ

وقول ابن عبد ربّه [في «ديوانه» ١٤٠ من الخفيف] :

وَدَعَنْتَنِي بِزَفَرَةٍ وَأَعْتِنَاقِ ثُمَّ قَالَتْ مَتَى يَكُونُ التَّلَاقِ؟
إِنَّ يَوْمَ الْفِرَاقِ أَفْطَعُ يَوْمَ لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ يَوْمِ الْفِرَاقِ

(١) حَلَيْتُنَا: وصفتنا. امْتَقَعَ: تَغَيَّرَ لَوْنُهُ مِنْ حُزْنٍ أَوْ فَرَحٍ أَوْ حَيَاءٍ. وفي «الديوان» :

(بُنَا) بدل (بُنَا)، و(اُمْتَقَعْنَا) بدل (اُمْتَقَعْنَا). ومعنى البيت: تفرقتنا، فليعظم ما

نالنا من ألم الفراق، لو أردت أن تصفنا.. ما قدرت؛ لتغيّر أوصافنا، فكنت لا

تدري بأي لون تصفنا.

وَمِنْ أَرْقٍ مَا فِيهِ ، وَأَبْعَثِهِ لِلْأَشْجَانِ ، وَتَحْرِيكِهِ لِلْبَلَابِلِ : قَوْلُ تَوْدِيْعِ ابْنِ اللَّبَانَةِ
لِلْمُعْتَمِدِ بْنِ عَبَّادٍ ، وَهُوَ [مَنْ الْبَسِيطُ] :

يَبْكِي السَّمَاءُ بِدَمْعٍ رَانِحٍ غَادِيٍّ عَلَى الْبَهَائِلِ مِنْ أَبْنَاءِ عَبَادٍ
عَلَى الْجِبَالِ الَّتِي مُدَّتْ قَوَاعِدُهَا وَكَانَتْ الْأَرْضُ مِنْهُمْ ذَاتَ أَوْتَادٍ
عَرِيْسَةٌ دَخَلَتْهَا النَّائِبَاتُ عَلَى أَسَاوِدٍ مِنْهُمْ فِيهَا وَأَسَادٍ^(١)
وَكَعْبَةٌ كَانَتْ أَلَمَالُ تَخْدِمُهَا وَالْيَوْمَ لَا عَاكِفَ فِيهَا وَلَا بَادِيٍّ
يَا ضَيْفُ أَفْقَرِ بَيْتِ الْمَكْرُمَاتِ فَخُذْ فِي ضَمِّ شَمْلِكَ وَأَجْمَعْ فَضْلَةَ الزَّادِ
لَمَّا دَنَا الْوَقْتُ لَمْ تُخْلَفْ لَهُ عِدَّةٌ وَكُلُّ شَيْءٍ بِمِيقَاتٍ وَمِيعَادٍ
إِنْ يُغْلَبُوا فَبُزِيَ الْعَبَاسُ قَدْ غُلِبُوا وَقَدْ خَلَتْ قَبْلَ حِنَصِ أَرْضِ بَغْدَادِ
نُسِيتُ إِلَّا غَدَاةَ النَّهْرِ يَوْمَ غَدَا فِي الْمُنَشَّاتِ كَأَمْوَاتٍ بِالْحَادِ
وَالنَّاسُ قَدْ مَلُؤُوا الْعَبْرَيْنِ وَأَعْتَبَرُوا وَأَرْسَلُوا الدَّمَعَ حَتَّى فَاضَ فِي الْوَادِي^(٢)
حَانَ الْوَدَاعُ فَضَجَّتْ كُلُّ صَارِخَةٍ وَصَارِيحٍ مِنْ مُقَدَّاتٍ وَمِنْ قَادِيٍّ
سَارَتْ سَفَائِنُهُمْ وَالنَّوْحُ يَنْبُعُهَا كَأَنَّهَا إِبِلٌ يَخْدُو بِهَا الْحَادِي
كَمْ سَالَ فِي النَّمَاءِ مِنْ دَمْعٍ وَكَمْ حَمَلَتْ تِلْكَ الْقَطَائِعُ مِنْ أَفْلَازٍ أَكْبَادِ

وَفِي وَصْفِ ذَلِكَ الْيَوْمِ بَعِيْنُهُ يَقُولُ أَبُو حَمْدٍ نِسَ [فِي « دِيْوَانِهِ » ٢٦٩ مِنْ

الطَّوِيلِ] :

وَلَمَّا رَحَلْتُمْ بِالنَّدَى فِي أَكْفُكُمْ وَقَلْقَلِ رَضْوَى مِنْكُمْ وَثَبِيرَ^(٣)

(١) العَرِيْسَةُ : مَاوَى الْأَسَدِ .

(٢) الْعَبْرَيْنِ : طَرَفَا النَّهْرِ .

(٣) قَلْقَلِ : اضْطَرْبَ . رَضْوَى : اسْمُ جَبَلٍ بِهَا (الْمَدِينَةُ) ، وَثَبِيرُ : اسْمُ جَبَلٍ بَيْنَ

(مَكَّةَ) وَ(مَنَى) ، وَمِنْهُ قِيلَ : أَشْرَقَ ثَبِيرٌ كَمَا نَغِيرُ .

رَفَعْتُ لِسَانِي بِالْقِيَامَةِ قَدْ دَنَتْ فَهَلْدِي الْجِبَالُ الرَّاسِيَاتِ تَسِيرُ

وقد نظر فيه إلى قول ابن المعتز في رثاء ابن الفرات [في «ديوانه»

٣٢٦ من السريع] :

هَذَا أَبُو الْعَبَّاسِ فِي نَعْسِهِ قَوْمُوا أَنْظَرُوا كَيْفَ تَسِيرُ الْجِبَالُ

وَأَغَارَ عَلَيْهِ النَّاظِمُ فِي قَوْلِهِ [في «المكبري» ١٢٩/٢٠ من الكامل] :

مَا كُنْتُ أَمْلُ قَبْلَ نَعْسِكَ أَنْ أَرَى رَضَوَى عَلَى أَيْدِي الرِّجَالِ تَسِيرُ

ابن دراج وزوجه ومن الذي لا تهيج أشجائه ، ولا تضطرب أحزانه ، ولا تضطرب

نيرائه عندما يسمع قول ابن دراج ، وقد عزم على المسير ، وخفقه

وزوجه الشهيق والزفير [في «ديوانه» ٢٥٠ من الطويل] :

تُرَاجِعُنِي عَهْدَ الْمَوَدَّةِ وَالْهَوَىٰ وَفِي الْمَهْدِ مَبْعُومُ النَّدَاءِ صَغِيرٌ^(١)

عَيْي بِمَرْجُوعِ الْخِطَابِ وَإِنَّ بِمَوْقِعِ أَهْوَاءِ [النُّفُوسِ] خَبِيرٌ

الله ذلك يا ابن زريق وقول ابن زريق [البغدادى في «ديوانه» من البسيط] :

وَكَمْ تَشَبَّهْتُ بِبَنِي يَوْمِ الرَّجُلِ ضَحَى وَأَذْمَعِي مُسْتَهْلَاتٌ وَأَذْمَعُهُ

وَكَمْ تَشَقَّعَ بَنِي أَلَا أَفَارِقُهُ وَلِلضَّرُورَاتِ حَالٌ مَا يُشْفَعُهُ

ولا نبخس الشيخ البرعي حقه من الرقة والعذوبة في أمثال قوله

[في «ديوانه» ١١١ من الكامل] :

يَأْبِي مَوَدَّعَةً تَخَافَتْ صَوْتَهَا خَوْفَ الرَّقِيبِ وَعَيْنُهَا تَمَلَّأَتْ

قَالَتْ: تَوَدَّعْنَا، فَقُلْتُ لَهَا: نَعَمْ قَالَتْ: فَتَسَانَا، فَقُلْتُ لَهَا: لَا

(١) البَعْمُ : الصوتُ الرخيمُ .

وقال شيخنا العلامة أبو بكر بن شهاب من قصيدة تخلص فيها

إلى مدح جدي المحسن [من الوافر] :

ولم أنس الوداع وما جرى لي غداة البين إذ عزّ المقام
بكت خوف النوى وبكى قهراً دماً فيها وبني لعب الغرام
بكت إلي شكواها فأشكو إليها والدموع لها أنسجام
وقالت لي: أنزع عن قريب؟ فقلت: نعم وللدهر اختكام

وكم لي فيه من مثير غرام ، ومدحج ضرار ، منه قولي لفي ديوان قصيدة للمؤلف في

الموضع

المؤلف ٥٢٥ من الطويل :

تذكرت شوقي الحمى منبت الأثل وما أصعب الذكرى على ذي الؤفا مثلي^(١)
مشارف ما فيها للعين منظر يزوق سوى شيء من السدر والنخل
فما زرعها زالك ولا ثم قاطن بها غير شاك فلة الأمن والعذل
ولكن فيها نشأتني ولادتي وخلفت فيها صبيتي وبها أهلي
فما في بلاد الله أرض كمثلها لدي على تلك المخاوف والأزل^(٢)
ولم أنس في يوم الوداع موقفاً لواعجها في القلب أشوى من البكل
تراجعتني فيها الهوى أم شادين وأجفانها تجري وأشجانها تغلي^(٣)
وتلوني بليتها مخافة طفلة ترى ما بها من حسرة البين أو طفل
تصل لإيها الأظفار تارة وتقبل أحياناً بفوارتي ونيل^(٤)

(١) الأثل : نوع من أجود الشجر .

(٢) الأزل : الضيق والشدة .

(٣) الشادين : من أولاد الظباء الذي قوي وطلع قرناه وأستغنى عن أمه .

(٤) فوارتا الويل : المراد بهما العيون الدائمة .

وَيَمْنَعُهَا سَوْقَ الْمَقَالِ نَشِينُهَا سِوَى كَلِمَاتٍ سَاقَطَتْهَا عَلَى رَسْلِ
تَقُولُ إِلَى أَتَيْنَ الشَّرَى بَعْدَمَا تَرَى فَلَيْسَ لَنَا ذَرْعٌ عَلَى فُرْقَةِ الشَّغْلِ
فَقُلْتُ : قَرِينَا تَنْطَوِي شُقَّةَ النَّوَى وَيُعْقِبُهَا مِنْ فَضْلِهِ اللَّهُ بِالْوَصْلِ

الخلاص في شأن ثُمَّ إِنَّ الْأَدْبَاءَ عَلَى اخْتِلَافٍ فِي شَأْنِ التَّوْدِيْعِ :

فَمِنْهُمْ : مَنْ أَحَبَّهُ لِتَقْرِيْبِهِ مِنَ الْعِنَاقِ وَالْإِتِّصَالِ ، كَمَا قَالَ النَّازِمُ
١- عصفور باليد أفضل [في «المكبري» ٢٠/٢ من الطويل] :
مَنْ عَشَرَ عَلَى الشَّجَرِ

وَمَنْ لِي يَبْزُمَ مِثْلَ يَوْمِ كَرِهْتُهُ قَرُبْتُ بِهِ عِنْدَ الْوَدَاعِ مِنَ الْبُعْدِ

وقال الأندلسي [إبراهيم الحجاري في «نفع الطيب» ١١/٣ من الطويل] :

لَيْنَ كَرِهُوا يَوْمَ الْوَدَاعِ فَإِنِّي أَهَيْمُ بِهِ وَجْداً لِأَجْلِ عِنَاقِهِ
أَصَافُحُ مَنْ أَهْوَاهُ غَيْرَ مُرَاقِبٍ وَسِرُّ الْتَّلَاقِ مَوْدَعٌ فِي فِرَاقِهِ
وَأَنْشَدَ الْمَبْرُودُ [مَنْ الْخَفِيفُ] :

مُتَعَا بِالْفِرَاقِ يَوْمَ الْفِرَاقِ مُسْتَجِيرَيْنِ بِالْبَيْكَا وَالْعِنَاقِ
وَأَظْلَلُ الْفِرَاقُ فَالْتَقَيَْا فِيهِ هـ فِرَاقُ أَتَاهُمَا بِاتِّفَاقِ
كَيْفَ أَدْعُو عَلَى الْفِرَاقِ بِحَتْفٍ وَغَدَاةَ الْفِرَاقِ كَانَ الْتَّلَاقِ
وهي أبياتٌ باردةٌ متكلفَةٌ .

٢- دره المفاسد مقدم وَمِنْهُمْ : مَنْ كَرِهَهُ لِإِفْضَائِهِ إِلَى الْإِحْتِرَاقِ ، وَمِبلغِ الرُّوحِ
على جلب المصالح التَّرَاقِ ، وَبَسْطُ مَا فِيهِ يُفْضِي إِلَى الْإِمْلَالِ ، فَلَنَدْعُهُ إِلَى فُرْصَةٍ أُخْرَى .

المحب شقي على كل وَقَالَ الْحَمَاسِيُّ [في «ديوان الحماسة» ١٢٤/٢ من الوافر] :

وَمَا فِي الْأَرْضِ أَشَقُّ مِنْ مُحِبٍّ وَإِنْ وَجَدَ الْهَوَى حُلُوَ الْمَذَاقِ
تَرَاهُ بِأَكْيَا فِي كُلِّ وَقْتٍ مَخَافَةَ فُرْقَةٍ أَوْ لَاشْتِيَاقِ

الأحوال

يَبْكِي إِنْ نَأَوْا شَوْقًا إِلَيْهِمْ وَيَبْكِي إِنْ دَنَا خَوْفَ الْفِرَاقِ

وقد نظر إليه الناظم في قوله [في] «المكبري» ٢٦٦/٣ من المنسرح :

وَاحْرَبَا مِنْكَ يَا جَدَايَتَهَا مُقِيمَةً فَأَعْلِمْنِي وَمُرْتَحِلَةً^(١)

وقوله [في] «المكبري» ٣٠٤/٢ من الطويل :

وَيَيْنُ الرُّضَا وَالشُّحْطِ وَالْقُرْبِ وَالنَّوَى مَجَالٌ لِلدَّمْعِ الْعَاشِقِ الْمُرْتَقِرِ^(٢)

ويعجبي قول بعضهم [من الطويل] :

حَبِيبِي غَدَا لَا شَكَّ فِيهِ مُودَعٌ فَأَلَّهِ مَا أَدْرِي بِهِ كَيْفَ أَصْنَعُ
فَيَا يَوْمَ لَا أَذْبَرْتَ هَلْ لَكَ مَخْبَسٌ وَيَا غَدُ لَا أَقْبَلْتَ هَلْ لَكَ مُدْفِعُ ؟
إِذَا لَمْ أَشِيعْهُ تَقَطَّعْتُ حَسْرَةً وَوَكَيدًا إِنْ كُنْتُ مِمَّنْ يُشِيعُ

وقال الناظم [في] «المكبري» ١٤٨/٤ من الوافر :

وَفَارَقْتُ الْحَبِيبَ بِلَا وَدَاعٍ وَوَدَّعْتُ الْبِلَادَ بِلَا سَلَامٍ

وقال مهيأراً [من الكامل] :

صَلَبُ الْخَصَاةِ يُنْزَرُ غَيْرَ مُرَوِّدٍ مِنْ أَهْلِهِ وَيَسِيرُ غَيْرَ مُودَعٍ

وأما الاقتناع باليسير من المحبوب : فإنه كثير في الأشعار ؛ منه الاقتناع باليسير من

المحبيب عند الشعراء

قول الناظم [في] «المكبري» ٣/٣ من الوافر :

- (١) الْحَرْبُ : الهلاك . الْجَدَايَةُ - بفتح الجيم وكسر هاء - : الذكور والأنثى من أولاد
الطَّيَّاء . والمعنى : أنه يندب حظه من ظبية هذه الدار ؛ لأنها إذا أقامت منعته
من الوصول إليها ، والسفر حائل بينه وبينها ، قاربها وبعدها سبيل .
(٢) المترقري : الذي يجول في العين ولا ينحدر . وفي «الديوان» : (الْمُقْلَّةُ) بدل
(الْعَاشِقِ) .

وَجُودَكَ بِالْمُقَامِ وَلَوْ قَلِيلاً فَمَا فِيمَا تَجُودُ بِهِ قَلِيلٌ^(١)

وقوله [في «المكبري» ١٣٤/٢ من الكامل] :

وَقَنَعْتُ بِالْأَلْفِ وَأَوَّلِ نَظَرَةٍ إِنَّ الْقَلِيلَ مِنَ الْحَنِيبِ كَثِيرٌ

وقال ابن الطَّيِّرِ [في «ديوانه» ٩٧ من الطويل] :

أَلَيْسَ قَلِيلاً نَظَرَةٌ إِنْ نَظَرْتُهَا إِلَيْكَ ؟ وَكَلَّا لَيْسَ مِنْكَ قَلِيلٌ

وقال ابن أبي ربيعة [في «ديوانه» ٢٧٥ من الخفيف] :

لَيْتَ حَظِّي كَطَرْفَةِ الْعَيْنِ مِنْهَا وَكَثِيرٌ مِنْهَا الْقَلِيلُ الْمُهَنَّا
أَوْ حَدِيثٍ عَلَى خَلَاءٍ يُسَلِّي مَا يُجَنِّي الْفُؤَادَ مِنْهَا وَمِنَّا
كَبُرَتْ رَبِّ نِعْمَةٍ مِنْكَ يَوْمًا أَنْ أَرَاهَا قَبْلَ الْمَمَاتِ وَمِنَّا

وقال ذو الرُّمَّةِ [في «ديوانه» ٩١٣/٢ من الطويل] :

فَإِنْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا تَعَلُّلُ سَاعَةٍ قَلِيلاً فَإِنِّي نَافِعٌ لِي قَلِيلُهَا

وقال ابن مُطَيْرٍ [في «ديوانه» ٥٤ من الطويل] :

كَلَامُكَ - يَا سَلَمَى - وَإِنْ قَلَّ نَافِعِي فَلَا تَحْسَبِي أَنِّي وَإِنْ قَلَّ حَاقِرُهُ

وقال إسحاق الموصلي [في «معجم الأدباء» ٤٠/٦ من الخفيف] :

إِنَّ مَا قَلَّ مِنْكَ يَكْثُرُ عِنْدِي وَكَثِيرٌ مِمَّنْ تُحِبُّ قَلِيلٌ

وقال أبو نصر الميكالي [من الرافعي] :

قَلِيلٌ مِنْكَ يَكْفِينَنِي وَلَكِنْ قَلِيلُكَ لَا يَقَالُ لَهُ قَلِيلٌ

(١) أي: وجُودُكَ.

وقد تنوّق^(١) فيه سلطانُ العاشقين ، فقال [في «ديوانه» ٤٧ من واجمله: عند سلطان العاشقين

[الطويل]:

وَمِنِّي عَلَى سَمْعِي بِ(لَنْ) إِنْ مَنَعْتَ أَنْ أَرَاكَ فَمِنْ قَلْبِي لِعَبْرِي لَذْتُ^(٢)

وقال [في «ديوانه» ١٥٧ من الخفيف]:

ذَابَ قَلْبِي فَأُذِنَ لَهُ يَتَمَّنَّا لَكَ وَفِيهِ بَقِيَّةُ لِرَجَاكَ
وَإِذَا لَمْ تُنْعِشْ بِرُوحِ التَّمَنِّي رَمَقِي وَأَقْتَضَى فَنَائِي بِقَاكَ
أَبْقِ لِي مُهْجَةً لَعَلِّي يَوْمًا قَبْلَ مَوْتِي أَرَى بِهَا مِنْ رَاكَ
أَوْ مِرِ الْغَمَضِ أَنْ يَمُرَّ بِحَفْنِي فَكَأَنِّي بِهِ مُطِيعًا عَصَاكَ^(٣)

وقال [في «ديوانه» ٥٦ من الطويل]:

وَلَبِئْسَ مِنْكَ كَافٍ إِنْ هَدَرْتَ دَمِي وَلَمْ أُعِدَّ شَهِيدًا عَلِمَ دَاعِي مَيِّتِي

وفي ترجمة الرُّوذباري المتوفى سنة: (٣٢٠ هـ) من «طبقات الروذباري والشاب الطريح ابن السبكي» [٤٩/٣]: أَنَّهُ مَرَّ بِشَابٍّ طَرِيحٍ فَقَالُوا: إِنَّهُ أَجْتَازَ بِهِذَا الْقَصْرِ وَجَارِيَةً تَغْنِي وَتَقُولُ [من مجزوء الرَّمْل]:

كَبُرَتْ هَمًّا عَبْدٌ طَمِعَتْ فِي أَنْ تَرَكََا
أَوْ مَا يَكْفِي لِعَيْنِي أَنْ تَرَى مَنْ قَدْ رَاكََا

(١) تنوّق فلان في أموره: إذا تجوّد وبالغ وأحكم.

(٢) للبيت نكتة لطيفة: وهي أن ابن الفارض طلب منها أن تقول له: لن تراني؛ لأن هذا فيه وعد بأن يراها في المستقبل، حيث إن النفي بـ (لن) يفيد النفي في الحال فقط، وعكسه رأي المعتزلة: فإنها تفيد عندهم النفي على التأبيد. وهو مذهب باطل، والله أعلم.

(٣) الْغَمَضُ: التَّوَمُّ.

وَمِنْ أَلْغَايَاتٍ فِي هَذَا الْبَابِ قَوْلُ ابْنِ الدُّمَيْنَةِ [في «ديوانه» مر
الطويل] :

رَضِيتُ بِسَعْيِ الْوَهْمِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي الْوَضَلِ مِنْهُ نَصِيبُ
وَقَالَ آخَرُ [مَنْ الطويل] :

قَفِي نَوَلْنِي نَظْرَةً إِنْ نَظَرْتُهَا إِلَى الْخَوْلِ تَكْفِينِي عَنِ الْمَاءِ وَالزَّادِ
وهو مثل قول الناظم [في «المكبري» ٧/٢ من الخفيف] :

هَذِهِ النَّظْرَةُ الَّتِي نَالَهَا مِنْكَ إِلَى مِثْلِهَا مِنْ الْخَوْلِ زَادُهُ

امرأة في الطواف وقال بعضهم [كما في «المستطرف» ٤٤٢/١] : رَأَيْتُ أَمْرَأَةً مُسْتَقْبِلَةً
البيت في الموسم ، وهي على غاية من النحافة والضرب ، رافعة يديها
تدعو ، فقلتُ لها : هل لك من حاجة ؟ قالت : حاجتي أَنْ تُنادي
في الموقفِ بقولي [من الخفيف] :

تَزَوَّدَ كُلُّ النَّاسِ زَادًا يُقِيمُهُمْ وَمَالِي زَادٌ وَالسَّلَامُ عَلَى نَفْسِي
ففعلتُ ، فَإِذَا أَنَا بَفْتَى مِنْهُوَ الْقَوَى ، يقولُ : أَنَا وَاللَّهِ الزَّادُ ،
فمضيتُ بِهِ إِلَيْهَا ، فَمَا زَادُوا عَلَى النَّظَرِ وَالتَّبَاكِي ، ثُمَّ قَالَتْ لَهُ :
أَنْصَرِفْ مُصَاحِبًا ، فَقُلْتُ : مَا عَلِمْتُ أَنَّ الْتِقَاءَ كَمَا يَكُونُ قَاصِرًا عَلَى
هَذَا ، فَقَالَتْ : أَمْسِكْ يَا فَتَى ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ رُكُوبَ الْعَارِ وَدُخُولَ
النَّارِ شَدِيدٌ ؟ !

وَقَالَ بَعْضُهُمْ [مَنْ الطويل] :

أَقْلَبُ طَرَفِي فِي السَّمَاءِ تَرَدُّدًا لَعَلِّي أَرَى النَّجْمَ الَّذِي أَنْتَ تَنْظُرُ

أَشْتَعِرُ الرُّكْبَانَ مِنْ كُلِّ وَجْهَةٍ لَعَلِّي يَمَنُ قَدْ شَمَّ عَرَفَكَ أَظْفَرُ^(١)
وَأَسْتَقْبِلُ الْأَزْوَاحَ عِنْدَ هُبُوبِهَا لَعَلَّ نَسِيمَ الرِّيحِ عَنْكَ يُخَبِّرُ

وقال كثير عزة [في «ديوانه» ٤١٩ من الطويل] :

وَإِنِّي لَأَرْضِي مِنْكَ يَا عَزَّ بِالَّذِي لَوْ أَبْصَرَهُ الْوَاشِي لَقَرَّتْ بِلَابِلُهُ^(٢)
بَلَا ، وَإِنَّا لَا أَسْتَطِيعُ ، وَبِالْمَنَى وَبِالْوَعْدِ ، وَالْتَسْوِيفِ قَدْ مَلَّ أَمَلُهُ
وَبِالنَّظَرَةِ الْعُجْلَى ، وَبِالْحَوْلِ يَنْقُضِي أَوَاخِرُهُ مَا نَلْتَقِي وَأَوَائِلُهُ

وقال جحدرد [في «خزانة الأدب» ٢٠٩/١١ من الوافر] :

الْيَسَّ اللَّيْلُ يَجْمَعُ أُمَّ عَمْرٍو وَإِنَّا فَذَاكَ بِنَا تَدَانِي ؟
نَعَمْ ، وَارَى الْهَلَالَ كَمَا تَرَاهُ وَيَعْلُوهَا الْتَهَارُ كَمَا عَلَانِي

ويأتي ما يتعلق به عند شرح قوله [في «المكبري» ١٦٤/٣ من البسيط] :

يَجُئُ شَوْقًا فَلَوْلَا أَنَّ رَائِحَةَ تَزُورُهُ مِنْ رِيَّاحِ الشَّرْقِ مَا عَقَلَا

من المجلس السابع .

وعند قوله [في «المكبري» ٣١٩/١ من الخفيف] :

أَيُّ يَوْمٍ سَرَرْتَني بِوِصَالٍ لَمْ تَرْغِبِي ثَلَاثَةَ بِصُدُودٍ

أواخر المجلس التاسع .

* * *

(١) العَرَفُ : الريح ، طيبة كانت أو خبيثة ، يُقَالُ : مَا أَطْيَبَ عَرْفُهُ .

(٢) الْوَاشِي : الثَّمَامُ . الْبِلَابِلُ : شدة الهم والوسواس في الصدور .

[قال أبو الطيب المتنبي في «المكبري» ٢٩٧/١ من المنسرح]:

بَأْتُوا بِخُرْعُوْبَةٍ لَهَا كَفْلٌ يَكَادُ عِنْدَ الْقِيَامِ يُفْعِدُهَا^(١)

المراة ممدوحة بكبر المعجزة
يقول : ذهبوا بشاببة بضعة^(٢) لها كفل ، يكاد يقعدوها ما عليه من كثرة اللحم ، وهذا أيضا يؤيد الاحتمال الثاني ، وهو : وصفهم تكرار المعنى عند حال الارتحال ، والمرأة ممدوحة بكبر المعجزة ، وقد تكرّر عنده ، فمئة قوله [في «المكبري» ٢١٠/٣ من المنسرح] :

يَجْذِبُهَا تَحْتَ خَضِرِهَا عَجْزٌ كَأَنَّهُ مِنْ فِرَاقِهَا وَجِلٌ

وقوله [في «المكبري» ٢٣٤/٣ من الكامل] :

تَشْكُرُ رَوَادِفِكَ الْمَطِيئَةَ فَرَقَهَا شَكْوَى الْيَنِيِّ وَجَدَتْ هَوَاكِ دَخِيلاً^(٣)

وقوله [في «المكبري» ١١٧/٢ من البسيط] :

أَعَارَنِي سَقَمَ جَفْنَيْهِ وَحَمَلَنِي مِنْ الْهَوَى ثِقْلَ مَا تَخَوِي مَازِرُهُ

جزء من حديث أم زرع وفي حديث أم زرع : (عُكُومُهَا رَدَاخٌ)^(٤) ، وقد فسره

(١) الخُرْعُوْبَةُ : الشَّابَّةُ الحَسَنَةُ الجَسِيمَةُ فِي قَوَامٍ ، وقال اللَّخْيَانِيُّ : هي الرَّقِيقَةُ

العظم ، الكثيرة اللحم ، الناعمة .

(٢) البَضَّةُ ، يقال : امرأة باضة وبضّة كثيرة اللحم .

(٣) الرَوَادِفُ - مفردة الرَّدْف - : وهو الكَفْلُ والعَجْزُ ؛ لِأَنَّهُ يَرْدُفُ الْإِنْسَانَ وَيَكُونُ خَلْفَهُ .

(٤) أخرجه عن عائشة البخاري (٥١٨٩) في النكاح .

بعضهم : بانتفاج العجيزة^(١) ، وفيه أيضاً : (فَوَجَدَ أَمْرًا لَهَا أَبْنَانِ
مِثْلَ الصَّقْرَيْنِ يَلْعَبَانِ مِنْ تَحْتِ خَضِرِهَا بِرُمَاتَيْنِ)^(٢) ، وقد قيل : إنَّ
المرادَ بالرمَّانِ الحقيقة ، وأنَّهما يلعبانِ بهما ، فلا يمسَّانِ ظهرها ؛
لارتفاعه بعظم المآكم .

وكانت هندُ ابنة عتبة مَضْرِبَ المثلِ في ذلك ، حتَّى لقد جوعل^(٣) حلم معاوية رضي الله
بعضهم على أن يذكرها لمعاوية ، فضرب على عجزته وهو يصلي ،
وقال : ما أشبهها بعجيزة أمك ، فلما سلَّم . قال له : ما لك
ولها ؟ إنَّما كان يليها أبو سفيان . وحمله مع ذلك ، وكساه ، ولكن
والله أعلم بصحة ذلك جميعه - دسَّ مَنْ يَحْمِلُهُ على التحرش
بزياد ؛ ليشيط بدمه ، فذهب إلى (العراق) ، وسأل زياداً عن أمِّه ،
وهو يخطب ، فقال له : يخبرك عنها هذا ، وأشار إلى شرطي ،
ذهب به ، وأحترق الذي فيه عيناه .

وبهذه ذكرت ما رواه غير واحد : أنَّ رجلاً جاء إلى الأحنف بن
قيس ، فلطم وجهه ، فقال : ما شأنك يا ابن أخي ؟ وما دعاك إلى
هذا ؟ قال : أليت أن أطمم سيّد العرب من بني تميم . قال : لم
تبرِّ يمينك ؛ فما أنا بسيّدها ، إنَّما ذلك حارثة بن قدامة ، فذهب
الرجل ، فلطم حارثة ، فقام إليه حارثة بالسيف ، فقطع يمينه ، فبلغ
الأحنف ، فقال : أنا - والله - قطعته^(٤) .

- (١) يقال امرأة تُفج : إذا كانت ضخمة الأرداف والمآكم .
- (٢) طرف من حديث عائشة السالف .
- (٣) جوعل : أي أعطي جعلاً ، وهو المال المؤدَّى للإنسان ليفعل شيئاً .
- (٤) القصة في « المستطرف » (٢٠٢ / ٢) .

السبب في كون كبير
العجيزة مدحاً

وَأَرَادَ مَعَاوِيَةَ أَنْ يَعْثَبَ بِإِحْدَى فَضْلِيَّاتِ الْعَرَبِ ، وَعَيَّرَهَا بِثَدْيِهَا
وَكَفَّلَهَا ، فَقَالَتْ : إِنَّمَا كَانَ يُضْرَبُ الْمَثَلُ فِي كِبَرِ هَذَيْنِ بِأُمَّكَ ،
فَقَالَ لَهَا : إِنَّا لَمْ نَقُلْ لَكَ إِلَّا خَيْرًا^(١) !! إِذَا كَبُرَ ثَدْيِي الْمَرْأَةِ .. رُوي
وَلَدُهَا ، وَأَتَّسَعَ صَدْرُهَا ، وَإِذَا أُنْتَفَجَ كَفْلُهَا .. حَسَنَ مَجْلِسُهَا .
قَالَتْ : أَوَذَاكَ !!؟

الثريا وانتفاخ عجزها

وَأَخْرَجَ الْأَصْفَهَانِيُّ بِسَنَدِهِ [كما في «الآغاني» ٢٢٥/١] : أَنَّ الْأَثْرِيَّ
كَانَتْ تُصِيبُ جُرَّةَ مَاءٍ عَلَى بَدَنِهَا ، وَهِيَ قَائِمَةٌ ، فَلَا يُصِيبُ ظَاهِرَ
فَخَذَّيْهَا شَيْءٌ مِنْهُ ؛ لِارْتِفَاعِ عِجْزِهَا .
وَفِيهَا أَوْ فِي عَائِشَةَ بِنْتِ طَلْحَةَ يَقُولُ ابْنُ أَبِي رَيْعَةَ [كما في «الآغاني»
١٣٣/١٧ من الطويل] :

تَنْوُءُ بِأَخْرَاهَا فَلَأْيَا قِيَامُهَا وَتَمْشِي الْهُوَيْنَا عَنْ قَرِيبٍ فَنَبْهَرُ^(٢)
وَيُرَوَّى : أَنَّ زَيْنَبَ ابْنَةَ يَوْسَفَ ، أُخْتَ الْحِجَّاجِ ، نَذَرَتْ أَنْ
تَعْتَمِرَ مَاشِيَةً مِنْ (الطَائِفِ) إِنْ شَفِيَ أَبُوهَا مِنْ شَكْوِ الْكَلْبِ بِهِ ، ثُمَّ لَمْ
تَصِلْ (مَكَّةَ) [إِلَّا] عَلَى شَهْرِ ؛ مِنْ سِمَنِهَا وَأَمْتَلَانِهَا ، وَتَجَادَبَ
أَطْرَافُهَا وَرَوَادِفُهَا ، وَفِي وَجْهِهَا ذَلِكَ يَقُولُ الْكُثْمِيرِيُّ [من الطويل] :
تَضَوَّعَ مِسْكًا بَطْنُ نَعْمَانَ إِنْ مَسَتْ بِهِ زَيْنَبُ فِي نِسْوَةِ خَفَرَاتٍ^(٣)

- (١) أي: كنتا نمرح معك، ولم نتكلم لك الكلام الصحيح بكلامنا ذاك، ولكننا
سنقول لك الحقيقة والخير وهو: أن المرأة إذا كبر ثديها...
- (٢) تنوء: ناءً بحمله: نهض بجهد ومشقة، والمرأة تنوء بها عجيزتها؛ أي:
تثقلها، وهي تنوء بعجيزتها، أي تنهض بها مثقلة. اللَّائِي: بطء القيام.
البُهِرُ: الإغْيَاء.
- (٣) تَضَوَّعَ: فاح. خَفَرَاتٌ: حيَّاتٌ، محفوظاتٌ من الفساد.

وَيَخْرُجْنَ جُنْحَ اللَّيْلِ مُعْتَمِرَاتٍ لَمَّا رَأَتْ رَكْبَ التُّمَيْرِيِّ أَعْرَضَتْ
وَكُنَّ مِنْ أَنْ يَلْقَيْنَهُ حَذِرَاتٍ وفي ذلك خبرٌ طويلٌ .

وممن أشتهر بذلك ضباعةُ ابنةِ عامرِ بنِ صعصعة ، كما وصفها بعضُ الصحابة ، وقد رآها وهو غلامٌ يافعٌ تطوفُ بالبيتِ عُريانةً .
وحديثُ ذلك : أنَّ عبدَ اللهِ بنَ جُدعانَ .. خطبها ، وكانت عند رجلٍ من قُرَيْشٍ ، فخبىها عليه^(١) ، وأشارَ عليها أن تتجنَّ وتطلبَ منه الطلاقَ ، فأجابها على شرطٍ أنَّ لا تتزوَّجَ عبدَ اللهِ بنَ جُدعانَ ، لأنَّ خانت .. فعليها أن تنحرَ مئةَ بَدَنَةٍ ، وتسجَ له ثوباً في طولٍ ما بينَ الأخشين ، وتطوفَ بالبيتِ ضحىً متجرِّدةً عن الكِثَابِ ، فقَبِلَتْ برأيٍ من عبدِ اللهِ بنِ جُدعانَ ، ولَمَّا أنقضتْ عِدَّتُها .. تزوَّجها ، وأعطاهما البُذْنَ ، فنحرت ، ونسجَ لها إِمَاوَةً ثوباً في ذلك الطولِ ، بعثت به لزوجهِ الأولِ ، وطلبَ من قُرَيْشٍ أن تُخَلِّيَ له المطافَ ساعةً من نهارٍ ، فطافَتْ عُريانةً ، ولم يَكُنْ للمسجدِ جدارٌ إذ ذاك . قال الراوي : فكنتُ فيمن بقيَ حولَ الكعبةِ لصغرِ سِنِّي ، فلم أرَ أحسنَ منها مقبلةً ولا مدبرةً ، وإنَّ رَكْبَهَا وكَفَلَهَا لمرتفعانٍ ، تقولُ في طوافها [من الرجز] :

الْيَوْمَ يَبْدُو بَعْضُهُ أَوْ كُلُّهُ أَخْتَمَ مِثْلَ الْعَقَبِ بَادٍ ظِلُّهُ^(٢)

(١) خبيها : أفسدها ، وفي الحديث عن أبي هريرة عند أبي داود (٥١٧٠) ، والحاكم (١٩٦/٢) وصححه : «من خبى على امرئ زوجته أو مملوكه فليس منا» .

(٢) الفرج الأختم : مستفح قصيرُ السَّمَكِ خَتَّاقٌ ضَيِّقٌ ، والشرط الآخر يروى : =

إِنَّمَا قَالَتْ : (بَغْضُهُ) ؛ لَأَنَّهَا سَتَرَتْ يَدَيْهَا [بَعْضُهُ] الْآخَرَ .

ومنهن نائلة الكلية وكانت نائلة الكلية أبنه ألفرافصة ممن تدخل تحت الوصف .

ونقل السيوطي ، عن الأصمعي ، وأبي عمرو ، وغيرهما : أنه الشعراء في هذا أحسن ما قيل في وصف امرأة عجزاء خميصية قول أبي وجزة السعدي الموضوع [من الكامل] :

أَدْمَاءُ فِي وَصَحٍ يَكَاذُ رِدَاؤُهَا يَعْرِى وَيَصْنَعُ مَا أَحَبَّ إِزَارُهَا^(١)

وفي الموضوع يقول عمرو بن كلثوم [في «ديوانه» ٨٠ من الزايف] :

وَمَأْكَمَةٌ يَضِيقُ الْبَابُ عَنْهَا وَكَشَحٌ قَدْ جُنِنْتُ بِهِ جُنُونًا^(٢)

وقال عروة بن الورد^(٣) [من الكامل] :

أَبَتْ الرِّوَادِفُ وَالْثِدْيُ لِقُمْصِهَا مَسَّ الْبُطُونُ وَأَنْ تَمَسَّ ظُهُورًا

وقال النابغة الذبياني [في «ديوانه» ٢٣٥ من البسيط] :

تَلَوْتُ بَعْدَ أَفْضَالِ الْبُرْدِ مَبْرَزَهَا لَوْنَا عَلَى مِثْلِ دَغِصِ الرَّمْلَةِ الْهَارِي^(٤)

وقال حسان [في «ديوانه» ٢٩ من الكامل] :

وَتَكَادُ تَكْسَلُ أَنْ تَجِيءَ فِرَاشَهَا فِي لَيْنِ خَرْعَبَةٍ وَحُسْنِ قَوَامِ

= وما بدا منه فلا أجله

(١) أدماء : سمراء .

(٢) الكشح : ما بين الخاصرة إلى الصِّلَعِ الخلفي .

(٣) البيت في «ديوان عمر ابن أبي ربيعة» (٤٩٢) .

(٤) تَلَوْتُ : تمشي ببطء لسميتها . الدغص : كثيب من الرمل مجتمع .

وقال هذبة بن الخشرم [في «ديوانه» ١١٧ من الطويل] :

خَرَجْنِ بِأَعْنَانِ الطُّبَاءِ وَأَعْيُنِ الْـ حَجَّادِرِ وَأَزْتَجَّتْ لَهْنُ الْـ رَوَادِفِ^(١)

وقال توبة بن الحمير الخفاجي [في «ديوانه» ٤٢-٤٣ من الطويل] :

أَمُخْتَرِمِي رَبِّبُ الْمُنُونِ وَلَمْ أَزُ كَوَاعِبَ مِنْ هَمْدَانٍ يَنْصُأُ نَحْوُهَا
تَنُوءُ بِأَعْجَازٍ تَقَالِ وَأَسُوقِي خِدَالٍ وَأَقْدَامٍ لَطَافٍ خُصُورُهَا^(٢)

وقال نصيب [من البسيط] :

وَذِي رَوَادِفَ لَا يُلْفَى الْإِزَارُ بِهَا يُلَوَّى وَلَوْ كَانَ سَبْعًا حِينَ يَأْتِرُ

وقال ابن ميادة [في «ديوانه» ١٧١ من الطويل] :

حَرَامِيَّةٌ أَمَّا مَلَاتُ إِزَارِهَا فَوَعْتُ وَأَمَّا خَصْرُهَا فَلَطِيفُ^(٣)

وقال العزجي - وهو عبد الله بن [عمر بن] عمرو بن عثمان بن

عقَّان - [في «ديوانه» ١٥٥-١٥٦ من الطويل] :

أَسْأَلُ عَنْ أَسْمَاءَ فِي السَّجَنِ جَارَهَا لَعَمْرُ أَيْنَهَا إِنْ بَنِي لَمْكَلْفُ
مِنْ أَلْبَيْضِ ، أَمَّا مَا يُوَارِي إِزَارَهَا فَفَعْمُ وَأَمَّا مَا عَلَاهُ فَمَرْهَفُ^(٤)

وقال أبو ذلامه [من الطويل] :

وَقَدْ حَاوَلْتُ نَحْوِي الْقِيَامَ لِحَاجَةٍ فَأَثْقَلَهَا عَنْ ذَلِكَ الْكَفْلُ الْتَهْدُ

(١) الحَجَّادِرُ - جمع الجُؤْدِرِ - وهي البقرة الوحشية ، أو ولد البقرة .

(٢) الْخَدْلُ : هو أمتلاء الساق واستدارتها كأنما طويت طيًا .

(٣) الْحَرَامِيَّةُ : نسبة لبني حَرَام . مَلَاتُ الْإِزَارِ : الموقع الذي يشدُّ عليه الإزار وهو

المعز والكفل . الْوَعْتُ : العسر المرتفع .

(٤) الْفَعْمُ وَالْأَقْعَمُ : الممتلئ ، وقيل : الفائض أمتلاء .

وقال أبو العتاهية [في «ديوانه» ٦١٢ من المتقارب] :

بَدَتْ بَيْنَ حُورٍ قِصَارِ الْخُطَا تَجَاهِدُ بِالْمَشْيِ أَكْفَالَهَا

وقال الحارث بن خالد المخزومي [في «ديوانه» ٦٨ من الكامل] :

غَرْنَانُ سِنَطٌ وَشَاحِهَا قَلَقٌ رَيَّانٌ مِنْ أَرْدَافِهَا الْبِمِزْطُ^(١)

وما أحسن قول القطامي لو أراد النساء [في «ديوانه» ٢٦ من البسيط] :

يَمْنِشِينَ هَوْنًا فَلَا الْأَعْجَازُ خَاذِلَةً وَلَا الصُّدُورُ عَلَى الْأَعْجَازِ تَكْبِلُ^(٢)

مساجلة المؤلف مع رجل من اليمن) وقد نظرت أنا إلى بيت عروة بن الورد السابق في قصيدة ، سببها أنه ورد (حضر موت) رجل يتشاعر من (اليمين) ، فهابة الناس ،

حتى ضمنا وإثاء مجلس أضطررنا فيه للمباراة ، وعينوا البحر والقافية والموضوع ، فجنث في نحو ساعة وربع بأربعين بيتاً . قلت

في (ريم صنعا) منها [في «ديوان المؤلف» ٥٠٦ من الطويل] :

يَسِرْنَ الْهُوَيْنَا عَانَةً بَعْدَ عَانَةٍ قِصَارَ الْخُطَى أَرْدَافُهُنَّ فَيُودُّهَا^(٣)

تَدْخُلُ مِنْ فَرْطِ الْحَيَا فِي رِيَاطِهَا فَتَأْبَى لَهَا أَرْدَافُهَا وَتُهُودُّهَا^(٤)

وجاء هو بأربعة وعشرين بيتاً لا تسفل ولا تعلو ، غير أنها أنعقدت بعده مجالس ندعى فيها إلى المباراة ، ويُقترح البحر

(١) غرنان : جوعان . وشاخ غرنان : لا يملؤه الخصر . المِزْطُ - جمعه

مروط - : وهو كساء من خز أو صوف أو كتان أو غيره يُؤتزَرُ به . والمرأة التي مرطها رَيَّانٌ - أي ممتلئة - كناية عن ضخم روادفها .

(٢) ومراد القطامي النوق .

(٣) العانة : الجماعة ، وأصلها القطعة من حمر الوحش .

(٤) رِيَاطُهَا - جمع رِيْطَةٍ - : وهي الملاءة التي كلها قطعة واحدة ونسج واحد .

والغافية ، وفي كُلِّها يُحِيلُ ، ونقولُ ، وَمَنْ رَنَا بَعِينِ الْمَعْدِلَةِ . .
عَرَفَ أَنِّي أَحْسَنُ الْآتِبَاعِ ، فَكَانَ لِي الْحَقُّ فِي الْأَخْذِ بِخِلَافِ النَّاطِمِ
بِئْسَ أَغَارَ عَلَى بَيْتِ أَبِي الْوَرْدِ ، فَأَعْتُ وَلَمْ يَجِءْ إِلَّا بِالْبَارِدِ النَّاقِصِ
الْقَصِيلِ ، وَذَلِكَ حَيْثُ يَقُولُ ابْنِي « الْمُكَبَّرِيُّ » ٢٥١/٢ :
مَنْ الْوَارِثُ :

تُرْفَعُ ثَوْبُهَا الْأَزْدَافُ عَنْهَا فَيَبْقَى مِنْ وَشَاحِيهَا شُسُوعًا^(١)

وعلى ذكر بيت القطامي أقول : إِنَّهُ مِنْ قَصِيدَةٍ لَهُ جَزَلَةٌ بَدِيعَةٌ ، سؤال عبد الملك بن
يُحْكِي : [كما في « الأغاني » ٢٦/١١ و ٤٩/٢٤] أَنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ
قَالَ لِلْأَخْطَلِ : هَلْ تُحِبُّ أَنَّ لَكَ شِعْرَ أَحَدٍ مِنَ الْعَرَبِ قِيَاضًا
بِشِعْرِكَ ، أَوْ تُحِبُّ أَنَّكَ قَلْتَهُ ؟ قَالَ : لَا وَاللَّهِ ، إِلَّا أَنِّي وَدِدْتُ أَنِّي
قُلْتُ أَيْبَانًا قَالَهَا رَجُلٌ مِنَّا ، كَانَ مَغْدَفَ الْقِنَاعِ^(٢) ، قَلِيلَ السَّمَاعِ ،
قَصِيرَ الذَّرَاعِ ، قَالَ وَمَا هِيَ ؟ فَأَنْشَدَهُ [مِنْ قَوْلِ الْقُطَامِيِّ فِي « دِيْوَانِهِ » ٢٤-٢٣
مِنْ الْبَسِطِ :

إِنَّا مُحَيُّوكَ فَاسْلَمْ أَثِيهَا الطَّلُّ وَإِنْ بَلَيْتَ وَإِنْ طَالَتْ بِكَ الطَّلُّ
لَيْسَ الْجَدِيدُ بِهِ تَبْقَى بَشَاشَتُهُ إِلَّا قَلِيلًا وَلَا ذُو خِلَةٍ يَصِلُ

مِنْهَا [فِي « دِيْوَانِ الْقُطَامِيِّ » ٢٢٥-٢٢٦] :

تَقْشِيرَ رَهْوًا فَلَا الْأَعْجَازُ خَاذِلَةٌ وَلَا الصَّدُورُ عَلَى الْأَعْجَازِ تَكِلُ
يَنْبَغْنَ سَامِيَةَ الْعَيْنَيْنِ تَحْسَبُهَا مَجْنُونَةٌ أَوْ تَرَى مَا لَا تَرَى إِلَّا بِلُ

(١) الْوَشَاحَانِ : قِلَادَتَانِ تَتَوَشَّعُ بِهِمَا الْمَرْأَةُ ، تُرْسَلُ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْجَانِبِ
الْأَيْمَنِ ، وَالْأُخْرَى عَلَى الْإَيْسَرِ . وَالشُّسُوعُ : الْبَعِيدُ .
(٢) أَي : مُرْسَلِ الْقِنَاعِ . أَغْدَفَ عَلَيْهِ سِتْرًا : أَرْسَلَهُ .

وَالنَّاسُ مَنْ يَلْقَى خَيْرًا قَائِلُونَ لَهُ مَا يَشْتَهِي وَلَا أَمَّ الْمُخْطِئِ الْهَبْلُ^(١)
 قَدْ يُذْرِكُ الْمَتَانِي بَعْضَ حَاجَتِهِ وَقَدْ يَكُونُ مَعَ الْمُسْتَعْجِلِ الرَّكْلُ
 ومنها - وهو من حرّ القولِ وخالص المدح - كما في «ديوان القطامي»

: [٢٩-٣٠]

أَهْلُ الْمَدِينَةِ لَا يَخْزُنُكَ حَالُهُمْ إِذَا تَخَطَّاهُ عَبْدُ الْوَاحِدِ الْأَجَلُ
 أَمَّا قُرَيْشٌ فَلَنْ تَلْقَاهُمْ أَبَدًا إِلَّا وَهُمْ خَيْرٌ مَنْ يَخْفَى وَيَتَّعِلُ
 مَنْ صَالِحُوهُ رَأَى فِي عَيْشِهِ سَعَةً وَلَا أَرَى مَنْ أَرَادُوا ضَرَّهُ يَبْلُ^(٢)
 وفيها بيت يشبه فيه الآثار بالكتاب مسه البلل ، نظر فيه إلى قول
 لببيل [في «ديوانه» ٢٩٩ من الكامل] :

وَجَلَّ السَّيُولُ عَنِ الطُّلُولِ كَأَنَّهَا زُبُرٌ تُجَدُّ مُتُونَهَا أَقْلَامُهَا^(٣)
 وإلى قول طرفة [في «ديوانه» ٦٠ من الطويل] :

لِخَوْلَةٍ أَطْلَالَ بِسُرْقَةٍ نَهَمْدُ تَلُوحُ كِبَاقِي الْوُشْمِ فِي ظَاهِرِ الْيَدِ^(٤)
 وكان الشعبي حاضراً ، فقال : إِنَّ لِلْقُطَامِيِّ أَحْسَنَ مِنْهَا ، وأنشد
 قوله [في «ديوانه» ١٠٥ من الكامل] :

طَرَفَتْ جَنْوُبَ رِحَالِنَا مِنْ مُطْرِقٍ مَا كُنْتُ أَحْسَبُهُ قَرِيبَ الْمُعْنِقِ
 حَتَّى أَتَى إِلَى آخِرِهَا ، فتحرّك عبد الملك وأهتز ، وقال : هذا

(١) الْهَبْلُ : الشُّكْل .

(٢) يَبْلُ : يَنْجُو ، ومنه الموثل وهو الملجأ .

(٣) الزُّبُرُ : الكتب .

(٤) بُرُقَةٌ نَهَمْدُ : موضع معروف في بلاد العرب ، وقد ذكره الشعراء .

والله - الشعر، نكلت القطامي أمه، فانكسر الأخطل، وقال
للشعبي: إن لك فتونا في الكلام، وإنما لنا فن واحد، فإن رأيت
الأ تحملي علي أكتاف قومك.. فأدعهم حرصاً^(١)، قال الشعبي:
لا أعرض لك في شيء من الشعر بعد هذا.

وعندي: أن القصيدة التي اختارها الأخطل أجزل وأفضل، إلا تعليق المؤلف على
أن فيها من صريح المدح لبائر قريش ما يثقل هضمه على عبد القصة
الملك، ويسهل غمطه^(٢) على الشعبي، ولا حجة في سكوت
الأخطل ووقوفه بموقف العاجز عن الانفصال؛ لمكان الهيبة،
وإثارة المصانعة، وأتباع مرضي السلطان.

وقول القطامي: (قد يذكرك أمتاني.. الخ)، مأخوذ من قول
عدي بن زيد العبادي [كما في «خزانة الأدب» ٣٥١/١ من السريع]:

قد يذكرك المبطيء من خطه والخير قد يسبق جهد الحرير
وبيت عدي مأخوذ من قول جمانة الجعفي [كما في «خزانة الأدب»
٣٥١/١ من الطويل]:

ومستعجل والمكث أدنى لرشده ولم يذر في استعجاله ما يبادر
وقال ابن الرومي في عكس المعنى [كما في «ديوانه» ١١٤٧/٣ من
البيط]:

عيب الأناة - وإن سرت عواقبها - أن لا خلود وأن ليس ألفتى حبرا

(١) الحرص: الهلاك والفساد. قال تعالى: ﴿حَقَّ تَكْوُنُ حَرْصًا﴾ [يوسف: ٨٥].

(٢) الغمط: الاستحقار.

رواية أخرى للقصة وفي القصّة رواية غير هذه ، وهي : أَنَّ الْقُطَامِيَّ وَرَدَ (دِمَشْقَ) فِي أَيَّامِ الْوَلِيدِ ، فَقِيلَ لَهُ : إِنَّهُ بَخِيلٌ لَا يُعْطِي الشُّعْرَاءَ ، وَقِيلَ بَلْ قَدِمَهَا فِي أَيَّامِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، فَقِيلَ لَهُ : إِنَّ الشُّعْرَ لَا يَنْتَفِقُ عِنْدَهُ ، فَأَمْتَدَحَ عَبْدَ الْوَاحِدِ بْنَ سُلَيْمَانَ بِقَصِيدَتِهِ تِلْكَ ، فَأَعْطَاهُ ثَلَاثِينَ نَاقَةً مَوْقَرَةً بُرّاً وَتَمْرًا وَثِيَاباً ، فَكَانَ ذَلِكَ أَوَّلَ مَا حَرَّكَ مِنَ الْقُطَامِيَّ ، وَرَفَعَ مِنْ ذِكْرِهِ .

رواية أخرى في القصيدة الممتناة و يروى : أَنَّ الْآيَاتِ الَّتِي تَمَنَّاها الْأَخْطَلُ لَيْسَتْ مِنْ تِلْكَ ، وَإِنَّمَا هِيَ قَوْلُهُ [كَمَا فِي « دِيوانِ الْقُطَامِيَّ » ٨ مِنْ الْبَسِيطِ] :

يَقْتُلُنَا بِحَدِيثِ لَيْسَ يَعْلَمُهُ مَنْ يَتَّقِينَ وَلَا مَكْنُونُهُ بَادِي
فَهَنْ يَنْبِذَنَّ مِنْ قَوْلٍ يُصْبِنُ بِهِ مَوَاقِعَ الْمَاءِ مِنْ ذِي الْغَلَّةِ الصَّادِي^(١)
وَإِنَّهَا لَعَرْضَةُ ذَلِكَ نَصَاعَةٍ وَفَصَاحَةٍ وَبُلُوغَ مَرَمَى وَإِصَابَةَ مَحْزٍ ،
وَهِيَ مِنْ قَصِيدَةٍ يَمْدَحُ بِهَا زُفَرُ بْنُ الْحَارِثِ ، وَقَدْ مَنَّ عَلَيْهِ وَأَكْرَمَهُ
يَقُولُ فِيهَا [فِي « دِيوانِ الْقُطَامِيَّ » ٨٨٨٤] :

إِنِّي وَإِنْ كَانَ قَوْمِي لَيْسَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ قَوْمِكَ إِلَّا ضَرْبَةُ الْهَادِي
مُنِّي عَلَيْكَ بِمَا أَسْتَبَقَيْتَ مَعْرِفَتِي وَقَدْ تَعَرَّضَ مِنِّي مَقْتَلُ بَادِي
فَلَنْ أُثْبِتَكَ بِالتَّعْمَاءِ مَشْتَمَةً وَلَنْ أَكْفِيءَ إِصْلَاحِي بِإِفْسَادِ
وَمَا نَسِيتَ مَقَامَ الْوَرْدِ تَجْعَلُهُ بَيْنِي وَبَيْنَ حَفِيفِ الْعَابَةِ الْعَادِي
إِذِ الْفَوَارِسُ مِنْ قَيْسٍ يَشْكَتُهُمْ حَوْلِي شُهُودٌ وَقَوْمِي غَيْرُ شُهَادِ^(٢)

(١) ذُو الْغَلَّةِ الصَّادِي : الْعَطْشَانُ شَدِيدُ الْعَطْشِ .

(٢) الشُّكَّةُ : السِّلَاحُ ، وَقِيلَ : مَا يَلْبَسُ مِنَ السِّلَاحِ .

إِذْ يَغْتَرِثُكَ رِجَالٌ يَسْأَلُونَ دَمِي وَلَوْ أَطَعْتَهُمْ أَتَيْتُمْتَ أَوْلَادِي
 نَفْسِي فِدَاءُ بَيْنِي أُمِّي هُمْ خَلَطُوا يَوْمَ الْعَرُوبَةِ أَوْزَادًا يَا وَرَادُ^(١)
 لِي الْمَجْدِ وَالشَّرَفِ الْعَالِي ذَوِي أَمَلٍ وَفِي الْحَيَاةِ وَفِي الْأَمْوَالِ زُهَادٍ
 مَا رَيْتُ قَوْمًا هُمْ شَرٌّ لِإِخْوَتِهِمْ مِنِّي عَشِيَّةً يَجْرِي بِالْدَّمِ الْوَادِي
 منها :

تَقْرِئُهُمْ لَهْذِمِيَّاتٍ تُقَدُّ بِهَا مَا كَانَ خَاطَ عَلَيْهِمْ كُلُّ زَرَادٍ^(٢)

* * *

(١) يومُ العروبة - بفتح العين وضمها - : الجمعة .
 (٢) الלהذميَّات - جمعُ لَهْذَمٍ - : ويقالُ سيفٌ لَهْذَمٌ : حادٌّ ، وكذلك السنُّ
 والنابُ . تَقَدُّ : تقطعُ . الزَّوَادُ : صانع الدروع .

[قال أبو الطيب المتنبي في «العُكْبَرِيّ» ٢٩٨/١ من المنسرح]:

يَا عَاذِلَ الْعَاشِقِينَ دَغِ فِتْنَةً أَضَلَّهَا اللَّهُ كَيْفَ تُرْشِدُهَا
بَشَرَ الْكَلْبَالِي سَهْدُ مَنْ طَرَبَ شَوْقاً إِلَى مَنْ يَبِيتُ بِرُقْدُهَا

نصيحة لمن يعذل العاشقين
يقول في البيت الأول: يا عاذل العاشقين على عشقهم، دغ عنك لومهم، فإنك لا ترشدهم، وقد أضلهم الله، وأصل المعنى موجود بكثرة، ولا سيما في «ديوان سلطان العاشقين»، فقد تصرف فيه ما شاء، فمنه قوله [في «ديوانه» ١٢٤ من الكامل]:

يَا عَاذِلَ الْمُشْتَاكِ جَهْلًا بِالَّذِي يَلْقَى مَلِيًّا لَا بَلَغْتَ نَجَاحًا
أَتَعَبْتَ نَفْسَكَ فِي نَصِيحَةٍ مَنْ يَرَى أَنْ لَا يَرَى الْإِقْبَالَ وَالْإِفْلَاحًا
إِنْ رُمْتَ إِضْلَاحِي فَإِنِّي لَمْ أَرِدْ لِفَسَادِ قَلْبِي فِي الْهَوَى إِضْلَاحًا

وقوله [في «ديوانه» ١٣٧ من الطويل]:

وَفِي حُبِّهَا بَغْتُ السَّعَادَةَ بِالشَّقَا ضَلَالًا وَعَقْلِي عَنْ هُدَايَ بِهِ عَقْلُ

وقوله [في «ديوانه» ١٦٢ من الطويل]:

وَمِنْ أَجْلِهَا طَابَ افْتِضَاحِي وَلَدَّ لِي أَطْرَاحِي وَذُلِّي بَعْدَ عِزِّ مَقَامِي
وَفِيهَا حَلَا لِي بَعْدَ نُسْكِي تَهْتِكِي وَخَلَعُ عِذَارِي وَأَرْتِكَابُ أَثَامِي

شرح البيت الأول من المطلع
ثم إن كان الناظم يتوهم أن العشق ضلالٌ بسائر أنواعه.. فقد أخطأ؛ لأنه لا يُدْم ما لم يُفَضَّ إلى الحرام، بل ربما تدرج به المرء

في السلوك إلى سبيل السعادة ، كما قلت [في «ديوان المؤلف» ١٦٥ من
السطح :

ففي الحب سرٌّ لا يكتمه إلـ إنسان ما دام في ذا القلب الطين
وفيه للمرء بالتؤني مزرعة إلى السعادة في الدنيا وفي الذين

ولولا ما أكثروا فيه من شأن سويد بن سعيد . لصح ما يدور عليه
من طرقه ، وهو حديث : « من عشق فعف فكتم فمات . . فهو
شهيد »^(١) ، ولكن رواه الزبير بن بكار ، فقال : حدثنا عبد
المملك بن عبد العزيز بن الماجشون ، عن عبد العزيز بن أبي حازم ،
عن أبي نجیح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، عن النبي ﷺ أنه
قال : « من عشق وكتم وعف وصبر . . غفر الله له ، وأدخله
الجنة »^(٢) ، وكذلك رواه لعائديه محمد بن داود ، لكن بسند فيه

(١) أخرجه عن ابن عباس الخطيب في «تاريخ بغداد» في ترجمة محمد بن داود
الأصبهاني كما في «المقاصد الحسنة» (١١٥٣) ، وقد أطنب في ذكر طرقه
والكلام عليه وأجاد ، وقد ألف فيه جزءاً أبو الفيض الغماري سماه : «دره
الضعف عن حديث من عشق فعف» . وأما سويد بن سعيد فقليل فيه : متروك ؛
منكر الحديث ؛ فلذلك ضعفوه .

(٢) قال المناوي عن سنده في «فيض القدير» (٨٨٥٣) : إسناده صحيح وقد ذكره ابن
حزم في معرض الاحتجاج وقال : رواه ثقات - وسيعرج المصنف على ذلك - .
وقد غلط في هذا الطريق بعض الرواة فأدخل إسناده في إسناده ، وقال ابن القيم :
هذا الحديث والذي قبله كل منهما موضوع ولا يجوز كونه من كلام المصطفى
ﷺ وأطال ، لكن انتصر الزركشي لتقويته فقال : أنكره ابن معين وغيره على
سويد لكنه لم ينفرد به وساق سند المؤلف . ويقال إن أبا الوليد الباجي رحمه الله
تعالى نظم فيه [من الوافر] :

إذا مات المحب جوى وعشقا فتلك شهادة يا صاح حقاً

سويد بن سعيد ، ثُمَّ أُنْشِدَهُمْ لِنَفْسِهِ بَعْدَ أَنْ رَوَاهُ لَهُمْ قَوْلَهُ [مَنْ الْبَاطِلُ] :
 أَنْظُرْ إِلَى السَّخْرِ يَجْرِي فِي لَوَاحِظِهِ وَأَنْظُرْ إِلَى دَعَجٍ فِي طَرْفِهِ السَّاجِي^(١)
 وَأَنْظُرْ إِلَى شَعْرَاتٍ فَوْقَ عَارِضِهِ كَأَنَّهُنَّ نِمَالٌ دَبَّ فِي عَاجِ
 وَأُنْشِدَ أَيْضاً لِنَفْسِهِ [مَنْ الْخَفِيفُ] :

مَا لَهُمْ أَنْكُرُوا سَوَاداً بِخَدَّيْهِ وَلَا يُنْكِرُونَ وَزَدَ الْغُصُونِ
 إِنْ يَكُنْ عَيْبٌ خَدَّهُ مَبْتُبٌ الْشَّغَفِ رِ فَعَيْبُ الْعَيْنِ شَعْرُ الْجُفُونِ
 فَقَالَ لَهُ : نَقَطَوِيهِ - وَكَانَ لَهُ صَدِيقاً - أَنْكَرْتَ الْقِيَاسَ فِي الْفَقْهِ ،
 وَأَثْبَتَهُ فِي الْغَزَلِ ؟ قَالَ : غَلَبَةُ الْهَوَى ، وَمَلَكَهُ الْوَجْدُ دَعَا إِلَيْهِ .
 وَقَدْ ذَكَرَ الْحَدِيثَ أَبُو حَزْمٍ فِي مَعْرِضِ الْاِخْتِجَاجِ ، فَقَالَ [مَنْ
 الْوَافِرُ] :

فَإِنْ أَهْلِكَ هَوَى أَهْلِكَ شَهِيداً وَإِنْ تَمَنَّيْتُمْ بَقِيْتُ قَرِيناً عَيْنِ
 رَوَى هَذَا لَنَا قَوْمٌ ثِقَاتٌ نَأْوَا بِالْصَّدَقِ عَنْ كَذِبٍ وَمَيِّنِ
 وَلِلْقَوْمِ فِيهِ كَلَامٌ مَعْرُوفٌ يُؤْخَذُ مِنْ مَرَاجِعِهِ ، إِذْ لَا حَاجَةَ إِلَى
 الْإِسْهَابِ ، وَيَأْتِي لَوْ مِنْهُ أَوَّلُ الْمَجْلِسِ التَّاسِعِ .
 وَلَقَدْ أَحْسَنَ أَبُو الْأَسْوَدِ الدَّوْلِيُّ ، وَأَجْمَلَ وَأَجَادَ ، إِذْ قَالَ فِي
 أَهْلِ الْبَيْتِ [فِي دِيَوَانِهِ ١٥٤٠ مِنْ الْوَافِرِ] :

فَإِنْ يَكُ حُبُّهُمْ رُشْداً أَصْبَهُ وَلَسْتُ بِمُخْطِئٍ إِنْ كَانَ عَيْباً
 وَمَا هُوَ فِي شَيْءٍ مِنَ الْتَشْكُكِ ، وَلَكِنَّهُ مِنْ بَابِ قَوْلِهِ تَقَدَّسَتْ

= رَوَاهُ لَنَا ثِقَاتٌ عَنْ ثِقَاتٍ عَنْ الْخُبَيْرِ ابْنِ عَبَّاسٍ يَرْقَى
 (١) الدَّعَجُ : شِدَّةُ سَوَادِ الْعَيْنِ مَعَ سَعَتِهَا . وَطَرْفُ سَاجٍ : سَاكِنٌ .

اسماؤه : ﴿وَلَوْ أَنَّ آوِيَاكُمْ لَمَلَأْ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [سبا : ٢٤] .

وأما البيت الثاني : فقد قال الشارحُ إِنَّ أَصْلَهُ : (بَسَّسَ الْكَلِيَالِي ^{شرح البيت الثاني من المطالع} كِيَالٍ سَهْرَتُهَا مِنْ طَرَبِي شَوْقًا إِلَى مَنْ يَبِينُ يَرْقُدُ فِيهَا)

وأقول : أَمَا حَذَفَ الْمَخْصُوصُ بِالذَّمِّ : فَجَائِزٌ عِنْدَ الْعِلْمِ بِهِ مِنْ ^{حذف المخصوص بالذم} الْقَرِينَةِ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿يَعْمَ الْمَوَالِي وَيَعْمَ النَّصِيرُ﴾ [الأنفال : ٤٠] ، و﴿يَعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [مَر : ٣٠] ، وَسَوَاءٌ كَانَتِ الْقَرِينَةُ لَفْظِيَّةً أَوْ مَعْنَوِيَّةً ، وَإِنْ أَقْتَصَرَ فِي «الْخِلَاصَةِ» عَلَى بَعْضِ أَفْرَادِ الْأَوَّلَى فِي قَوْلِهِ [في باب : (نعم وبس) ، من الرجز] :

وَأِنْ يُقَدِّمَ مُشْعِرٌ بِهِ كَفَى كَالْعِلْمُ نِعَمَ الْمُقْتَنَى وَالْمُقْتَنَى بَلْ كَثِيرًا مَا يُحَذَفُ الْفَاعِلُ مَعَهُ لَهَا [أَي : لِلْقَرِينَةِ] ، كَمَا فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ النَّاسِخِ لَوْجُوبِ غُسْلِ الْجُمُعَةِ ، وَهُوَ : «مَنْ تَوَضَّأَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ . . فِيهَا وَنِعَمَتْ ، وَمَنْ أَعْتَسَلَ . . فَالْغُسْلُ أَفْضَلُ» ^(١) .

تَقْدِيرُهُ : وَنِعَمَتْ الْخَصْلَةُ الْوُضُوءُ خَصْلَةً ، أَوْ مَا يَشْبَهُ ذَلِكَ .

وَأَمَا حَذَفُ عَائِدِ الصِّفَةِ : فَإِنَّهُ كَثِيرٌ ، وَمِنْهُ قَوْلُ أَمْرِئِ الْقَيْسِ [فِي حَذَفِ عَائِدِ الصِّلَةِ ^{ديوانه ٩٦ من المقارب} :

فَأَقْبَلْتُ زَحْفًا عَلَى الْكُرْكُبَيْنِ فَتَوْبٌ لَيْسَتْ وَتَوْبٌ أَجْرٌ ^(٢)

(١) أَخْرَجَهُ عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جَنْدَبٍ أَبُو دَاوُدَ (٣٥٣) ، وَالتِّرْمِذِيُّ (٤٩٧) وَحَسَنُهُ ، وَالكُتَّابِيُّ (١٣٨٠) ، وَأَبْنُ مَاجَهَ (١٠٩١) .

(٢) هَذَا الْبَيْتُ مِنْ شَوَاهِدِ الْعَرَبِيَّةِ ، وَهُوَ أَنَّهُ يَجُوزُ الْإِبْتِدَاءُ بِالنُّكْرَةِ (تَوْبٌ) إِذَا كَانَ الْمَقْصُودُ بِهَا التَّنَوُّعُ .

الرد على الشارح وأما قوله : كَانَ الوجهُ أَنْ يَقُولَ : (يرقُدُ فيها) بدلاً مِنْ (يرقُدُها) .. فغلَطَ ، وقد قَالَ تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَرْءُ الْكَافِرُ الْبَلِّ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [المزمل : ٢-١] .

وقَالَ امرؤ القيس [كما في «ديوانه» ١١٦ من الطويل] :
فَإِمَّا تَرَنِّي لَا أَعْمَضُ سَاعَةً مِنْ اللَّيْلِ إِلَّا أَنْ أَكْبَ وَأَنْعَسَا
والأمرُ أغْنَى عَنِ التَّدْلِيلِ بَعْدَ قَوْلِهِمْ فِي المَتُونِ : إِنَّ كُلَّ وَقْتٍ يَقْبَلُ النِّصَبَ عَلَى الظَّرْفِيَّةِ مُبْهِمًا كَانَ أَوْ مُخَصَّصًا بِوصفٍ ، أَوْ عَدِيدٍ ، أَوْ إِضَافَةٍ ، بَلْ إِنَّ مَا فَعَلَهُ النَّاطِمُ هُوَ الْأَوَّلَى ؛ لِمَا فِيهِ مِنَ الْإِشَارَةِ إِلَى اسْتِغْرَاقِ المَحْبُوبَةِ اللَّيْلِ بِالرَّقَادِ ، وَهُوَ شَاهِدُ النِّعْمَةِ ، وَدَلِيلُ التَّرَفِّ ، وَقَدْ قَالَتْ أُمُّ زَرْعٍ : (فَعِنْدَهُ أَقُولُ فَلَا أَقْبَحُ ، وَأَرْقُدُ فَاتَصَبَّحُ)^(١) ، فَلَا مَعَابَةَ عَلَى النَّاطِمِ فِي شَيْءٍ مِنَ المَحذُوفَاتِ الْأَرْبَعَةِ الَّتِي ذَكَرَهَا الشَّارِحُ ، وَإِنَّمَا الْعَيْبُ عَلَيْهِ مِنْ جِهَةِ المَعْنَى ، فَلَوْ أَنَّهُ كَانَ صَحِيحَ الهَوَى .. لَمَّا تَبَرَّمَ بِمَا لِحَقَّهُ مِنَ التَّعْذِيبِ فِيهِ ، وَلِلَّهِ دَرُّ أَبْنِ مُطَيْرٍ فِي قَوْلِهِ [في «ديوانه» ٦٠ من الطويل] :

البلوى المحبة وَحُبُّكَ بَلَوَى غَيْرَ أَنْ لَا يَسُرَّنِي وَإِنْ كَانَ بَلَوَى أَنَّنِي لَكَ مُبْغِضُ
إِذَا أَنَا رَضْتُ النَّفْسَ فِي حُبِّ غَيْرِهَا أَتَى حُبُّهَا مِنْ دُونِهَا يَتَعَرَّضُ
فَيَا لَيْتَنِي أَقْرَضْتُ جَلْدًا صَبَابَتِي وَأَقْرَضَنِي صَبْرًا عَلَى الشَّقْوَى مُفْرَضُ
أَمَّا «ديوانُ أَبْنِ الفَارُضِ» : فَمَنْ فَاتَحَتْهُ إِلَى خَاتَمَتِهِ فِي
الكلام عن ديوان ابن الفارض

(١) سلف قريباً . ومعنى : أرقد فأتصبح : أي أنام إلى وقت الضحى ، وهو من علامات أهل الدلال ، وليس من شأن أصحاب الجِدِّ والهمة .

استعذاب العذاب من الأحباب ، من ذلك قوله [في «ديوانه» ١٤٤ من
السطح] :

أَسْبَتْ فَيْكَ كَمَا أَضْبَعْتُ مُكْتَبًا وَلَمْ أَقُلْ جَزَعًا : يَا أَرْمَهُ أَنْفَرَجِي
وقوله [في «ديوانه» ١٥٦ من الخفيف] :

وَبِمَا شِئْتَ فِي هَوَاكَ اخْتَبِرْنِي فَأَخْتَارِنِي مَا كَانَ فِيهِ رِضَاكَ
وقوله [في «ديوانه» ٥٠٠ من الطويل] :

وَكُلُّ أَدَى فِي الْحُبِّ مِنْكَ إِذَا [بَدَا] جَعَلْتُ لَهُ سُكْرِي مَكَانَ شَكِّي
وَمَا حَلَّ بِي مِنْ مِخْنَةٍ فَهُوَ مِنْحَةٌ وَقَدْ سَلِمْتُ مِنْ حَلِّ عَقْدٍ عَزِيمَتِي
وقوله [في «ديوانه» ١١٩ من الكامل] :

هَلَّا نَهَاكَ نَهَاكَ عَنْ لَوْمِ أَمْرِي لَمْ يُلَفَ غَيْرَ مُنْعَمٍ بِشَقَاءِ
وقوله [في «ديوانه» ٣١ من الكامل] :

أَمْسَى بِنَارِ جَوَى حَشْتِ أَخْشَاءَهُ مِنْهَا يَرَى الْإِنْقَادَ لَا الْإِنْقَادَا
وقوله [في «ديوانه» ١٣٥ من الطويل] :

وَتَعْدِيكُمْ عَذْبٌ لَدَيَّ وَجُورُكُمْ عَلَيَّ بِمَا يَقْضِي الْهَوَى لَكُمْ عَذْلُ
وقوله [في «ديوانه» ١٨١٢ من الرَّمَلِ] :

بَلْ أَسِئْتُوا فِي الْهَوَى أَوْ أَحْسِنُوا كُلُّ شَيْءٍ حَسَنٌ مِنْكُمْ لَدَيَّ
أَيُّ تَعْدِيْبٍ سِوَى الْبُعْدِ لَنَا مِنْكَ عَذْبٌ حَبْدًا مَا بَعْدَ أَيِّ
وقوله [في «ديوانه» ٤١٣٥ من الطويل] :

تُبِيحُ الْمَنَائِي إِذْ تُبِيحُ لِي الْمَنَى وَذَاكَ رَحِيصٌ مُنِيسِي بِمَنِيْسِي

وَمَا غَدَرْتُ فِي الْحُبِّ أَنْ مَدَرْتُ دَمِي بِشَرِّ الْهَوَىٰ لَكِنْ وَفَتْ إِذْ تَوَفَّتْ
وَكَمْ رَامَ سِلْوَانِي هَوَاكَ مُنَمًّا سِوَاكَ وَأَتَىٰ عَنْكَ تَبْدِيلُ نَيْسِي
وَقَالَ : تَلَاَفَ مَا بَقِيَ مِنْكَ قُلْتُ : مَا أُرَانِي إِلَّا لِلتَّلَاَفِ تَلَقُّنِي
إِبَائِي أَبَىٰ إِلَّا خِلَافِي نَاصِحًا يُحَاوِلُ مِنِّي شَيْمَةً غَيْرَ شَيْمَتِي

والأخير هو صدر بيت لأبي عبادَةَ [في «ديوانه» من الطويل] عجزُهُ :
(وَتَطْلُبُ مِنِّي مَذْهَبًا غَيْرَ مَذْهَبِي) ، ولكنَّ موقعَهُ مِنْ بَيْتِ الشَّيْخِ
التَّاقِصِ عِنْدَ الْمُتَّبِعِي أَكْمَنُ وَأَعْدَبُ ، فَهُوَ بِهِ أَحَقُّ ، وَالنَّائِظُ كَثِيرًا مَا يَدْعِي أَنَّهُ مَعشُوقٌ
مُتَمَتِّعٌ كَمَا فِي قَوْلِهِ [في «المكبري» ٣٠٦/٢ من الطويل] :

وَأَشْنَبَ مَعْسُورِ الْشَّيْثَاتِ وَاضِحَ حَمِيَّتُ فَمِي عَنْهُ فَقَبَّلَ مَفْرُوقِي^(١)
وَذَاتَ الْمَرَّاتِ يَعْتَرِفُ بِأَنَّهُ مَبْغُوضٌ مَفْرُوكٌ^(٢) ؛ فيقول [في
«المكبري» ٣٦٢/٣ من البسيط] :

وَاحِرَ قَلْبَاهُ مِمَّنْ قَلْبُهُ شَيْمٌ وَمَنْ بِجِسْمِي وَحَالِي عِنْدَهُ سَقَمٌ^(٣)
ويقول [في «المكبري» ١٧٦/١ من البسيط] :

أَنْتَ الْحَبِيبُ وَلَكِنِّي أَعُوذُ بِهِ مِنْ أَنْ أَكُونَ مُحِبًّا غَيْرَ مَحْبُوبٍ
ويقول [في «المكبري» ٨١/٤ من الطويل] :

وَلَمَّا التَّقِينَا وَالنَّوَى وَرَقِيبِنَا غَفُولَانِ عَنَّا ظَلْتُ أَبْكِي وَتَبَسُّمُ

(١) الْأَشْنَبُ : الثَّغْرُ الْبَرَّاقُ ، وَيُقَالُ : الْمُحَدِّدُ الْوَاضِحُ الْأَبْيَضُ .

(٢) مَفْرُوكٌ : لَا يَحْظَىٰ عِنْدَ النِّسَاءِ .

(٣) الشَّيْمُ : الْبَارِدُ ، وَالشَّيْمُ : الْبَرْدُ .

ويقول [في «المكبري» ٥٠/٤ من الطويل] :

حَسْبِيَ كَأَنِّي لَسْتُ أَنْطَقَ قَوْلَهَا وَأَطْعَنُهُمُ وَالشُّهْبُ فِي صُورَةِ الدُّهْمِ^(١)

ويقول [في «المكبري» ٢٧١/٤ من المنسرح] :

كُلُّ خَدِّي كُلَّمَا ابْتَسَمْتُ مِنْ مَطَرٍ بَرَقَهُ ثَنَائِهَا

وهذا يحتمل معنيين ؛ لأنه إما أن يكون المراد : أنه يبكي كلما صَحَكَت .. فيكون كقوله : (.. ظَلْتُ أَبْكِي وَتَبَسُّمٌ) وإما أن يكون معناه : أن لعبابها يسيل ، وأنها تتفل في وجهه ، وكلاهما لا يلتئم مع قوله قبل ذلك [في «المكبري» ٢٧٠/٤ من المنسرح] :

فَقَبَّلْتُ نَاطِرِي تَغَالِطُنِي وَإِنَّمَا قَبَّلْتُ بِهِ فَاهَا

وفي أخبار امرئ القيس : أنه كان مُفْرَكاً يُفْتَنُ بِجَمَالِهِ ومقاله امرؤ القيس كان مفركاً النساء بادياً ، ثم يكرهته بعد المخالطة ، فيحتمل أن الناظم مثله ، أو أنه لما كان كبيراً في صدره .. أحب أن يتمثل به فيما زان وفيما شان ، حتى لو دخل جُحَرَ ضَبٍّ لدخله^(٢) ، وكثيراً ما تُزَيَّنُ لَهُ الأحموقَةُ القبيح ، كما ستأتي مثله في هذه المجموعة إن شاء الله تعالى ، أو أنه لما لم يكن له قدمٌ راسخٌ في الحب .. قاسَ حاله مع النساء على حالٍ ممدوحٍ ، فإنَّ شأنَهُمَ كما وَصَفَ يُقْبَلُونَ عَلَيْهِ بَدَءاً ، ويُعْرِضُونَ عَنْهُ عَوْداً .

(١) الشُّهْبُ : الخيل التي يخالطها البياض والسواد . الدهمُ : السود . والمعنى : أنها تغيَّرت ألوانها من الدماء والعجاج .

(٢) أخذ المصنف هذا اللفظ من حديث أبي سعيد الخدري عند مسلم (٢٦٦٩) وفيه : «التبعن سَنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ شِبْرًا بِشِيرٍ وَفِرَاعًا بِذِرَاعٍ ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا فِي جُحْرٍ ضَبٍّ لَاتَّبَعْتُمُوهُمْ» .

التنافس المجيب

والبيت الذي نحن بسبيله ناظرٌ إلى قول أبي نواس [«الأغاني»

٣٢٦/٦ من الطويل]:

شَكُونَا إِلَى أَحِبَابِنَا طُولَ لَيْلِنَا . فَقَالُوا لَنَا مَا أَقْصَرَ اللَّيْلُ عِنْدَنَا

ولا يبعدُ عنه قولُ العربي ، وقد تمثَّل به أميرُ المؤمنين - كرمَ الله وجهه - في خطبته الشَّقْشَقِيَّة^(١) [«نهج البلاغة» ١٥ من السريع]:

شَتَّانَ مَا يَوْمِي عَلَى كُوزِهَا وَيَوْمُ حَيَّانَ أَخِي جَابِرِ

وقال عمر بن أبي ربيعة وعائشة بنت طلحة
وقال عمر ابنُ أبي ربيعة يذكرُ عائشةَ ابنةَ طلحة بن عبيد الله [في
«ديوانه» ٩٤-٩٥ من الطويل]:

رَأْتُ رَجُلًا أَمَّا إِذَا الشَّمْسُ عَارَضَتْ فَيَضْحَى وَأَمَّا بِالْعَيْشِ فَيَخْصَرُ^(٢)
أَخَا سَفَرِ جَوَابِ أَرْضٍ تَقَادَفَتْ بِهِ فَلَوَاتُ فَهَوِ أَشْعَثُ أَغْبَرُ
وَأَعْجَبَهَا مِنْ عَيْشِهَا ظِلُّ غُرْفَةٍ وَرَيَّانُ مُلْتَفِّ الْحَدَائِقِ أَخْضَرُ
وَوَالِ كَفَاها كُلَّ شَيْءٍ يَهْمُهَا فَلَيْسَتْ لِشَيْءٍ آخِرَ اللَّيْلِ تَسْهَرُ

فيُروى [كما في «الأغاني» ٩٢/١]: أَنَّ حَالًا أَسْهَرَهَا لَيْلَةً مِنْ
زَوْجِهَا ، فَقَالَتْ : لَيْتَ ابْنَ أَبِي رُبَيْعَةَ يَرَى لَيْلَتِي هَذِهِ حَتَّى يَرْجِعَ عَنْ
بَعْضِ قَوْلِهِ .

حال الماشق والمعشوق عند الشعراء
وقال عنترة [في «ديوانه» ١٩ من الكامل]:

تُمْسِي وَتُضِيحُ فَوْقَ ظَهْرِ حَشِيَّةٍ وَأَبَيْتُ فَوْقَ سُرَاةِ أَذْهَمٍ مُلْجَمٍ^(٣)

(١) شَقْشَقُ الْكَلَامِ : أَخْرَجُهُ أَحْسَنَ مَخْرَجٍ .

(٢) يَضْحَى : يَتَعَرَّضُ لِلشَّمْسِ . يَخْصَرُ : يَصِيْبُهُ الْبَرْدُ .

(٣) الْحَشِيَّةُ : الْفِرَاشُ الْمَحْشُو .

وقال [من الكامل] :

أَكْبَى وَبَضَحَكَ مِنْ بَكَائِي وَلَنْ تَرَى عَجَبًا كَحَاضِرِ ضَحِكِهِ وَبَكَائِي

وقال قيس بن الملوّح [من الطويل] :

مَوَاكِبِدًا مِنْ حُبِّ مَنْ لَا يُجِيبُنِي وَمِنْ زَفَرَاتِ مَا لَهْرٌ فَنَاءُ

وقال [من البسيط] :

أَطْعَمْتُهَا وَعَصَيْتُ النَّاسَ كُلَّهُمْ فِي أَمْرِهَا وَهَوَاهَا وَهِيَ تَغْصِنُنِي

وقال نصيب [من الكامل] :

وَذَكَرْتُ مَنْ رَقَّتْ لَهُ كَبِدِي وَأَبَى فَلَيْسَ تَرِيقٌ لِي كَبِدُهُ

وقال أبو عبادَةَ [من الخفيف] :

وَمِنْ الضَّمِيمِ فِي هَوَى الْبَيْضِ عِنْدِي أَنْ يَوَدَّ الْمَبْذُولُ مَنْ لَا يَوَدُّهُ
وفي المجلس الأول ذَرَوْ مِنْ الْقَوْلِ فِي طَوِيلِ اللَّيْلِ ، ومنه قول

بشار [في ديوانه ١٦٦/٤ من الرَّمْل] :

لَمْ يَظُلْ لَيْلِي وَلَكِنْ لَمْ أَنْمِ وَنَفَى عَنِّي الْكَرَى طَيْفُ أَلَمٍ
وَإِذَا قُلْتُ لَهَا : جُودِي لَنَا خَرَجْتَ بِالصَّنَمِ عَنْ لَا وَنَعَمْ
نَفْسِي يَا عَبْدُ عَنِّي وَأَعْلَمِي أَنْتَنِي يَا عَبْدُ مِنْ لَحْمٍ وَدَمٍ
إِنْ فِي بُرْذَيِّ جِسْمًا نَاحِلًا لَوْ تَوَكَّأْتُ عَلَيْهِ لَأَنْهَدَمَ
خَتَمَ الْحُبِّ لَهَا فِي عُنُقِي مَوْضِعَ الْخَاتَمِ مِنْ أَهْلِ الْأَلَمِ

وأخطأ أبو معاذ [بشار] في قوله : (خَرَجْتَ بِالصَّنَمِ عَنْ لَا وَنَعَمْ

وتنعم) ، وما أوتي إلا مِنْ جَهْلِهِ بِحَدِيثِ مُسْلِمٍ [١٤٢١ في النكاح عن ابن
عمر] : «إِنَّ إِذْنَ الْبِكْرِ صَمَاتُهَا» .

أعيتوني على الليل

وقال بعضهم [من الطويل] :

تَعَالَوْا أَعِيتُونِي عَلَى اللَّيْلِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ عَيْنٍ لَا تَنَامُ طَوِيلُ

فَلَمْ يَشْعُرْ بَعْدَ أُمَّةٍ^(١) مِنْ الزَّمَانِ إِلَّا بِطَارِقٍ يَقْرَعُ بَابَهُ مِنْ نَصْفِ
الَلَّيْلِ ، فَأَتَتْهُ فِرْعَا مَرْعُوبًا ، وَقَالَ لَهُ : مَا شَأْنُكَ ؟ قَالَ : أَنْتَ
دَعَوْتَنِي بِقَوْلِكَ : (تَعَالَوْا أَعِيتُونِي ... إِلَى آخِرِ الْبَيْتِ) ، فَقَالَ لَهُ :
يَا أَبْنَ أَخِي ، أَبْطَأْتَ بِالْإِجَابَةِ حَتَّى جَاءَ اللَّهُ بِالْفَرْجِ .

وَلِنَّمَا قَالَ أَبْنُ الْفَارَضِ [فِي « دِيْوَانِهِ » ١٤٤ مِنْ الْبَسِطِ] :

أَمْسَيْتُ فَيْكَ كَمَا أَصْبَحْتُ مُكْتَبًا [وَلَمْ أَقُلْ جَزَعًا : يَا أَرْمَةُ أَنْفَرَجِي]

لَأَنَّ الْأَصْلَ اجْتِمَاعُ الْهَمُومِ عَلَى الْمُحِيطِينَ بِاللَّيْلِ ، وَقَدْ تَفَرَّقُوا
عَنْهُمْ نَهَارًا بِمَا يُمَارِسُونَ مِنَ الْخَلْقِ وَالْأَشْغَالِ ، كَمَا قَالَ قَيْسُ بْنُ
الْمُلَوَّحِ أَوْ أَبْنُ الدُّمَيْنَةِ [فِي « دِيْوَانِ أَبْنِ الدُّمَيْنَةِ » ٨٨ مِنْ الطَّوِيلِ] :

الاصل اجتماع الهموم
على العشاق بالليل
ومذاهب الشعراء في
ذلك

أَقْضِي نَهَارِي بِالْحَدِيثِ وَبِالْمُنَى وَيَجْمَعُنِي وَالْهَمُّ بِاللَّيْلِ جَامِعُ
نَهَارِي نَهَارُ النَّاسِ حَتَّى إِذَا بَدَأَ لِيَ اللَّيْلُ هَزَنَتْنِي إِلَيْكَ الْفَضَائِعُ
لَقَدْ تَبَيَّنَتْ فِي الْقَلْبِ مِنْكَ مَحَبَّةٌ كَمَا تَبَيَّنَتْ فِي الرَّاحَتَيْنِ الْأَصَابِعُ

وَقَدْ سَبَقَ إِلَى أَصْلِهِ أَمْرُ الْقَيْسِ فِي قَوْلِهِ [فِي « دِيْوَانِهِ » ١٥٢ مِنْ

الطَّوِيلِ] :

أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلَا أَنْجِلْ بِصُبْحٍ وَمَا الْإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمَثَلِ

(١) أُمَّةٌ: حِينٌ، أَوْ نِسْيَانٌ، مِنْ أَمَةٍ يَأْتِي أَمَهَا؛ أَي: نَسِي، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى:
«وَأَذْكُرْ بِمُنَاقَاةِ يُوسُفَ: ٤٥».

وَأَخَذَهُ الطَّرْمَاحُ فَقَالَ [في «ديوانه» ٩٦ من الطويل] :

أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلَا أَصْبِحِي بِفَخْرٍ وَمَا الْإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَرْوَحِ

وَقَالَ جَمِيلُ بْنُ مَعْمَرٍ فِي عَكْسٍ مَا سَبَقَ عَنْ أَبِي الدُّمَيْنَةِ [في

«ديوانه» ٥١ من الطويل] :

أَطْلُ نَهَارِي مُسْتَهَامًا وَيَلْتَقِي مَعَ اللَّيْلِ رُوحِي فِي الْمَنَامِ وَرُوحُهَا

وَقَالَ ذُو الرُّمَّةِ [في «ديوانه» من الطويل] :

أَنْبَنُ وَشَكْوَى بِالنَّهَارِ طَوِيلَةً عَلَيَّ وَمَا يَأْتِي بِهِ اللَّيْلُ أَبْرَحُ

وَقُلْتُ فِي رثاءٍ وَلَدِي بَصْرِي [كما في «ديوان المؤلف» ق/ ٩٥ من

الطويل] :

قُلْتُ : أَنْزَكَيْتَنَا نَطْفَ بَعْضِ النَّهَابِنَا بِغَزَرٍ مِنَ الْأَمَاقِ فِي اللَّيْلِ إِذْ يَسْرِي

يَطُولُ نَهَارِي بِالتَّجَلُّدِ وَالذُّجَى بِهِ مِنْ بُرُودِ الدَّمْعِ شَيْءٌ مِنَ الْقَصْرِ

وَمِنْ أَبْلَغَ مَا قِيلَ فِي طَوْلِ اللَّيْلِ قَوْلُ النَّابِغَةِ [الدُّبَيَانِي فِي «ديوانه» ٤٦

من الطويل] :

فَيْتُ كَأَنِّي سَاوَرْتَنِي ضَيْلَةً مِنَ الرُّقَشِ فِي أَنْيَابِهَا الشَّمُّ نَاقِعٌ^(١)

وَقَوْلُهُ [في «ديوانه» ٥٥ من الطويل] :

تَقَاعَسَ حَتَّى قُلْتُ : لَيْسَ بِمُنْقَضٍ وَلَيْسَ الَّذِي يَزْعَى التُّجُومَ بِأَيِّ

وَأَرَادَ بِهِ (الَّذِي يَزْعَى التُّجُومَ) : الْفَجْرَ ، وَهِيَ كُنَايَةٌ عَجِيبَةٌ ،

(١) ضَيْلَةٌ : الْحَبَّةُ الدَّقِيقَةُ ، قَلِيلَةُ اللَّحْمِ . الرُّقَشُ : الْمَقْطَعَةُ . نَاقِعٌ : ثَابِتٌ عَتِيدٌ كَامِنٌ .

وقال علي بن هشام [من السريع] :

لَا أَظْلِمُ اللَّيْلَ وَلَا أَدْعِي
لَيْلِي كَمَا شَاءَتْ فَإِنْ لَمْ تَجُذْ
أَنْ نُجُوزَ اللَّيْلَ لَيْسَتْ تَغُوزُ
طَالَ وَإِنْ جَادَتْ فَلَيْلِي قَصِيرُ

قال الحراني [من البسيط] :

جَاءَتْ تُسَائِلُ عَنْ لَيْلِي فَقُلْتُ لَهَا
لَيْلِي بِكَفِّكَ فَأَغْنِي عَنْ سُؤَالِكَ لِي
وَسُورَةُ أَلْهَمُ تَمْخُزُ سُورَةَ الْجَدَلِ (١)
إِنْ بِنْتُ طَالَ وَإِنْ وَاصَلْتُ لَمْ يَطُلْ

أبلغ من قال في طول
الليل

ويروى عن ثعلب أنه كان يقول : كُلُّ مَنْ تَكَلَّمَ فِي طَوْلِ اللَّيْلِ لَمْ
يَبْلُغِ الدُّرُورَةَ مِنَ الْإِجَادَةِ سِوَى خَالِدِ الْكَاتِبِ ، فَقَدْ جَاوَزَ الْغَايَةَ ، إِذْ
يَقُولُ [من المتقارب] :

رَقَذْتُ وَلَمْ تَزُتْ لِلشَّاهِرِ
وَلَمْ تَذِرْ بَعْدَ ذَهَابِ الرُّقَا
وَلَيْلُ الْمُحِبِّ بِلَا آخِرِ
دِمَا صَنَعَ الدَّمْعُ بِالنَّظِيرِ

وقال التهامي [من الطويل] :

أَبَا الْفَضْلِ طَالَ اللَّيْلُ أَمْ خَانَنِي صَبْرِي
فَخَيْلَ لِي أَنَّ الْكَوَاكِبَ لَا تَسْرِي

وقال ابن زريق [البغدادى في «ديوانه» من البسيط] :

لَا يَطْمَئِنُّ بِجَنِّبِي مَضْجَعٌ وَكَذَا
وَمَنْ يَقْطَعُ قَلْبِي ذِكْرُهُ وَإِذَا
لَا يَطْمَئِنُّ بِهْ مُذْ غَبَّتْ مَضْجَعُهُ
جَرَى عَلَى قَلْبِهِ ذِكْرِي يَقْطَعُهُ

وهو خلاف بيت الناظم الذي نحن بسبيله غير أن «ديوانه» لا

يخلو مما يشبهه كقوله [في «المكبري» ٢٨٣/٢ من الطويل] :

هَرَأَقْتُ دَمِي مِنْ بَنِي مَنْ أَلْوَجِدُ مَا بِهَا
مِنْ أَلْوَجِدِ بَنِي وَالشُّوقُ لِي وَلَهَا حِلْفُ

(١) سورة الشفاء : شدته وجِدته وهياجه . الجدَل : الفرح .

وهو بالرقى أشبه منه بالأشعار ، وحاصلُ معناه قولُ الآخر [من]

[الشرح] :

وَجِدْتُ بَنِي مِثْلَ مَا وَجِدْتُ بِهَا فَكَلَانَا مُفَرَّمٌ دَرَفٌ

ولا يبعدُ عنه قولُ الأول ، وفيه لابن عائشة غناء ، وهو ^(١) [من]

[الشرح] :

وَارْحَمْنَا لِلْغَرِيبِ فِي الْبَلَدِ النَّازِحِ مَاذَا بِنَفْسِهِ صَنَعَا

فَارَقَ أَحْبَابَهُ فَمَا اتَّقَعُوا بِالْعَيْشِ مِنْ بَعْدِهِ وَلَا اتَّقَعَا

وقال البهاء زهير [من مجزوء الكامل] :

يَا لَيْلُ مَا لَكَ آخِرُ كَلَّا وَلَا لِلشُّوقِ آخِرُ ^(٢)

لِي فِيكَ أَجْرٌ مُجَاهِدٍ إِنْ صَحَّ أَنَّ اللَّيْلَ كَافِرٌ

وقال أبو العتاهية [في ديوانه ٥٤١-٥٤٢ من البسيط] :

إِنَّ الْمُحِبَّ إِذَا شَطَّتْ مَنَازِلُهُ عَنِ الْحَبِيبِ بَكَى أَوْ حَنَّ أَوْ ذَكَرَا

وَاللَّيْلُ أَطْوَلُ مِنْ يَوْمِ الْحِسَابِ عَلَى عَيْنِ الشَّجِيِّ إِذَا مَا نَوْمُهُ نَقَرَا

* * *

(١) جاء في هامش المخطوط: ذكر ابنُ خَلَّكَانَ [كما في «وفيات الأعيان»

[٣٥٦/٣]: أَنَّهُ لَمَّا نَزَعَتْ ثِيَابُ عَلِيٍّ بَيْنَ الْجَهَنَّمَ بَعْدَ مَوْتِهِ... وَجِدْتُ فِيهَا رُقْعَةً

مَكْتُوبَةٌ عَلَيْهَا هَذَا ، لَكِنَّهُ لَا يَصُحُّ أَنَّ تَكُونَ لَابِنِ الْجَهَنَّمَ ، وَيَكُونُ فِيهَا غِنَاءٌ

لَابِنِ عَائِشَةَ ؛ لِنَقْدِهِ هَذَا عَلَى ابْنِ الْجَهَنَّمَ بِكَثِيرٍ .

(٢) وقد ورد هذا البيت أيضاً بلفظ:

يَا لَيْلُ طُلُّ أَوْ لَا تَطُلْ إِنْ عَالَى الْحَالَيْنِ صَابِرٌ

[قَالَ أَبُو الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّي فِي «الْمُكَبَّرِيِّ» ٣٠١/١ مِنْ الْمُنْسَرَحِ:]

لَا نَاقَتِي تَقْبَلُ الرَّدِيفَ وَلَا بِالسَّوْطِ يَوْمَ الرِّهَانِ أَجْهَدَهَا

شرح المطلع يقول: إِنَّ نَاقَتَهُ لَا تَقْبَلُ الرَّدِيفَ، وَلَا تَحْتَاجُ إِلَى أَنْ تُسَاقَ بِالسَّوْطِ، وَإِنَّمَا يَعْنِي: نَعْلَهُ، وَلَوْ قَالَ لَا تَقْبَلُ الْإِنْفِرَادَ.. لَكَانَ أَوْلَى بِالْمَحَاجَاةِ؛ إِذْ لَا تَكُونُ النَّعْلُ إِلَّا مَشْفُوعَةً؛ كَمَا قَالَ الْآخَرُ [مَنْ الطَّوِيلُ]:

رَوَّاحِلُنَا سِتٌّ وَنَحْنُ ثَلَاثَةٌ نَجْتَبِهِنَّ أَلْمَاءَ فِي كُلِّ مَنْهَلٍ

خصائص النعال واصل فهو مِنْ خَصَائِصِهَا، بِخِلَافِ غَيْرِهَا مِنْ أَلْتَوَقِ، فَكَثِيرًا مَا تَعْجُزُ عَنْ أَلَارْتِدَافِ، وَيُقَالُ إِنَّ أَصْلَ الْمَعْنَى قَوْلُ عَتْرَةٍ [فِي «دِيَوَانِهِ» ٣٣ مِنْ الْمَعْنَى] :

فَيَكُونُ مَرْكَبُكَ الْقَعُودَ وَرَحْلُهُ وَأَبْنُ النَّعَامَةِ يَوْمَ ذَلِكَ مَرْكَبِي
أَرَادَ بـ (أَبْنُ النَّعَامَةِ) عَرَقًا يَكُونُ فِي بَاطِنِ الْقَدَمِ، يَعْنِي: أَنَّهُ رَاكِبٌ أَخْمَصَةَ^(١).

وقال أبو نُوَاسٍ [فِي «دِيَوَانِهِ» ٥٨٥ مِنْ الطَّوِيلِ]:

إِلَيْكَ أَبَا الْعَبَّاسِ مِنْ بَيْنِ [مَنْ] مَشَى عَلَيْهَا أَمْتَطَلَيْنَا الْحَضْرَمِيَّ الْمُلسَنًا^(٢)

(١) الأخمص: الموضع المنخفض من باطن القدم. قال القاضي عياض رحمه الله [مَنْ الْوَافِرُ]:

ومما زادني شرفاً وتبهاً وكدت بأخمصي أطأ الشرباً
دخولي تحت قولك يا عبادي وأن صيرت أحمد لسي نبياً
(٢) الحضرميُّ المُلسِّنُ: النعلُ الذي فيه طولٌ ولطافةٌ على هيئة اللسان، أو النعلُ =

فَلَمْ تَعْرِفْ حَيْنَنَا عَلَى طَلَى وَلَمْ تَذَرِ مَا قَزَعُ الْفَتَيِّقِ وَلَا الْهَنَاءِ^(١)

يَمْرَأُ ابْنُ الْمَطَرِزِ - الشاعرُ ، وفي رَجْلِهِ نَعْلٌ بَالِيَةٌ - عَلَى الشَّرِيفِ
الرَّضِيِّ ، فَقَالَ : أَنَشِدْنِي قَصِيدَتَكَ الَّتِي مِنْهَا قَوْلُكَ [مَنْ الطَّوِيلُ] :
ابن المطرّز والشريف
الرضي والجواب
المفحم

إِذَا لَمْ تُبَلِّغْنِي إِلَيْكَ رَكَائِسِي فَلَا وَرَدَتْ مَاءً وَلَا رَعَتِ الْعُشْبَا

فَفَعَلَ ، حَتَّى أَنْتَهَى إِلَى هَذَا الْبَيْتِ ، فَقَالَ لَهُ : أَهْلَهِ رَكَائِيكَ؟!
وَأَشَارَ إِلَى نَعْلِهِ ، فَقَالَ : لَمَّا صَارَتْ هِبَاتٌ مَوْلَانَا إِلَى مِثْلِ قَوْلِهِ [مَنْ
الْخَفِيفُ] :

فَقُحِّلَ الْكُزْمُ مِنْ جُفُونِي فَإِنِّي قَدْ خَلَعْتُ الْكَرَى عَلَى الْعُشَاقِ

عَادَتْ رَكَائِسِي إِلَى مَا تَرَى ، فَإِنَّكَ قَدْ خَلَعْتَ مَا لَا تَمْلِكُ عَلَى مَنْ
لَا يَقْبَلُ ، فَأَعْجَبَهُ كَلَامُهُ وَأَجَازَهُ .

وَقَالَتِ ابْنَةُ الْخُسِّ فِي مُحَاجَاتِهَا الْمَشْهُورَةِ : كَادَ الْمَتَعَلُّ يَكُونُ
كَادَ الْمَتَعَلُّ أَنْ يَكُونَ
رَاكِبًا .

وفي الثالثة والأربعين من «مقامات الحريري»^(٢) ما يَتَّصِلُ
بِالْمَوْضُوعِ .

وقال أبو الشَّمَقْمَقِ - وَقَدْ وَفَدَ إِلَى (اليمَن) عَلَى يَزِيدَ بْنِ الْعَزِيدِ - وَفُودَ أَبِي الشَّمَقْمَقِ
عَلَى يَزِيدَ بْنِ الْعَزِيدِ
[مَنْ الْكَامِلُ] :

الذي جُعِلَ طَرَفٌ مَقْدِمُهَا كَطَرَفِ اللِّسَانِ .

(١) قَلَامُصٌ - جَمْعُ قَلَوِصٍ - : وَهِيَ النَّاقَةُ الشَّابَّةُ الْفَتَيَّةُ . الْفَتَيُّ : الْفَحْلُ الْمَكْرُمُ مِنَ
الْإِبِلِ الَّذِي لَا يُرَكَبُ وَلَا يُهَانُ لِكِرَامَتِهِ عَلَيْهِمْ . الْهِنَاءُ : الْقَطِرَانُ ، وَيُقَالُ : هِنَاءٌ
الْإِبِلُ إِذَا طَلَاهَا بِالْقَطِرَانِ .

(٢) اسم هذه المقامة : المقامة البكرية .

رَحَلَ الْمُطَيِّ إِلَيْكَ طَلَابُ النَّدَى وَرَحَلْتُ نَحْوَكَ نَاقَةً نَعْلِيَّةً
إِذْ لَمْ يَكُنْ لِي يَا يَزِيدُ مَطِيَّةً فَجَعَلْتُهَا لَكَ فِي السَّفَارِ مَطِيَّةً
تَخْدِي أَمَامَ الْيَعْمَلَاتِ وَتَعْتَلِي فِي السَّيْرِ تَتْرُكُ خَلْفَهَا الْمَهْرِيَّةَ^(١)
مِنْ كُلِّ طَاوِيَةِ الصُّوَى مُزَوَّرَةً قَطْعًا لِكُلِّ تَنْوَفَةٍ دَوْسِيَّةَ^(٢)
فَإِذَا رَكِبْتُ بِهَا طَرِيقًا لَاحِبًا تَنْسَابُ تَحْتِي كَانَسِيَابِ الْحَيَّةِ
لَوْلَا الشَّرَاكُ لَقَدْ خَشِيتُ جَمَاحَهَا وَرَمَاهَا مِنْ أَنْ تَمَسَّ يَدَيَّ
تَنْسَابُ أَكْرَمَ وَائِلٍ فِي بَيْتِهَا حَسْبًا وَقُبَّةً مَجْدَهَا مَنِيَّةً
أَغْنِي يَزِيدًا سَيْفَ آلِ مُحَمَّدٍ فَرَاجَ كُلِّ شَدِيدَةٍ مَخْفِيَّةً
يَوْمًا: يَوْمٌ لِلْمَوَاهِبِ وَالنَّدَى خَضِلُ وَيَوْمُ دَمٍ وَخَطْفُ مَنِيَّةِ^(٣)
وَلَقَدْ أَتَيْتُكَ وَاثِقًا بِكَ عَالِمًا أَنْ لَسْتُ تَسْمَعُ مِدْحَةً بِنَسِيَّةِ^(٤)

فَقَالَ لَهُ يَزِيدُ : صَدَقْتَ ، وَأَطْلُقَ عَلَيْهِ أَلْفَ دِينَارٍ .

وَمِمَّا يُعْزَى لِلْكَسَائِيِّ قَوْلُهُ لِلرَّشِيدِ [مَنْ الْكَامِلُ] :

قُلْ لِلْخَلِيفَةِ مَا تَقُولُ لِمَنْ أَمْسَى إِلَيْكَ بِحُزْمَةٍ يُذْلِي
مَا زِلْتُ مُذْ صَارَ الْأَمِيرُ مَعِي عَبْدِي يَدِي وَمَطِيَّتِي تَعْلِي

(١) الْيَعْمَلَاتُ - جَمْعُ الْيَعْمَلَةِ مِنَ الْإِبِلِ - : وَهِيَ النَجِيَّةُ الْمَعْتَمَلَةُ الْمَطْبُوعَةُ عَلَى الْعَمَلِ .

الْمَهْرِيَّةُ : إِبِلٌ نَجَائِبُ تَسْبِقُ الْخَيْلَ ، مَنْسُوبَةٌ لِقَبِيلَةِ مُهْرَةَ بْنِ حِيدَانَ .

(٢) الصُّوَى : الطَّرِيقُ الْوَعْرُ . مُزَوَّرَةٌ : مَعْوَجَةٌ ، وَأَرَادَ أَنْ حِذَاهُ عِنْدَمَا يَسِيرُ إِلَى الْأَمِيرِ يَسْبِقُ جَمِيعَ الْخَيُْولِ السَّرِيعَةِ . التَّنَوُّفَةُ : الْقَفْرُ مِنَ الْأَرْضِ . الدَوْسِيَّةُ : الدَّوْسُ شِدَّةُ الْوَطْءِ بِالْأَقْدَامِ ، وَمِنْ هَذَا يُقَالُ : طَرِيقٌ مَدُونَسٌ .

(٣) الْخَضَلَةُ : النِّعْمَةُ وَالرِّفَاحَةُ .

(٤) بَنَسِيَّةُ : أَيُ بَنَسِيَّةٍ ، وَهِيَ الدِّينُ الْمَوْجَلُ .

وحجَّ بعضُ نُسَّاكِ أَرْضنا ماشياً ، فسُئِلَ : مِنْ أَيِّ الظَّهِيرِ رَكَوْنُكَ ؟ من أي الظهور ركوبك
 قال : ذلولٌ ، كُنْتُ بها عَنِ الْأَرْضِ مِنْ قَوْلِهِ جَلَّ شَأْنُهُ : ﴿ هُوَ الَّذِي
 جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا ﴾ [الملك : ١٥] .

وعلى ذكر النعل .. أقول : بينا أنا أطلعُ مرَّةً في كتابٍ للنبهانيّ وجهة نظر المؤلف في
 بين عهدٍ بعيد .. إذا به يقولُ في ليلة الإسراء [من الطويل] :

عَلَى رَأْسِ هَذَا الْكَوْنِ نَعْلُ مُحَمَّدٍ سَرَتْ فَجَمِيعُ النَّاسِ تَحْتَ ظِلِّهِ^(١)
 لَنِّي الطُّورُ مُوسَى نُودِيَ أَخْلَعُ وَأَحْمَدُ عَلَى الْعَرْشِ لَمْ يُؤْمَرْ بِخَلْعِ نَعَالِهِ
 فلم يعجبني الكلام ، وأطرحُ الكتاب ، ولَمَّا كَانَ اللَّيْلُ ..
 رأيتُ النبهانيّ ، أو بعضَ محبيه فيما يرى النَّائِمُ ، فأعترضْتُ قَوْلَهُ
 وَأَوْسَعْتُهُ رَدًّا ، وَقُلْتُ لَهُ : إِنَّ الْأَلِيقَ بِمَدْحِ نَبِيِّنَا ﷺ هُوَ مَا أَقُولُ ،
 وَأَنْشَدْتُهُ [من الطويل] :

يَقُولُونَ : إِنَّ الْمُصْطَفَى لَيْلَةُ السَّرَى إِلَى الْعَرْشِ لَمْ يَغْرَمْ بِخَلْعِ نَعَالِهِ
 وَهَذَا مُحَالٌ لَا يَلِيقُ بِحَالِ مَنْ تَوَاضَعُ لِهَيْبَةِ اللَّهِ أَسْنَى خِلَالِهِ

في منام طويل ، لا حاجة إلى استيعابه ، إذ قد استوفيتُه مع ما
 يتعلَّق به من البحث في كتابي « بلابل التغريد » ، ومنهُ أَنَّهُ مَأْمُورٌ بِمَا
 أَدَّبَ اللَّهُ بِهِ مُوسَى عَلَيْهِمَا [الصَّلَاةُ وَ] السَّلَامُ بِنَصِّ قَوْلِهِ جَلَّ ذِكْرُهُ :
 ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتُهُمْ أَفْتَدَةٌ ﴾ [الأنعام : ٩٠] . ولئن
 اعترضَ بَأَنَّ مُوسَى لَمْ يُؤْمَرْ بِخَلْعِ النَعْلِ إِلَّا لِنَجَاسَتِهِ .. فجوابُهُ : أَنَّهُ

(١) قال أحدهم في نحو هذا المعنى : (وَنَعْلِي مَتَى نَخْضَعُ لِهَيْبَتِهَا نَعْلُو) .

قول لا يعول عليه ، وأما الصلاة في النعال . . فهي من أكره خص ،
كما قال ابن دقيق العيد ، لا من المستحبات .

أمره ﷺ بمخالفة اليهود
بالصلاة بالنعال
قال الحافظ ابن حجر [في «الفتح» ١/٤٩٤] : وروى الحاكم [في
«المستدرک» ١/٣٩١] وأبو داود [في «سننه» ١/٦٥٢] من حديث شداد بن
أوس : « خالفوا اليهود فإنهم لا يصلون في نعالهم ولا خفافهم » ،
فيكون استحب ذلك من جهة قصد المخالفة المذكورة ، وورد في
كون الصلاة في النعال من الزينة المأمور بأخذها في الآية حديث
ضعيف جداً ، أورده ابن عدي في «الكامل» ، وابن مردويه في
«تفسيره»^(١) ، من حديث أبي هريرة . انتهى .

وقد صرح فقهاؤنا باستحباب نزع النعل لدخول (مكة) وهو مما
يرد كلام النبهاني ، وهذا كله من حيث الفقه .
استحباب قلع النعل
لدخول (مكة)

وأما من حيث الرواية : فقد اعترف هو نفسه بأنه لم يرد ما يدل
عليه ، والله در المعري في قوله [كما في «سقط الزند» ١٥٩ من البسيط] :

يا شاكِي التُّوبِ أَنهَضَ طَالِباً حَلَباً نُهَضَ مُضْنِي لِحَسَمِ الدَّاءِ مُلْتَمِسِ^(٢)
وَأَخْلَعَ حِذَاءَكَ إِنْ حَاذَيْنَهَا وَرَعاً كَفَعَلَ مُؤَسَى كَلِيمِ اللَّهِ فِي الْقُدُسِ

ويتصل به كثير مما يأتي في الآثار من المجلس الحادي عشر .

ثم إن الناظم كثير التلون في أحواله ، فتارة يتصعلك ويتفقر
تلون المتن وتغيره في
أشعاره

(١) أورده عنه ابن كثير في «تفسير القرآن العظيم» (٢/٢١٠) عن أنس مرفوعاً أنها

نزلت في الصلاة بالنعال ، وقال : لكن في صحته نظر . والله أعلم .

(٢) التُّوبُ : المصائب .

يعترف بالرجلة ، كما في البيت ، وكما في قوله [في] «المكبري»
[١٢٤/١ من الكامل] :

وحيثُ من خوص الركابِ بأسودٍ من دارشٍ ففدوتُ أمشي راكباً^(١)
(و) (الدارش) : جلدٌ أسودٌ تصنعُ منه الأحذية ، وقوله [في]
«المكبري» [١٤٠/١ من الوافر] :

ولمّا قلتِ الإبلُ أمتطينا إلى ابنِ أبي سليمان الخطوبيا
وقوله [في] «المكبري» [٢١١/٣ من المنسر] :

ومهمه جُبته على قدمي تعجزُ عنه العرامسُ الدُّلُّ^(٢)
بصارمي مرتدٍ ، بمخبرتي مجتريء ، بالظلامِ مُشمِّل^(٣)
وقوله [في] «المكبري» [٣٤٦/١ من المتقارب] :

وقد كان مشيهما في النعالِ فقد صار مشيهما في القيودِ
وقوله [في] «المكبري» [٢٩٠/٤ من الطويل] :

وغيرُ كثيرٍ أن يزورك راجلٌ فيرجع ملكاً للعراقين واليا

(١) حيثُ : أعطيتُ . خوصُ الركابِ : الإبلُ المتعبة . والمعنى : أعطيت بدلَ الإبلِ
خفاً أسوداً أمشي فيه .

(٢) المهممة : المفازة البعيدة والطريق ، والجمعُ المهمية ، ومنه قول الشاعر :
ومهمته مغبرة أرجاؤه كأن لون أرضه سماؤه
جُبته : قطعته ، ومنه : «جاءوا الصخر بالواو» [الفجر : ٩] . العرامسُ :
النوق الصلاب الشديدة . الدُّلُّ : المذللة بالعمل ، المروضة بالسير ، وهي
جمعُ ذلول .

(٣) المعنى : أنا مرتدٌ بسيفي ، متقلدٌ به ، مكتفٍ بعلمي ، لم أحتج إلى دليلٍ يدلّني
ويهديني الطريق ، لابسٌ ثوب الظلام ، مشتملٌ به كما يشتملُ الرجلُ بثوبه .

وقوله [في «المكبري» ٢٧٦/٣ من البسيط] :

لَا خَيْلَ عِنْدَكَ تُهْدِيهَا وَلَا مَالٌ فَلْيُسْعِدِ الْتَطْنُ إِذْ لَمْ تُسْعِدِ الْحَالُ
بيننا هو كذلك . . إذا به يتناول تارة أخرى ، ويقول [في «المكبري»

٢٧٠/١ من الطويل] :

وَتُسْعِدُنِي فِي غَمْرَةٍ بَعْدَ غَمْرَةٍ سَبُوحٌ لَهَا مِنْهَا عَلَيْهَا شَوَاهِدُ^(١)

ويقول [في «المكبري» ٣٦/١ من الخفيف] :

وَلَقَدْ أَفْتَتِ الْمَقَاوِرُ خَيْلِي قَبْلَ أَنْ تَلْتَقِي وَزَادِي وَمَائِي

ويقول [في «المكبري» ٣٨/١ من المتقارب] :

إِذَا فَرَعَتْ قَدَمُهَا الْجِيَادُ وَيَبْضُ الْسُيُوفُ وَسُمُرُ الْقَنَا

ويقول [في «المكبري» ١٧٣/١ من البسيط] :

وَجَدْتُ أَنْفَعَ مَالٍ كُنْتُ أَذْخَرُهُ مَا فِي السَّوَابِقِ مِنْ جَزِيٍّ وَتَقَرِّبِ

ويقول [في «المكبري» ١٥١/٢ من الطويل] :

عَلَيَّ لِأَهْلِ الْجَوْرِ كُلِّ طِمْرَةٍ عَلَيْهَا غَلَامٌ مِلْءُ حَيْزُومِهِ غِمْرُ^(٢)

وقوله : (مِلْءُ حَيْزُومِهِ غِمْرُ) من قول امرئ القيس : (تَحْمَلُ
فِي الْقُلُوبِ حَقًّا) .

(١) السُّبُوحُ : الفرسُ الشديدُ الجري ، والبيت من شواهد البلاغة .

(٢) الطِمْرَةُ : الفرسُ العاليُ المشرفة . الحيزومُ : الصدر . الغِمْرُ : الجفد .
والمعنى أَنَّهُ يَقُولُ : أَنَا كَفَيْلٌ بِخَيْلِ فِرْسَانِهَا هَؤُلَاءِ .

وقول ربيعة بن مقروم الضبي [في «خزانة الأدب» ٤٣٦/٨ من الكامل]:
وَالِدٌ ذِي حَنْقٍ عَلَيَّ كَأَنَّمَا تَغْلِي عَدَاوَةُ صَدْرِهِ فِي مِرْجَلٍ

ويقول النازم أيضاً [في «المكبري» ١٧٩/١ من الطويل]:
وَعَيْنِي إِلَى أَدْنَى أَغْرَ كَأَنَّهُ مِنْ اللَّيْلِ بَاقٍ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَوَكَبٍ^(١)

ويقول [في «المكبري» ٢٨٥/٤ من الطويل]:
وَجُرُوداً مَدَدْنَا بَيْنَ آذَانِهَا الْقَنَا فَيَشْنَ خِفَافاً يَتَّيْعَنَ الْعَوَالِيَا

ويقول [في «المكبري» ٢٣/٢ من الطويل]:
وَفِي النَّاسِ مَنْ يَرْضَى بِمَيْسُورِ عَيْشِهِ وَمَرْكُوبُهُ رِجْلَاهُ وَالشُّوبُ جِلْدُهُ

ويقول [في «المكبري» ٣٩/٤ من البسيط]:
لَيْسَ الْتَعَلُّلُ بِالْأَمَالِ مِنْ أَرَبِي وَلَا الْقَتَاعَةُ بِالْإِفْلَاحِ مِنْ شَيْمِي

وقد ألم في هذا ، وفي قوله : (فَلَا مَجْدَ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ لَا مَجْدَ إِلَّا بِمَالٍ
مَالُهُ) بقول قيس بن سعد بن عبادة [في «البيان والتبيين» ٥٩٦/١]: اللَّهُمَّ
هَبْ لِي حَمْدًا وَمَجْدًا ، لَا حَمْدَ إِلَّا بِفَعَالٍ ، وَلَا فَعَالٌ إِلَّا بِمَالٍ ،
اللَّهُمَّ إِنَّ الْقَلِيلَ لَا يُضِلُّحَنِي ، وَلَا أَصْلَحُ عَلَيْهِ .

وما أظنُّ أبا فراس الحمداني في قوله [في «ديوانه» ١٩٦-١٩٧ من الكامل]:
وَتَعَاثُ لِي طَمَعُ الْخَرْنِصِ أَبْوَتِي وَمُرُوءَتِي وَقَنَاعَتِي وَعَفَافِي
مَا كُلُّ مَا فَوْقَ الْبُسْبُطَةِ كَافِيَا فَإِذَا قَنَعْتَ فَكُلُّ شَيْءٍ كَافٍ

(١) المعنى : أنه كان ينظر إلى أدنى فرسه ، وذلك أنَّ الفرس أبصر شيء ، فإذا
حسن بشخص من بعيد نصب أذنيه نحوه . . . فيعلم الفارس أنه أبصر شيئاً ، ثم
وصف فرسه بأنه قطعة ليل في وجهه كوكب .

إِلَّا وَيُعْرَضُ بِالنَّاطِمِ ، وَيُشِيرُ إِلَى قَوْلَيْهِ السَّابِقَيْنِ ، وَلَكِنْ نَفَى عَنْهُ الذَّمَّ كُلَّ النَفْيِ مَا أَشْرْنَا إِلَيْهِ مِنْ دُعَاءِ قَيْسٍ ، وَالثَّانِي مِنْ آيَاتِ الْحَمْدَانِي ، هُوَ مِنْ قَوْلِ أَبِي ذُوَيْبٍ [فِي «دِيَوَانِهِ» ٥٦٠ مَنِ الْكَامِلِ] :

وَالنَّفْسُ رَاغِبَةٌ إِذَا رَغَبَتْهَا وَإِذَا تُرِدُّ إِلَى قَلِيلٍ تَقْنَعُ

وَبَيْنَا صَاحِبُنَا يَعْتَرِفُ بِقَلَّةِ الْعَدِّ ، وَيَشْتَكِي مِنْ صُفُورَةِ الْيَدِ ،
وَيَقُولُ [فِي «الْمَكْبَرِيِّ» ٢٧٠/١٠ مَنِ الطَّرِيقِ] :

أَهْمُ بِشْيَاءٍ وَاللَّيَالِي كَأَنَّهَا تَطَارِدُنِي عَنْ كَوْنِهِ وَأَطَارِدُ
وَحِيدٌ مِنَ الْخُلَآنِ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ إِذَا عَظُمَ الْمَطْلُوبُ قَلَّ الْمُسَاعِدُ

وَيَقُولُ لِلْمَغِيثِ الْعِجْلِيِّ [فِي «الْمَكْبَرِيِّ» ١٢٠/١٠ مَنِ الْبَسِطِ] :

لَمَّا أَقَمْتُ بِأَنْطَاكِيَّةٍ اخْتَلَفْتُ إِلَيَّ بِالْخَبَرِ الرُّكْبَانُ فِي حَلَبَا
فَسِرْتُ نَحْوَكَ لَا أَلْوِي عَلَى أَحَدٍ أَحْتُ رَاحِلَتِي الْفَقْرَ وَالْأَدْبَا

إِذَا بِهِ يَتَنَفَّسُ دِمَاغُهُ ، وَيَمْتَلِئُ فَرَاغُهُ ، وَيَقْصُ أَنْفُهُ ، وَيَمُدُّ إِلَى
النَّجُومِ كَفَّهُ ، وَلَا يَسْتَحِي أَنْ يَقُولَ لِلْمَغِيثِ فِي نَفْسِ الْقَصِيدَةِ [فِي
«الْمَكْبَرِيِّ» ١٢٠-١٢١ مَنِ الْبَسِطِ] :

وَإِنْ عَمِرْتُ جَعَلْتُ الْخَرْبَ وَالِدَةً وَالسَّنْهَرِي أَخَا وَالْمُشْرِفِي أَبَا^(١)
بِكُلِّ أَشَعَتْ بَلَقَى الْمَوْتَ مُبْتَسِمًا حَتَّى كَانَ لَهُ فِي قَتْلِهِ أَرَبَا
فُحُّ يَكَادُ صَهِيلُ الْخَيْلِ يَقْذِفُهُ عَنْ سَرْجِهِ مَرَحًا بِالْعِزِّ أَوْ طَرَبَا^(٢)
فَالْمَوْتُ أَغْدَرُ لِي وَالصَّبْرُ أَجْمَلُ بَنِي وَالْبَرُّ أَوْسَعُ وَالْدُنْيَا لِمَنْ غَلَبَا

(١) عَمِرْتُ: عَشْتُ طَوِيلًا.

(٢) الْفُحُّ: الْخَالِصُ.

فَانْظُرْ كَيْفَ يَطْمَعُ فِي الْمُلْكِ الْكَبِيرِ ، وما يجدُ ما يتبلَّغُ بِهِ مِنْ نَاقَةٍ
 السدوسي والابيل
 المروقة
 بنو
 جديلة على امرىء القيس ، وأخذوا إبلاً ، وهو في جواره ، فقال
 له : أعطني رواحلك ؛ لألحق القوم ، فأرُدَّ الإبل ، ففعل ، وركب
 خالد حتى أدرَكهم ، فقال : يا بني جديلة ، أغرَتم على إبل جاري !
 قالوا : ما هؤلك بجارٍ ، قال : بلى ، وهذه رواحله معي ، قالوا :
 أكذلك ؟ قال : نعم ، فأنزلوه عنها ، وأخذوها فوق الإبل ، فعاد
 خالد ينفضُ مَذْرَوَيْهِ^(١) ، قال لامرئ القيس : لا تخف فسأردُّ عليك
 الجميع ، فقال امرؤ القيس [في «ديوانه» ١٧٤ من الطويل] :
 وَدَعَّ عَنْكَ نَهْياً صَنِحَ فِي حَجَرَاتِهِ وَهَاتِ حَدِيثاً مَا حَدِيثُ الرَّوَاحِلِ^(٢)

ولا يصحُّ أن يُعْتَذَرَ عَنْهُ بِمَا سَبَقَ مِنْ قَوْلِهِ [في «المكبري» ٢٩٠/٤ من نفي العذر عن النبي
 في تناقضه
 الطويل] :

(وَغَيْرُ كَثِيرٍ أَنْ يَزُورَكَ رَاجِلٌ .. إِلَى آخِرِهِ) لفرق ما بين
 الحالين ؛ إذ هوَ تَمَّ طَالِبٌ وَهنا فَاخِرٌ .

ويقول الناظم أيضاً [في «المكبري» ٤٤/٤ من البسيط] :

(١) المَذْرَوَانِ : الجانبانِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ، تقولُ العربُ : جاءَ فلانٌ يَضْرِبُ أَصْدَرَيْهِ ،
 وَيَهْرُ عَطْفَيْهِ وَيَنْفِضُ مَذْرَوَيْهِ ، وهما منكباهُ .

(٢) القصة في «مجمع الأمثال» (٢٦٨/١) ، و«جمهرة الأمثال» (٤٥٢/١) .
 النهب : السلبُ وانتهازُ الفرصِ لاختطافِ الأشياءِ . حَجَرَاتُهُ : نواحيهِ ،
 والمعنى : دع عنك حديث إبلي التي سطا عليها هؤلاء اللصوص ولكن هات
 حدثني عن ذهاب رواحلك ، وكيف مكنتهم من أخذها ، يا سيِّءَ الجوار ، ويا
 ضعيفَ الدفعِ عن الجار ١٩ .

مِنَعَادُ كُلِّ رَقِيقٍ الشَّفَرَتَيْنِ غَدَاً وَمَنْ عَصَى مِنْ مُلُوكِ الْعُرَبِ وَالْعَجَمِ^(١)

ويقول [في المَكْبَرِيّ] ٤١/٤ : من البسيط :

لَأَتْرُكَنَّ وَجُوهَ الْخَيْلِ سَاهِمَةً وَالْعُرْبُ أَقْوَمُ مِنْ سَاقٍ عَلَى قَدَمٍ^(٢)
وَالطَّنُنُ يُخْرِقُهَا وَالزَّجَرُ يُقْلِقُهَا حَتَّى كَأَنَّ بِهَا ضَرْباً مِنَ اللَّعْمِ^(٣)

ويقول [في المَكْبَرِيّ] ١٥٧/٢ : من الطويل :

وَجَنَّتَنِي قُرْبُ السَّلَاطِينِ مَقْتُهَا وَمَا يَفْتَضِينِي مِنْ جَمَاجِمِهَا الشَّنَرُ

ويقول [في المَكْبَرِيّ] ٣٧٣/١ - ٣٧٤ : من الطويل :

سَأَطْلُبُ حَقِّي بِالْقَنَاءِ وَمَشَايِخِ كَأَنَّهُمْ مِنْ طُولِ مَا التَّمَّزُوا مُرْدُ^(٤)
ثِقَالٍ إِذَا لَاقَوْا خِفَافٍ إِذَا دُعُوا كَثِيرٍ إِذَا شَدُّوا قَلِيلٍ إِذَا عُدُّوا
إِذَا شِئْتُ حَقَّتْ بِي عَلَى كُلِّ سَابِغٍ رِجَالٌ كَأَنَّ الْمَوْتَ فِي فَمِهَا شَهْدُ

ويقول [في المَكْبَرِيّ] ١٩٣/١ : من الطويل :

نُصِرْفُهُ لِلطَّنُنِ فَوْقَ حَوَادِرٍ قَدْ انْقَصَفَتْ فِيهِنَّ مِنْهُ كِعَابُ^(٥)

ومهما أعتذرنا للناظم - في تقلبه بين الجزر والمد ، والصغر
وضرع الخد^(٦) بأنَّ الإنسانَ عُرضَةٌ ذلك ، ولهذا كان أكثرُ حلفه ﷺ

(١) رقيق الشفرتين : السيف الذي رقت مضاربته بكثرة الصقل .

(٢) ساهمة : متغيرة الوجه من هول ما ترى .

(٣) اللعْم : الجنون .

(٤) أراد أنهم مجربون ، فلذلك جعلهم مشايخ ، وأراد أنهم لا يفارقون الحرب ،
فلهذا لا يفارقهم اللثام ، فكأنهم مُرْدُ لعدم رؤيته لحاهم .

(٥) الحوادير : الغليظ السمين من الخيل .

(٦) الصُّغُر : إمالة الخد ، وهو كناية عن التكبر ، والشموخ ، والترفع ؛ تهاوناً =

مَقْلَبِ الْقُلُوبِ^(١) - فَإِنَّا لَا نَقْدِرُ أَنْ نُؤَلِّفَ بَيْنَ مَا سَمِعْتَ مِنْ هَفْوِ
الدَّعَاوِي الطَّوِيلَةِ الْعَرِيضَةِ وَبَيْنَ قَوْلِهِ [في «الكُبْرَى» ٣/٣٤٤ من الخفيف] :

لَسْتُ أَنَا إِذَا رَكِبْتَ لَكَ الْخَيْدَ - لَوْ وَأَنَا إِذَا نَزَلْتَ الْخِيَامَ

وَالْإِلَّا... فَالْعَارِفُونَ - وَهُمْ مَنْ هُمْ - تَضْطَرِبُ أَحْوَالُهُمْ ، وَتَتَلَوَّنُ
أُمُورُهُمْ ، أَلَا تَرَى إِلَى الشَّرَفِ ابْنَ الْفَارِضِ بَيْنَا هُوَ يَقُولُ ، وَفِي
السَّمَاءِ أَنْفُهُ ، وَعَلَى نَاصِيَةِ الثَّرَيَّا كَفُّهُ [في «ديوانه» ١٦٩ من الكامل] :

وَإِذَا سَأَلْتُكَ أَنْ أَرَاكَ حَقِيقَةً - فَاسْمَحْ وَلَا تَجْعَلْ جَوَابِي لَنْ تَرَى
إِذَا بِهِ يَتَضَاعَلُ وَيَذُوبُ ، وَيَنْكَسِرُ وَيَتَوَبُّ وَيَقُولُ [في «ديوانه» ٤٧ من
الطَّوِيل] :

مَنْعِي عَلَى سَمْعِي بَلَنْ إِنْ مَنَعْتَ أَنْ - أَرَاكَ فَمِنْ قَلْبِي لِغَيْرِي لَدَّتْ
وَيَقُولُ [في «ديوانه» ١٥٧ من الخفيف] :

دَابَّ قَلْبِي فَأَذَنْ لَهُ يَتَمَنَّا - كَ وَفِيهِ بَقِيَّةٌ لِرَجَاكَ
وَيَقُولُ [في «ديوانه» ١٤٧ من البسيط] :

أَرْحَمُ تَعَثَّرَ آمَالِي ، وَمُرْتَجِعِي - إِلَى خِدَاعِ تَمَنِّي الْوَعْدِ بِالْفَرَجِ

بالمنظور إليه ، قال تعالى : ﴿لَا تُصَيِّرْ خَلْقَكَ لِلنَّاسِ﴾ [لقمان : ١٨] . ضَرَعُ
الْخَدِّ : إِذْلَالُهُ .

(١) ولفظه : «يا مقلب القلوب» رواه عن ابن عمر البخاري ، وأبو داود ،
والترمذي ، والنسائي ، وابن ماجه ، ومن دعائه ﷺ كما في حديث أم سلمة عند
ابن السني (٦٦٣) : «يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك» .

وبينا هو يقول [في «ديوانه» ١٥٣ من الكامل] :

وَإِنْ أَكْتَفَى غَيْرِي بِطَيْفِ خَيَالِهِ فَأَنَا الَّذِي يَوْصَالِهِ لَا أَكْتَفِي

... إِذَا بِهِ يَقُولُ [في «ديوانه» ١٢٦ من الكامل] :

وَأَبَيْتُ سَهْرَانَا أُمَيْلُ طَيْفَهُ لِلطَّرْفِ كَيْ أَلْقَى خَيَالَ خَيَالِهِ

وهو خيرٌ من قول الناظم [في «المكبري» ٥٣/٣ من الكامل] :

إِنَّ الْمُعِينَدَ لَنَا الْمَنَامُ خَيَالُهُ كَانَتْ إِعَادَتُهُ خَيَالَ خَيَالِهِ^(١)

وبينا الشرف أبو الفارض أيضاً يقول [في «ديوانه» ١٤٥ من البسيط] :

عَذَّبَ بِمَا شِئْتَ غَيْرَ الْبُعْدِ عَنْكَ تَجِدُ أَوْفَى مُجِبِّ بِمَا يُرْضِيكَ مُبْتَهَجِ

ويقول [في «ديوانه» ١٤٤ من البسيط] :

أَمْسَيْتُ فَيْكَ كَمَا أَصْبَحْتُ مُكْتَبَا وَلَمْ أَقُلْ جَزَعًا : يَا أَرْمَهُ أَنْفَرِجِي^(٢)

ويقول [في «ديوانه» ١٥٦ من الخفيف] :

وَبِمَا شِئْتَ فِي هَوَاكَ أَخْتَبِرْنِي فَأَخْتَبَارِي مَا كَانَ فِيهِ رِضَاكَ

... إِذْ بَطَلَ اخْتِبَارُهُ ، وَعَيْلَ أَصْطِبَارُهُ ، وَبَكَاتِ دَرَّتُهُ^(٣) ، وَلَانَتْ

مَرَّتُهُ ، وَصَارَ يَقُولُ [في «ديوانه» ١٥٨ من الخفيف] :

بِأَنْكِسَارِي بِدِلَّتِي بِخُضُوعِي بِأَفْتِقَارِي بِفَاقَتِي بِغِنَاكَ

لَا تَكْلِنِي إِلَى قُوَى جَسَدِي خَا نَ فَإِنِّي أَصْبَحْتُ مِنْ ضَعْفَاكَ

(١) المنام : فاعل المعيد؛ أي : إن الذي يعيد المنام لنا خياله.

(٢) الجزعُ : عدم الصبر .

(٣) بكات : قلت .

وقام أحد المُلحدين يطمع في القرآن بما ظاهره التناقض من قوله دفع الإشكال بما ظاهره
 تعالى : ﴿ هَذَا يَوْمٌ لَا يَظْهَرُونَ * وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْبُدُونَ ﴾ [المرسلات : ٣٦-٣٥] ،
 وقوله جل ذكره : ﴿ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ
 الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴾ [النبا : ٣٨] مع أمثال قوله تقدّست أسماؤه : ﴿ وَأَقْبَلَ
 سَعْدُكُمْ عَلَى بَعْضِ نِسَاءِ لُؤْلُؤَ ﴾ [الصافات : ٢٧] .

وأجابوا عن ذلك : بأنّ المنفي من الكلام . . النافع ، وبأنّ اليوم
 طويل تختلف فيه الأحوال ، فتارة : يُمنعون عن التكلّم لتلاطم
 الأحوال ، وأخرى : يُؤذّن لهم فيه للتبكيّ والتقرّيع ، فالاعتراض
 مدفوع من أصله ، وإنّما يكون التعارض مع اتّحاد الزمان .

والناظم يلبس لكلّ حالة لبوسها ، إذ لا يزال يعاني من الآثام
 بعمتها وبؤسها^(١) ، غير أنّا لم نره في الخير إلّا متوَعًا ، وفي الشرّ إلّا
 جزوعاً^(٢) ، بعيداً من قول العربي [من البسيط] :

لَا مُتْرَفًا إِنْ رَحَاءَ الْعَيْشِ سَاعِدُهُ وَلَيْسَ إِنْ عَصَّ مَكْرُوهٌ بِهِ خَشَعَا

ومن قول حاتم [في ديوانه ٥٢ من الطويل] :

عَيْنَا زَمَانًا بِالْكَصْفِ وَالْغِنَى كَمَا الدَّهْرُ مِنْ أَيَّامِ الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ
 فَمَا زَادَنَا شَأْوًا عَلَى ذِي قَرَابَةٍ غِنَانًا وَلَا أَزْرَى بِأَخْسَابِنَا الْفَقْرُ^(٣)

(١) لعله أخذه من قول الشافعي :

الْبَسَ لِكُلِّ حَالَةٍ لِبُوسَهَا إِنَّمَا نَعِيمُهَا وَإِمَّا بُؤْسُهَا

(٢) اقتبس أسلوبه من قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا سَعَةُ النَّفْسِ جَزُوعًا * وَإِنَّمَا سَعَةُ الْخَيْرِ مَتَوَعًا ﴾

[المعارج : ٢٠-٢١] .

(٣) شَأْوًا : بُغْدًا . أَزْرَى : عَابَ .

وقول أبي عبد الله الأسديّ [في «الأغاني» ٨٤٤/٢ من الطويل] :

وَإِنِّي لَأَسْتَفْنِي فَمَا أَبْطُرُ الْغَنَى وَأَبْذُلُ مِسُورِي لِمَنْ يَتَغْنِي قَرْضِي^(١)
وَأَغْسِرُ أَحْيَانًا وَتَشْتَدُّ عُسْرَتِي وَأَذْرِكُ مِسُورَ الْغَنَى وَمَعِي عَرْضِي

وقول كثير [في «ديوانه» ٢٣٩ من الطويل] :

إِذَا قَلَّ مَالِي زَادَ عِرْضِي كَرَامَةً عَلَيَّ وَلَمْ أَتَبِعْ دِقَاقَ الْمَطَامِعِ^(٢)

وقول الآخر [من الطويل] :

وَكَمْ أَزَمَ لِلدَّهْرِ أَلْفَتْ جِرَانَهَا عَلَيَّ فَلَمْ تَكْشِفْ مَذَلَّتَهَا سَرِّي^(٣)

وإني لكثيراً ما أعجب لأبي فراس ، وأستدل على أكرامه
وطيب أرومته^(٤) بقوله وهو في غيابات السجن [في «ديوانه» ٢٤٦-٢٤٧ من

كرم نفس أبي فراس
الحمداني

الطويل] :

أَيْضَحُكَ مَا سُورَ وَتَبَكِّيَ طَلَيْقَةً وَبَسْكَتُ مَخْرُودٌ وَتَنْدُبُ سَالِي^(١)!!
لَقَدْ كُنْتُ أَوْلَى مِنْكَ بِاللَّمْعِ مُفْلَةً وَلَكِنْ دَمَعِي فِي الْحَوَادِثِ غَالِي

ولا نعدم من كلام الناظم ما يشبهه غير أنه في حال السعة ،
وهذا يقوله في حين الضيق ، وكذلك الحرُّ الكريم ، والعربيُّ
الصميم لا تجذّه أشدّ ما يكون إلاّ عند انقطاع الأسباب ، واستغلاق
الأبواب ، كما أطلنا البحث فيه من كتابنا «بلابلُ التفرّد» .

عند الانتحان بكرم
المرء أو بهان

(١) البطر : الطغيان عند النعمة .

(٢) لَمْ أَتَبِعْ دِقَاقَ الْمَطَامِعِ : أي لَمْ أَتَبِعْ المطامع الدقيقة الصغيرة التي يدفع إليها
الفقرُ أحياناً .

(٣) الجِرَانُ : الثقل .

(٤) الْأَرْوَمَةُ - بفتح الهمزة وضمتها - : الأصل ، والجمع أَرْوَمٌ .

وحالهُ ﷺ أكملُ الأحوالِ في ذلك ، ولهذا أشتدَّ خوفُهُ ، وكثُرَ إلحاحُهُ ﷺ على ربِّه
 إلحاحُهُ على ربِّه يومَ العرشِ ، والمهاجرونَ والأنصارُ بينَ يديه تدورُ ^{يوم العرش}
 فقال لهم^(١) أمثالَ الحياتِ .

وَبَتَّ جَأَشُهُ ، وَذَهَبَ إِيحَاشُهُ يَوْمَ الْغَارِ ، وَيَوْمَ حَنِينٍ ، وَيَوْمَ ثَبَاةِ جَأَشِهِ فِي الْغَارِ
 أَحَدٌ ، وَقَدْ أَصْفَرَّتِ الْجِبَاهُ ، وَبَيَسَّتِ الْكُفَاهُ ، وَغَارَتِ الْكُيُومُ ،
 وَطُنَّتِ الْظُنُونُ .

وَهَلْ سَمِعْتَ بِشِدَّةِ أَعْظَمَ مِنْ شِدَّتِهِ ، وَقَدْ ظَنَّ أَنَّ عَمَّهُ سَيُسَلِّمُهُ ^{والله يا عم لو وضعوا}
 إِلَى قَرِيشٍ ؛ إِنْ لَمْ يُجِبْهُ إِلَى خَصْلَةٍ مِمَّا عَرَضَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : « وَاللَّهِ ^{الشمس}
 لَوْ وَضَعُوا الشَّمْسَ فِي يَمِينِي ، وَالْقَمَرَ فِي شِمَالِي ، عَلَى أَنْ أَتْرُكَ
 هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يُظْهِرَهُ اللَّهُ ، أَوْ أَهْلِكَ دُونَهُ ، مَا فَعَلْتُ »^(٢) .

وَهَلْ بَلَغَتْكَ رِقَّةُ أَعْظَمَ مِنْ رِقَّتِهِ يَوْمَ فَتْحِ (مَكَّةَ) ؛ إِذْ دَخَلَهَا عَلَى تَوَاضَعِهِ ﷺ عِنْدَ فَتْحِ
 رِجْلِ مُطَاطِنًا رَأْسَهُ ، حَتَّى لَيْكَادُ يَمَسُّ مُقَدَّمَ رِجْلِهِ ، مُرْدِفًا خَلْفَهُ عَبْدًا ^(مكة)
 فِي سَوَادِ الْغَرَابِ ، وَخَلْفَهُ ثَمَانِيَةَ آلَافِ سَيْفٍ مُتَنَاضِعَةٍ ، وَمَكَّنَهُ اللَّهُ مِنْ

(١) وهذا تعبيرٌ فيه كنايةٌ عن شِدَّةِ هَوْلِ الموقفِ الذي كَانَ يَمُرُّ فِيهِ الصَّحَابَةُ أَنَّ ذَلِكَ ،
 وَالْجَمْلَاقُ : بَاطِنُ أَجْفَانِ الْعَيْنِ ، وَحَمَلَقَ الرَّجُلُ : إِذَا انْقَلَبَ حَمَلَاقُ عَيْنِهِ مِنْ
 الْفَزَعِ .

أَخْرَجَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» (٢٩١٥) فِي كِتَابِ الْجِهَادِ
 وَالسَّيْرِ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ وَهُوَ فِي قُبَّةٍ يَوْمَ بَدْرٍ : « اللَّهُمَّ إِنِّي أُنَشِّدُكَ عَهْدَكَ
 وَوَعْدَكَ ، اللَّهُمَّ إِنْ شِئْتَ لَمْ تَعْبُدْ بَعْدَ الْيَوْمِ » فَأَخَذَ أَبُو بَكْرٍ بِيَدِهِ فَقَالَ : حَسْبُكَ يَا
 رَسُولَ اللَّهِ ، فَقَدْ أَلْحَمَّتْ عَلَى رَيْكَ ، وَهُوَ [يُسَبِّحُ] فِي الدَّرْعِ ، فَخَرَجَ وَهُوَ
 يَقُولُ : « سُبُّهُمُ الْفَسَقُ وَيُؤَلِّقُونَ الذُّبُرَ » [١٥] إِلَى السَّاعَةِ مَرَّعُهُمُ وَالسَّاعَةُ أَدْنَى وَأَمْرٌ [القمر :
 ٤٤٥] يعني من المראה .

(٢) «السيرة النبوية» (١٠١/٢) .

رقاب أعدائِهِ الَّذِينَ فعلوا بِهِ الْأَفَاعِيلَ ، فما كَانَ مِنْهُ إِلَّا أَنْ جَمَعَهُمْ
حولَ الْبَيْتِ ، وقالَ : « مَا تَرَوْنِي فاعِلًا بِكُمْ ؟ » ، فقالوا : إِنَّ
تُعَذِّبُ . . فقد أَسَأْنَا ، وَإِنْ تَعَفُّ . . فخيرُ أَيْنَ وَخَيْرُ أَخٍ ، فقالَ لَهُمْ :
« لَا أَقُولُ لَكُمْ إِلَّا كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ : لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ ،
يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ » ^(١) أو ما يَقْرُبُ مِنْ هذا المعنى ^(٢) .

سؤال عن عفوه وعن شدة
وها هنا سؤال وهو : كيف عفا ﷺ عن قريش ، وقتل ما بين
الصلاتين سبع مئة من اليهود ، لم تأخذه بِهِمْ رَأْفَةٌ ، وَلَمْ تَعْطِفْهُ
عليهِمْ رَحْمَةٌ ، مع أَنَّهُ أَشْفَقَ النَّاسَ بِالنَّاسِ ، ومع أَنَّ ذَنْبَهُمْ لَمْ يَكُنْ
مِثْلَ ذُنُوبِ قَرِيشٍ ^(٣) ؟

والجوابُ : أَن لا هَوَادَةَ عِنْدَهُ ، وقد قَتَلَ الْفَرِيقَيْنِ ، إِلَّا أَنَّ قَرِيشًا
لَمَّا كَانُوا أَهْلَ كَرَمٍ ، وَبُعْدَ هِنَمٍ ، وَطَهَارَةِ شَيْمٍ . . كَانَ قَتْلَهُمْ
بِالْعَفْوِ ، وَأَمَّا الْيَهُودُ : فَإِنَّهُمْ لَمَّا أَشْتَمَلُوا عَلَى اللَّؤْمِ ، وَأَنْدَمَجُوا
عَلَى الْخِسَّةِ بآيَةِ أَنَّ ذَنْبَهُمْ كَانَ الْغَدْرُ . . لَمْ يَكُنْ لِيَصْلِحَهُمُ الْحِلْمُ ،
وَلَا لِيَتَدَارَكَهُمْ الْعَفْوُ ، لَا جَرَمَ أَضْطَرُّ إِلَى قَتْلِهِمْ بِالسَّيْفِ ، وقد قَالَ
أَبْنُ الْمُعْتَزِّ [مَنْ الْكامل] :

ضَرَّابٌ هَامٍ الرُّؤْمِ مُتَّقِمًا وَفِي أَغْنَاقِهِمْ مِنْ جُودِهِ أَغْبَاءُ
لَوْلَا أَنْبَعَاثُ السَّيْفِ وَهُوَ مُسَلِّطٌ فِي قَتْلِهِمْ قَتْلَتُهُمُ النَّعْمَاءُ

(١) كما في سورة يوسف عليه السلام [الآية : ٩٢] .

(٢) قصة دخوله ﷺ على الصفة والهيئة المذكورة في « السيرة النبوية » (٢٤ / ٤) ،
ولكنه لم يذكر أَنَّهُ ﷺ كَانَ مُرَدِّفًا عَبْدًا . والله أعلم .

(٣) « ابن هشام » (٢٥٩ / ٣) .

اعتراض المؤلف على
ابن المعتز

إِلَّا أَنَّ عَلَيْهِ مَوَاحِذَتَيْنِ :

إِحْدَاهُمَا : أَنَّ الْإِحْسَانَ ذِمَّةٌ ، فَلَا يَلِيقُ بِالكَرِيمِ أَنْ يُوْذِيَ غَدِيَّ

نَعْمَتِهِ :

وَالْأُخْرَى : أَنَّهُ لَا يُصَارُ إِلَى الْقَتْلِ بِالسِّيفِ إِلَّا عِنْدَ تَعَدُّرِهِ بِالتَّغَمُّاءِ ،
وَلَا كَانَ الْحِلْمُ أَلْيَقَ ، وَالْعَفْوُ أَجْدَرُ ، كَمَا فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ .

الصفحة عند الشعراء

وَقَالَ أَبُو عِبَادَةَ [فِي « دِيَوَانِهِ » مِنَ الطُّوِيلِ] :

صَفْوَحٌ عَنِ الْجَانِي وَصَفْحَةٌ سَيِّفِهِ إِذَا هِيَ لَمْ تَقْتُلْهُ فَالْصَّفْحُ قَاتِلُهُ

وَوَضَّحَهُ أَبُو الطَّيِّبِ فِي قَوْلِهِ [فِي « الْمُكْتَبَرِيِّ » ٢٨٨/١ مِنَ الطُّوِيلِ] :

وَمَا قَتَلَ الْأَخْرَارَ كَالْعَفْوِ عَنْهُمْ وَمَنْ لَكَ بِالْخُرِّ الَّذِي يَخْفِظُ الْبَنَاتِ
إِذَا أَنْتَ أَكْرَمْتَ الْكَرِيمَ مَلَكَتُهُ وَإِنْ أَنْتَ أَكْرَمْتَ اللَّيْسَمَ تَمَرَّدَا
وَوَضَّعَ النَّدَى فِي مَوْضِعِ السِّيفِ بِالْعَلَا مُضِرٌّ كَوَضَّعَ السِّيفُ فِي مَوْضِعِ النَّدَى

وَقَوْلِهِ [فِي « الْمُكْتَبَرِيِّ » ١٣٦/٤ مِنَ الطُّوِيلِ] :

وَأَخْلَمُ عَنِ خِلِّي وَأَعْلَمُ أَنَّهُ مَتَى أَجَزَهُ حِلْمًا عَلَى الْجَهْلِ يَنْدَمُ

وَقَوْلِهِ [فِي « الْمُكْتَبَرِيِّ » ١٨٥/٤ مِنَ الْكَامِلِ] :

يَا مَنْ يُقْتَلُ مَنْ أَرَادَ سَيِّفِهِ أَصْبَحْتُ مِنْ قَتْلِكَ بِالْإِحْسَانِ

وَقَوْلِهِ [فِي « الْمُكْتَبَرِيِّ » ٣٧٩/١ مِنَ الطُّوِيلِ] :

وَيَضْطَنِعُ الْمَعْرُوفُ مُبْتَدَأًا بِهِ وَيَمْنَعُهُ عَنْ كُلِّ مَنْ ذَمُّهُ حَمْدُ

وَقَوْلِهِ [فِي « الْمُكْتَبَرِيِّ » ٣١٠/٣ مِنَ الْكَامِلِ] :

لَا يَنْهَرُونَ عَلَى مُحَالِفِهِمْ سَيِّفًا يَقْضُونَ مَقَامَهُ الْعَدْلُ

وفي البحثِ طولٌ وفَيْئاهُ حقُّهُ في « بلابلِ التغريدِ » .

ولنعُدْ إلى ما يتَّصلُ بتناقضِ الناظمِ ، فنقولُ :

عود على بدء

حُكِي : أَنَّ الْأَصْمَعِيَّ رُبِّيَ عَلَى حِمَارٍ أَعَجَفَ ، فَقِيلَ لَهُ : تَرْكِبُ
هَذَا بَعْدَ بَرَاذِينَ الْخُلَفَاءِ ؟ فَقَالَ [مَنْ الْكَامِلُ] :

الأصمعي وبراذهين
الخلفاء

وَلَمَّا أَبَتْ إِلَّا أَنْصِرَامًا لِيُودَّهَا وَكَدَّرَتْ الْمَاءَ الَّذِي كَانَ صَافِيَا
شَرِبْنَا بِرَيْقٍ مِنْ هَوَاهَا مُكَدَّرٍ وَلَيْسَ يَعَافُ الرُّيْقُ مَنْ كَانَ صَادِيَا

وَلِلنَّاطِمِ فِيمَا يَقْرُبُ مِنَ الْآخِرِ قَوْلُهُ [فِي « الْمُكَبَّرِي » ٢٨١/٢ مِنْ
المنسرح] :

الفروررات تيح
المحظورات

غَيْرَ اخْتِيَارٍ قَبِلْتُ بِرَّكَ بَنِي وَالْجُنُوعُ يُزِيضِي الْأَسْوَدَ بِالْجَيْفِ

ومثله قولُ بعضهم [مَنْ مَجْرُوه الْكَامِلُ] :

خُذْ مَا آتَاكَ مِنَ الْكَلْبَا م إِذَا نَأَى أَهْلُ الْكَرَمِ
فَالْأَسَدُ تَقْتَرِسُ الْكِلَا ب إِذَا تَعَدَّرَتْ الْغَنَمُ

وَسَأَلَ ابْنُ الرُّومِيِّ حَاجَةً مِنْ بَعْضِ الرُّؤَسَاءِ ، فَقَضَاهَا لَهُ ، وَمَا
كَانَ يَتَوَقَّعُ ذَلِكَ مِنْهُ ، فَقَالَ [مَنْ الطَّرِيلُ] :

ابن الرومي يطلب
حاجة لا يتوقع قضاءها

سَأَلْتُكَ فِي أَمْرِ فَجُدْتَ بِبَذْلِهِ عَلَى أَنِّي مَا خِلْتُ أَنَّكَ تَفْعَلُ
وَالزَّمْتَنِي بِالْبَذْلِ شُكْرًا وَإِنَّهُ عَلَيَّ مِنَ الْحِرْمَانِ أَذْهَى وَأَعْصَلُ
وَمَا خِلْتُ أَنَّ الدَّهْرَ يَنْبِي بَصْرَفِهِ إِلَى أَنْ أَرَى فِي النَّاسِ مِثْلَكَ يُسْأَلُ
لِئِنْ سَرَّنِي مَا نِلْتُ مِنْكَ فَإِنَّهُ لَقَدْ سَاءَ عَيْنِي إِذْ أَنْتَ مِمَّنْ يُؤْمَلُ

وفيما يليقُ بموضوع البيتِ الَّذِي نتكلَّمُ فيه ، يَقُولُ ابْنُ الرُّومِيِّ
أَيْضًا فِي أَبِي الصَّقَرِ [فِي « دِيوانِهِ » ١٦٣٨/٢ مِنْ الْوَافِرِ] :

ابن الرومي بعد
عبوسها

لَمَّا يَغْلُو الْجِيَادَ وَكَانَ يَغْلُو إِذَا مَا اسْتَفْرَه السَّبْتُ الرِّقَاقَا^(١)
 مَشَاهَا الشُّسُوعُ فَإِنْ عَرَاهَا حِفَاءُ الْكَدْ أَنْعَلَهَا طِرَاقَا
 مَرْوَجَ بَعْدَ فَقْرٍ مِنْهُ نَعْمَى أَرَانِي اللَّهُ صُبْحَتَهَا طَلَاقَا

رجل خفيف الجمل

رَقَالَ آخِرُ [مَنْ الخفيف] :

أَرَانِي أَرَى مِنَ الدَّهْرِ يَوْمَا وَيَمْلِكُنِي مَطِيَّةً غَيْرَ رِجْلِي
 وَإِذَا كُنْتُ فِي أَنْاسٍ فَقَالُوا قَرُّبُوا لِلرَّحِيلِ قَرَبْتُ نَعْلِي
 حَتَّمَا كُنْتُ لَا أَخْلَفُ رَحْلًا مَنْ رَأْنِي فَقَدْ رَأْنِي وَرَحْلِي

كَانَ لِبَعْضِ الْفُقَرَاءِ مِنْ مُتَأَخِّرِي أَهْلِ بِلَادِنَا جِيرَانٌ أَغْنِيَاءُ ، فَكَانَ
 يَقُولُ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ : (اللَّهُمَّ مِثْلُنَا أَوْ مِثْلَهُمْ) ؛ يَرِيدُ أَنْ يَفْتَقِرُوا مِثْلَهُ
 وَيَسْتُرُوا مِثْلَهُمْ ، وَكَأَنَّمَا أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ بَعْضِهِمْ ، وَهُوَ مِنْ مَنَاسِبِ
 الْمَوْضُوعِ [مَنْ الْمُتَقَارِبُ] :

سَامَى الرَّجَالُ عَلَى خَيْلِهِمْ وَرِجْلِي مِنْ بَيْنِهِمْ حَافِيَةً
 إِنْ كُنْتُ حَامِلَنَا رَيْتَا وَإِلَّا فَأَرْجِلُ بَيْنِي الرِّزَانِيَّةَ

وَذَكَرُوا : أَنَّ بَعْضَهُمْ رَأَى أَحَدَ بَنِي هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَعَلَى
 طَهْرِهِ قَرْيَةً ، فَقَالَ لَهُ : بَعْدَ الْخِلَافَةِ تَكُونُ عَلَى هَذَا الْحَالِ ؟ ! قَالَ :
 لَمْ يَذْهَبْ إِلَّا الْفُضُولُ !!

وَرَأَى أَبْنُ الْبَلْبَانَةِ فَخَرَ الدَّوْلَةِ أَبْنُ الْمُعْتَمِدِ بْنِ عَبَّادٍ ، وَقَدْ جَلَسَ
 فُخْرُ الدَّوْلَةِ ابْنُ الْمُعْتَمِدِ
 يَتِمُّ الصِّيَاغَةُ

(١) اسْتَفْرَه : تَخَيَّرَ الْجَيْدَ . السَّبْتُ : النِّعَالُ الْمَصْنُوعَةُ مِنَ الْجِلْدِ الْمَدْبُوعِ .
 الرِّقَاقُ : كِتَابَةٌ عَنِ الْجَدِيدِ مِنَ النِّعَالِ ؛ لِأَنَّهَا لَا رُقْعَةَ فِيهَا .

في السوق ليتعلم الصياغة ، وهو ينفخ الفحم بالقصبه ، فقال لكانني
 « نفع الطيب » ٩٧/٤ من البسيط :

شَكَاتْنَا لَكَ يَا فَخْرَ الْعُلَا عَظُمْتَ وَالرُّزْءُ يَعْظُمُ فِيمَنْ قَدَرُهُ عَظُمَا
 طُوِّقَتْ مِنْ نَائِبَاتِ الدَّهْرِ مُخْنِفَةً ضَاقَتْ عَلَيْكَ وَكَمْ طَوَّقْتَنَا نِعْمَا
 صَرَفْتَ فِي آلَةِ الصَّوَاغِ أُنْمُلَةً لَمْ تَذَرِ إِلَّا الْتَدْيَ وَالسَّيْفَ وَالْقَلَمَا
 يَدَّ عَهْدُكَ لِلتَّقْيِيلِ تَبْسُطُهَا فَتَسْتَقِيلُ الثَّرِيَّا أَنْ تَكُونَ فَمَا
 يَا صَائِغًا كَانَتْ أَلْعَلِّيَا بُصَاغُ لَهُ حُلِيًا وَكَانَ عَلَيْهِ الْحُلِي مُنْتَظَمَا
 لِلنَّفْخِ فِي الصُّورِ هَوَلٌ مَا حَكَاهُ سَوَى هَوَلٌ رِفَاتُكَ فِيهِ تَنْفُخُ الْفَحْمَا
 وَدِدْتُ إِذْ نَظَرْتُ عَيْنِي إِلَيْكَ بِهِ لَوْ أَنَّ عَيْنِي تَشْكُو قَبْلَ ذَاكَ عَمَى
 مَا حَطَّكَ الدَّهْرُ لَمَّا حَطَّ عَنْ شَرَفٍ وَلَا تَحَيَّفَ مِنْ أَخْلَاقِكَ الْكِرْمَا
 لُحْ فِي الْعُلَا كَوَكْبًا إِنْ لَمْ تُلْخِ قَمَرًا وَقُمْ بِهَا رَبُّوَةٌ إِنْ لَمْ تَقُمْ عَلَمَا
 وَأَضْبِرْ فَرُبَّمَا أُخِمِدَتْ عَاقِبَةٌ مَنْ يَلْزِمُ الصَّبْرَ يَحْمَدُ غَيْبَ مَا لَزِمَا
 وَاللَّهُ لَوْ أَنْصَفْتَكَ الشَّهْبُ لَانْكَسَفَتْ وَلَوْ وَفَى لَكَ دَمْعُ الْعَيْنِ لَانْسَجَمَا
 أَبْكِي حَدِيثُكَ - حَتَّى الدُّرَّ - حِينَ غَدَا يَخْكِيكَ رَهْطًا وَالْقَاطَا وَمُبَشَّمَا

تغير احوال ام جعفر ودخلت أم جعفر البرمكي - في يوم عيد - على بعض
 الهاشميين ، فقالوا لها : صيفي لنا حاليك ، قالت : لا أزيدكم على
 أنه مضى عليّ مثل اليوم في العام الماضي وعلى رأسي منه وصيفة ،
 وعندى منه ألف دينار ، وأنا أعدُّ ولدي مُقَصِّراً في حقِّي ، واليوم
 أطلبُ درهماً أتبلغُ به في عيدي .

قصة عجيبة على تغير وقال محمد بن يزيد الشاعر : دعاني الفضل بن يحيى ذات ليلة
 إلى دار له واسعة مؤثثة بأجمل الرياش ، وإذا هي غاصة بالعلماء
 الأحوال

والشعراء والأمرء والخاصة والأعيان ، وأخرج مولود عن يمين
الفضل ، فقرأ القرآن حتى انتهوا من الختمة ، فقام الشعراء
الخطباء ، ونثرت الدنانير ولم يحضرني غير قولي [من الطويل] :

ويفرح بالمولود من آل بزمك ولا سيما إن كان من ولد الفضل
ويعرف فيه الخير حال وجوده بسينا العلأ والمجد والجود والبذل

فأمر لي بعشرة آلاف دينار ، وقال : خذها يا محمد ، فهي أول
حقك ، فخرجت وأنا من أشد الناس فرحاً ، وتأملت المال
والفقار ، ونعم عيشي ، وطاب لي زماني ، ثم لم تطل الأيام حتى
حلت بهم النازلة . ودخلت الحمام بعد ذلك ، فأشار قيّمه على
صبي حسن الوجه من الخدم أن يذ لك بدني ، فذكرت البرامكة
وأيامهم ؛ لأنهم سبب نعمتي ، فأنشدت البيتين ، فأندهش الصبي ،
وسألت دموعه ، وسقط مغشياً عليه ، فظننت به الجنون ، وعاتبته
القيّم ، ولما أفاق ، وسألناه عن أمره . . . أمتنع ، وبعد الإلحاح
قال : أنا ذلك المولود الذي أنشدت فيه الشعر ، وقد صرّحت إلى ما
برئ ، فعرضت عليه أن أنزل له عن جميع مالي ؛ إذ لا وارث لي
على أن أعيش ما بقي من حياتي في كنفه ، فأبى ، وقال : معاذ الله
أن أرزأك شيئاً ممّا خولك أبي ، وكان آخر عهدي به .

ولما جاء النعمان بن بشير يخطب الرقة ابنة النعمان بن المنذر . .
رذته ، وقالت له : كبرت عن النكاح ، وإنما أرذت بنكاحي
الفرخ ؛ لتقول : أخذت مملكة النعمان ، وتزوجت بنته ، فقال
لها : صفي لنا ما رأيت ، فأنشدت [من الطويل] :

فبينما نسوس الناس والأمر أمرنا إذا نحن فيها سوقة نتصّف

فَأُفِّدُ لِدُنْيَا لَا تَدُومُ بِحَالَةٍ تَقْلُبُ نَارَاتِ بِنَا وَتُصَرِّفُ

موسى بن نصير وتغير حاله
ويروى : أَنَّ موسى بن نصير فاتح (الأندلس) كانت تُرْفَعُ لَهُ
الذخائر ، فيرمي بالذهب والفضة ، ولا يلتقط إلا ما كان من
الجواهر المُمَيَّنَةِ ، ثُمَّ آلَ بِهِ الحالُ إِلَى أَنْ صارَ يَتَسَوَّلُ^(١) بِـ
(الطائف) ، وإذا وقعَ لَهُ الدرهمُ . . سُرَّ بِهِ ، حَتَّى مَلَأَهُ حَبِيبُهُ ،
وباعدهُ قَرِيْبُهُ ، وماتَ على ذلك .

زوجة ملك تطلب الصدقة
ولا حاجة للبعد في استخراج العبرة ، وقد رَأَيْتُ زوجَ آخرٍ ملوك
آلِ عثمانَ تَطْلُبُ الصدقةَ فِي (سنكافورة)^(٢) ، فسبحانَ مَنْ لا يزولُ
ملكُهُ .

القصر الخرب
ورَأَيْتُ قَصْرَ الأميرِ الخطيرِ عبدِ الله بنِ عليٍّ العولقي خراباً ياباً
في (حيدرَ آبادِ الدَّكْنِ) (من الطويل) :

أَمْسَى خَلَاءً وَأَمْسَى أَهْلُهُ اُخْتَمَلُوا أَخْنَى عَلَيْهِ الَّذِي أَخْنَى عَلَى لُبْدِ^(٣)
مَعَ مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الثَّرْوَةِ وَضَخَامَةِ المُلْكِ ، وما بالعهدِ مِنْ
قَدَمٍ ؛ فَإِنَّمَا كانت وفاته سنة : (١٢٨٤ هـ) ، وَلَمَّا اقْتَرَبَ أَجَلُهُ . .
قالَ لِمَنْ حضرَهُ : أَعْلَمُوا أَنِّي تركْتُ لولدي محسنٍ عشرينَ ألفَ ألفِ

(١) وسببه : أنه لم يؤخَّرْ فتح (الأندلس) ليكونَ في عهدِ وليِ العهد ، وهكذا
الأيام .

(٢) أي : (سنكافورة) البلد المعروفة .

(٣) أخنى عليه : أهلكه . لُبْدٌ : تزعمُ العربُ أَنَّ لقمانَ هو الذي بعثهُ عادٌ في وفدياً
إلى الحرمِ يستقي لها فلماً أهلكوا . . خَيْرَ لقمانَ بين بقاء سبعِ بعراتٍ سمرٍ من
أظفِ عفرٍ في جبلٍ وعيرٍ لا يمسهما القطرُ أو بقاء سبعةِ أنسرٍ كلما هلكَ نسرٌ . .
خلفَ بَعْدَهُ نسرٌ ، فاخترارُ النسور ، فكان آخرُ نسوره يسمى لبداً ؛ لبقائه ، لأنه
لَبْدٌ فبقي لا يذهب ولا يموت ، ومنه المثل : طالَ الأبدُ على لبْدٍ .

رُويَّةٌ نَقْدًا ، فَضْلًا عَمَّا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الْعَقَارِ وَالْأَثَاثِ
وَالْمَجُوهَرَاتِ ، ثُمَّ إِنْ كَانَ فَحْلًا . . فلن يحتاجها ، وَإِنْ كَانَ
شَلًّا^(١) . . فلن تنفعه [من الطويل] :

فَأَضْحَوْا حَدِيثَنَا كَالْمَنَامِ وَمَا أَنْقَضَى فَيَسَّانٍ مِنْهُ يَنْقُطَةُ وَمَنَامٌ
وما كَانَ أَحَقُّهُ بِقَوْلٍ بَعْضُهُمْ [من الكامل] :

يَا مَنْزِلًا عَبَثَ الزَّيْمَانُ بِأَهْلِهِ فَأَبَادَهُمْ يَتَفَرَّقُ لَا يَجْمَعُ
أَيْنَ الَّذِينَ عَهْدْتُهُمْ بِكَ مَرَّةً كَانَ الزَّيْمَانُ بِهِمْ يَضُرُّ وَيَنْفَعُ ؟^(٢)
وقول الآخر [من البسيط] :

يَا اللَّهُ رَبُّكَ كَمْ قَضَرِ مَرَزَتْ بِهِ قَدْ كَانَ مَلَانٌ بِاللَّذَاتِ وَالطَّرَبِ
نَادَى غُرَابُ الْمَنَابِإِ فِي جَوَانِبِهِ وَصَاحَ مِنْ بَعْدِهِ بِالْوَيْلِ وَالْحَرْبِ^(٣)

وَيُحْكِي [كما في « وفيات الأعيان » ١١٠/٥] : أَنَّ الصَّاحِبَ بْنَ عَبَّادٍ مَرَّ الصَّاحِبِ وَدَارِ ابْنِ
العميد

بِدَارِ ابْنِ العميد بَعْدَ وَفَاتِهِ ، فَقَالَ [من الخفيف] :

أَيُّهَا الْزَيْنُ لِمَ عَلَاكَ أَكْتِبَابُ أَيْنَ ذَلِكَ الْحِجَابُ وَالْحُجَابُ ؟
أَيْنَ مَنْ كَانَ يَفْزَعُ الدَّهْرُ مِنْهُ إِنَّهُ الْيَوْمَ فِي الشَّرَابِ تُرَابُ
قُلْ بِلَا رَقَبَةٍ وَدُونَ أَحْشَامٍ مَاتَ مَوْلَايَ فَأَعْتَلَانِي أَكْتِبَابُ

قَالَ ابْنُ خُلُكَانَ [في « وفيات الأعيان » ١١٠/٥] : وَمِثْلُ هَذِهِ الْحِكَايَةِ مَا اعْجَبَ لَصَرْفِ الدَّمْرِ
ذِكْرُهُ عَلَيَّ بْنُ سُلَيْمَانَ ، قَالَ : رَأَيْتُ بـ (الرَّيِّ) دَارَ قَوْمٍ لَمْ يَبْقَ مِنْهَا
إِلَّا رَسْمُ الْبَابِ مَكْتُوبٌ عَلَيْهِ [من المنسرح] :

(١) الْفَسْلُ مِنَ الرِّجَالِ : الرَّذْلُ التَّذُلُّ الَّذِي لَا مَرُوءَةَ لَهُ .

(٢) الْحَرْبُ : الْهَلَاكُ .

إِعْجَبَ لِصَرْفِ الدُّهُورِ مُعْتَبِرًا فَهَلْزِهِ الدَّارُ مِنْ عَجَائِبِهَا
عَهْدِي بِهَا وَالْمُلُوكُ زَاهِيَةً قَدْ سَطَعَ الْكُوزُ مِنْ جَوَائِبِهَا
تَبَدَّلَتْ وَخَشَةَ بِسَاكِينِهَا مَا أَوْحَشَ الدَّارَ بَعْدَ صَاحِبِهَا

قصر ابن سبكتكين وأجتازَ بعضُ الأفاضلِ بقصرِ ابنِ سُبُكْتِكِينَ بعدَ موتهُ ، وقد
تشعَّثَ فأنشدَ [من الطويل] :

عَلَيْكَ سَلَامٌ اللَّهُ مِنْ مَنْزِلِ قَفَرٍ فَقَدْ هَجَتْ لِي شَوْقًا قَلِيلًا وَمَا تَذَرِي
عَهْدُكَ مِنْ شَهْرِ جَلِيدًا وَلَمْ أَخْلُ صُرُوفَ الرَّدَى تُبْلِي مَعَانِيكَ فِي شَهْرِ^(١)
وما أحسنَ قولَ بعضهم [من البسيط] :

إِنْ شِئْتَ أَنْ لَا تَرَى صَبْرًا لِمُضْطَبِّرٍ فَانْظُرْ عَلَى أَيِّ حَالٍ أَصْبَحَ الطَّلُلُ
ويأتي ما يتصلُ بهذا في شرحِ قولِهِ [في «المكبري» ٢/ ٣٣٤ من
الكامل] :

أَيْنَ الْأَكَاسِرَةِ الْجَبَابِرَةُ الْأَلَى كَتَرُوا الْكُوزَ فَمَا بَقِينَ وَلَا بَقُوا ؟
أمير (كابل) وأذكرُ في الكتاب^(٢) أميرَ (كابل) الَّذِي بحثَ عَنْ حَنْفِهِ
بِظْلَفِهِ^(٣) ، وجدَعَ مارِنَ أنْفِهِ بِكَفِّهِ^(٤) ، وبَاءَ بِالصَّفْقَةِ الْخَاسِرَةِ ،
وضيَّعَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ، فبعدَ أَنْ كَانَ يَغْبِطُهُ مَنْ رَأَاهُ ، أَوْ سَمِعَ
بِنِعْمَتِهِ .. تَبَرَّأَ مِنَ الْإِسْلَامِ ، فَطُرِدَ عَنِ الْمُلْكِ ، وَسُلِبَ الْمَالُ ،

(١) القصة في «وفيات الأعيان» ١٧٦/٥ .

(٢) هذا اقتباس حسن تكرر في القرآن الكريم .

(٣) بظلفه : بقدمه ، وقال أحدهم بمعناه :

إلى حتفي مشى قدمي أرى قدمي أراق دممي

(٤) قالت الزباء : (لأمر ما جدَّعَ قصيرُ أنفه) ، فضربت مثلاً .

وصار يرثي له كل من رآه ، ولعذاب الآخرة أشد وأبقى^(١) .

ومع هذا فقد أخبرني الفاضل الثقة السيد عبد الله بن عبد محمد علي باشا خديوي^{الله} (مصر) السابق : أنه قال : بينا أنا أتمشى في (باريز)^(٢) . . إذ جاء أمان الله - وهو ولي عهد دولته - في أتباعه وحشمه بالبيستهم الوطنية وشعائهم الإسلامية فاستلقفوا الأنظار ، وملؤوا الصدور ، واستحققوا الإعجاب ، وكانوا موضع الاحترام ، وزاد الطين بلة أن دخل وقت المغرب . . فاستهل مؤذنه ثم أقام ، ودخلوا في الصلاة ، فبادرت رجال الحكومة بالحرس ؛ لمنع الناس عن المرور بين أيديهم ؛ احتراماً لهم ولدينهم ، فصاروا حديث التواذي ، ومحل استحسان القوم وإعظامهم ، قال محمد علي : فلا تسلم عمّا داخلني من حسد لهم ، وأنكسار في نفسي ، واحتقار لزيي الإفرنجي ، مع أن بلادي أعظم سلطاناً من بلادهم ، وما رفعهم إلا أنكسك بتقاليد بلادهم ودينهم .

ثم أرجع النظر في حال أمان الله خان وصيوره أمره ، فلقد أتضع من حيث أرتفع ، وأندفع من حيث أنتفع ، نعوذ بالله من عثرات

(١) ونحو قول الآخر :

أخذت بالجمة رأساً أزعرا وبالثنايا الواضحات الدردرا
وبالطويل العمر عمراً حيدراً كما اشترى المسلم إذ تنصرا
الأزعر : قليل الشعر . الدردر : مغارز أسنان الطفل . الحيدر : القصير .
المتنصر : هو جيلة بن الأيهم ارتد بعد إسلامه ، وعاد إلى كفره .

(٢) أي : (باريس) عاصمة (فرنسا) .

وَقَالَ ابْنُ خَلَّكَانَ [في «دقائق الأعيان» ٥٧/٧] : قَالَ عَوْتُ بْنُ الزَّرْعِ : القبران المنشأتان
 حَدَّثَنِي مَنْ رَأَى بـ (الشام) قَبْرًا مَكْتُوبًا عَلَيْهِ : لَا يَغْتَرُّ أَحَدٌ بِالدُّنْيَا ؛
 فَإِنِّي أَبْنُ مَنْ كَانَ يُطْلِقُ الرِّيحَ إِذَا شَاءَ ، وَيَحْبِسُهَا إِذَا شَاءَ ، وَيُزَاوِرُ قَبْرُ
 مَكْتُوبٌ عَلَيْهِ : كَذَبَ الْمَاضِ بِظَرٍّ^(١) أُمُّهُ لَا يَظُنُّ أَحَدٌ أَنَّهُ ابْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ
 دَاوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ، إِنَّمَا هُوَ ابْنُ حَدَّادٍ يَجْمَعُ الرِّيحَ فِي الزُّقِّ ، ثُمَّ يَنْفُخُ
 بِهَا الْجَمْرَ ، قَالَ : فَمَا رَأَيْتُ قَبْرَيْنِ قَبْلَهُمَا يَتَشَاتَمَانِ .

والكلام في النعل يطول ، وقد أَفْرَدْتُ بِالتَّأْلِيفِ . وفي الكلام على النعل
 «حاشيتي» على «السمائل» جملة ضالحة منه ، في ضمنه قول
 «التحفة» : وَوردَ : «أَمْشُوا حَفَاةً»^(٢) وفي رواية أَنَّهُ ﷺ مشى
 حافياً ، وقد يؤخذ منه نَدْبُ الحَفَاءِ في بعض الأحوال بقصد
 التواضع ، حيثُ أَمِنَ مُؤْذِيًا وَتَنْجِيسًا ، ولو أحتَمَلًا ، وَيُؤْذِيَةً نَدْبُهُ
 لِنَحْوِ دُخُولِ (مَكَّة) بهذه الشروط . انتهى .

وَمِنْ مَحَاسِنِ الشَّرِيعَةِ ، وَأَعْتِنَاهَا بِالْعَدْلِ : كَرَاهَةُ الْمَشْيِ فِي
 نَعْلٍ وَاحِدَةٍ

وَمِنْ مَمَادِحِ الْعَرَبِ رَقَّةُ النَّعَالِ ، كَمَا فِي قَوْلِهِ [النَّابِغَةُ الدُّبَيَانِيَّةُ فِي مَنِ الْمَمَادِحِ رَقَّةُ النَّعَالِ
 «نَوَائِدُ» مِنَ الطَّوِيلِ] :

رَقَاقُ النَّعَالِ طَيِّبٌ حُجْرَاتُهُمْ يُحَيُّونَ بِالْكَرِّيْحَانِ يَوْمَ السَّبَاسِ^(٣)

(١) البظر : الشفر ، وهو بطرف فرج المرأة .

(٢) ثبت عن أبي هريرة عند البخاري (٥٨٥٥) ، ومسلم (٢٠٩٧) قوله ﷺ : «لَا
 يَمُشُّ أَحَدُكُمْ فِي نَعْلٍ وَاحِدَةٍ ، لِيَتَعْلَمَ جَمِيعًا ، أَوْ لِيُخْلِعَهُمَا جَمِيعًا» .

(٣) الحجرة : العشيرة يحتجز بها ، أي يُمتنع . وَرَجُلٌ طَيِّبُ الْحَجَرَةِ عَفِيفٌ .
 السَّبَاسُ : أَيَّامُ الشَّقَاتَيْنِ ، وَهُوَ عِيدٌ لِلنَّصَارَى ، وَفِي الْحَدِيثِ : «إِنَّ اللَّهَ =

ومن هاليس السبئية ولُبِسُ السَّبْيَةِ مِنْهَا ، كَمَا قَالَ عَتَرُ [في «ديوانه» ٦٥ من الكامل] :

بَطَلٌ كَأَنَّ يَسَابَهُ فِي سَرْحَةٍ يَخْذُلِي نِعَالَ السَّبْتِ لَيْسَ بِتَوَامٍ^(١)

وَالسَّبْتُ : جِلْدُ الْبَقْرِ الْمَدْبُوعَةِ الَّتِي لَا تَقْرُبُهَا الْكِلَابُ إِذَا
أَبْتَلَتْ ؛ لِإِتْقَانِ دَبِّعِهَا .

رقعة النعل كتابة عن سلامتها وَأَمَّا رَقَّةُ النَّعْلِ : فَكُنَايَةُ عَنْ سَلَامَتِهَا مِنَ الرِّقَاعِ ؛ لِأَنَّهُمْ مَلُوكٌ لَا
تُخَصِّفُ نَعَالَهُمْ ، وَإِنَّمَا تُخَصِّفُ نَعْلٌ مِنْ يُكْثِرُ الْمَشْيَ ، وَمِثْلُهُ
قَوْلُهُمْ : (فَلَانٌ مُسَمَّطُ النَّعْلِ) ؛ يَعْنُونَ أَنَّ نَعْلَهُ طَبَقَةٌ وَاحِدَةٌ غَيْرُ
مَخْصُوفَةٍ . قَالَ الْمَرَارُ الْفَقْعَسِيُّ [مَنْ الْوَافِر] :

وَجَدْتُ بَيْنِي خَفَاجَةً فِي عَقِيلٍ كِرَامَ النَّاسِ مُسَمَّطَةَ النَّعَالِ

* * *

= تعالى أَبْدَلَكُمْ يَوْمَ السَّبَاسِ يَوْمَ الْعِيدِ .

(١) مَدَحُهُ بِأَرْبَعِ خَصَالٍ كِرَامٍ : إِحْدَاهَا : أَنَّهُ جَعَلَهُ بَطَلًا شَجَاعًا ، الثَّانِيَةُ : أَنَّهُ جَعَلَهُ
طَوِيلًا ، شَبَّهَهُ بِالسَّرْحَةِ ؛ وَهِيَ : شَجَرٌ عَظَامٌ طَوَالٌ ، الثَّالِثَةُ : أَنَّهُ جَعَلَهُ
شَرِيفًا ؛ لِلْبَسِّهِ نِعَالَ السَّبْتِ ، الرَّابِعَةُ : أَنَّهُ جَعَلَهُ مُتَفَرِّدًا لَا مِثْلَ لَهُ .

المجلس الثالث

[قال أبو الطيب المتنبّي في «العُكْبَرِيّ» ٣٠٤ / ١ من المنسرح:]

لَا أَبَادِ عَلَيَّ سَابِقَةٌ أَعَدُّ مِنْهَا وَلَا أَعَدُّهَا

الأيادي : جمع يد ، وهي النعمة ؛ لأنها التي تُجمعُ هذا شرح المطلع
الجمع بخلاف الجارحة ، فإنها لا تُجمعُ عليه ، وزعم بعضهم أنها
تُجمعُ عليه أيضاً ، وذكروا له أمثلة لا يحضرني منها الآن شيء .

أما قوله : (أَعَدُّ) فيروى بفتح الهمزة [أَعَدُّ] ، وهو من قوله الروايات في المطلع
تعالى : ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا ﴾ [إبراهيم : ٣٤] ، ويروى
بضمها مبنية للمفعول ، ونائب الفاعل مستتر تقديره (أنا) ؛ يعني :
أَنْ نَفْسُ مَعْدُودَةٍ مِنْ جَمَلَةٍ نَعَمِ الْمَمْدُوحِ ، فهو كقول شاعر الحماسة
لن السري :

لَا تَسْتَفْنِي بَعْدَ أَنْ رَشْتَنِي فَإِنِّي بَغْضُ أَيَادِيكََا

وقد تلاعب بهذا المعنى في «ديوانه» فقال [في «العُكْبَرِيّ» ٣٨٠ / ٢ تلاعب المتنبّي في
من البسط :
معنى الجود

مَا زِلْتُ تُبْعُ مَا تُؤَلِّي يَدَا بِيَدٍ حَتَّى ظَنَنْتُ حَيَاتِي مِنْ أَيَادِيكََا

وقال [في «المكبري» ٤٠/٢٠٥ من الكامل] :

فَاغْفِرْ فِدَى لَكَ وَأَخْبِي مِنْ بَعْدِهَا لِتُخَصِّنِي بِعِطِيَةٍ مِنْهَا أَنَا

وقال [في «المكبري» ١٠/٣٤٧ من المتقارب] :

وَفِي جُودِ كَفِّكَ مَا جُدْتَ لِي بِنَفْسِي وَلَوْ كُنْتُ أَشَقَى ثَمُودَ

وقال العتابي [من البسيط] :

مَا زِلْتُ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ مُطَرِّحاً يَضِيئُ عَنِّي وَسِنُّ الرِّأْيِ مِنْ حِلْيِ
فَلَمْ تَزَلْ دَائِباً تَسْعَى بِلُطْفِكَ لِي حَتَّى انْتَزَعْتَ حَيَاتِي مِنْ يَدَيَّ أَجَلِي

أن تكون واحدة من
حسنات مدحك عند
الشعراء

وقال غيره [من البسيط] :

رَدَدْتَ مَالِي وَلَمْ تَبْخُلْ عَلَيَّ بِهِ وَقَبْلَ مَالِي قَدْماً قَدْ حَقَنْتَ دَمِي

وقال أبو تمام [من البسيط] :

رَدَدْتَ رَوْنَقَ وَجْهِي فِي صَحِيفَتِهِ رَدَّ الصَّقَالِ بَهَاءَ الصَّارِمِ الْخَلِمِ
وَمَا أَبَالِي وَخَيْرُ الْقَوْلِ أَصْدَقُهُ حَقَنْتَ لِي مَاءَ وَجْهِي أَوْ حَقَنْتَ دَمِي

وقال [من الطويل] :

عَطَاؤُكَ لَا يَفْنَى وَتَسْتَغْرِقُ الْمَنَى وَتَبْقَى وَجُوهُ الرَّاغِبِينَ بِمَائِهَا

مصعب بن الزبير ويروى [كما في «تاريخ بغداد» ١٣/١٠٦] : أَنَّ مَصْعَبَ بْنَ الزَّبِيرِ أَمَرَ بِقَتْلِ
وَجُودِهِ عَلَى بَعْضٍ مِنْ أَحَدِ مَنْ حَارَبَهُ مَعَ الْمُخْتَارِ ، فَقَالَ : أَتَرْضَى أَنْ أَتَعْلَقَ بِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ،
حَارِبِهِ وَأَنْتَ عَلَى مَا نَرَى مِنْ هَذَا الْجَمَالِ الْبَاهِرِ ، وَأَقُولُ : سَلْ مَصْعَباً فَنِمَ

فَتَلَنِي ؟ فَقَالَ : أَطْلِقُوهُ ، قَالَ : أَجْعَلْ مَا وَهَبْتَ لِي مِنْ عُمْرِي فِي عَيْشِ
طَيِّبٍ ، فَأَمَرَ لَهُ بِمِئَةِ أَلْفٍ ، قَالَ : بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي ، أَشْهَدُكَ أَنَّ نَصَفَهَا

لَقَيْسِ الرُّقِيَّاتِ ؛ لِقَوْلِهِ فَيْكَ [في «ديوانه» ٩١ من الخفيف] :

فَضَحَكَ مُصْعَبٌ شَهَابٌ مِنَ الْكَلْبِ تَجَلَّتْ عَنْ وَجْهِهِ الظُّلُمَاءُ
فَضَحَكَ مُصْعَبٌ ، وَقَالَ : لَقَدْ أَلْطَفْتَ ، وَإِنَّ فِيكَ لِمَوْضِعاً
الشَّيْعَةِ ، وَأَمَرَ لَقَيْسَ بِخَمْسِينَ أَلْفاً ، وَتَرَكَ مِثْلَهُ بِحَالِهَا .

وَيُحْكِي [كما في «المستطرف» ٣٠١/١] : أَنَّ بَعْضَ الشَّيْعَةِ سَعَى إِجَارَةً مَعْنَى بِنِ زَائِدَةَ
عَلَى الْخَلِيفَةِ الْمُهَدِيِّ
الْخُرُوجِ فِي أَيَّامِ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ ، فَجَعَلَ الْخَلِيفَةُ فِيهِ مِثَّةَ أَلْفِ
دِرْهَمٍ ، فَأَخَذَهُ رَجُلٌ مِنْ (بَغْدَادَ) ، فَمَرَّ بِهِ مَعْنَى بِنِ زَائِدَةَ ، فَقَالَ :
يَا أَبَا الْوَلِيدِ أَجْزَيْي . . . أَجَارَكَ اللَّهُ ، فَقَالَ مَعْنَى لِلرَّجُلِ : خَلِّ عَنْهُ ،
فَقَالَ : إِنَّهُ طُلُبَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، قَالَ : خَلِّ سَبِيلَهُ ، فَأَبَى ، فَخَلَّصَهُ
بِنِ قَهْرًا ، وَأَرْدَفَهُ خَلْفَ بَعْضِ أَعْوَانِهِ ، وَذَهَبَ الرَّجُلُ لِلْخَلِيفَةِ ،
فَاسْتَدْعَى مَعْنًا ، وَلَمَّا حَضَرَ . . . قَالَ لَهُ : أَتَجِيرُ عَلَيَّ ؟ قَالَ : نَعَمْ ،
فَنَلِيتُ فِي طَاعَتِكُمْ خَمْسَةَ عَشَرَ أَلْفًا بـ (حَضْرَمَوْتَ) فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ^(١)
، فَمَا تَرَوْنِي أَهْلًا لِأَنْ أُجِيرَ وَاحِدًا عُلِقَ بِي رَجَاءُهُ ؟ فَاسْتَحْيَا
الْخَلِيفَةُ ، ثُمَّ قَالَ : قَدْ أَجْرْنَا مَنْ أَجَرْتَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ ، قَالَ : إِنْ رَأَى
أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَصِلَ جَارِي ، فَأَمَرَهُ بِخَمْسِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، فَقَالَ
مَعْنَى : إِنَّ ذَنْبَهُ عَظِيمٌ ، وَيَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ صَلَاتُ الْخُلَفَاءِ عَلَى قَدْرِ
الْجَرَائِمِ ، فَقَالَ : قَدْ جَعَلْتُهَا مِثَّةَ أَلْفٍ ، فَرَجَعَ مَعْنَى إِلَى مَنْزِلِهِ ،
وَدَفَعَ الْمَالَ لِلرَّجُلِ ، وَحَدَّرَهُ مِنْ مَسَاخِطِ الْمُلُوكِ .

وَلَمَّا أَفْضَتْ الْخِلَافَةُ إِلَى بَنِي الْعَبَّاسِ . . . اخْتَفَى بَنُو أُمَيَّةَ حَتَّى أَخَذُوا إِبْرَاهِيمَ بْنَ سُلَيْمَانَ
بِالسَّقَّاحِ الْأَمَانَ ، فَحَضَرَ عِنْدَهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ،
يَسْتَجِيرُ عِنْدَ رَجُلٍ قَدْ قَتَلَ أَبَاهُ
وَكَانَ عَالِمًا أَدَبِيًا ، فَسَأَلَهُ السَّقَّاحُ عَنْ أَعْجَبِ مَا مَرَّ بِهِ فِي تَغْيِيهِ ، قَالَ :

(١) وفي «المستطرف» : خمسة آلاف .

بيننا أنا بـ (الحيرة) .. نظرتُ الأعلامَ السودَ خارجةً من (الكوفة) ،
فوقعَ لي أنَّها تريدُني ، فخرجتُ متكرراً ، حتَّى أتيتُ (الكوفة) لا
أعرفُ أحداً ، فتحيَّرتُ ، ثُمَّ ظهرَ لي بابٌ واسعٌ ، وإذا رجلٌ وسيمٌ
حسنُ الهيئةِ ، فقالَ لي : مَنْ أَنْتَ ؟ قلتُ : غريبٌ خائفٌ مستجيرٌ
بك ، قالَ : ادْخُلْ ، وَلَكَ الأمانُ ، فدخلتُ ، وأكرمَ مشواي ، وَلَمْ
يسألني عن شيءٍ من أمري ، ورأيتُهُ يركبُ في كُلِّ غداةٍ ، فسألتهُ ،
فقالَ : ذَكَرَ لي أَنَّ إبراهيمَ بنَ سليمانَ مختفٍ بهذا الطرفِ ، وقد قتلَ
أبي صبراً^(١) ، فأنا أركبُ في طلبِ ثأري منه ، فأيقنتُ أَنَّ القدرَ
ساقني إلى الهلاكِ ، وسألتهُ عن أسمِ أبيه ، حتَّى عرفتُ صحَّةَ ما
يقولُ ، فقلتُ لَهُ : قد وجبَ حقُّكَ عليَّ ، وإنَّ منه أن أدلَّكَ على
خصمِكَ ، أَلَا وإنَّه الذي يكلمُكَ ، فأفعل ما تحبُّ ، فقالَ : أحسبُ
الزمانَ أضربُكَ ، فأحببتُ الراحةَ منَ الحياةِ ، فقلتُ : كلا ، ولكن
صدقْتُكَ ، فلما استيقنَ الأمرَ .. أريدُ^(٢) وجهه وتغيَّرَ لونه ،
وأحمرَّتْ عيناهُ ، وأطرقَ ملياً ثُمَّ قالَ : أمَّا أَنْتَ ستلقَى أبي عندَ حَكَمِ
عدلٍ ، يأخذُ بثأره مِنْكَ ، وأمَّا أنا فلا أخفِرُ ذمتي ، ولكن لا آمنُ
عليكَ نفسي ، فإن شئتَ أَنْ تنصرفَ آمناً إلى حيثُ تحبُّ ، وأعطيني
ألفَ دينارٍ ، فأعتدْتُ إليه مِنْ قبولِهِ ، وأنصرفتُ ، فهذا أكرمُ رجلٍ
رأيتُهُ بعدَ أميرِ المؤمنينَ .

وفاء الحارث بن عباد
للمهمل بعد قتلته
عليه
وأقولُ : إِنَّ في تأخُّرِ معرفةِ إبراهيمَ بصاحبِ الدارِ لنوعاً من
الأنظر . والقصةُ أشبهُ بقصةِ الحارثِ بنِ عبَّادٍ ، وقد قدَّرَ على

(١) القتلُ صبراً : هو أن يُحبَسَ ويُرمى حتَّى يموتَ .

(٢) أريدُ وجهه : تغيَّرَ من الغضبِ وصارَ كلونَ الرمادِ .

المهل ، وهو لا يعرفه ، وطلب منه أن يدلّه على مهلهل بشرط
 الأمان ، فاستعرف عليه ، فجزّ ناصيته ، وأطلقه ، وهو قاتلُ ابنه
 حنظل ، وقال في ذلك [من الخفيف] :
 دلت نفسي على عديّ وقد أشقّ سبب للموت واختوته أليدان^(١)
 وعديّ هو اسمُ المهلهل .

إلا أن صاحب إبراهيم من غير شرط بخلاف الحارث ،
 وقصة ابن زائدة أيام اختفائه من بني العباس مع الجندي الذي
 أسكنه ، ثم من عليه وصغره في نفسه مشهورة .

وظفر المهلب بخارجي يريد اغتياله ، فقال له : قد ثبت كيدك المهلب يعفو عن يريد
 لنا ، فأختر أي قتلة تريد ، قال : سيف ماض لا يثبو ، أو عطفة^{قتله}
 كريم تحقر الضغائن ، قال : هل فيك موضع للصنعة؟ قال له :
 سطر الأمير ما يسره بعد التجربة ، قال : فإنها عطفة كريم يحتقر
 الذنوب ، فخلّى سبيله ، وأكرمه ، فكان بعد ذلك من أوثق أصحابه
 عنده .

وذكر : أن المأمون استقدم رجالاً من (السام) بعقب فتنة لا ابرح حتى اعرف
 حديثك مع المأمون
 اشتعلت فيها ، ثم اعتقلهم ، ودفع أكبر المتهمين في إثارتها لبعض
 خاصته ؛ لياخذ أنواع العذاب ، حتّى يتفرغ لقتله ، فأخذ الرجل
 أسائل أسيره عن (السام) وأهلها ، وقال له : ما فعل فلان ،
 لصديق له بها؟ قال : وما علمك به ، قال : لا أقدر على مكافأته ،
 وما نعمتي وحياتي إلا من حسناته ، فلقد أهدر الخليفة دمي بإثر
 حوادث ظننت بي فيها الظنون ، ولصقت بي فيها التهم ، فلجأت إليه

(١) أسقب : قرّب .

عَنْ غَيْرِ سَابِقِ مَعْرِفَةٍ ، فَأَكْرَمَ مَثْوَايَ ، وَحَقَّنَ دَمِي ، وَحَفِظَ عَلَيَّ مَاءَ وَجْهِي ، ثُمَّ جَهَّزَنِي بِأَحْسَنِ الْجِهَازِ ، كَسَا وَحَمَلَ ، وَأَغْنَى وَأَقْنَى ، ثُمَّ سَأَلَمَتْنِي الْأَيَّامُ ، وَصَارَتْ بِي إِلَى مَا تَرَى ، وَلَوَدِدْتُ أَنِّي أَظْفَرُ بِهِ . . . فَأُكَافِئُهُ بِبَعْضِ مَا طَوَّقَنِي مِنَ النِّعَمِ ، وَأَسْدِي إِلَيْكَ مِنَ الْإِيمَنِ ، فَقَالَ الْأَسِيرُ : لَقَدْ أَظْفَرَكَ اللَّهُ بِمَطْلُوبِكَ مِنْ غَيْرِ بَحْثٍ وَلَا تَعَبٍ ، قَالَ : وَأَيْنَ هُوَ؟ قَالَ : نَجِيَّتِكَ ، وَمَا زَالَ يَسْتَعْرِفُ إِلَيْهِ بِالذِّكْرِيَّاتِ . . . حَتَّى أَثْبَتَهُ مَعْرِفَةً ، فَأَطْلَقَ وَثَاقَهُ ، وَعَرَضَ عَلَيْهِ الذَّهَابَ ، وَالتَّحَكُّمَ فِي أَمْوَالِهِ ، فَقَالَ : لَا أَضُرُّكَ بِنَفْعِي ، وَلَكِنْ أَتُنَنِي بَعِيدِي فَلَا تَحْتِجُ أَوْصِيَهُ إِلَى أَهْلِي ، وَتِلْكَ أَكْبَرُ مَكَاافَاةٍ ، فَقَالَ : لَا وَاللَّهِ ، حَتَّى أُلْبِغَكَ مَأْمَنَكَ ، وَأَوْصَلَكَ إِلَى أَهْلِكَ قَرِيرَ الْعَيْنِ ، مَعَ مَا يُغْنِيكُمْ طَوْلَ الْحَيَاةِ ، فَقَالَ : لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَعْرِفَ حَدِيثَكَ مَعَ الْمَأْمُونِ ، فَإِنْ نَجَوْتَ كَانَتْ نَجَاتِي ، وَإِلَّا وَقَيْتُكَ بِنَفْسِي ، ثُمَّ إِنَّ الْمَأْمُونَ سَأَلَ صَاحِبَهُ عَنْ أَسِيرِهِ . . . فَأَخْبَرَهُ بِقِصَّتِهِ ، فَأَعْرَوْقَتْ عَيْنَاهُ ، وَقَالَ : قَدْ وَجَبَتْ عَلَيْنَا مَكَاافَاةُ ؛ لِأَنَّ وَجُودَ مِثْلِهِ قَلِيلٌ ، وَأَكْبَرُ شَيْءٍ عَدَمُ إِثَارِهِ السَّلَامَةِ وَالْإِنِّطْلَاقَ عَلَى نَجَاتِكَ ، ثُمَّ أَسْتَدْعَاهُ ، وَبَالِغَ فِي إِكْرَامِهِ ، وَإِسْبَاغِ الْإِلْفَافِ عَلَيْهِ ، وَصَرَفَهُ مَوْفُورَ الْكَرَامَةِ ، وَجَعَلَهُ مَوْضِعَ سِرِّهِ وَأَمَانَتِهِ بِ(الشَّامِ) ، فَكَانَتْ كُتُبُهُ تَرُدُّ عَلَى الْمَأْمُونِ بَعْدَ ذَلِكَ فَيَطَالَعُ بِهَا صَاحِبَهُ .

ولإبراهيم بن المهدي في أَيَّامِ اخْتِفَائِهِ مَا لَا يَقْلُ مِنْ وَجْهِ عَنِهَا .

وَيُتَّصَلُ بِهَا حَدِيثُ الثُّعْمَانِ وَصَاحِبِهِ شَرِيكِ بْنِ عَمْرِو مَعَ الطَّائِفِ الَّذِي قَدَّمَ نَفْسَهُ لِلْقَتْلِ وَفَاءً بِوَعْدِهِ ، فَكَانَ مِنْ بَرَكَاتِهِ ذَلِكَ إِطْلَاقُ الثُّعْمَانِ لِعَادَتِهِ السَّيِّئَةِ فِي يَوْمِ بُوْسِهِ (١) .

الثُّعْمَانُ بْنُ الْمُنْذَرِ وَيَوْمَ بُوْسِهِ

(١) وَكَانَ مِنْ أَمْرِهِ : أَنَّ الثُّعْمَانَ بْنَ الْمُنْذَرِ جَعَلَ لِنَفْسِهِ يَوْمَيْنِ ، يَوْمَ بُوْسٍ : مِنْ

مبادفهُ فيه .. قَتَلَهُ وَأَرَدَاهُ ، وَيَوْمَ نَعِيمٍ مَنْ لَقِيَهُ فِيهِ .. أَحْسَنَ إِلَيْهِ وَأَغْنَاهُ ، وَكَانَ هُنَاكَ رَجُلٌ طَائِفٌ ، قَدْ رَمَاهُ حَدُوثُ دَهْرِهِ بِسَهَامٍ فَاقَتِهِ وَفَقَرِهِ ، فَأَخْرَجَتْهُ الْفَاقَةُ مِنْ مَحَلٍّ اسْتَقْرَارِهِ لِيَرْتَادَ شَيْئاً لَصِيْبَتِهِ وَصَغَارِهِ ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ .. إِذْ صَادَفَهُ النِّعْمَانُ فِي يَوْمٍ بَوْسٍ ، فَلَمَّا رَأَاهُ الطَّائِفُ .. عَلِمَ أَنَّهُ مُقْتُولٌ ، وَأَنَّ دَمَهُ مَطْلُوبٌ ، فَقَالَ : حَيَّاَ اللهُ الْمَلِكُ ، إِنَّ لِي صَبِيَّةً صَغَاراً ، وَأَهلاً جِياعاً ، وَقَدْ أَرَقْتُ مَاءَ وَجْهِي فِي حَصُولِ شَيْءٍ مِنَ الْبُلْغَةِ لَهُمْ ، وَقَدْ أَقْدَمَنِي سُوءُ الْحِظِّ عَلَى الْمَلِكِ فِي هَذَا الْيَوْمِ الْعَبُوسِ ، وَقَدْ قَرِبتُ مِنْ مَقَرِّ الصَّبِيَّةِ وَالْأَهْلِ ، وَهُمْ عَلَى شَفَا تَلَفٍ مِنَ الْجُوعِ ، وَلَنْ يَتَفَاوَتْ الْحَالُ فِي قَتْلِي بَيْنَ أَوَّلِ النَّهَارِ وَآخِرِهِ ، فَإِنْ رَأَى الْمَلِكُ أَنَّ يَأْذَنُ لِي فِي أَنْ أُوصَلَ إِلَيْهِمْ هَذَا الْقَوْتُ ، وَأَوْصِي بِهِمْ أَهْلَ الْمَرْوَةِ مِنَ الْحَيِّ ، لَنَلَّا يَهْلِكُوا ضِياعاً ، ثُمَّ أَعُودَ إِلَى الْمَلِكِ ، وَأُسَلِّمَ نَفْسِي لِنَفَازِ أَمْرِهِ .

فَلَمَّا سَمِعَ النِّعْمَانُ صُورَةَ مَقَالِهِ ، وَفَهَمَ حَقِيقَةَ حَالِهِ ، وَرَأَى تَلَهُّفَهُ عَلَى ضِياعِ أَطْفَالِهِ .. رَقَّ لَهُ ، وَرَتْنَى لِحَالِهِ ، غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ لَهُ : لَا آذَنُ لَكَ حَتَّى يَضْمَنَكَ رَجُلٌ مَعْتَنًا ، فَإِنْ لَمْ تَرْجِعْ .. قَتَلْنَاكَ ، وَكَانَ شَرِيكَ بْنُ عَدِيٍّ بْنِ شَرْحَبِيلٍ - نَدِيمُ الْمَلِكِ - مَعَهُ ، فَالْتَفَتَ الطَّائِفُ إِلَيْهِ ، وَمَدَحَهُ ، وَتَدَخَّلَ عَلَيْهِ بِأَبْيَاتٍ .. فَقَالَ شَرِيكَ : أَصْلَحَ اللهُ الْمَلِكُ ، عَلَيَّ ضَمَانُهُ .

فَمَرَّ الطَّائِفُ مُسْرِعاً ، وَصَارَ النِّعْمَانُ يَقُولُ لَشَرِيكَ : إِنَّ صَدْرَ النَّهَارِ قَدْ وَلَّى وَلَمْ يَرْجِعْ ، وَشَرِيكَ يَقُولُ : لَيْسَ لِلْمَلِكِ عَلَيَّ سَبِيلٌ حَتَّى يَأْتِيَ الْمَسَاءُ ، فَلَمَّا قَرَبَ الْمَسَاءُ .. قَالَ النِّعْمَانُ لَشَرِيكَ : قَدْ جَاءَ وَقْتُكَ ، فَمُتَّاهِبٌ لِلْقَتْلِ ، فَقَالَ شَرِيكَ : هَذَا شَخْصٌ قَدْ لَاحَ مَقْبَلًا ، وَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ الطَّائِفُ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ .. فَأَمُرُ الْمَلِكِ مِمْتَثَلٌ ، قَالَ : فَبَيْنَمَا هُمَا كَذَلِكَ إِذْ بِالطَّائِفِ قَدْ أَشْتَدَّ عُدُوهُ فِي سَبِيلِهِ مُسْرِعاً ، حَتَّى وَصَلَ فَقَالَ : خَشِيتُ أَنْ يَنْقُضِيَ النَّهَارُ قَبْلَ وَصُولِي .

ثُمَّ وَقَفَ قَائِماً ، وَقَالَ : أَيُّهَا الْمَلِكُ .. مُزْ بِأَمْرِكَ . فَأَطْرَقَ النِّعْمَانُ ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ ، وَقَالَ : وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ أَعْجَبَ مِنْكُمَا ، أَمَّا أَنْتَ يَا طَائِفُ : فَمَا تَرَكْتَ لِأَحَدٍ فِي الْوَفَاءِ مَقَاماً يَقُومُ فِيهِ ، وَلَا ذِكْراً يَفْتَخِرُ بِهِ ، وَأَمَّا أَنْتَ يَا شَرِيكَ : فَمَا تَرَكْتَ لَكَرِيمٍ سَمَاحَةً يُذَكِّرُ بِهَا الْكَرَمَاءَ ، فَلَا أَكُونُ أَنَا أَلَاَمُ الثَّلَاثَةِ ، أَلَا وَإِنِّي قَدْ =

يعود إلى السجن بعد ما خرج منه وفاء لمن مرّ به ونظيرها في زماننا : أنّ بعض اليافعيين ارتكب في (المَكَلّا) جريمة توجب قتله ، فأعتقله السلطان ، فطلب من السجّان أن يجمعه بالجليل السيّد حسين بن حامد ، ففعل ، فأستعطفه ليطلقه ليلة ليوصي ، ويؤدّي ودائعته ، ويخبر أهله بدفائني أمواله قريباً من (الكشخِر) على شرط أن يعود في الليلة الثانية ، فأخذ عهده ، وأطلقه على ذلك ، وكان أعداء السيّد حسين من بطانة السلطان غالب بن عوض يراقبون ذلك ، فأخبروه ، فعاتب السيّد حسينا ، فأنكر إطلاقه ، وأتعدوا على أن يفشّوا عنه في السجن من اليوم الثاني ، ولما كان الليل . . عاد إلى مكانه منه ، وجاء السلطان على وعده ، فألفاه كما قال السيّد حسين ، فعاد على أصحابه باللائمة ، وأوسعهم توبيخاً ، ولكن السيّد حسينا شرح له القصة بعد أن هدأت عنه سورة غضبه ، فأطلقه ، وعفا عنه ، وليست هذه بالقليلة من بلادنا على فساد الزمان ، وتنكّر الأيّام ! فله الحمد والمثّة .

عود على شرح المطلع وقول الناظم : (وَلَا أُعَدُّهَا) مناسب للمعنى الأول ، وهو

= رفعت يوم يؤسي عن الناس ، ونقضت عادتي ؛ كرامة لوفاء الطائي ، وكرم شريك . فقال الطائي [من الكامل] :
وَلَقَدْ دَعَيْتَنِي لِلْخِلَافِ عَشِيرَتِي عَدَدْتُ قَوْلَهُمْ مِنَ الْإِخْلَالِ
إِنِّي أَمْرُؤٌ مِثْلِي الْوَفَاءُ سَجِيَّةٌ وَفَعَالَ كُلُّ مُهَذَّبٍ مِفْضَالِ
فَقَالَ لَهُ النعمان : ما حملك على الوفاء وفيه إتلاف نفسك ؟ فقال :
ديني ، فمن لا وفاء فيه . . لا دين له .
فأحسن إليه النعمان ، ووصله بما أغناه ، وأعادته مكرماً إلى أهله ، وأثاله ما تمناه .
انظر « المستطرف » (١ / ٤٢٩) .

أَطْرَ إِلَى قَوْلِهِ ﷺ: «سُبْحَانَكَ! لَا تُخَصِّمِي ثَنَاءَ عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا
 كُنْتَ عَلَى نَفْسِكَ»^(١). وهو كثيراً ما يتأثر السُّنَّةُ والقرآنُ، ويستخرجُ
 منهما ما يجعلُهُ في غير مكانِهِ، وهو القائلُ [في «المُكَبَّرِ» ٢٨٨/٢ من
 [البر]:

وَقَدْ حَمَلْتَنِي شُكْرًا طَوِيلًا تَقِيلًا لَا أُطِيقُ بِهِ حِرَاكًا
 وله [في «المُكَبَّرِ» ٨١/٣ من البسيط]:

وَقَدْ وَجَدْتَ مَكَانَ الْقَوْلِ ذَا سَعَةٍ فَإِنْ وَجَدْتَ لِسَانًا قَائِلًا فَقُلْ
 وله [في «المُكَبَّرِ» ١١٩/١ من البسيط]:

مَحَامِدُ نَزَفَتْ شِعْرِي لِيَمْلَأَهَا فَالَ مَا أُمْتَلَأَتْ مِنْهُ وَلَا نَضَبًا
 وله [في «المُكَبَّرِ» ٢٦٧/٢ من الكامل]:

وَمَنْ يُوَدِّي شَرْحَ حَالِكَ نَاطِقٌ حَفِظَ الْقَلِيلَ الْكَثْرَ مِمَّا ضَبِعَا
 وله [في «المُكَبَّرِ» ١٢٦/٢ من الطويل]:

لَهُ مِنْ تَفْنِي الثَّنَاءِ كَأَنَّمَا بِهِ أَفْسَمْتُ أَنْ لَا يُودَى لَهَا شُكْرُ
 وغير ذلك .

* * *

(١) أخرجه عن عائشة الصديقة مسلم (٤٨٦)، وابن خزيمة (٣٢٩/١).
 وأخرجه عن علي المرتضى أبو داود (١٤٢٧)، والترمذي (٣٥٦٦)،
 والنسائي (١٧٤٧)، وتماه: «اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وأعوذ
 بمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك، لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت
 على نفسك».

[قال أبو الطيب المتنبي في «العكبري» ٣٠٤/١ من المنسرح]:

يُعْطِي فَلَا مَطْلُهُ يَكْدُرُهَا بِهَا وَلَا مَتْنُهُ يَنْكُدُهَا

شرح المطلع الضمائر في (يَكْدُرُهَا) و (بِهَا) و (يَنْكُدُهَا) تعود إلى الأيادي المذكورة في البيت قبله .

يقول : إنه يعطي الأيادي التي لا يكدرها المطل ، ولا ينكدها الممن ، وفي الشيء بغير صفة الممن ، وليس المراد أن هناك مطلقاً ومناً غير أن لا تكدير ولا تنكيد منهما ، ولكن المراد نفي المطل والممن البتة على حد ما سبق في المجلس الأول من قول أُمِّ القيس [من الطويل] :

عَلَى لَأَحِبِّ لَا يَهْتَدِي بِمَنَارِهِ [إِذَا سَافَهُ الْعُودُ النَّبَاطِيَّ جَزَجَرًا]
إِذْ لَمْ يُرِدْ : أَنَّ لَهُ مَنَارًا لَا يَهْتَدِي بِهِ ، وَلَكِنَّهُ عَمِدًا إِلَى نَفْيِ الْمَنَارِ مِنْ أَصْلِهِ .

ومثله قول الآخر^(١) في وصف مفازة [في «خزانة الأدب» ١٠/١٩٢ من السريع] :

لَا يُفْزِعُ الْأَزْنَبُ أَهْوَالَهَا وَلَا تَرَى الضَّبَّ بِهَا يَنْجَحِرُ

وقد ذكره الزمخشري في «الكشاف» [١/٦٣٩-٦٤٠] عند قوله تعالى : ﴿ سَتَلْقَى فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا ﴾ [آل عمران : ١٥١] ، وقال : (فَإِنْ قُلْتَ : كَأَنَّ

(١) وهو : عمرو بن أحمد .

هناك حُجَّةٌ حَتَّى نَزَلَهَا تَعَالَى ، فَيَصْحُ لَهُمُ الْإِشْرَاكُ . . . قُلْتُ : لَمْ
 مِنْ أَنَّ هُنَاكَ حُجَّةٌ إِلَّا أَنَّهَا لَمْ تَنْزِلْ عَلَيْهِمْ ؛ لِأَنَّ الشُّرَكَ لَا يَسْتَقِيمُ أَنْ
 لَمْ عَلَيْهِ حُجَّةٌ ، وَإِنَّمَا الْمَرَادُ نَفْيُ الْحُجَّةِ وَنَزُولُهَا جَمِيعاً) ، وَذَكَرَ
 بَيْتَ الْبَيْتِ . فَإِنَّهُ لَمْ يُرَدَّ : أَنَّ بِهَا أَرْبَاباً لَا تَفْرَعُ ، وَضَبّاً لَا يَنْجَحِرُ ،
 لَمَّا أَرَادَ : نَفْيُ الْحَيَوَانِ رَأْساً ، وَهَذَا مِمَّا يَتَنَافَسُ فِيهِ أَهْلُ الْبَيَانِ ،
 يَسْمِيهِ الْبَدِيعِيُّونَ : (نَفْيُ الشَّيْءِ بِإِيجَابِهِ) ، وَفَسَّرَهُ أَبْنُ رَشِيْقٍ وَأَبْنُ
 أَبِي الْإِصْبَحِ ^(١) وَغَيْرُهُمَا بِأَنَّهُ : (الْكَلَامُ الَّذِي ظَاهَرُهُ إِيجَابُ الشَّيْءِ ،
 وَبَاطِنُهُ نَفْيُهُ) .

وَمِنْهُ قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ : ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا ﴾ [مريم : ٦٢] ،
 فَلَيْسَ الْمَرَادُ - عَلَى أَصَحِّ الْأَقْوَالِ - : أَنَّ فِي الْجَنَّةِ لَغْوًا إِلَّا أَنَّهُمْ لَا
 يَسْمَعُونَهُ ، وَلَكِنَّ الْمَرَادَ : نَفْيُ اللَّغْوِ مِنْ أَصْلِهِ ، وَمَعَادُ اللَّهِ أَنْ يَكُونَ
 فِيهَا لَغْوٌ أَوْ غَوْلٌ ^(٢) .

وَمِنْهُ قَوْلُ زَهِيرٍ [مَنْ الطَّوِيلُ] :

بِأَرْضٍ خَلَاءٍ لَا يُسَدُّ وَصِيدُهَا عَلَيَّ وَمَعْرُوفِي بِهَا غَيْرُ مُنْكَرٍ ^(٣)
 فَاتَّبَعْتُ لَهَا وَصِيداً ، وَأَرَادَ : أَنَّ لَيْسَ لَهَا وَصِيدٌ يُسَدُّ عَلَيْهِ .

وَمِنْهُ قَوْلُ الزُّبَيْرِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ يَذْكُرُ عَمِيلَةَ بَنَ السَّبَّاقِ بْنِ عَبْدِ

(١) أَبُو أَبِي الْإِصْبَحِ : هُوَ عَبْدُ الْعَظِيمِ بْنِ عَبْدِ الْوَاحِدِ الْعَدَوَانِيُّ الْبَغْدَادِيُّ الْمَصْرِي ،
 شَاعِرٌ أَدِيبٌ تَوَفِيَ سَنَةَ : (٦٥٤ هـ) .

(٢) غَوْلٌ : مَا يَنْشَأُ عَنِ الْخَمْرِ مِنْ صَدَاعٍ أَوْ سَكَرٍ . قَالَ تَعَالَى : ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا ﴾
 [مريم : ٦٢] وَ : ﴿ لَا فِيهَا غَوْلٌ ﴾ [الصافات : ٤٧] .

(٣) الْوَصِيدُ : فِتْنَةُ الدَّارِ وَالْبَيْتِ . قَالَ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَكَذَّبُوا بِرِيسَاطِ ذُرِّيَّتِهِ بِالْوَصِيدِ ﴾
 [الكهف : ١٨] .

الدار ، وكان له نديماً [من الطويل] :

صَبَحْتُ بِهِمْ طَلْقاً يُرَاحُ إِلَى النَّدَى إِذَا مَا أُنْشَى لَمْ تَخْصِرْهُ مَعَاوِرُهُ
ضَعِيفاً بِحَثِّ الْكَأْسِ قَبْضُ بَنَانِهِ كَلِيلًا عَلَى وَجْهِ النَّدِيمِ أَظْفَارُهُ
فَظَاهِرُ كَلَامِهِ : أَنَّهُ يَخْمِشُ وَجْهَ النَّدِيمِ ، إِلَّا أَنَّهُ لَا يُوْذِيهِ ؛ لِكَلَّةِ
أَظْفَارِهِ ، وَمَا أَرَادَ إِلَّا أَنَّهُ لَا يَعْرِدُ ، وَلَا يَمَسُّ وَجْهَ النَّدِيمِ بِشَيْءٍ
أَصْلًا .

وقال أبو زيد يصف فرساً [من الكامل] :

مُتَغَلَّقٌ أَنْسَاؤُهَا عَنِ قَائِيءٍ كَالْقَرْطِ صَاوٍ غُبْرُهُ لَا يُرْضَعُ^(١)
فَإِنَّهُ لَمْ يُرِدْ : أَنَّ هُنَاكَ لَبَنًا لَا يُرْضَعُ ، وَإِنَّمَا أَرَادَ : أَنَّ لَا لَبَنَ لَهَا
حَتَّى يَرْضَعَ .

وقال أبو كبير الهذلي يصف هضبة [في «ديوان الهذليين» ٩٧-٩٦/٢ من

الكامل] :

وَعَلَوْتُ مُرْتَقِبًا عَلَى مَرْهُوِيَةٍ حَصَاءَ لَيْسَ رَقِيقُهَا فِي مَهْمَلٍ
عَيْطَاءَ مُغْنَقَةٍ يَكُونُ أَنْسَاهَا وَزُقُ الْحَمَامِ جَمِيمُهَا لَمْ يُؤْكَلِ^(٢)

(١) في «اللسان» (٣٢١/١٥) البيت لأبي ذؤيب، والنسا : عرق يخرج من الورك

فيستبطن الفخذين، ثم يمر بالعروق حتى يبلغ الحافر، فإذا سمت الدابة

انفلقت فخذها بلحمتين عظيمتين وجرى النسا بينهما واستبان. القائيء :

الأحمر. الصاوي : اليايس. الغُبْرُ : بقية اللبن في الضرع.

والمعنى : شبه الضرع بقرط المرأة ولم يرد أن هناك بقية لبن لا يرضع، إنما أراد

أنه لا غُبْرَ هناك فيهندي إليه .

(٢) الميطاء : الطويلة المُنْقِي . المُنْقِيَّة : الطويلة . الجميم : ما نهض وأنتشر من

النبات ؛ وهو ما طال بعض الطول ولم يتم ؛ أي : لا يرقى فيها راق ولا راع =

يريد : أن ليسَ بها جميعٌ حتَّى يؤكَل ، كما يدلُّ على ذلك قوله
البيت الأول (حصاء) ؛ وهي التي لا نبتَ فيها .

ومنه قولُ ذي الرُّمَّة [في « ديوانه » ٤٤/١ من البسيط] :

لا تُشْتَكِي سَفْطَةً مِنْهَا وَقَدْ رَقَصَتْ بِهَا الْمَفَاوِزُ حَتَّى ظَهَرُهَا حَدِبٌ^(١)
فإنَّهُ لَمْ يَرِدْ : أنَّ لها سَفْطَةً ، لكنَّهُ لا يُشْتَكِي منها ، وإنَّما أَرَادَ :
نفي السقوطِ رأساً .

ومنه قولُ مسلم بن الوليد [من البسيط] :

لَا يَغْبِقُ الطَّيِّبُ حَدِيثَهُ وَمِفْرَقَهُ وَلَا يَمَسُّحُ عَيْنَيْهِ مِنَ الْكُحْلِ
فالمرادُ : نفي الطَّيِّبِ والكحلِ مِنْ أَصْلِهِمَا ، لا نفي العَبَقِ
والمسحِ فقط .

ومثله : قولُ الناطم [في « المُكَبَّرِي » ١٦٩/١ من البسيط] :

أَفْدِي ظِبَاءَ فَلَاةٍ مَا عَرَفْنَ بِهَا مَضْغَ الْكَلَامِ وَلَا صَنِغَ الْحَوَاجِبِ
وَلَا بَرَزْنَ مِنَ الْحَمَّامِ مَائِلَةً أَوْ رَاكُحْنَ صَقِيلَاتِ الْعَرَاقِبِ^(٢)
فظاهرُ الكلام : نفي بُرُوزِهِنَّ مِنَ الْحَمَّامِ على تلكِ الهَيْئَةِ ،
والمرادُ : عدمُ دُخُولِهِنَّ الْحَمَّامَ أَصْلًا ، فَإِنَّهُنَّ بَدَوِيَّاتٌ كَطِبَائِ
الْفَلَاةِ ، لا يعرفنَ شيئاً مِنْ ذَلِكَ .

ولا أَحَدٌ فَيَأْكُلُ جَمِيعَهَا . وَرَقُّ الْحَمَامِ : الْحَمَامُ الْخُضْرُ ؛ وَهِيَ الَّتِي فِيهَا سَوَادٌ
وغيرُهُ . والعربُ تطلقُ الخَضِرَةَ على السَّوَادِ .

(١) السَّفْطَةُ : العَثْرَةُ والْفَتْرَةُ . حَتَّى ظَهَرُهَا حَدِبٌ : أَيِ قَدْ تَقَوَّسَ مِنَ الْهَزَالِ .

(٢) العَرَاقِبُ - جمعُ عَرَقُوبٍ - : وَهُوَ مَا يَكُونُ عِنْدَ الْكَعْبِ .

يريدُ : أن ليسَ بها جميعٌ حتَّى يؤكَل ، كما يدلُّ على ذلك قولُهُ
البيتِ الأولِ (حصاء) ؛ وهي التي لا نبتَ فيها .

ومنه قولُ ذي الرُّمَّة [في ديوانه ٤٤/١] من البسيط :

لَئِشْتَكِي سَقَطَةً مِنْهَا وَقَدْ رَقَصْتَ بِهَا الْمَقَاوِزَ حَتَّى ظَهَرُهَا حَدِبٌ^(١)
فإنَّهُ لَمْ يُرَدْ : أنَّ لها سقطَةً ، لكنَّهُ لا يُشْتَكِي منها ، وإنَّما أرادَ :
نفي السقوطِ رأساً .

ومنه قولُ مسلمِ بنِ الوليد [من البسيط] :

لَا يَغْبِقُ الطَّيِّبُ خَذَنِي وَمِفْرَقُهُ وَلَا يُمَسِّحُ عَيْنِيهِ مِنَ الْكُحْلِ
فالمرادُ : نفي الطَّيِّبِ والكحلِ مِنْ أَصْلِهِمَا ، لا نفي العَبْيِ
بالمسحِ فقط .

ومثلهُ : قولُ النَّاظِمِ [في المَكِّيَّ ١٦٩/١] من البسيط :

أَفَدَيْتِي طِبَاءَ فَلَاةٍ مَا عَرَفْنَ بِهَا مَضِغَ الْكَلَامِ وَلَا صَنَعَ الْحَوَاجِبِ
لَا بَرَزْنَ مِنَ الْحَمَّامِ مَائِلَةً أَوْ رَاكُحْنَ صَقِيلَاتِ الْعَرَاقِبِ^(٢)
فظاهرُ الكلامِ : نفي بُرُوزِهِنَّ مِنَ الْحَمَّامِ عَلَى تِلْكَ الْهَيْئَةِ ،
والمرادُ : عدمُ دخولِهِنَّ الْحَمَّامَ أَصْلًا ، فَإِنَّهُنَّ بَدَوِيَّاتٌ كَطِبَاءِ
الْفَلَاةِ ، لا يعرفنَ شيئاً مِنْ ذَلِكَ .

ولا أحدٌ يأكلُ جميعَها . وَرُزِقَ الْحَمَّامُ : الْحَمَّامُ الْخَضِرُ ؛ وهي التي فيها سوادٌ
وغيره . والعربُ تطلقُ الخضرَةَ على السَّوَادِ .

(١) السَّقَطَةُ : العثرةُ والفترةُ . حتَّى ظَهَرُهَا حَدِبٌ : أي قد تقوَّسَ مِنَ الْهَزَالِ .

(٢) العَرَاقِبُ - جمعُ عَرَقُوبٍ - : وهو ما يكونُ عندَ الكعبِ .

السبب في تكثير الأمثلة : وإنما أكثرُ من الأمثلة ؛ لقولِ ابنِ الأثيرِ السابقِ في المجلسِ
على هذه المسألة الأول : إنه طافَ على أقوالِ الشعراءِ فلم يجد منها شيئاً حتى أضطُرَّ
إلى ما نبهنا عليه من الاختلاس ، والحال أنها على طرفِ ذراعِهِ ،
فسبحانَ مَنْ لا يسهر .

الخلاص في الوعد : ثُمَّ اختلفَ القومُ في شأنِ الوعدِ :

١- صنفَ ابنُ خلدونٍ : فمنهم : مَنْ أَحَبَّ قَبْلَ العَطِيَّةِ ؛ ليحلَّوْا موقِعَها ، وتكملَ بها
اللذَّتَانِ : (لذةُ الإِعْطَاءِ ، ولذةُ الإِنْجَازِ) ، فَإِنَّ النفسَ إِذَا تَعَلَّقَتْ
بِالْكَشْيِ . . . حصلَ لها وَلَوْلَةٌ لا تزولُ إِلَّا بِحصولِهِ ، وتلكَ الولولَةُ لا
تَحُطُّ مِنْ قَدْرِ العَطِيَّةِ إِذَا كَانَ الوعدُ حَقًّا ، وكانَ صاحِبُهُ مناطَ الثِقَةِ ،
من اصحاب هذا وعلى هذا الرأي : يحيى بنُ خالدٍ ، فقد كَلَّمَهُ منصورُ بنُ زيادٍ في
المذهبِ يحيى بنُ خالدٍ ، فقالَ : عِدُّهُ قِضَاءُها ، قالَ منصورٌ : فقلتُ لَهُ :
أصلحك اللهُ ، وما يدعوكَ إِلَى العِدَّةِ مَعَ القُدْرَةِ ؟ قالَ : هذا قولُ
مَنْ لَمْ يَعْرِفْ مَوَاقِعَ الصَّنَائِعِ مِنَ الْقُلُوبِ ، فَإِنَّ الوعدَ تَطْعَمُ ،
والإِنْجَازَ إِطْعَامُ ، وليسَ مَنْ فَجَأَهُ الطَّعَامُ كَمَنْ وَجَدَ رَائِحَتَهُ ،
وَتَمَطَّقَ بِهِ ، وتَطْعَمَهُ ، ثُمَّ قُرِبَ إِلَيْهِ ، فدَعَ الحاجةُ تُخْتَمُ بالوعدِ ؛
ليكونَ بها عِنْدَ الْمُصْطَنِعِ إِلَيْهِ حُسْنُ مَوْقِعٍ ، وَلُطْفُ مُحَلٍّ ، فَإِنَّها إِذَا
لَمْ يَتَقَدَّمْها موعِدٌ يُنْتَظَرُ بِهِ نَجْحُها . . لَمْ يَتَجَذَّبِ النفسَ سرورُها .

ومنهم أبو مسلم الخولاني وقال أبو مسلم الخولاني : أوقع المعروف في القلوب ، وأبرده
على الأكباد . . معروفٌ منتظرٌ بوعده لا يكدره مظل .

وقال المهدي [من مجزوء الكامل] :

الْوَعْدُ أَحْسَنُ مَا يَكُونُ نَ إِذَا تَقَدَّمَهُ ضَمَانُ

وقال غيره [من الرجز] :

لَاؤَةُ الْفَضْلِ بِوَعْدٍ يُنَجِّزُ لَا خَيْرَ فِي الْعُرْفِ كَتَهَبٍ يُنْهَزُ^(١)

وقد يتأكد هذا بأمثال قوله جل ذكره لموسى وهارون : ﴿ قَالَ قَدْ شَهِدْتُ مِنْ الْقُرْآنِ لَيْسَتْ دَعْوَتُكُمْ ﴾ [يونس : ٨٩] ، فإنه لم يظهر أثر الإجابة - كما الكريم يروى - إلا بعد أربعين سنة .

وقال الإمام الرازي في تأخير ظهور أثر الرؤيا الحسنة : (إن من رحمة الله الإعلام بالخير متقدماً على ظهوره بزمان طويل ، حتى يكون البهجة بتوقع حصوله أكثر وأنتم) . انتهى بمعناه .
على أنه لا يبعد أن يكون الرئى في المواعيد الإلهية بالدنيا من الامتحان الذي يحسن من الله لا من الخلق فيما بينهم .

ومنهم الحارثي

وقال الحارثي [من الطويل] :

وَمَا رَوْضَةٌ دَارِيَّةٌ أَسْدِيَّةٌ مُنْمَنَةٌ زَهْرَاءُ ذَاتُ ثَرَى صَعِدَ
بِأَحْسَنَ مِنْ حُرٍّ تَضَمَّنَ حَاجَةً لِحُرٍّ فَأَوْفَى بِالنَّجَاحِ مَعَ الْوَعْدِ

وكذلك ابن رشي

وقال ابن رشي [في ديوانه ١٥٠٤ من السريع] :

أَحْسَنْتَ فِي تَأْخِيرِهَا مَنَةً لَوْ لَمْ تُؤَخَّرْ لَمْ تَكُنْ كَامِلَةً
وَكَيْفَ لَا يَخْسُنُ تَأْخِيرُهَا بَعْدَ يَقِينِي أَنَّهَا حَاصِلَةٌ
وَجَنَّةُ الْفِرْدَوْسِ يُدْعَى بِهَا أَجَلَةٌ لِلْمَرْءِ لَا عَاجِلَةٌ

وذهب آخرون إلى خلافه ، وأنه لا يحسن الاستناد إلى المواعيد ٢ - الصنف الثاني
عكسهم واستدلوا لهم على ذلك ،
[الأ عند عدم القدرة ، وقد يدل له هديته ﷺ] (فقد كان لا يرد سائلاً ،
وإن لم يجد شيئاً . . وعد) .

(١) العُرف : المعروف . والمراد : أنه لا خير في معروف يؤخذ كالنهب والسرقة .

وقوله : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ فَجَاءِ الْخَيْرِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فَجَاءِ الشَّرِّ »^(١) ولا يخرج عنه قوله : « أَبَى اللَّهُ أَنْ يَرْزُقَ عَبْدَهُ الْمُؤْمِنَ إِلَّا مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ »^(٢) .

أصحاب هذا المذهب ولا يدخل تحت الحصر ما فيه من أقوال الشعراء . منه قول
عبد الله بن مصعب الزبيري [من الطويل] :

وَأَنْجَزَ خَلَقَ اللَّهُ مِنْ قَبْلِ وَغْدِهِ أَرَاكَ مِنْ مَطْلٍ وَمِنْ طَوْلٍ كَدُّهُ

تكرار هذا المعنى بكثرة وقد تكرر عند الناظم منه قوله [في « المكبري » ٣٦٩/١ من المتقارب] :

وَمَالٍ وَهَبْتَ بِلَا مَوْعِدٍ وَقَرْنٍ سَبَقَتْ إِلَيْهِ الْوَعِيدَا^(٣)

وقوله [في « المكبري » ٣٤٣/١ من المتقارب] :

لَقَدْ حَالَ بِالسَّيْفِ دُونَ الْوَعِيدِ وَحَالَ عَطَايَاهُ دُونَ الْوَعُودِ

وقوله [في « المكبري » ٣٤٨/١ من البسيط] :

مُحَمَّدُ بْنُ زُرَيْقٍ مَا نَرَى أَحَدًا إِذَا فَقَدْ نَاكَ يُعْطِي قَبْلَ أَنْ يَعِدَا

وقوله [في « المكبري » ٣٧٧/١ من الطويل] :

تَوَالَى بِلَا وَغْدٍ وَلَكِنَّ قَبْلَهُ شَمَائِلُهُ مِنْ غَيْرِ وَغْدٍ لَهَا وَغْدُ

(١) أورده عن أنس الهيثمي في « مجمع الزوائد » (١١٥/١٠) وقال : رواه أبو يعلى وفيه يوسف بن عطية متروك ، والسيوطي في « الجامع الصغير » (٩١/١) .
(٢) أخرجه عن أبي هريرة القضاعي في « مسند الشهاب » (٣٤١/١) وذكره العجلوني في « كشف الخفاء » (٥٨) وأطال في عزوه ، ولا يفرح له بسند مقبول .

(٣) الْقَرْنُ - بالكسر - : هو الكف في الشجاعة والمماثل ، والقَرْنُ - بالفتح - : هو مثلك في السن . والمراد الأول .

وقوله [في «المكبري» ٣٠/٤ من الكامل] :

سَرَّ الْقَمَالَ عَلَى الْمِطَالِ كَأَنَّمَا خَالَ الشُّوَالَ عَلَى الثُّوَالِ مُحَرَّمًا^(١)

وقوله [في «المكبري» ١٨٨/٣ من الطويل] :

وَحَالَتْ عَطَايَا كَفِّهِ دُونَ وَعْدِهِ فَلَيْسَ لَهُ إِنجَازُ وَعْدٍ وَلَا مَطْلُ

وقوله [في «المكبري» ٢٧٧/٣ من البسيط] :

وَأَجَزَ الْأَمِيرَ الَّذِي نُعْمَاءُ فَاجِئَتْهُ مِنْ غَيْرِ قَوْلٍ وَنُعْمَى النَّاسِ أَقْوَالُ

وقوله [في «المكبري» ٢٨/٢ من الطويل] :

وَوَعْدُكَ فِعْلٌ قَبْلَ وَعْدٍ لَأَنَّهُ نَظِيرُ فَعَالٍ الصَّادِقِ الْقَوْلِ وَعْدُهُ

وقوله [في «المكبري» ١٨٣/٢ من الخفيف] :

كَلَّمَا جَادَتِ الظُّنُونُ بِوَعْدٍ عَنْكَ جَادَتْ يَدَاكَ بِالإِنْجَازِ

وقوله [في «المكبري» ٢٩٧/٣ من الطويل] :

وَأَمَدَتْ إِلَيْنَا غَيْرَ قَاصِدَةٍ بِهِ كَرِيمَ السَّجَايَا يَسْبِقُ الْقَوْلَ بِالْفِعْلِ

وقوله [في «المكبري» ٨٧/٣ من البسيط] :

أَنْتَ الْجَوَادُ بِلَا مَنْ وَلَا كَدَرٍ وَلَا مِطَالٍ وَلَا وَعْدٍ وَلَا مَذَلٍ^(٢)

وربما دخل بعض هذه الأبيات بتأويل في القسم الأول ، ولا
مُشَاحَّة في ذلك ، فالخطبُ يسير .

(١) القَمَالُ - بفتح القاء - : الفِعْلُ الجميل .

(٢) المَذَلُّ : الفترة والضجر .

الشعره وهذا المعنى

وقال البحتري [في «ديوانه» ٥٧٤/١ من البسيط] :

يُنْضِي الْمَنَايَا دِرَاكًا ثُمَّ يُتْبِعُهَا يَنْضُ الْعَطَاءَ وَلَمْ يُوعِذْ وَلَمْ يَعِدْ

وقال [في «ديوانه» ٥٥٧/١ من البسيط] :

رَطَبُ الْغَمَامِ إِذَا مَا اسْتُمْطِرَتْ يَدُهُ جَاءَتْ مَوَاهِبُهُ قَبْلَ الْمَوَاعِيدِ

وقال المعري [في «سقط الزند» ١٢٩ من الطويل] :

فَيَا أَخْلَمَ السَّادَاتِ مِنْ غَيْرِ ذَلَّةٍ وَيَا أَجْوَدَ الْأَجْوَادِ مِنْ غَيْرِ مَوْعِدِ

وقال آخر [من الطويل] :

عَلَى عُدْوَاءِ الدَّارِ جَاءَتْ هِبَاتُهُ بِلَا عِدَّةٍ مِنْ قَبْلِ ذَاكَ وَلَا مِنْ (١)
فَأَوْلَيْتُهُ شُكْرِي وَلَكِنْ بِرُّهُ لَدَيْ الْهَيْبَةِ الْجَمُّ مِنْ فَوْقِ مَا أَتَيْتِي

وأنصح من ذلك كله قول أبي تمام [في «ديوانه» ٢٩٣/١ من الطويل] :

يَرَى الْوَعْدَ أَخْزَى الْعَارِ إِذْ هُوَ لَمْ تَكُنْ مَوَاهِبُهُ تَأْتِي مُقَدِّمَةَ الْوَعْدِ
فَلَوْ كَانَ مَا يُعْطِيهِ غَيْثًا لَأَمْطَرَتْ سَحَابَتُهُ مِنْ غَيْرِ بَرْقٍ وَلَا رَعْدِ

وقال القاضي ظهير الدين [من البسيط] :

جَوْدُ الْكَرِيمِ إِذَا مَا كَانَ عَنْ عِدَّةٍ وَقَدْ تَأَخَّرَ لَمْ يَسْلَمْ عَنِ الْكَدَرِ
إِنَّ السَّحَابَ لَا تُجِدِي بَوَارِقُهَا نَفْعًا إِذَا هِيَ لَمْ تُمِطْ عَلَى الْأَكْثَرِ

وقال الخباز أروزي في كلمة رشيقه

على ما فيها مما سننبه عليه [من الطويل] :

خَلِيلِي هَلْ أَبْصَرْتُمَا أَوْ سَمِعْتُمَا بِأَكْرَمَ مِنْ مَوْلَى تَمْشَى إِلَى عَبْدٍ ١٩

للخباز أروزي

(١) عُدْوَاءُ الدَّارِ : الدورُ البعيدةُ النائيةُ ، والعُدْوَاءُ : البعدُ .

أَجَلُّكَ عَنْ تَغْلِيْقِي قَلْبِكَ بِالْوَعْدِ
مَا زَالَ نَجْمُ الْوَصْلِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ
وَطَوَّرًا عَلَى تَقْيِيلِ نَزْجِ نَاطِرٍ وَطَوَّرًا عَلَى تَعْضِيقِ تَفَاحَةِ الْخَدِّ

والذي نلاحظه من حيث المعنى : بطلان الاستفهام الإنكاري ملاحظة المؤلف عليها
في قوله : (. . . هَلْ أَبْصَرْتُمَا أَوْ سَمِعْتُمَا) بِمَا كَانَ مِنْ هَدْيِهِ ﷺ في من حيث المعنى
زيارته لأصحابه وأخدامه ، حتَّى لقد زار غلاماً نَحَاماً^(١) مِنَ الْيَهُودِ .

ومن حيث اللَّفْظُ : يَجْمَعُهُ بَيْنَ السَّعَادَةِ وَالسَّعْدِ ، وَهَلْ هُمَا إِلَّا
كشياً واحداً ؟ وجاء في الخبر : أَنَّ (عِدَّةَ الْكَرِيمِ دَيْنٌ)^(٢) ، وَ : أَنَّ (لِي)
الْوَاحِدِ ظُلْمٌ)^(٣) .

وَمِنْ كَلَامِهِمْ : إِنَّ الْمَسْؤُولَ حُرٌّ حَتَّى يَعِدَ .

وَمِنْ ثَمَّ ذَهَبَ أَكْثَرُ الْأَثَمَةِ إِلَى الْقَوْلِ بِوَجوبِ الْوَفَاءِ بِالْوَعْدِ ، وَجوب الوفاء بالوعد
وَهَلْ يَبِيعُ الْعَهْدَةَ^(٤) الْمَعْرُوفُ بِأَرْضِنَا إِلَّا مَبْنِيٍّ عَلَيْهِ ؟ وَإِنِّي لَأَعْجَبُ
مِنَ الْإِمَامِ الْشَّافِعِيِّ ؛ إِذْ لَا يَقُولُ بِوَجوبِهِ مَعَ صِحَّةِ الْأَحَادِيثِ فِيهِ ،
وَكثرة الوعيد في الْخُلْفِ !

(١) النَحَامُ : المصابُّ بالسعال .

(٢) يقال في الأمثال السائرة : الْوَعْدُ عِنْدَ الْحَرِّ دَيْنٌ .

(٣) أخرجه بنحوه عن الشريد أبو داود (٣٦٢٨) ، والنسائي (٤٦٨٩) و(٤٦٩٠) ،

وابن ماجه (٢٤٢٧) ، وابن حبان (٥٠٨٩) بإسناد حسن ، ونحو معناه حديث

أبي هريرة عند البخاري (٢٢٨٧) ومسلم (٤٦٨٨) بلفظ « تَطْلُ الْغَنِيِّ ظُلْمٌ » .

(٤) ويسمى أيضاً بيع الإقالة : وهو مستجمع لشروط الصحة ، إلا أن المشتري يعد

البائع أنه إذا جاء بمثل الثمن له . . أقاله وردَّ عليه المبيع .

وفاء سيدنا أبي بكر عَدَاتِهِ
وقد وفقى أبو بكر الصديق سائر عَدَاتِهِ من بيت أكمال ، ولو
لَمْ تَكُنْ دِينًا لازمًا . . لَمَا سَدَّهَا مِنْهُ . ودعوى الخصوصية به عَدَاتِهِ
لا بد لها من دليل .

وفاء عدات سعيد بن العاص العاص
وما كَانَ دَيْنُ سعيدِ بنِ العاصِ الَّذِي بَنَعَ فِيهِ دَارُهُ مِنْ معاوية بثلاث
مئة ألفٍ إِلَّا مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ . مِنْهُ صَكَ لِبَعْضِ قُرَيْشٍ لَا يُؤْبَهُ لَهُ ،
سَأَلُوهُ عَنْ سَبِيهِ ، فَقَالَ : مَشَيْتُ مَعَهُ مَرَّةً إِلَى دَارِهِ حَتَّى بَلَغَهَا ،
فَقَالَ : مَا حَاجَتُكَ ؟ قُلْتُ : لَا شَيْءَ إِلَّا أَنِّي رَأَيْتُكَ تَمْشِي وَحَدَكَ ،
فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَصِلَ جَنَاحَكَ ، فَكَتَبَ لِي هَذَا الصَّكَّ ، وَاعْتَذَرَ بِمُسْرَةٍ
إِذْ ذَاكَ ، فَقَالَ لَهُ عَمْرُو بْنُ سَعِيدٍ : لَا جَرَمَ ، لَا تَأْخُذْهَا إِلَّا بِالْوَافِيَةِ ،
وَلَا تَبْرَحْ مَكَانَكَ حَتَّى تَقْبُضَهَا^(١) .

قصيدة شاعرة لبعض شعراء الحماسة^(٢) في قوله لاني « شرح حماسة أبي تمام »
٩٢٣-٩٢٥ من الطويل :

مَوَاعِينُهُمْ صِدْقٌ إِذَا مَا تَكَلَّمُوا بِتِلْكَ اللَّيْلِ قَدْ سُمِيتَ وَجَبَ الْفِعْلُ
وهو من كلمة شاعرة تقتضي الجزالة أستيفاءها وهي :

إِلَى هَضْبَةٍ مِنْ آلِ شَيْبَانَ أْفَرَعَتْ لَهَا الذَّرْوَةُ الْعَلْيَاءُ وَالْكَاهِلُ الْعَبْلُ^(٣)
إِلَى النَّقْرِ الْبَيْضِ الَّذِينَ كَانَتْهُمْ صَفَانِحُ يَوْمِ الرُّوْعِ أَخْلَصَهَا الصَّفْلُ
إِلَى مَعْدِنِ الْعِزِّ الْمُؤَيَّدِ وَالنَّدَى هُنَاكَ هُنَاكَ الْفَضْلُ وَالْخُلُقُ الْجَزْلُ

(١) راجع القصّة كاملة في « الأغاني » (٣٩/١) .

(٢) وهو : خَلَفَ بْنَ خَلِيفَةَ مَوْلَى قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ .

(٣) الكاهلُ : أصلُ العتق ، وهو الحارك . الْعَبْلُ : الغليظ ، وهذا مثلٌ لشرفهم وعلوهم .

هَلَّتْ عَلَى الْأَكْبَادِ مَا لَمْ يَذُقْهُمْ
عَلَيْهِمْ وَقَارُ الْجَلْمِ حَتَّى كَانَمَا
أَسْتَجِلهُ لَمْ يَغْزِبِ الْجَلْمُ عَنْهُمْ
سَمِ الْجَبَلِ الْأَعْلَى إِذَا مَا تَنَكَرَتْ
لَمْ تَرَ أَنَّ الْقَتْلَ غَالٍ إِذَا رَضُوا
يُخَوِّزُ ثَلَاثِينَهَا يُخَوِّزُ غَزِيرَةً
عَدُوٌّ وَفِي الْأَفْوَاهِ أَسْمَاؤُهُمْ تَخْلُو
وَلَيْدُهُمْ مِنْ أَجْلِ هَيْبَتِهِ كَهْلُ
وَأَنْ أَرَوْا أَنْ يَجْهَلُوا كَثَرَ الْجَهْلُ
مُلُوكُ رِجَالٍ أَوْ تَخَاطَرَتْ الْيَزْلُ^(١)
وَأَنْ غَضِبُوا فِي مَوْطِنٍ كَثُرَ الْقَتْلُ
إِذَا غَضِبَتْ قَيْسٌ وَإِخْوَانُهَا ذَهْلُ^(٢)

وَقَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ يَمْدَحُ بَنِي عَبْدِ مَنْفٍ فِي حَدِيثٍ لَا حَاجَةَ بِنَا ابْنِ الزُّبَيْرِ يَمْدَحُ بَنِي
عَبْدِ مَنْفٍ
إِلَى الْأَسْطُرَادِ بِهِ [كَمَا فِي «شُعْرِ ابْنِ الزُّبَيْرِ» ٥٤ مِنْ الْكَامِلِ] :

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمُخَوَّلُ رَحْلَهُ
الْحَالِطِينَ فَيَغِيْرُهُمْ يَغِيْرُهُمْ
وَالْقَائِلِينَ بِكُلِّ وَعْدٍ صَادِقٍ
وَالْظَّاعِنِينَ لِرَحْلَةِ الْإِيْلَافِ^(٣)
هَلَّا نَزَلَتْ بِأَلِ عَبْدِ مَنْفٍ
حَتَّى يَعُوْدَ فَيَغِيْرُهُمْ كَالْكَافِي

وَقَالَ الْحَظِيْثَةُ يَمْدَحُ آلَ شَمَّاسٍ بِنِ لَوْيَ [كَمَا فِي «دِيْوَانِهِ» مِنَ الطَّوِيلِ] : الْحَظِيْثَةُ يَمْدَحُ آلَ
شَمَّاسٍ

أَوَّلِيْكَ قَوْمٌ إِنْ بَنَوْا أَحْسَنُوا الْبِنَا
وَأِنْ عَاهَدُوا وَقَوْا وَإِنْ عَقَدُوا شَدُّوا
وَأِنْ قَالَ مَوْلَاهُمْ - عَلَى جُلِّ حَادِثٍ
مِنْ الدَّهْرِ - رُدُّوا فَضْلَ أَخْلَافِكُمْ رَدُّوا
أَقْلَوْا عَلَيْهِمْ - لَا أَبَا لِأَيِّكُمْ -
مِنْ اللَّوْمِ أَوْ سُدُّوا الْمَكَانَ الَّذِي سَدُّوا

(١) تَنَكَرَتْ : تَجَاحَدَتْ . تَخَاطَرَتْ : حَرَكَتْ أَذْنَائِهَا . الْيَزْلُ : حَسَانُ الْإِيْلِ .
وَالْمَعْنَى : أَنَّهُمْ بَلَغُوا اللَّوْءَ الْعُلْيَا مِنَ الْمَكَارِمِ وَالشَّجَاعَةِ وَالِدَعَاءِ قَوْلًا وَفِعْلًا
عَلَى عَكْسِ غَيْرِهِمْ .

(٢) قَيْسٌ وَذَهْلٌ : ابْنَا ثَعْلَبَةَ ، مِنْ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ . وَشَيْبَانٌ مِنْ ذَهْلٍ بِنِ ثَعْلَبَةَ .

(٣) كَمَا ذَكَرَهَا تَعَالَى بِسُورَةِ مَخْصُوصَةٍ .

وقال أيضاً [في «ديوانه» ٢٦٢٥٤ من البسيط] :

قَوْمٌ إِذَا عَقَدُوا [عَقْدًا] لِجَارِهِمْ شَدُّوا الْعِنَاجَ وَشَدُّوا فَرْقَهُ الْكَرْبِ^(١)
أُولَئِكَ الْأَنْفُ وَالْأَذْنَابُ غَيْرُهُمْ وَمَنْ يُسَاوِي بِأَنْفِ النَّاقَةِ الدُّنْيَا^(٢)

وَيُرَوَّى لِلْحَسَنِ السَّبِطِ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ [مِنَ الْبَسِطِ] :

وَلَا أَقُولُ نَعَمْ يَوْمًا فَأَتْبِعُهَا خُلْفًا وَلَوْ ذَهَبَتْ بِالْمَالِ وَالْوَلَدِ
فَأَخَذَهُ بَعْضُهُمْ ، وَقَالَ [مِنَ الزَّمَلِ] :

لَا تَقُولَنَّ إِذَا مَا لَمْ تُرِدْ أَنْ تُتِمَّ الْوَعْدَ فِي شَيْءٍ : نَعَمْ
فَإِذَا قُلْتَ : نَعَمْ فَأَضِيزْ لَهَا بِوَفَاءِ الْعَهْدِ إِنَّ الْخُلْفَ ذَمٌّ

وقال ابن أبي حاتم [مِنَ الطَّوِيلِ] :

إِذَا قُلْتَ فِي شَيْءٍ : نَعَمْ فَأَتِمَّهُ فَإِنَّ نَعَمْ دَيْنٌ عَلَى الْخُرِّ وَاجِبٌ
وَلَا أَقُلُّ : لَا ، تَسْتَرِخْ وَتُرِخْ بِهَا لِئَلَّا يَقُولَ النَّاسُ : إِنَّكَ كَاذِبٌ

وقال أبو عبادَةَ [في «ديوانه» ٦٩٩/٢ من الكامل] :

عَجِلْ إِلَى نُجْحِ الْفَعَالِ كَأَنَّمَا يُمَسِّنِي عَلَى وَتَرٍ مِنَ الْمَوْعُودِ^(٣)

(١) يقول : إذا عقدوا عقداً لجارهم .. وفوا به وأحكموه ، وكفى عن ذلك بالعِناج ، والعِناجُ : حبلٌ يشدُّ تحت الدلو ويتصل طرفاه من أعلاهما بما يتصل به أذناها . الكَرْبُ : الحبل الذي يشدُّ في وسط خشية الدلو فوق الرشاء ليقويه .

(٢) أَنْفُ النَّاقَةِ : قَصْدٌ بِهِ بَغِيضٌ وَأَهْلٌ بَيْتٌ ، وكانوا يميرون به في الجاهلية ، فلما قال الحطيئة هذا البيت .. صار مدحاً لهم . والأذنب : قصد بها الزبرقان وأهل بيته .

(٣) الْوَتَرُ : الثَّارُ .

وقال [في «ديوانه» ٧٥٩/٢ من الطويل] :

كَأَنَّ سَنَاهَا بِالْعَشِيِّ لِيُصْبِحَهَا تَبَسُّمُ عَيْنَيْ حِينَ يَلْفِظُ بِالْوَعْدِ

وقال [في «ديوانه» ٢٠١٢/٣ من الطويل] :

إِذَا وَعَدَ أَرْفَضْتُ عَطَاءَ عِدَّتِهِ وَأَعْرِفُ مِنْهُمْ مَنْ يَحُزُّ وَلَا يُذَمِّي^(١)

وقال [في «ديوانه» ٨٢٣/٢ من الكامل] :

شُكْرًا لِأَنْعَمِهِ الْجِسَامِ وَلَمْ تَضِعْ نَعَمَ مَلَأَ لَهُ الْبِلَادَ مَحَامِدًا
مَوْلَانِكَ فَضْلًا صَدْرُ قَاصِيهِ الْغِنَى بِعَوَائِدِ قَدْ كُنَّ أَمْسٍ مَوَاعِدًا^(٢)

وقال [في «ديوانه» ١٥٣١/٣ من الطويل] :

مَوَاهِبُ أَغْدَادُ الْأَمَانِي وَبَعْدَهَا عِدَاتُ يَكَادُ الْعُودُ مِنْهُمْ يُورِقُ

وفي عكسه يقول بشار بن برد ، وقد وعده خالد بن برمك

بجائزة ، فتأخّرت [في «ديوانه» ٨٩/٤ من الطويل] :

أَظَلَّتْ عَلَيْنَا مِنْكَ يَوْمًا غَمَامَةٌ أَضَاءَ لَهَا بَرْقٌ وَأَبْطَأَ رَشَاشُهَا
فَلَا غَيْمُهَا يُجَلِّي فَيَنَاسَ طَامِعٌ وَلَا غَيْثُهَا يَأْتِي فَتَزُولُ عِطَاشُهَا

وأمتدح أبو العتاهية عمر بن العلاء بقوله [في «ديوانه» ٦٠٥-٦٠٦ من أبو العتاهية وعمر بن

العلاء

[الكامل] :

إِنِّي أَمِنْتُ مِنَ الزَّمَانِ وَرَيْبِهِ لَمَّا عَلِفْتُ مِنَ الْأَمِيرِ جَبَالًا
لَوْ يَسْتَطِيعُ النَّاسُ فِي إِجْلَالِهِ لَحَذَوْا لَهُ حُرَّ الْجُجُوهِ نَعَالًا

(١) ارفضت : تفوّقت وذهبت . العِدَاتُ - جمع العِدَّة - : وهي الوعد .

(٢) المعنى : أن من يرجع من عنده . . . يرجع متحقق الوعد بعطايها صبرته غنياً .

إِنَّ الْمَطَايَا تَشْتَكِيكَ لَأَنَّهَا قَطَعْتَ إِلَيْكَ سَبَاسِبًا وَرِمَالًا
فَإِذَا وَرَدْنَ بِنَا وَرَدْنَ مُخَفَّةً وَإِذَا صَدَرْنَ بِنَا صَدَرْنَ نَقَالًا
فرسم له بسبعين ألفاً ، فتأخرت ، فكتب إليه (في ديوانه) ٥٥٧ من

الطويل :

أَصَابَتْ عَلَيْنَا جُودَكَ الْعَيْنُ يَا عُمَرُ فَخَنُ لَهَا نَبِيغِي الْكَمَائِمَ وَالنُّشُرَ
أَصَابَتْكَ عَيْنٌ فِي سَخَايِكَ صُلْبَةً وَيَا رَبَّ عَيْنٍ صُلْبَةٍ تَقَطُّعُ الْحَجَرَ
سَنَرَقِيكَ بِالشَّعَارِ حَتَّى تَمَلَّهَا فَإِنْ لَمْ تُفَقِّ مِنْهَا رَقِيْنَاكَ بِالسُّوَرِ

وقال أيضاً (في ديوانه) ٥٦٨-٥٦٩ من البسيط :

يَا ابْنَ أَلْعَلَاءِ وَيَا ابْنَ الْقَرْمِ مِرْدَاسٍ إِنِّي أَمْتَدُّحُكَ فِي صَخْبِي وَجُلَاسِي^(١)
أَتْنِي عَلَيْكَ وَلِي حَالٌ تُكَذِّبُنِي فِيمَا أَقُولُ فَأَسْتَخِينِي مِنَ النَّاسِ
حَتَّى إِذَا قِيلَ مَا أَوْلَاكَ مِنْ مَنِّ طَاطَأْتُ مِنْ سُوءِ حَالِي عِنْدَهَا رَاسِي
فَأَمَرَ حَاجِبُهُ أَنْ يَعْجَلَ لَهُ بِدَفْعِ الْمَالِ ، وقال : لا تُدْخِلْهُ عَلَيَّ
حَتَّى يَقْبِضَهَا ؛ فَإِنِّي مُسْتَحٍ مِنْهُ .

وقد جرث للعلامة ابن المقري قضية من نوعها مستوفاة في
« ديوانه » .

وقال محمد بن يزيد الأموي لعيسى بن فرخان شاه يعاتبه [من الهزج] :
لَقَدْ كُنْتُ أَرْجِيكَ لِمَا أَخْشَى مِنَ الدَّهْرِ
فَقَدْ أَضْبَحْتَ مِنْ أَوْكَ دِ اسْبَابِي إِلَى الْفَقْرِ

(١) الْقَرْمُ : سيّد القوم . قال الشاعر كما في شواهد العربية :
إلى الملكِ القرمِ وأبينِ الهمام وليثِ الكتبية في المزدحمِ

قَدْ أَفْنَيْتُ مَا أَفْنَيْتُ تُوْنِي شُكْرِكَ مِنْ عُنْوَري
 سَوَاعِيْدُ كَمَا أَخْبَيْتُ سَرَابَ الْمَهْمَةِ الْقَفْرِ
 مِنْ يَوْمٍ إِلَى يَوْمٍ وَمِنْ شَهْرٍ إِلَى شَهْرٍ
 لَئِنْ لَمْ يَنْصُرْ عَ لِي مِنْ حَيْثُ لَا أَدْرِي

ووقف دَعْبِلُ الخَزَاعِيُّ ببعضِ أُمراءِ (الرَّقَّةِ) ، فقالَ : إِنْني لَا دَعْبِلُ وبعضِ الأُمراءِ
 أقولُ كما قالَ صاحبُ معين [في تاريخ بغداد ١٣/ ٢٣٩ من الوافر] :

بِأَيِّ الْخُلَتَيْنِ عَلَيْكَ أَتَيْتُ فَإِنِّي عِنْدَ مَنْصَرَفِي مَسْئُورُ
 أَلَا حُسْنِي وَلَيْسَ لَهَا ضِيَاءُ عَلَيَّ فَمَنْ يُصَدِّقُ مَا أَقُولُ
 أَمْ الْآخِرَى وَلَسْتُ لَهَا بِأَهْلٍ وَأَنْتَ لِكُلِّ مَكْرُمَةٍ فَعُولُ

ولكنني أقولُ [كما في ديوان دَعْبِل ٢٢٠-٢٢١ من الكامل] :

إِنْ قُلْتُ : أَعْطَانِي كَذَبْتُ وَإِنْ أَقُلْتُ : ضَرَّ الْأَمِيرُ بِمَالِهِ ... لَمْ يَجْمُلِ
 وَلَأَنْتَ أَغْلَمُ بِالْمَكَارِمِ وَالْعُلَا مِنْ أَنْ أَقُولَ : فَعَلْتُ مَا لَمْ تَفْعَلِ
 فَاخْتَرِ لِنَفْسِكَ مَا أَقُولُ فَإِنِّي لَا بُدَّ مُخْبِرُهُمْ وَإِنْ لَمْ أَسْأَلِ
 قَالَ لَهُ : قَاتَلَكَ اللَّهُ ، وَأَمَرَ لَهُ بِعَشْرَةِ آلَافٍ دَرْهَمٍ .

وقد سبقَ إلى المعنى حاتمُ في قوله [من الكامل] :

وَأَعْلَمُ بِأَنَّ الضَّيْفَ مُخْبِرُ أَهْلِهِ بِبَيِّنَةٍ لَيْلَتِهِ وَإِنْ لَمْ يُسْأَلِ
 ونحنُ ذاكروهُ بما يتعلَّقُ به في غيرِ هذا الموضعِ إِنْ شاءَ اللهُ تعالى .

وممَّا يستحقُّ أَنْ يُذَكَرَ بِالْإِعْجَابِ - وَإِنْ خِلا عَنِ الْتَصْرِيحِ من روائع البحري في
 بِالْإِقْتِضَاءِ ، فَلَنْ يَكُونَ إِلَّا مِنْ أَجْلِهِ ، وَهُوَ مَوْضِعُ الْمُنَاسِبَةِ - قولُ الاستهزاء والهجاء
 البحريّ [في ديوانه ٣/ ١٩٧٩ - ١٩٨١ من الطويل] :

وَأَصْبَدَ إِذْ نَارَعَتْهُ اللَّخْظَ رَدُّهُ كَلِيلًا وَإِنْ رَاجَعْتُهُ الْقَوْلَ جَنَجَمًا^(١)
ثَنَاهُ الْعِدَا عَنِّي فَأَصْبَحَ مُغْرَضًا وَأَوْهَمَهُ الرَّاثُونَ حَتَّى تَوَهَّمَا
وَقَدْ كَانَ سَهْلًا وَاضِحًا فَتَوَعَّرَتْ رُبَاهُ وَطَلَقَا وَاضِحًا فَتَجَهَّمَا
أَلَسْتُ الْمُؤَالِي فِيكَ غُرَّ قَصَائِدٍ هِيَ الْأَنْجُمُ أَفَادَتْ مَعَ اللَّيْلِ أَنْجُمًا؟
وَلَوْ أَنَّنِي وَقَرْتُ شِعْرِي وَقَارُهُ وَأَكْرَمْتُ مَذْحِي فِيكَ أَنْ يَهْضُمًا^(٢)
لَا كَبَرْتُ أَنْ أُوْمِي إِلَيْكَ بِإِضْهِجٍ تَضَرَّعُ أَوْ أُذْنِي لِمَعْذِرَةٍ فَمَا
وَكَانَ الَّذِي يَأْتِي بِهِ الدَّهْرُ هَيئًا عَلَيَّ وَلَوْ كَانَ الْحِمَامُ الْمُقَدَّمَا
وَلَكِنِّي أَغْلِي مَحَلِّي أَنْ أَرَى مُدِلًا وَأَسْتَحْيِيكَ أَنْ أَعْظَمَا
وَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ أُوْزِبَ مُمْلَكًا فَأَصْبَحْتُ أَرْجُو أَنْ أُوْزِبَ مُسْلَمًا^(٣)

من روائع ابن الرومي فهذا والله الشعر يتفجر الحجر لمسه ، وتهتز القلوب لجرسه ،
في الموضوع ولا يقصر عنه قول أبين الرومي يعاتب أبا الصقر كما في «ديوانه»
٥١٨/٢ - ٥٢٠ من الطويل :

عَقِيلَ النَّدَى أَطْلُقَ مَذَابِحَ جَمَّةٍ خَوَاسِي حَرَى قَدْ أَبَتْ أَنْ تُسَرَّحًا^(٤)

- (١) الْأَصْبَدُ : الرجل يرفع رأسه كبراً ، وقيل للملك : أَصْبَدُ ؛ لَأَنَّهُ لَا يَلْتَفِتُ مِنَ الزَّهْوِ يَمْنِيًا وَلَا شِمَالًا . جَمَجَمَ : لَمْ يَبَيِّنْ كَلَامَهُ .
- (٢) يَهْضُمُ : يُظْلِمُ وَيُغْتَصِبُ حَقَّهُ .
- (٣) أُوْزِبُ : أَعُوذُ وَأَرْجِعُ .
- (٤) الْإِبِلُ الْمُخَيَّسَةُ : هِيَ الْإِبِلُ الْمَجْبُوسَةُ لِلنَّحْرِ أَوْ الْقَسَمِ وَلَمْ تُطَلَّقْ ، وَفِي الْبَيْتِ كَنَاءَةٌ ظَاهِرَةٌ وَهِيَ جَعْلُهُ الْمَدِيحِ الَّذِي هُوَ أَغْلَى الْكَلَامِ كَالْإِبِلِ الَّتِي هِيَ أَغْلَى شَيْءٍ عِنْدَ الْعَرَبِ . حَرَى - فَعْلَى مِنَ الْحَرِّ - : وَهِيَ تَأْنِيثُ حَرَّانَ ، وَهِيَ لِلْمِبَالِغَةِ ، يَرِيدُ أَنَّهَا لَشِدَّةٌ حَرُّهَا قَدْ عَطَشَتْ وَبَسَّتْ مِنَ الْعَطَشِ ، وَمِنْهُ طَرَفُ الْحَدِيثِ : « فِي كُلِّ ذَاتٍ كَبِدٌ حَرَّى أَجْرٌ » رَوَاهُ عَنْ مَخْوَلِ الْبَهْزِيِّ ابْنُ حِبَانَ فِي «الْإِحْسَانِ» (٥٨٨٢) بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ .

جَنَّتْ مَنَى تَنْشَدَ مَدِينَا ظَلَمَتُهُ يَكُنْ لَكَ أَهْجَى كُلَّمَا كَانَ أَمْدَحَا
لِزُتِكَ لَوْ كَانَتْ سَمَاءُ تَقَشَّعَتْ سَحَابُهَا أَوْ كَانَ رَوْضٌ تَصَوَّحَا^(١)
وَلَكِنَّهَا سَفِيَا حُرِمْتُ رَوِيَّهَا وَعَارِضُهَا مُلِقِي كَلَاكِلَ جُنْحَا^(٢)
مَا لَكَ بَخْرًا لَمْ أَجِدْ فِيهِ مَشْرِبَا عَلَى أَنَّ غَيْرِي وَاجِدٌ فِيهِ مَسْبَحَا
غَيْرَ أَنَّ الْأَوَّلَ أَنْحَمُ وَأَمْلَأُ لِلْفَمِ ، فَمَا أَبْدَعَهُ مِنْ قَوْلٍ يَعْرِضُ عَلَى
الْقَصْحَاءِ فِي مِيدَانِهِ الْجَوْلُ .

وقال البحرري أيضاً فيما يشبه ما نحن فيه [كما في «ديوانه» ٤/ ٢٤٢٢ الشعراء في هذا الميدان

من البسيط] :

يُطِيلُ تَسْوِيفَ وَغَدِي ثُمَّ يُخْلِفُهُ عَمْدًا وَيَمْطُلُ دَنِي ثُمَّ يَلْوِيهِ^(٣)

وقال [من الطويل] :

لَيْسَ غَرَزِي مَطْلُ الْبَخِيلِ لَقَبُهُ غَرَزْتُ بِإِسْعَافِ الْخَبَالِ الَّذِي يَسْرِي

وقال الناطم [في «المكبري» ٢/ ٤١-٤٢ من البسيط] :

أَمْسَيْتُ أَزَوْحَ مَثَرِ خَارِنَا وَيَدَا أَنَا الْغَنِيُّ وَأَمْوَالِي الْمَوَاعِينُ^(٤)
إِنِّي نَزَلْتُ بِكَدَائِبِنَ ضَيْفُهُمْ عَنِ الْقَرَى وَعَنِ التَّرْحَالِ مَخْدُودُ
خُودِ الرُّجَالِ مِنَ الْأَيْدِي وَجُودُهُمْ مِنَ اللِّسَانِ فَلَا كَانُوا وَلَا الْجُودُ

(١) أُنْقَشَ الغيمُ والسحابُ : إذا كَشَفَتْهُ الرِّيحُ . تَصَوَّحَ الرَوْضُ : إِذَا تَمَّ يَسُّهُ .

(٢) الْكَلَاكِلُ : الْجَمَاعَاتُ .

(٣) مَطَّلَ : سَوَّفَ الْوَعْدَ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى . لَوَّى : بِمَعْنَى مَطَّلَ .

(٤) أَزَوْحَ : مِنَ الرَّاحَةِ .

وأبطأ رجلٌ بوعدِهِ لأبي العتاهية فقال [من المنسرح] :

لَا جَعَلَ اللَّهُ لِي إِيَّاكَ وَلَا عِنْدَكَ مَا عِشْتُ حَاجَةً أَبَدًا
مَا جِئْتُ فِي حَاجَةٍ أَقْرَبُهَا إِلَّا تَسَاقَلْتُ ثُمَّ قُلْتُ غَدًا

وقال بشارٌ فيما يشبه الكلام [في «ديوانه» ٢١١/٤-٢١٢ من الطويل] :

وَلَا تَبْخَلَا بُخْلَ ابْنِ قَزَعَةٍ إِنَّهُ مَخَافَةٌ أَنْ يُزَجِّيَ نَدَاهُ حَزِينُ
إِذَا جِئْتُهُ فِي حَاجَةٍ سَدَّ بَابَهُ فَلَنْ تَلْقَاهُ إِلَّا وَأَنْتَ كَمِينُ

وقال كثيرٌ [في «ديوانه» ٥٠٧ من الوافر] :

لَوْ أَنَّ الْبَاخِلِينَ وَأَنْتَ مِنْهُمْ رَأَوْكَ تَعَلَّمُوا مِنْكَ الْمِطَالَ

وقال [في «ديوانه» ١٤٣ من الطويل] :

قَضَى كُلُّ ذِي دَيْنٍ فَوْفَى غَرِيمَةٍ وَعَزَّةٌ مَمْطُولٌ مُعْنَى غَرِيمَتِهَا^(١)

فيحكى [كما في «الأغاني» ٣٦/٩] : أَنَّهُ كَانَ لَكُثِيرٍ عَبْدٌ يَبِيعُ لَهُ الْطَّيِّبَ

العبد الموقن هو الذي يعمل ما يرضي سيده

وَإِنْسَوُهُنَّ بِالْشَمَنِ ، فَجَاءَ يَتَقَاضَاهُنَّ ، فَأَذَيْنَهُ إِلَّا

واحدة ، لَمْ يَعْرِفْهَا لِمَكَانِ الْبَرْقِعِ ، فَتَمَثَّلَ بَيْتِ مَوْلَاهُ هَذَا ، فَقُلْنَ لَهُ :

أَتَدْرِي مَنْ هَذِهِ ؟ ! قَالَ : لَا ، قُلْنَ لَهُ : إِنَّهَا عَزَّةٌ ، قَالَ :

أُشْهِدُكُمْ أَنَّهَا فِي حِلٍّ مِمَّا عِنْدَهَا ، وَأَخْبَرَ مَوْلَاهُ فَسَّرَ بِصَنِيعِهِ ،

وَأَعْتَقَهُ .

فيحكى [كما في «الأغاني» ٣٦/٩] : أَنَّ عَزَّةً دَخَلَتْ عَلَى أُمِّ الْبَنِينَ ،

فَقَالَتْ لَهَا : مَا الدَّيْنُ الَّذِي يَتَقَاضَاكَ كُثِيرٌ ؟ قَالَتْ : قُبْلَةٌ وَعِدَّتُهُ

إِيَّاهَا ، قَالَتْ : أَنْجِزِيهِ مَا وَعَدْتِ ، وَإِنَّمْ ذَلِكَ عَلَيَّ .

(١) المَعْنَى - مِنَ الْعَنَاءِ - : وَهُوَ الْمَشَقَّةُ وَالْتَعَبُ .

فكانت أم البنين تبكي كلما ذكرت فتواها هذه لعزة ، وأعتقت
بها رقاباً ، وتصدقت .

شر الآفات البخل

وقال بعضهم [من الطويل] :

إِنْ تَجْمَعِ آفَاتُ فَالْبُخْلُ شَرُّهَا وَشَرُّ مِنَ الْبُخْلِ الْمَوَاعِيدُ وَالْمَطْلُ

وَسَأَلَ بَعْضُهُمْ عَدِيَّ بْنَ حَاتِمٍ حَاجَةً ، فَصَرَّحَ بِالْمَنْعِ ، فَقَالَ لَهُ : لا شيء أفضل من
كَأَنَّكَ لَمْ تَكُنْ مِنْ حَاتِمٍ ؟! فَقَالَ عَدِيٌّ : إِنْ لَمْ أَكُنْ فِي الشَّطْرِ
الْثَانِي . . فَإِنِّي مِنْهُ فِي الْأَوَّلِ ، يعني قوله [في شرح ديوان جاتم ٥١ من
الطويل] :

أَمَاوِيٍّ إِذَا مَانِعٌ فَمُيِّنٌ وَإِمَّا عَطَاءٌ لَا يُنْهِنُهُ الرَّجْرُ^(١)

وقال أعرابي : فلان له وعد عاقبته المطل ، وثمرته الخلف ، وصف لبخل
ومحصوله اليأس .

وقال الثعالبي : أَوَّلُ مَنْ أَخْلَفَ الْمَوَاعِيدَ ، وَلَمْ يَفِ بِشَيْءٍ مِنْهَا : أول من أخلف
إِسْمَاعِيلُ بْنُ صُبَيْحٍ ، كَاتِبُ الرَّشِيدِ ، وَمَا كَانَتْ الرُّسَاءُ قَبْلَهُ تَعْرِفُ^{المواعيد}
الْمَوَاعِيدَ الْكَاذِبَةَ .

وأشتهر أحد اللثام بشدة الحرص ، حَتَّى آيَسَ مِنْهُ الْمَكِيدُونَ ، دواء ينفع مع اللثيم
فَتَذَاكُرُوا غِلْظَةَ كَيْدِهِ ، وَتَحْجِرَ يَدِهِ ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ : أَنَا لَهُ ،^{الحرص}
فَقَالُوا : لَنْ تَقْدِرَ مِنْهُ عَلَى شَيْءٍ ، وَخَاطَرُوهُ^(٢) ، فَعَدَا عَلَى بَابِهِ
يَقْرَعُهُ قَرْعاً شَدِيداً ، حَتَّى أَضْجَرَهُ ، وَآلَى أَنْ لَا يَنْصَرِفَ إِلَّا بِنَوَالٍ

(١) يُنْهِنُهُ : يَكْفُهُ .

(٢) - التَخَاطُرُ : التَّرَاهُنُ ، وَاسْمِي الرِّهَانُ : مَخَاطَرَةٌ ؛ لِمَا فِيهِ مِنْ اِحْتِمَالِ فَقْدِ مَا يَكُونُ
فِيهَا أَوْ سَلَامَتُهُ .

أو وعد ، فوعده بدائني إلى سنة ، فبكر إليه من الغد ، وألقى راحته ، وقال له : أحسب فقد مضى من السنة يوم ، ولم يزل يياكره بمثل ذلك . . حتى ضيق عليه أنفاسه ، فرأى التخلص بدفع الدائني أهون عليه ، فنقده إياه ، فاستحق الخطر على أصحابه ، وما أظنه أهدى لهذه الحيلة إلا من حيث فتح له بابها شيخ (المعرة) في قوله [في سقط الزند ١٦٥ من الكامل] :

إِنَّ الْبَخِيلَ إِذَا يُمَدُّ لَهُ الْمَدَى فِي الْجُودِ هَانَ عَلَيْهِ وَغَدُ السَّائِلِ

الوعد في الحب أما اقتناع المحبين بالمواعيد : فإنه حديث آخر ، ومنه قول سلطانهم [في ديوان ابن الفارض ١٣٨ من الطويل] :

عِدْنِي بَوْضَلٍ وَأَمْطِلِي بِنَجَازِهِ فَعِنْدِي إِذَا صَحَّ الْهَوَى حَسَنَ الْمَطْلُ

وقوله [في ديوانه ١١ من الرمل] :

أَوْعِدُونِي أَوْ عِدُونِي وَأَمْطِلُوا حُكْمَ دِينِ الْحُبِّ دَيْنُ الْحُبِّ لِي^(١)

الكثون والمواعيد ويأتي ما يتعلق به في فرصة أنسب له من هذه إن شاء الله تعالى ، وما أدري أصحح ما يقال : إِنَّ الْكُثُونَ يَعِيشُ بِالْمَوَاعِيدِ أَمْ لَا^(٢) ؟ ففي ذلك ينشدون [من البسيط] :

(١) أَوْعِدُونِي : هددوني ، من الوعيد . عِدُونِي : من الوعد ، يريد : أَلْ حُكْمَ دِينِ الْحُبِّ يُحْلَلُ الْمَاطِلَةُ فِي آدَاءِ دَيْنِ الْمَحَبِّ . قال الشاعر :

وإني وإن أوعدته أو وعدته لمخلف إيمادي ومنجز مواعيدي

(٢) يقال : إِنَّ الْكُثُونَ عِنْدَمَا لَا يَبْقَى مَاءٌ لِسُقْيَاهُ يَقُولُونَ : سنسقيك غداً ، فيغنيه هذا الكلام عن السقيا ، قال الشاعر :

فَأَصْبَحْتُ كَالْكُثُونِ مَاتَتْ عُرْوَتُهُ وَأَغْصَانُهُ مِمَّا يُمْتَنُونَهُ خُضْرُ

وفي المثل ببلاد الشام : بالوعد يا كمون .

لَيْسَ كُنْتُ كَثُونا بِمَزْرَعَةٍ إِنْ قَاتَهُ السَّقْيُ أَغْتَتَهُ الْمَوَاعِيدُ

وَأَمَّا قَوْلُهُ : (وَلَا يَكُدُّهَا) .. فَنَظَرُ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ ثُمَّ لَا يَسْأَلُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنَّا وَلَا أَدَّى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَرْجُونَ ﴾ [١١] قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَدَى وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يُبَايِعُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَا يُطْلُوا صَدَقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَدَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِيقًا تَائِسًا وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَاتِ [البقرة : ٢٦٢-٢٦٤] .

التأكيد والمن في
المطاء في أصل
الكلام

ووجه مناسبة قوله : ﴿ وَاللَّهُ غَنِيٌّ ﴾ لِمَا قَبْلَهُ أَنَّ اللَّهَ يَتَلَقَّى الصَّدَقَةَ بِدَيْهِ كَمَا فِي « الصَّحِيحَيْنِ »^(١) ، وَإِنَّمَا يَنَالُهُ مِنْ عِبَادِهِ التَّقْوَى ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمُرَادِهِ .

التأكيد والمن في
المطاء عند الشعراء

وَقَالَ الْحَطِيبَةُ [فِي « دِيوانه » ٤١١ مِنْ الطويل] :

وَإِنْ كَانَتْ النِّعْمَاءُ فِيهِمْ جَزَوْا بِهَا وَإِنْ أَنْعَمُوا لَا كَدَّرُوهَا وَلَا كَدَّرُوا

وَقَالَ الْأَعَشَى يَمْدَحُ الْمُنْتَشِرَ [مَنْ الْبسيط] :

مَنْ لَيْسَ فِي خَيْرِهِ مَنْ يُكَدِّرُهُ عَلَى الصَّدِيقِ وَلَا فِي صَفْوِهِ كَدَرُ

وَقَالَ الْقَطَامِيُّ [فِي « دِيوانه » ٣٨ مِنْ الوافر] :

لَكُمُ أَرْ مُنْعِمِينَ أَقَلُّ مِنَّا وَأَكْرَمَ عِنْدَمَا أَصْطَنَعُوا أَصْطِنَاعًا
مِنَ الْبَيْضِ الْوُجُوهِ بَيْنِي نَقِيلُ أَبْتُ أَخْلَاقَهُمْ إِلَّا أَسَاعَا

(١) وَذَلِكَ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي (الزَّكَاةِ) (١٤١٠) وَمُسْلِمٌ فِي (الزَّكَاةِ) (١٠١٤) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : « مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدَلٍ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ - وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ - فَإِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُهَا بِيَمِينِهِ ثُمَّ يَرْبِّيُهَا لِصَاحِبِهَا كَمَا يَرْبِّي أَحَدُكُمْ فَلَوْهُ أَوْ قُلُوصُهُ، حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ » وَاللَّفْظُ لِلْبُخَارِيِّ .

وقوله : (أَقَلَّ مِنَّا) شبيهة بما مرَّ القول فيه مِنْ نَفْيِ الشَّيْءِ
بِإِيجَابِهِ ، والمراد : عدمُ المَنْ ، كما في قولهم عَنْ وَصْفِهِ ﷺ :
(كَانَ يَقُولُ اللَّغْوَ) ؛ إذ المراد منه : أَنَّهُ لَا يَقُولُ لَغْوًا أَبَدًا .

وقال جرير يمدح بني أمية [من البسيط] :

أَعْطَوْا هُبَيْنَةً يَخْذُوهَا ثَمَانِيَةً مَا فِي عَطَائِهِمْ مِنْ وَلَا سَرْفُ

وقال الأخطل [في «ديوانه» ١٧٢ من البسيط] :

يَنِي أُمِّيَّةٌ نُعْمَاكُمْ مُجَلَّلَةٌ تَمَثَّ فَلَآ مِنَّةٌ فِيهَا وَلَا كَدْرُ

وقال أبو قابوس يمدح يحيى بن خالد البرمكي [من البسيط] :

يَنْسَى الَّذِي كَانَ مِنْ مَعْرُوفِهِ أَبَدًا إِلَى الرَّجَالِ وَلَا يَنْسَى الَّذِي يَعِدُ

لا تنس حاجتي أيها الأمير وقال رجل لمسلم بن قريش : لا تنس حاجتي أيها الأمير ،
قال : لن أنساها إلا إذا قضيتها .

وقال أبو عباد [في «ديوانه» ١٣٩٧/٣ من الطويل] :

كَرُمْتَ فَمَا كَذَّرْتَ تَيْلَكَ عِنْدَنَا بِمَنْ وَلَا أَتَبَعْتَ وَعَدَكَ بِالْخُلْفِ

وأكثر الناظم في المعنى فمعه قوله [في «المكبري» ٦٥/٤ من المنرح] :
تَظُنُّ مِنْ فَقْدِكَ أَعْتِدَادَهُمْ أَنَّهُمْ أَنْعَمُوا وَمَا عَلِمُوا

وقوله [في «المكبري» ١٧٣/١ من البسيط] :

إِلَى الَّذِي تَهَبُ الدُّوَلَاتِ رَاحَتَهُ وَلَا يَمُتُّ عَلَى آثَارِ مَوْهُوبٍ^(١)

(١) الدُّوَلَاتُ : تعريضُ بسيفِ الدولة ، يريدُ : أَنَّهُ مَلِكٌ عَظِيمٌ تَصِلُ عَطَايَاهُ إِلَى الدُّوَلَاتِ .

وقوله - وقد تقدّم - [في «المكبري» ٨٧/٣ من البسيط] :

لَيْتَ الْجَوَادُ بِلَا مَنْ وَلَا كَدْرٍ وَلَا مِطَالٍ وَلَا وَعْدٍ وَلَا مَذَلٍ^(١)

وقوله [في «المكبري» ٢٥٨/٣ من الكامل] :

يَكْرُؤُا الْكُدَى سَتَرَ الْغُرَابِ سِفَادَهُ فَبَدَا وَهْلٌ يَخْفَى أَلْرَبَابُ الْهَاطِلُ^(٢) ؟

وقال بعض الهاشميين : كانت أم جعفر البرمكي تزورنا - وهي أم جعفر البرمكي تصف أولادها - امرأة جزلة - فسألتها يوماً عن حال ولديها : (الفضل وجعفر) ، قالت : لا أريدك علي واقعة لهما وهما طفلان : عاد يحيى إلى البيت بعد فراغه من شغل السلطان ، فقال لجعفر : بلغني أنك تلعب الشطرنج ، قال : نعم ، قال : فهل لك أن تلعب مع أخيك ؟ قال : نعم ، فأعذّر الفضل ، فقال يحيى : أتلعب معه على المقامرة ، وأنا في جانبه ؟ قال : نعم ، فأمتنع الفضل وأستحيا ، فأنصرف ، فترى أن جعفرأ أخطأ من جهات ، وعزم الله للفضل بالثبات .

ولما ظننا أنها قضت له على جعفر . . قالت : فخلوت بجعفر ، وقلت له : تعرف أن أباك يكره اللعب ، وقد صارحته بأنك تلعب ! قال : ذاك أهون علي من أن أكذبه . قلت له : وحرصت على أن تتخجل أخاك بغليته ! قال : أعرف تفوقه علي ، ولو ضعف . .

(١) المذَل : الفترة والضجر .

(٢) سَفَدٌ يَسْفُدُ سَفَاداً : هو نَزْوُ الذكور على الأنثى ، يقال ذلك في التيس والبعير والثور والطير والسياب . والرباب : غيم يتعلّق بأسافل السحاب إذا كثُر ماؤه . والمعنى : أنهم يكتمون معروفهم كما يكتُم الغراب سَفَادَهُ ، ثُمَّ ذَلِكَ لَا يَكْتُمُ كما لا يخفى السحاب الهاطل .

لَانْغَلَبْتُ لَهُ . قُلْتُ : وَأَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ رِضَاكَ بِالمُقَامَرَةِ ! قَالَ :
 مَا حَمَلَنِي عَلَيْهَا إِلَّا أَنَّ الرِّشِيدَ أَعْطَانِي دَوَاةً مِنَ الْجَوْهَرِ ، وَرَأَيْتُ
 أَخِي يَسْتَحْسِنُهَا ، وَكَرِهْتُ أَنْ يَرَى لِي مِثَّةً عَلَيْهِ إِنْ أَنَا أَهْدَيْتُهَا لَهُ ،
 فَأَحْبَبْتُ أَنْ يَأْخُذَهَا بِالْغَلَبَةِ ؛ لِتَكُونَ أَهْنًا لَهُ . قُلْتُ لَهُ : وَقَاصِمَةُ
 الظُّهْرِ ، رِضَاكَ بِمِغَالِبَةِ أَبِيكَ !! قَالَ : قَدْ عَرَفْتُ جَوَابَهَا مِنْ أَنْغْلَابِي
 لَا مُحَالَةَ ، وَإِنَّمَا أَرَدْتُ تَشْجِيعَ أَخِي عَلَى اللَّعِبِ حَتَّى يَسْتَأْثِرَ
 بِالدَّوَاةِ ، فَصَبِرْتُ لِلْجُرْأَةِ عَلَى أَبِي مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ . قَالَ الْهَاشِمِيُّ :
 فَقُلْتُ لَهَا : أَكَانَ ذَلِكَ وَقَدْ بَلَغَا الْحُلُمَ ؟ قَالَتْ : أَيْنَ يَذْهَبُ بَكَ ؟ أَمَا
 قُلْتُ لَكَ : إِنَّهُمَا طِفْلَانِ ، إِنَّ الصَّبِيَّ إِذَا بَلَغَ عَشْرًا لَمْ نُمَكِّنْهُ أَنْ يَتَبَسَّمَ
 بِمُحْضَرِ الرِّجَالِ .

أَصْبَحْتُ بِيَوْتَنَا كَالْأَسْوَاقِ . وَأَقُولُ : إِنَّ آخِرَهَا لَيْسَ بِأكْبَرَ مِمَّا رُوِيَ عَنْ بَعْضِ أَجْدَادِنَا
 الْعُلُوِّينَ أَنَّهُ قَالَ : جِئْتُ وَأَنَا فِي التَّاسِعَةِ مِنْ عُمْرِي ، وَأُمِّي تُسَبِّحُ
 الضُّحَى ، فَرَأَيْتُ مَا أَرْتَفَعَ لَهُ صَوْتِي قَلِيلًا بِالضُّحَاكِ ، فَمَا أَنْفَقْتُ
 أُمِّي مِنْ صَلَاتِهَا . . . إِلَّا وَقَدْ بَلَّغْتُ خِمَارَهَا بِالدَّمْعِ تَسْتَرْجِعُ ،
 وَتَقُولُ : لَقَدْ أَصْبَحْتُ بِيَوْتَنَا شَبِيهَةً بِالْأَسْوَاقِ ، وَمَا كَانَ يُسْمَعُ فِيهَا
 إِلَّا ذِكْرُ اللَّهِ ، وَتِلَاوَةُ الْقُرْآنِ ، فَقَالَتْ لِي أُخْتِي مَرِيَمُ : هَلْ لَكَ فِي
 التَّوْبَةِ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ ، وَتَبْتُ عَلَى يَدِهَا ، وَأَخَذْتُ مِثَاقِي عَلَى أَنْ لَا
 أَعُودَ إِلَى مِثْلِهَا ، وَبَقِيَ الْخَدَمُ سَنَةً يُؤْتُونِي ، وَيَقُولُونَ : تَوْبَةٌ
 مَقْبُولَةٌ .

مَدِيحُ الْبِرَامِكَةِ وَلَقَدْ صَدَّقَ أَشْجَعُ فِي قَوْلِهِ عَنِ الْبِرَامِكَةِ عَامَّةً ، وَعَنْ جَعْفَرٍ
 خَاصَّةً [فِي « دِيَوَانِهِ » ٢٢٠ مِنْ الْكَامِلِ] :

سَادَ الْبِرَامِكُ جَعْفَرٌ وَهُمْ الْأُولَى بَعْدَ الْخَلَائِفِ سَادَةُ الْإِنْسِ

وَصَدَقْتُ أَنَا فِي قَوْلِي عَنْ لَهُامِيمِ^(١) السَّابِقِينَ مِنَ الْعُلُوِّينَ [في قصائد للمؤلف في

مدح العلويين

ديوان المؤلف « ٢٢٦ من الطويل] :

مَلَائِكَةٌ فِي سَمْتِهِمْ وَلَدَى الْوَعَى لِيُوثَّ لَهُمْ فِي الْمَشْرِفَةِ أَخْيَاسُ
لَهُمْ مِنَ الْبَارِي وَقَارٌ لَأَنَّهُمْ بِأَرْوَاحِهِمْ فِي حَضْرَةِ الْقُدْسِ جُلَاسُ^(٢)

وقولي [كما في « ديوان المؤلف » ١٢١ من الطويل] :

مَنْ دَرَجُوا عَنْ وَكْرِهِمْ مِنْ أَيْمَةٍ يَبَاسُ مُلُوكٍ فِي لِبَاسِ مَلَائِكِ
لَهُمْ الْهُدَى مِنْ بَاسِهِمْ يَنْمُجِي الرَّدَى وَتَعْتُو الْعِدَا مِنْ فَتْكِهِمْ فِي الْمَعَارِكِ^(٣)

وقولي [كما في « ديوان المؤلف » ٢٥١ من الطويل] :

لَبَّالِي كَانَ الْحَيُّ يَزْهُو بِجَبْرِهَ لَهُمْ حَلِيَّةُ التَّقْوَى إِلَى رِقَّةِ الطَّنْعِ
مَرَايِجُ سَبَاقُونَ فِي الْمَجْدِ لَمْ يُرْدِ بِهِمْ [رَبُّهُمْ] لِلْعَالَمِينَ سِوَى النَّفْعِ^(٤)

في كثير من أمثال ذلك .

وَمِنْ أَبْلَغَ مَا سَمِعْنَا فِي تَعَاظُمِ السَّائِلِ ، وَسَمَاحَةِ نَفْسِ أَبْلَغَ مَا رَوَى فِي تَعَاظُمِ
الْمَسْؤُولِ ، مَا ذَكَرَ عَنْ بَعْضِهِمْ - وَأَظَنُّهُ الْمَهْلَبُ بْنُ أَبِي صُفْرَةَ بَعْدَ
الْمَسْؤُولِ السَّائِلِ وَسَمَاحَةِ
دَهَابِ دَوْلَتِهِ ، وَزَوَالِ نَعْمَتِهِ - : أَنَّهُ تَحَمَّلَ أَلْفَ بَعِيرٍ فِي الْإِصْلَاحِ ،

(١) لَهُامِيم - جمعُ لَهُمِيم - : وَهُوَ السَّابِقُ الْجَوَادُ .

(٢) فِي « الدِّيَّانِ » (٢٢٦) :

مَلَائِكَةٌ فِي سَمْتِهِمْ وَلَدَى الْوَعَى لِيُوثَّ الشَّرَى وَالْمَشْرِفَاتُ أَخْيَاسُ

عَلَيْهِمْ مِنَ الْبَارِي الْوَقَارُ وَكَيْفَ لَا وَهُمْ بِاللَّهِ فِي حَضْرَةِ الْقُدْسِ جُلَاسُ

الشَّرَى : جَبِيلٌ بـ (تَهَامَةٌ) كَثِيرُ السَّبَاحِ . الْمَشْرِفَاتُ : سَيُوفٌ مَعْرُوفَةٌ .

أَخْيَاسُ : مَلَفَةٌ ، وَأَصْلُهُ الشَّجَرُ الْمَلَفْتُ .

(٣) تَعْتُو : تَخَضَعُ .

(٤) مَرَايِجُ : حُلَمَاءُ .

فقصدَ مَلِكَ (العراق) ، وهو الكوثرُ بنُ الصَّعِرِ - فيما إخال - وقالَ
لَهُ : الأملُ أوقفني ببابِكَ ، وحُسنُ الظنِّ ساقني إليك ، وكما لَمْ
أَصُنْ وجهي عَنْ سَوَالِكَ . . صُنْ وجهَكَ عَنْ رَدِّي ، وأنهى لَهُ
القِصَّةَ ، وأنشدَ [من الوافر] :

وَكُنْتُ خَبَأْتُ آمَالِي لِيَوْمٍ فَهَذَا الْيَوْمُ يَوْمُكَ وَالسَّلَامُ
وَكُنْتُ أَطَالِبُ الدُّنْيَا بِحُرٍّ فَأَنْتَ الْحُرُّ وَأَنْقَطَعَ الْكَلَامُ

فأهتزَّ ، وأمرَ لَهُ بها وبمثلها معها ، فقالَ : أمّا هي . . فمقبولة ؛
لأنَّهَا المَطْلَبُ ، وأمّا الباقي . . فلا حاجةَ لي فيه ، وليسَ الذي أعطيتني
بأفضلَ مِنَ الذي أعطيتكَ - يعني ماءَ وجهِهِ - فما كَانَ مِنَ الْأَمِيرِ إِلَّا أَنْ
نَزَلَ عَنْ تَكْرَمَتِهِ ، وأقعدَ المهلَّبَ عليها ، وتوسَّلَ إليه بضراعةٍ وإلحاحٍ
أَنْ لَا يَرُدَّ عَطِيَّتَهُ ، وَأَنْ لَا يَقْمَأَهُ^(١) بعدمَ قبولها ، ففعلَ وما كادَ .

ولا يبعدُ عنها ما كَانَ مِنَ طَاهِرِ بْنِ الْحُسَيْنِ ، فَإِنَّ النَّاظِمَ أمتدَحَهُ
بطلبٍ مِنْ أَبِي مُحَمَّدٍ بْنِ طُغْجٍ ، ثُمَّ رَكِبَ إِلَيْهِ هُوَ وَإِيَّاهُ ، فنَزَلَ طَاهِرٌ
عَنْ سَرِيرِهِ ، وأَجْلَسَ النَّاظِمَ عَلَى مَرْتَبَتِهِ ، ثُمَّ أَنشَدَهُ الْقَصِيدَةَ
الْمُسْتَهْلَةَ بِقَوْلِهِ [فِي] « الْمُكَبَّرِي » ١٤٧/١ مِنْ الطَّوِيلِ :

مديح المتني طاهر بن
الحسين وجلوس
الممدوح بين يدي
الشاعر

أَعِينُوا صَبَاحِي فَهُوَ عِنْدَ الْكَوَاعِبِ [وَرُدُّوا رُقَادِي فَهُوَ لَخُطُ الْحَبَابِ]^(٢)
فخلَعَ عليه خِلْعاً نفيسةً ، قَالَ بعضُ مَنْ حضرَ : مَا رَأَيْتُ وَلَا
سَمِعْتُ أَنَّ شَاعِراً جَلَسَ الْمَدْدُوحُ بَيْنَ يَدَيْهِ مُسْتَمِعاً لِمَدْحِهِ سِوَى مَا
كَانَ مِنْ طَاهِرٍ مَعَ أَبِي الطَّيِّبِ .

(١) يقمأه : يُصغره .

(٢) الكواعبُ - جمعُ كاعبٍ - : وهي الجاريةُ التي قد علا نهدُها .

وما أحسن قول أبي تمام [في «ديوانه» ٣٥٣/٢ من البسيط] :
 العفة في السؤال وحفظ

ماء الوجه (١) ماء الوجه
 ماء كَفَكَ إِنْ جَادَتْ وَإِنْ بَخِلَتْ مِنْ مَاءٍ وَجْهِي إِنْ أَفْنَيْتُهُ عَوْضُ

وقوله [في «ديوانه» ١٦٢/١ من البسيط] :

أَعْطَى وَنَطَقَهُ وَجْهِي فِي قَرَارَتِهَا تَصُونُهَا الْوَجَنَاتُ الْغَضَّةُ الْقُشْبُ (٢)
 لَا يَكْرُمُ الظَّفَرُ الْمَعْطَى وَإِنْ حَصَلَتْ بِهِ الرِّغَائِبُ حَتَّى يَكْرُمَ الطَّلَبُ

وقال أبو عبادَةَ [في «ديوانه» ٢٠٩٤/٤ من الطويل] :

وَمَا خَطَرِي دُونَ الْغَنَى إِنْ بَلَغْتُهُ سُؤَالًا وَلَا عِزِّي نَظِيرُ الدَّرَاهِمِ

وقال مهيارٌ [في «ديوانه» ٣٤٦/٣ من الطويل] :

تَفَقَّسْتُ عَنْ عَثَبِ فُؤَادِي مُفْصِحٌ بِهِ وَلِسَانِي لِلْحِفَاطِ يُجَمِّعُ (٣)
 وَفِي فِي مَاءٍ مِنْ بَقَايَا وَدَادِكُمْ كَثِيرًا بِهِ مِنْ مَاءٍ وَجْهِي أَرْقَمُ

ويُحَكِّي : أَنَّ بعضَ الكرامِ أَمْلَقَ فِي الْعَهْدِ الْأُمَوِيِّ ، وَأَرْتَكِبْتُهُ جابر عثرات الكرام
 أَلْدِيونُ فَقَبِعَ فِي كِسْرِ بَيْتِهِ ، وَلَمْ يَشْعُرْ فِي إِحْدَى اللَّيَالِي إِلَّا بِطَارِقِ
 يَقْرَعُ بَابَهُ ، وَفِي يَدِهِ خَمْسَةُ آلَافِ دِينَارٍ دَفَعَهَا إِلَيْهِ ، فَسَأَلَهُ عَنْ
 اسْمِهِ ، فَلَمْ يَزِدْهُ عَلَى أَنْ قَالَ لَهُ : أَنَا جَابِرُ عَثَرَاتِ الْكَرَامِ ، فَقَضَى
 الرَّجُلُ دِينَهُ ، وَأَصْلَحَ شَأْنُهُ ، وَتَجَهَّزَ لِلْوَفَادَةِ عَلَى الْخَلِيفَةِ ، فَوَلَّاهُ
 تِلْكَ النَّاحِيَةَ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَأْخُذَ سَلَفَهُ بِمَا عِنْدَهُ ، وَأَنْ يَنَاقِشَهُ

(١) ماء الوجه : رَوْنَقُهُ ؛ أَي : إِنَّ كَرَامَتِي أَعْظَمُ مِنْ أَخْلَاقِكَ فِي حَالَتِي الدَّفْعِ
 وَالْمَنْعِ .

(٢) النَطَقَةُ : الْمَاءُ الْقَلِيلُ ، اسْتَعَارَهَا لِمَاءِ الْوَجْهِ . الْقَرَارَةُ : الْمَطْمِئِنُّ مِنَ الْأَرْضِ .
 الْغَضَّةُ : الطَّرِيقَةُ . الْقُشْبُ : الْبَيْضُ .

(٣) الْحِفَاطُ : الْمَنْعَةُ وَالْإِبَاءُ . يَجْمَعُ : لَا يَبَيِّنُ الْكَلَامَ مِنْ غَيْرِ عَمِي

الحساب ، فسَدَّ المعزول ما في جرائده ، غير أنه عَجَزَ عَنْ خَمْسَةِ
 آلافِ دينارٍ ، فأودعهُ السَّجْنَ مِنْ أَجْلِهَا ، فَأَرَادَتْهُ أَمْرَاتُهُ عَلَى أَنْ
 يَسْتَعْرِفَ لِلأَمِيرِ ، فَلَمْ يَرْضَ ، فَمَا كَانَ مِنْهَا إِلَّا أَنْ رَكِبَتْ إِلَيْهِ بَعْدَ
 هَدَاةٍ مِنَ اللَّيْلِ ، وَقَالَتْ لَهُ : تَدْرِي مَنْ فِي سَجْنِكَ؟ قَالَ : فَلَانٌ ،
 قَالَتْ : إِنَّهُ لَفَلَانٌ ، وَإِنَّهُ لَجَابِرُ عَشْرَاتِ الْكَرَامِ ، فَأَضْطَرَبَ ،
 وَأَسْتَرْجَعَ ، وَكَادَ أَنْ يُغَشَى عَلَيْهِ ، وَذَهَبَ مِنْ سَاعَتِهِ ، وَأَطْلَقَ وَثاقَهُ
 بِيَدِهِ ، وَرَفَعَ قَدْرَهُ ، وَأَكْرَمَ مَثْوَاهُ ، وَطَالَعَ الْخَلِيفَةَ بِالْحَالِ ،
 فَأَسْتَسْنَى^(١) قِيَمَتَهُمَا ، وَبَالَغَ فِي الْإِنْعَامِ عَلَيْهِمَا ، وَأَبْقَى الْعَمَلَ شَرَكَةً
 بَيْنَهُمَا فِي تِلْكَ النَّاحِيَةِ ، فَعَاشَا أَرْغَدَ عَيْشٍ وَأَهْنَاهُ ، فَرَحِمَهُ اللَّهُ عَلَى
 أَهْلِ الْجُودِ وَالْوَفَاءِ ، وَأَتَى بِهِمُ الْآنَ^(٢) !؟

كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْحُجُونِ إِلَى الصَّفَا [أَيُنْشِئُ وَلَمْ يَسْمُرْ بِمَكَّةَ سَامِرًا]^(٣)
 غَاضَ الْوَفَاءَ وَقَاضَ الْقَدْرَ وَأَنْفَرَجَتْ مَسَافَةُ الْخُلْفِ بَيْنَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ^(٤)

الخلف أقيح من البخل وقالوا : إِنَّ الْخُلْفَ أَقْيَحُ مِنَ الْبَخْلِ ؛ لِاشْتِمَالِهِ عَلَى ثَلَاثٍ مِنَ
 الْمَذَامِ : الْكَذْبِ ، وَاللُّؤْمِ ، وَتَخْيِيبِ الْأَمَلِ .

(١) اسْتَسْنَى - مَأْخُودٌ مِنَ السَّنَاءِ - : وَهُوَ الرِّفْعَةُ . وَأَسْنَاهُ : رَفَعَ قِيَمَتَهُ .

(٢) قَالَ بِهَذَا الْمَعْنَى أَحَدُهُمْ :

مَاتَ الرِّجَالُ وَمَضُوا وَانْقَضُوا وَمَاتَتْ مَعَهُمْ تِلْكَ الْكَرَامَاتُ
 وَخُلْفُسُونِي فِي قَوْمٍ ذَوِي بُخْلِ لَوْ أَبْصَرُوا طَبَقَ ضَيْفٍ فِي الْكَرَى مَاتُوا
 وَقَالَ آخَرُ :

رَأَى الصَّيْفَ مَكْتُوبًا عَلَى بَابِ دَارِهِ فَصَحَّفَهُ ضَيْفًا فَمَاتَ مِنَ الذُّعْرِ

(٣) الْبَيْتُ مِنَ الطَّوِيلِ .

(٤) هَذَا الْبَيْتُ مِنْ « لَامِيَةِ الْعَجَم » وَهُوَ مِنَ الطَّوِيلِ .

وقال زياد الأعجم [في «شعره» ١٦١ من مجزوه الكامل] :

لَوْ كُنْتُ تَفْعَلُ مَا تَقُولُ
لَا خَيْرَ فِي كَذِبِ الْجَوَا دِ وَحَبْذَا كَذِبُ الْبَخِيلِ

ومن أقبح ما ذكروا في الممن : أنَّ رجلاً أهدى بطيخةً إلى
أعمش ، فلاقاه في اليوم الثاني ، وقال له : كيف كانت البطيخة يا
أبا محمد؟ فقال : طيبة ، فأعاد عليه القول ثانياً ، فقال له : إن
كُنْتُ وَالْأَقْتَتَا .

وأنَّ أبا الهذيل أهدى إلى أستاذ له دجاجةً ، فجعلها تاريخاً لكل
كبير وصغير من شأنه ، فيقول : جاء الأمير يوم أهديت الدجاجة ،
إمات القاضي بعد إهداء الدجاجة بعشرة أيام ، وهكذا .
المهداة

وما أحسن قول البحتري [في «ديوانه» ١٠/٥١٠ من الخفيف] :

وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يُنَاكِدُ حَتَّى
إِنْ فَنَّا مِنَ النَّسِيبَةِ نَقْدُهُ^(١)

وقول الناظم [في «المكبري» ٢٣٦/٤ من البسيط] :

وَتَغْضَبُونَ عَلَى مَنْ نَالَ رِفْدَكُمْ
حَتَّى يُعَاقِبَهُ التَّنْغِيصُ وَالْمِنْ

وهو أحد معاني قوله [في «المكبري» ١٨٥/١٠ من الطويل] :

وَأَظْلَمُ أَهْلِ الظُّلْمِ مَنْ بَاتَ حَاسِداً
لِمَنْ بَاتَ فِي مَعْرِوْفِهِ يَتَقَلَّبُ

(١) النسبة : التأخير ، والذين المؤجل ومنه قول ابن عوف : ما بعث نسبية ولا
احتقرت ربحاً .

وقال شاعر (المعرّة) [في «سقط الزند» ١٥٧ من البطل] :
وَدَغْ أُنَاسًا إِذَا أَجَدُوا عَلَى رَجُلٍ رَنَوْا إِلَيْهِ يَعْينُ الْمُنْغَضِبِ الْخَنِي^(١)

* * *

(١) أجدوا على رجل : أنعموا عليه ، من الجدّ ، وهو العطاء . رنا : أدام النظر
الخنِي : الحاقِدُ .

[قال أبو الطيب المتنبي في «العكبري» ٣٠٨/١ من المنسرح:]

مَسَحَ حُسَادَهُ وَأَنْفُسَهُمْ يُخْدِرُهَا خَوْفُهُ وَيُضْعِدُهَا

لَا يُنْكِرُ أَنَّ سَخَرَ^(١) الْخَائِفِ كُلَّمَا أَنْفَخَ .. تَصَعَّدَ النَّفْسُ ، صفات الخائف
كُلَّمَا خَلَا .. أَنْحَدَرَ ، وَمِنْ لَازِمِ الْإِنْتِفَاحِ الضَّغْطُ عَلَى الْقَلْبِ ،
يُخْدِرُ رِيًّا بَلَّغَ الْحَنْجَرَةَ ، كَمَا فِي الذِّكْرِ الْحَكِيمِ^(٢) . وَأَصْلُ الْمَعْنَى
مِنْ قَوْلِهِ ﷺ : « نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ »^(٣) .

وَلَمَّا سُئِلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ [عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ] عَمَّا غَرَسَ لَهُ الْهَيْئَةَ مَاذَا يَعْمَلُ الْخَوْفُ
فِي الْقُلُوبِ .. قَالَ : (إِنِّي أَعْمَدُ إِلَى الْجَبَانِ فَأَصْرَعُهُ ، ثُمَّ لَا أَتْنِي
إِلَى الشَّجَاعِ إِلَّا وَقَدْ ذَهَبَ نَصْفُهُ) ، وَهُوَ فِي هَذَا هَاضِمٌ لِنَفْسِهِ ،
وَالْأ .. فَالْأَمْرُ مِنْ فَوْقِ ذَلِكَ .

وَلَمَّا أَرْتَدَّ عَمْرُو بْنُ مَعْدِيكَرَبِ الزَّبِيدِيِّ مَعَ مَنْ أَرْتَدَّ مِنْ
(مُدْحَج) .. وَجَّهَ النَّبِيُّ ﷺ خَالِدَ بْنَ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ ، وَخَالِدَ بْنَ
الْوَلِيدِ ، وَعَلَيْهِمْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، فَيُرَوَّى أَنَّهُ لَمَّا بَلَغَ عَمْرًا قُرْبُ
صور من شجاعة الإمام علي عليه السلام

(١) السَّخَرُ : الرُّثَّةُ ، تَقُولُ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : (قَبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ سَحْرِي
وَنَحْرِي) .

(٢) كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ ﴾
[الْأَحْزَابُ : ١٠] ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَأَنذَرْتَهُمْ يَوْمَ الْأَرْفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ
كَظِيمِينَ ﴾ [غَافِرٌ : ١٨] .

(٣) رَوَاهُ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا الْبُخَارِيُّ (٣٣٥) ، وَفِي الْبَابِ : عَنْ
أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عِنْدَ مُسْلِمٍ (٥٢٣) .

مكائهم... أقبل في جماعة من قومه ، وقال : دعوني آتي هؤلاء القوم ؛ فإنني لم أَسْمَ لأحد قط إلا هابني ، فلما دنا منهم... قال : أنا أبو ثور ، أنا عمرو بن معديكرب ، فابتدره علي وخالد [رضي الله عنهما] ، كلاهما يقول لصاحبه : دعني وإياه ، ويقديه بأبيه وأمه ، فقال عمرو عند ذلك : العرب تفرغ مني ، وأراني جزراً لهؤلاء ، فأنصرف عنهم ، ثم رجع إلى الإسلام^(١) .

ومن هذا أخذ مهيار الديلمي قوله [في ديوانه ، ٣٢/٤ من الكامل] :

وَإِذَا رَأَوْكَ تَفَرَّقَتْ أَرْوَاحُهُمْ فَكَأَنَّمَا عَرَفْتِكَ قَبْلَ الْأَغْنِ
فَإِذَا أَرَدْتَ بِأَنْ تَقُلَّ كَثِيرَةً لَأَقْتِيهَا فَتَسَمَّ فِيهَا وَكَتَنَ

وفي الجزء الثالث (ص ١٢٨) من «شرح نهج البلاغة» : أنهم اجتمعوا بموضع يقال له : (كسرى) فأقتلوا هناك ، وصمد^(٢) عمرو لعلي ، فعاب منه ما لم يحتسبه ، ففر من بين يديه هارباً بحشاشه نفسه ، وفر معه رؤساء (مذحج) وفرسانهم ، وغنم المسلمون أموالهم ، وشيئت في ذلك اليوم ريحانة أخت عمرو .

وقوله : بموضع يقال له : (كسرى) لا يبعد أن يكون المراد به

(١) في «شرح النهج» (١٢٠/١٢) قريب من هذا اللفظ ، ولكن الذي يناسب موضوعنا هو ما جاء في «شرح النهج» (٢٥٩/١٠) أن سيدنا عمر بن الخطاب كتب إلى عمرو بن معديكرب - وهو شجاع العرب الذي تضرب فيه الأمثال - في أمر أنكره عليه :

أنا والله : لن أقمت على ما أنت عليه... لأبعث إليك رجلاً تستصغر معه نفسك ، يضع سيفه على هامتك ، فيخرجه من بين فخذك . فقال عمرو - لما وقف على الكتاب - : هددني بعلي والله .

(٢) صمد له : ثبت له .

(كَمْشَرَفُشَاقَشَ) الذي مِنْ قَرَأَهُ الْآنَ (هَيْنَ) ؛ فَإِنَّ أَرْضَ (مذحج)
لَسَتْ بِالْبَعِيدَةِ مِنْهُ ، إِذْ مِيَاهُهَا تَصُبُّ إِلَى (حَضْرَمَوْتِ) .
وَيَقْرُبُ ذَلِكَ أَنَّ فَرْوَةَ بَنِ مُسَيْكٍ الْمَرَادِيِّ كَانَ أَسَاءَ السَّيْرَةِ ،
وَطَلَبَ الْمَدَدَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَلَنْ يَسْتَجِيبَهُ إِلَّا وَهُمْ الْغَازُونَ ،
وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِحَقِيقَةِ الْحَالِ .

ثُمَّ ذَكَرْتُ أَنَّ الْفَرَزْدَقَ سَبَقَ إِلَى الْمَعْنَى إِذْ يَقُولُ فِي رِثَاءِ مَخْلَدِ بْنِ خَوْفِ الْمُحَارِبِ مِنْ
الْأَسْمِ عِنْدَ الْفَرَزْدَقِ

لِزَيْدِ بْنِ الْمَهْلَبِ [فِي « دِيَوَانِهِ » ١٩٣/١ مِّنَ الطَّوِيلِ] :
أَتَوْكَ الَّذِي تُسْتَهْزِمُ الْخَيْلَ بِأَسْمِهِ وَإِنْ كَانَ فِيهَا قَيْدٌ شَبِيرٌ مُطَرَّدٌ^(١)
وَقَدْ عَلِمُوا إِذْ شَدَّ حَقْوِيهِ أَنَّ هُوَ اللَّيْثُ لَيْثُ الْعُغَابِ لَا بِالْمُعَرَّبِ^(٢)

وَالْمَعْنَى الَّذِي نَحْنُ فِيهِ مُتَكَرِّرٌ عِنْدَ النَّاطِمِ ، فَمِنْهُ قَوْلُهُ [فِي تَكَرُّرِ هَذَا الْمَعْنَى عِنْدَ
الْمُكْتَبَرِيِّ ٣٦٤/٢ مِّنَ الْخَفِيفِ] :

طَاعِنُ الطَّغْنَةِ الَّتِي تُذْعِرُ الْفَيْدَ سَلَقَ بِالذُّغْرِ وَالْدَّمِ الْمُهْرَاقِ^(٣)
وَقَوْلُهُ [فِي « الْمُكْتَبَرِيِّ » ٢٤٣/٣ مِّنَ الْكَامِلِ] :

نَلَفُ الَّذِي اتَّخَذَ الْجَرَاءَةَ خُلَّةً وَعَظَ الَّذِي اتَّخَذَ الْفِرَارَ خَلِيلًا
وَقَوْلُهُ [فِي « الْمُكْتَبَرِيِّ » ١٣٩/٣ مِّنَ الْخَفِيفِ] :

مَا مَضَوْا لَمْ يُقَاتِلُوا وَلَكِنْ سَأَلُوا الْقِتَالَ الَّذِي كَفَاكَ الْقِتَالَ

(١) قَيْدٌ : قَدْرٌ . مُطَرَّدٌ : طَوِيلٌ تَامٌ . وَالْمَعْنَى : أَنَّهَا تَخَافُ مِنْ ذِكْرِ اسْمِهِ وَلَوْ كَانَ
بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ الْمَسَافَاتُ الشَّاسِعَةُ .

(٢) الْوَرِيدُ : هِيَ الْحَيَّةُ الَّتِي تَنْفُخُ وَلَا تُؤْذِي ، وَمِنْهُ اشْتَقَّ اسْمُ الْمُعَرَّبِ : لِلرَّجُلِ
السَّكْبَرِ الشَّرِيرِ . وَالْمَعْنَى : أَنَّ مَدْوَحَهُ مَمَّنْ إِذَا قَالُوا فَعَلُوا .

(٣) الْقَيْلُ : هُوَ الْجَيْشُ . الذُّغْرُ : الْخَوْفُ وَالْفَرْعُ .

وقوله [في «المكبري» ٢٤٣/٣ من الكامل] :

سَمِعَ أَبْنُ عَمَّتِهِ بِهِ وَبِحَالِهِ فَتَجَا يُهَزُّونُ مِنْكَ أَمْسِرَ مَهُولًا

وقوله [في «المكبري» ٣٦٦/٢ من الخفيف] :

بَعَثُوا الرُّعْبَ فِي قُلُوبِ الْأَعَادِي فَكَأَنَّ الْقِتَالَ قَبْلَ الْقِتَالِ

وقوله [في «المكبري» ٣٦٥/٣ من البسيط] :

قَدْ نَابَ عَنْكَ شَدِيدُ الْخَوْفِ وَأَصْطَنَعْتَ لَكَ الْمَهَابَةَ مَا لَا تَصْنَعُ الْبُهَمُ^(١)

وقوله [في «المكبري» ٢٩٣/٣ من الطويل] :

فَإِنْ تَكُ مِنْ بَعْدِ الْقِتَالِ آتَيْنَا فَقَدْ هَزَمَ الْأَعْدَاءَ ذِكْرُكَ مِنْ قَبْلِ

وقوله [في «المكبري» ٥٩/٣ من الكامل] :

وَيُؤْمِنُ قَبْلَ قِتَالِهِ وَيَنْشُ قَبْلَ نَوَالِهِ وَيُنِيلُ قَبْلَ سُؤَالِهِ

وقوله [في «المكبري» ١٤١/٣ من الخفيف] :

أَبْصَرُوا الطَّعْنَ فِي الْقُلُوبِ دِرَاكًا قَبْلَ أَنْ يُبْصِرُوا الرِّمَاحَ خِيَالًا

وقوله [في «المكبري» ١٩٨/٣ من الخفيف] :

فَهُمْ لَا تَقَايَهُ الدَّهْرَ فِي يَوْمٍ مِ نِزَالٍ وَلَيْسَ يَوْمَ نِزَالٍ^(٢)

وقوله [في «المكبري» ١١٦/٣ من الطويل] :

فَخَافُوكَ حَتَّى مَا لِقَتْلٍ زِيَادَةٌ وَجَاوُوكَ حَتَّى مَا تُرَادُّ السَّلَاسِلُ^(٣)

(١) الْبُهَمُ - جمعُ بُهْمَةٍ - : وهم الأبطال الذين تناهت شجاعتهم .

(٢) النَّزَالُ : المحاربة والنزول إلى أنقضاء الأعداء .

(٣) المعنى : أبدوا من مخافتك ما يزيد على القتل، وجاؤوك طائعين، حتى إنك لا =

وقوله [في] «المكبري» ٥٦/٤ من الطويل :

فَمَا الظُّلُّ بَعْدَ الْجَنِّ بِالْعَرَبِ وَالْعُجَمِ
الْمَنْبَبِ حَتَّى لَوْ تَأَمَّلَ دِرْعَهُ جَرَتْ جَزَعًا مِنْ غَيْرِ نَارٍ وَلَا فَخَمِ

وقوله [في] «المكبري» ٣٦٢/١ من الوافر :

وَلَكِنْ هَبْ خَوْفَكَ فِي حَشَاهُمْ هُبُوبَ الرِّيحِ فِي رِجْلِ الْجَرَادِ

وقوله [في] «المكبري» ١٧٠/٣ من البسيط :

فَقَدْ تَرَكْتَ الْأَلَى لَا قِيَتَهُمْ جَزْرًا وَقَدْ قَتَلْتَ الْأَلَى لَمْ تَلْقَهُمْ وَجَلًّا^(١)

وقوله [في] «المكبري» ٢٥٧/٢ من الوافر :

إِذَا مَا لَمْ تُسِرْ جَيْشًا إِلَيْهِمْ أَسَرْتَ إِلَى قُلُوبِهِمْ أَكْهَلُوعًا
وَالْقَصِيدَةُ الَّتِي مُسْتَهْلَهَا (أَرَاعَ كَذَا كُلَّ الْأَنَامِ هُمَامٌ) تدور حول
هذا المعنى .

وذكرت به : أَنَّ الْأَخْطَلَ اسْتَفْزَهُ الْقُرْبُ مِنَ الْخَلِيفَةِ ، فقال
لِلْجَحَافِ وَكَانَ حَاضِرًا [في] «ديوانه» ٤٢٦ من الطويل :

أَلَا سَائِلِ الْجَحَافِ هَلْ هُوَ نَائِرٌ يَقْتُلِي أَصِيَّتَ مَنْ سُلِّمَ وَعَامِرٌ؟^(٢)
فقال الجحاف [من الطويل] :

بَلَى سَوْفَ نُبَكِّينَهُمْ بِكُلِّ مُهَنَّدٍ وَنُبَكِّي عُمَيْرًا بِالرَّمَاكِ الشَّوَاكِرِ

تحتاج في أسرهم إلى السلاسل .

(١) الْجَزْرُ : ما أُلْقِيَ لِلْسَّبَاعِ ، ويقال : (ما كانوا إِلَّا جَزْرًا لِسَيُوفِنَا) أي : الذين
نقتلهم فنلقينهم للسباع .

(٢) الْجَحَافُ : من السُّلَمِيِّينَ أَعْدَاءُ بَنِي تَغْلِبَ ، وله يومُ البُشْرِ الَّذِي أَوْقَعَ بِالتَّغْلِبِيِّينَ
شَرًّا وَقَعًا .

فَأَنْخَزَلَ الْأَخْطَلُ ، وَكَأَنَّمَا كَانَ فِي نَشْوَةٍ فَأَفَاقَ ، وَأَخَذَتْهُ الْحُمَّى
مِنَ الْفَرَقِ ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ : مَاذَا عَلَيْكَ وَأَنْتَ فِي جَوَارِي؟
قَالَ : هَبْنِكَ أَجْرَتِي فِي الْبَقْظَةِ ، فَمَنْ يُجِيرُنِي مِنْهُ فِي الْمَنَامِ ؟ وَكَأَن
عَارِفًا بِشِدَّةِ بَاسِهِ ، وَأَصَابُهُ قَلَقٌ أَقْضَى مَضْجَعَهُ ، وَنَغَصَ عَيْشَهُ ، حَتَّى
أَوْقَعَ الْجَحَافُ وَقَعَتَهُ الْمَشْهُورَةَ بِبَنِي تَغْلِبَ رَهْطِ الْأَخْطَلِ ، فَقَالَ
الْأَخْطَلُ [فِي « دِيَوَانِهِ » ٢٧٢ مِنَ الطَّوِيلِ] :

لَقَدْ أَوْقَعَ الْجَحَافُ بِالْبَشْرِ وَقَعَةً إِلَى اللَّهِ مِنْهَا الْمُشْتَكَى وَالْمُعَوَّلُ^(١)
لَيْسَ لَمْ تُغَيِّرْهَا قُرَيْشٌ بِمِثْلِهَا يَكُنْ عَنْ قُرَيْشٍ مُسْتَمَارٌّ وَمَرْحَلُ^(٢)
قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : إِلَى أَيْنَ إِذَنْ؟ قَالَ الْأَخْطَلُ : إِلَى الْكَّارِ ، قَالَ
عَبْدُ الْمَلِكِ : أَوْلَى لَكَ ، أَمَّا وَاللَّهِ لَوْ قُلْتَ غَيْرَهَا . . . لَمْ تَطْرِفْ
عَيْنَاكَ^(٣) :

إِلَى أَيْنَ أَبَا لَيْلَى؟ وَقَوْلُ الْأَخْطَلِ إِلَى الْكَّارِ عَكْسُ قَوْلِ النَّابِغَةِ الْجَعْدِيِّ إِلَى الْجَنَّةِ ،
حِينَ قَالَ [فِي « دِيَوَانِهِ » ٧١ مِنَ الطَّوِيلِ] :

بَلَّغْنَا أَلْسَمَاءَ مَجْدُنَا وَجُدُودُنَا وَإِنَّا لَنَبْغِي فَوْقَ ذَلِكَ مَظْهَرًا
فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِلَى أَيْنَ يَا أَبَا لَيْلَى ؟ » قَالَ : إِلَى
الْجَنَّةِ ، قَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ : « فَتَعْمَ إِذَا »^(٤) ، وَهَذَا مِنْ قَصِيدَةٍ لَهُ

(١) الْمُعَوَّلُ : الْاعْتِمَادُ وَالْمَفْرَعُ .

(٢) مُسْتَمَارٌّ : مِنْ (مَاز) رَحَلَ وَأَنْتَقَلَ مِنْ مَكَانٍ إِلَى آخَرَ .

(٣) تَنْظُرُ الْقِصَّةَ فِي « الْأَغَانِي » (٢٤٠ / ١٢) .

(٤) أَوْرَدَ الْخَبَرُ بِنَحْوِهِ عَنِ النَّابِغَةِ الْهَيْثَمِيِّ فِي « مَجْمَعِ الزَّوَائِدِ » (١٢٦ / ٨) وَقَالَ :
رَوَاهُ الْبَزَارُ وَفِيهِ يَعْلَى بْنُ الْأَشْدَقِ وَهُوَ ضَعِيفٌ .

وَلَفْظُهُ عَنْهُ :

مقحة اللفظ ، جزلة المعاني إلا أنها تداخلت مع قصيدة لزفر بن
البحارث في بحرهما وقافيتها ، وأولها [في ديوان النابعة الجدي « ٨٧ من
الطويل :

تَكْرُمُ وَالذَّكْرَى تُهَيِّجُ لِلْفَتَى وَمِنْ عَادَةِ الْمَخْزُونِ أَنْ يَتَذَكَّرَا
وَإِنِّي لَأَسْتَشْفِي بِرُؤْيَا جَارِهَا إِذَا مَا تَلَقَّيْهَا عَلَيَّ تَعَدَّرَا
منها :

حَسِبْنَا زَمَانًا كُلَّ بَيْضَاءَ شَحْمَةٍ لَيَالِي إِذْ نَغْزُو جُدَامًا وَحَمِيرَا
إِلَى أَنْ لَقِينَا الْحَيَّ بِكَرْبَنٍ وَإِثْلٍ ثَمَانُونَ أَلْفًا دَارِعِينَ وَحُسْرَا
فَلَمَّا قَرَعْنَا التَّنْعَ بِالتَّنْعِ بَعْضُهُ يَبْغِضُ أَبَتْ عَيْدَانُهُ أَنْ تَكْسُرَا
سَقَيْنَاهُمْ كَأْسًا سَقَوْنَا بِمِثْلِهَا وَلَكِنَّا كُنَّا عَلَى الْمَوْتِ أَصْبَرَا
بِقَسِي بِأَهْلِي عَضْبَةٍ سَلَمِيَّةٍ يُعِدُّونَ لِلْهَيْجَا عَنَاجِيحَ ضَمَرَا^(١)
وَتَبْكُرُ يَوْمَ الرُّوْعِ الْوَانَ خَيْلَنَا مِنْ الطَّغْنِ حَتَّى نَحْسِبُ الْجَوْنَ أَشْقَرَا^(٢)
وَقَالُوا لَنَا : أَخْيُوا لَنَا مَنْ قَتَلْتُمْ لَقَدْ جِئْتُمْ أَمْرًا مِنَ الْقَوْلِ مُنْكَرَا
وَلَسْنَا نَرُدُّ الرُّوْحَ فِي جِسْمِ مَيِّتٍ وَلَكِنْ نَسْلُ الرُّوْحَ مِمَّنْ تَنْشُرَا
مَلَكْنَا فَلَمْ نَكْشِفْ قِنَاعًا لِحُرَّةٍ وَلَمْ نَسْتَلِبْ إِلَّا الْحَدِيدَ الْمُسَمَّرَا
وَلَوْ أَنَّ شِئْنَا سِوَى ذَلِكَ أَصْبَحَتْ كَرَائِمُهُمْ فِينَا بُبَاعٌ وَتُشْتَرَى

علونا العباد عفة وتكرما وإنا لنرجو فوق ذلك مظهراً
(١) سلمية : من بني سلم . المناجيح - جمع عنجوج - : وهو الرائع من الخيل .
الخيال الضمر : التي ضمَّ بطنها ، وهي من أسرع أنواع الخيل .
(٢) الجون : الأسود .

منها :

وَلَا خَيْرَ فِي حِلْمٍ إِذَا لَمْ تَكُنْ لَهُ بَوَادِرُ تَخِيْمِي صَفْوَهُ أَنْ يَكْدَرَا
وَلَا خَيْرَ فِي جَهْلٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ حَلِيمٌ إِذَا مَا أَوْرَدَ الْأَمْرَ أَصْدَرَا
أَتَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ إِذْ جَاءَ بِالْهُدَى وَيَتْلُو كِتَابًا كَالْمَجْرَةِ نَسْرَا

فيروى [في «مجمع الزوائد» ١٢٦/٨] : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لَهُ : « لَا يَقْضِي اللَّهُ فَاكَ » . فعاش مئة وستين سنة ، لم يُنْغَزْ لَهُ سِرٌّ^(١) .

والجبن حتى في النوم وما أظنُّ أشجعَ السلميِّ إلا ناظراً إلى ما جرى للأخطلِ مِنَ
الْجَحَافِ ، حيثُ يقولُ للرَّشيدِ مِنْ كَلِمَةٍ لَهُ خَالِصَةٍ [في «ديوانه» ٢٥٣ من
الكامل] :

وَعَلَى عَدْوِكَ يَا أَبْنَ عَمِّ مُحَمَّدٍ رَصْدَانِ ضَوْءُ الصُّبْحِ وَالْإِظْلَامِ
فَإِذَا تَنَبَّهَ رُغْتُهُ وَإِذَا غَفَا سَلْتُ عَلَيْهِ سُبُوفَكَ الْأَخْلَامِ

المتنبى وهذا المعنى وَلَمْ يَنْسَ حَظَّهُ النَّازِمُ مِنْ هَذَا الْمَعْنَى إِلَّا أَنَّهُ يَغْتُ تَارَةً كَمَا فِي
قَوْلِهِ [في «المكبري» ٣٦٤/١ من الوافر] :

يَرَى فِي النَّوْمِ رُمَحَكَ فِي كَلَاهُ وَيَخْشَى أَنْ يَرَاهُ فِي الشَّهَادِ
ويجيدُ أخرى كما في قَوْلِهِ [في «المكبري» ٤٤/٤ من البسيط] :

مَنْ لَوْ رَأَى مَاءَ مَاتَ مِنْ ظَمًا وَلَوْ مَثَلْتُ لَهُ فِي النَّوْمِ لَمْ يَنْمِ
وقوله [في «المكبري» ٤٥/٤ من الوافر] :

إِذَا أَمْتَلَأْتُ عُيُونُ الْخَيْلِ مِنِّي فَوَيْلٌ فِي التَّقِيطِ وَالْمَنَامِ

(١) لَمْ يُنْغَزْ : لَمْ يَكْسَرْ ، أَوْ لَمْ يَسْقَطْ .

وقوله [في «المكبري» ٢٢٩/٢ من البسيط] :

فَانْتَلِ الْخَطْوَ عَنْهُ حِينَ يَطْلُبُهُ وَيَطْرُدُ الْتَوَمَ عَنْهُ حِينَ يَضْطَجِعُ

وقوله [في «المكبري» ٨٣/٣ من البسيط] :

وَكَلَّمَا حَلَمْتَ عَذْرَاءَ عِنْدَهُمْ فَإِنَّمَا حَلَمْتَ بِالسَّنِيِّ وَالْجَمَلِ^(١)

وقال السري الرفاء [في «ديوانه» ٢٤٥ من البسيط] :

بِرُوعٍ أَخْشَاؤُهُ بِالْكَتَبِ وَهُوَ لَهَا خَوْفَ الرَّدَى وَرَجَاءَ السَّلَامِ يَسْتَلِمُ
لَا يَسْرُبُ الْمَاءَ إِلَّا غَصَّ مِنْ حَذَرٍ وَلَا يَهُوُّ إِلَّا رَاعَهُ الْخُلَمُ

وَالَمْ بِهِ شَاعِرُ الْمَعْرِءِ إِلَّا أَنَّهُ غَيَّرَ الْمَوْضُوعَ ، فقال [في «سقط الزند» ١١١ المعري في الموضوع

من البسيط] :

وَأَنْتَ مَنْ لَوْ رَأَى الْإِنْسَانُ طَلْعَتَهُ فِي التَّوَمِ لَمْ يُنْسِ مِنْ خُطْبٍ عَلَى خَطَرٍ

وقتل الرشيد أخا لأبي الهيثم ، فجاء في رثيه بما يشبه قول أبو الهيثم ورثاه
لأخيه

البحراني إذ يقول [من الطويل] :

سَأَبْكِيكَ بِالْبَيْضِ الرَّقَاقِ وَبِالْقَنَّا فَإِنَّ بِهَا مَا يَطْلُبُ الْمَاجِدُ الْوَسْرَا
وَكُنْتُ كَمَنْ يَبْكِي أَخَاهُ بِعَبْرَةٍ يُعَصِّرُهَا فِي جَفْنٍ مُقْلَتِهِ عَصْرَا
وَأَنَا أَنَا مَا تَفِيضُ عُيُونُنَا عَلَى هَالِكٍ مِنَّا وَإِنْ قَصَمَ الظُّهْرَا
وَلَكِنَّا نَشْفِي الْفُؤَادَ بِغَارَةِ تَلْهَبٍ مِنْ قُطْرَيْنِ جَوَانِبِهَا جَمْرَا

وقبل ذلك يقول عبد الله ابن أبي ربيعة أخو عياش عندما بلغه

ورثاه لعثمان بن عفان

رضي الله عنه

مقتل عثمان [ابن عفان رضي الله عنه من الطويل] :

سَأَبْكِي أَبَا عَمْرٍو بِكُلِّ مُهَنَّدٍ وَبَيْضٍ [لَهَا فِي الدَّارِ عَيْنَ فُلُولٍ]

(١) ذكر الجمل مع السبي ؛ لأن العرب تحيل السبايا على الجمال .

ثُمَّ لَمْ يَزِدْ عَلَى أَنْ خَرَجَ بَعْنُ مَعَهُ فَلَمَّا قَرَبَ مِنْ (مَكَّةَ) . . سَقَطَ
عَنْ رَاحِلَتِهِ وَمَاتَ .

ومما قاله عبد الملك بن مروان - عند موته - للوليد ، وقد رآه
يبكي عند رأسه ، يشجعه ، وينهاه عن البكاء ، وحنين النساء لنفسه
أو متمثلاً [من الطويل] :

بُنُو الْحَرْبِ لَا نَعْنَى بِشَيْءٍ نُزِيدُهُ . وَلَسْنَا عَلَى مَا أَخَذْتُ الْذَهْرُ نَجْزُهُ
جِلَادٌ عَلَى رَيْبِ الزَّمَانِ فَلَنْ تَرَى عَلَى هَالِكٍ عَيْنًا لَنَا الْذَهْرُ تَدْمَعُ

وكان ابن الخطاب عظيم الهيبة ، ولهذا لم يقدر ابن عباس على
إظهار قوله في العول حتى مات ، فقل له : هلا قلت هذا في حياة
عمر؟ قال : (هيبته ، وكان أمراً مهيأ) (١) .

ويروى : أنه استدعى امرأة ليسألها عن أمر ، وكانت حاملاً ،
فلشدته هيبته ألقت ما في بطنها ميتاً ، فاستفتى أكابر الصحابة ،
فقالوا : لا شيء عليك ، قال له علي : إن كانوا راقبوك فقد
غشوك ، وإن كان هذا جهد رأيهم فقد أخطؤوا ، عليك غرة (٢) ،
فرجع عمر والصحابة إلى قوله (٣) .

ومن ذلك سكوت النساء لما دخل ، وأصواتهن عالية عند
الصوت

(١) أخرجه عن زفر ، البيهقي في «الكبرى» (٢٥٣/٦) ، وابن حزم في «المحلى»

(٩/٤٦٣) ، وعبد الرزاق في «المصنف» (١٠/٢٥٤ و ٢٥٨) والعول : زيادة في

سهام المسألة ونقص في مقاديرها .

(٢) الغرة : دية الجنين ؛ وهي عبد أو أمة ، وتقدر بنصف عشر الدية الكاملة ،
والدية الكاملة : مئة من الإبل .

(٣) أخرجه البيهقي في «الكبرى» (١٢٣/٦) .

رسول الله ﷺ ، فقال لَهُنَّ : (يا عدواتِ أنفسهنَّ ، أَنهَبْنِي ، وَلَا
رسول الله؟ قلنَّ : أَنْتِ أَفْظُ وَأَغْلَطُ) (١) .

وفي عكسِ معنى البيتِ الذي نتكلَّمُ فيه ، يقولُ جريرٌ (في «ديوانه» الاستهزاء بالبيان
عندما يهدد

من الكامل) :

لَمْ أَلْفِرْزِدُقُ أَنْ سَيَقْتُلُ مَرْبَعًا أَبَشِرُ بِطُولِ سَلَامَةٍ يَا مَرْبَعُ (٢)

وقال غيره [من الرافع] :

يَا عَدُوْدِي لَتَقْتُلَنِي نُمَيْرُ مَتَى قَتَلْتُ نُمَيْرُ مَنْ هَجَاهَا ؟

وقال [من البسيط] :

لَمْ هَبْتُ الرِّبْعُ طُولَ الدَّهْرِ وَأَخْتَلَفْتُ عَلَى الْجِبَالِ فَمَا نَأَلْتُ رَوَاسِيهَا

وقال ابنُ أبي عيْنَةَ [من الكامل] :

قَدْ عَمِدَ الْوَعِيدُ فَمَا وَعِيدُكَ ضَائِرِي أَطِينُ أَجْنَحَةِ الدُّبَابِ يَضِيرُ ؟

وكتب معاويةُ إلى عليٍّ يتهدِّدُهُ ، فَأَجَابَهُ بما معناه - إِنَّ أَخْطَأْتُ

لفظه - [في «نهج البلاغة» ٣٣٣] : وَذَكَرْتَ أَنَّهُ لَيْسَ لِي وَلَا لِأَصْحَابِي عِنْدَكَ

المطلب

الْأَسِيفُ ، فَلَقَدْ أَضْحَكْتَ بَعْدَ اسْتِعْبَارِ (٣) ، مَتَى أَلْفَيْتَ بَنِي عَبْدِ
المطلبِ عَنِ الْهَيْجَاءِ نَاكِلِينَ ، وَبِالسُّيُوفِ مَخُوفِينَ ، لَبِثْتُ قَلِيلًا يَلْحَقُ

(١) أخرجه عن سعد ابن أبي وقاص رضي الله عنه البخاري (٣٢٩٤) في بدء
الخلق .

(٢) مَرْبَعٌ : لقبُ راويةِ جريرِ المسمَّى (وَعَوْعَةً) ، وهو مِنْ بني أبي بكرٍ بن
كلاب ، وكانَ نَقَرَ بِأبي الفَرَزْدَقِ وَضَرَبَهُ ، فيقالُ : إِنَّهُ مَاتَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ ،
فحلَفَ الفَرَزْدَقُ ليقْتُلَهُ .

(٣) الاستعبارُ : البكاءُ .

الهيجا حَمَلٌ^(١) ، وأنا مُزَقَلٌ^(٢) نحوكَ في جحفلٍ من المهاجرين
والأنصار ، قد صَحِبَتْهُمْ ذُرْيَةٌ بدريةً ، وسيفٌ هاشميةٌ ، عَرَفَتْ
مواقعَ نصالِها في أخيكَ وخالكَ وجدكَ ، وما هي من الظالمين
ببعيدٍ .

قصة امرئ القيس مع قلة أبيه
ولمَّا أَكْثَرَ أَمْرُ الْقَيْسِ الْوَعِيدَ فِي قَتْلِ أَبِيهِ . . قَدِمَ عَلَيْهِ قَبِيصَةُ بْنُ
نَعِيمٍ فِي أَشْيَاحِ بَنِي أَسَدٍ ، يَرَا جَعُونَهُ فِي خُطْبِ أَبِيهِ ، فَقَالَ قَبِيصَةُ إِنِّي
« جمهرة خطب العرب » ٣٦/١ و « الأغاني » ١٢٤/٩ :

أَمَّا بَعْدُ : فَإِنَّكَ مِنَ الْمَحَلِّ وَالْقَدْرِ وَالْمَعْرِفَةِ بِتَصَارِيفِ الدَّهْرِ
بَحِيثٌ لَا تَحْتَاجُ إِلَى تَذْكِيرٍ مَذْكَرٍ ، وَلَا تَبْصِيرٍ مَجْرَّبٍ ، وَلَكَ مِنْ
سُؤْدَدٍ مَنْصِبِكَ وَشَرَفِ أَعْرَاقِكَ وَكَرَمِ أَصْلِكَ . . مَخْتَدٌ^(٣) يَحْمِلُ عَلَى
إِقَالَةِ الْعَثَرَةِ ، وَأَغْتَفَارِ الزَّلَّةِ ، وَإِنَّ الْهَمَمَ لَا تَتَجَاوَزُ إِلَى غَايَةٍ إِلَّا
رَجَعْتَ إِلَيْكَ ، فَوَجَدْتَ عِنْدَكَ مِنْ فَضِيلَةِ الرَّأْيِ ، وَبَصِيرَةِ الْفَهْمِ ،
وَكَرَمِ الصَّفْحِ ، مَا يُطَوِّلُ رَغْبَاتِهَا ، وَقَدْ كَانَ مَا كَانَ مِنْ الْخُطْبِ
الْجَلِيلِ ، الَّذِي عَمَّتْ مَصِيبَتُهُ الْعَرَبَ ، وَلَمْ تُخَصَّرْ بِهِ (كُنْدَةُ)
دُونَنَا ؛ لِلشَّرَفِ الْبَارِعِ كَانَ لِحَجَرٍ ، وَلَوْ يُقْدَى هَالِكٌ بِنَفْسٍ . . لَمَّا
بَخَلَتْ بِهَا كِرَائِمُنَا عَلَى مِثْلِهِ ، وَلَكِنْ مَضَى بِهِ سَبِيلٌ لَا يَرْجِعُ آخِرُهُ
عَلَى أَوَّلِهِ ، وَأَحْمَدُ الْحَالَاتِ أَنْ تَطْلُبَنَا فِي إِحْدَى ثَلَاثٍ خِلَالٍ :
إِمَّا : أَنْ تَخْتَارَ مِنْ بَنِي أَسَدٍ أَشْرَفَهَا بَيْتًا ، وَأَبْعَدَهَا صِنْتًا ، فَقُدْنَاهُ

(١) لَبِثٌ قَلِيلًا يَلْحَقُ الْهَيْجَا حَمَلٌ : مِثْلٌ عَرَبِيٌّ ؛ يَعْنِي : أَنْتَظِرْ حَتَّى يَتَلَحَّقَ الشَّبَابُ ،
وَالْهَيْجَاءُ : الْحَرْبُ ، وَحَمَلٌ : قَالَ فِي « النَّاجِ » : هُوَ ابْنُ سَعْدَانَةَ الصَّحَابِي ،
وَفِي « الْمُحْكَمِ » : هُوَ ابْنُ بَدْرٍ . قُلْتُ : وَفِيهِ نَظَرٌ . اهـ كلام الزبيدي رحمه الله .
(٢) مُزَقَلٌ ، يُقَالُ : أَرَقَلَ الْقَوْمُ إِلَى الْحَرْبِ أَسْرَعُوا .
(٣) الْمُخْتَدُ : الْأَصْلُ وَالطَّبْعُ .

الملك ينسعة^(١) ، يذهب مع شفرات حسامك ، ونقول : عظيم
التحن بمهلك عزيز له ، فلم تستل سخيمه صدره إلا بمكته من
الانتقام .

وأما : فداء بما يروح على بني أسد من نعيمها ، فهي ألوف تكون
فداء ، رجعت به القضب إلى أجفانها .
وأما : أن توادعنا إلى أن تضع الحوامل ، وتسدل الأزر ، وتعتقد
الخمر فوق الرايات .

فما كان من أمرى القيس إلا أن أطرق ساعة ثم رفع رأسه ،
وقال : لقد علمت العرب أن لا كفؤ لحجر بدم ، وأني لن أعتاض به
حملاً ، ولا ناقة ، فأكتسب به سب الأبد ، وقت العصد . وأما
النظرة : فقد أوجبها الأجنة في بطون الأمهات ، ولن أكون سبياً
للعطية ، وستعرفون طلائع (كندة) بعد ذلك ، تحمل في القلوب
حنقاً^(٢) ، وفي الأسنة علقاً [من التقارب] :

إذا جالت الحرب في مازق تصافح فيه المنايا النفوسا
أتقيمون أم تنصرفون؟ قالوا : بل ننصرف بأسوا الاختيار ،
وأبلى الاجترار بمكروه وأذية ، وحرب وبلية ، وقال قبيصة يتمثل
[من الطويل] :

لعلك إن تستوخم الوزد إن عدت كنائنا في مازق الحرب تمطر
فقال أمرؤ القيس : لا والله ، ولكن أستعذبه ، فريداً يفرج
لك دجأها عن فرسان (كندة) وكتائب (حمير) ، ولقد كان غير

(١) الشئ : جبل يصفى على هيئة أعنة النعال تشد به الرحال .

(٢) الحنق : شدة الاغتيال .

هَذَا أَوْلَى بِي ؛ إِذْ كُنْتُ نَازِلًا بِرَيْعِي ، وَلَكِنَّكَ قُلْتَ فَأَوْجِبْتَ .

تعلیق المؤلف علی القصۃ
وفي هذا الكلام من الجزالة والعذوبة ما يأخذ بمجامع القلوب إلى ما يُشَفُّ عنه من الأسودد الضخم ، والكرم الخالص ، والشمال الراقية ، والهمم العالية ، والنفوس القويّة ، واحترام الأرواح

تعلیق المؤلف علی المعبري فی شرح المطلع
البريئة ، وغير ذلك ، ومن الأعاجيب قول الشارح : إِنَّ الْبَيْتَ الَّذِي نَحْنُ بِسَبِيلِهِ شَبِيهُ بِقَوْلِهِ أَفِي « الْمَكْبَرِيِّ » ١ / ٣٣٥ من الكامل :

أَبْدَى الْعِدَاةُ بِكَ الْسُرُورَ كَأَنَّهُمْ فَرِحُوا وَعِنْدَهُمُ الْمُقِيمُ الْمُقْعِدُ
وما هو في شيء من ذاك ؛ لَأَنَّهُ لَا يَكُونُ كَذَاكَ إِلَّا لَوْ أَرَادَ الْمُقِيمُ الْمُقْعِدُ مِنَ الْخَوْفِ ، وَإِنَّمَا أَرَادَ الْمُقِيمُ الْمُقْعِدُ مِنَ الْحَزَنِ ؛ كَمَا تَشْهَدُ بِهِ فَحَوَى الطَّبَاقِ ، فَهُوَ مِنْ جَنْسِ قَوْلِ سُورِدِ بْنِ أَبِي كَاهِلٍ (مَنْ الرَّمْلُ) :

وَيَحْيِيَنِي إِذَا لَا قَيْثُ لَهُ وَإِذَا يَخْلُو لَهُ لَحْمِي رَتَعُ
وقول سديف [من الخفيف] :

دُلُّهَا أَظْهَرَ الْتَوَدُّدَ مِنْهَا وَبِهَا مِنْكُمْ كَحَزِّ الْمَوَاسِي
وقول المعري [في « سقط الزند » ٢٣٤ من الوافر] :

وَيُظْهِرُ لِي مَوَدَّتَهُ مَقَالًا وَيُبْغِضُنِي ضَمِيرًا وَأَعْتَقَادًا
وقول الناطم [في « المكبري » ١ / ٣٦٣-٣٦٤ من الوافر] :

فَلَا تَغْرُزْكَ أَلْسِنَةُ مَوَالٍ تَقْلُبُهُنَّ أَفْئِدَةُ أَعَادِي
فَإِنَّ الْمَاءَ يَجْرِي مِنْ جَمَادٍ وَإِنَّ النَّارَ تَخْرُجُ مِنْ زِنَادٍ

* * *

[قال أبو الطيب المتنبّي في «العُكْبَرِيّ» ١/ ٣١٠ من المنسرح]:

لَقَدْ أَجْمَعْتَ هَذِهِ الْخَلِيقَةَ لِي أَنْكَ يَا ابْنَ النَّبِيِّ أَوْحَدَهَا
وَأَنْكَ بِالْأَمْسِ كُنْتَ مُخْتَلِمًا شَيْخَ مَعَدٍّ وَأَنْتَ أَمْرُدُهَا

أَمَّا الْبَيْتُ الْأَوَّلُ : فَقَلَّمَا تَجَدُّ شَاعِرًا إِلَّا يَدَّعِي لِمَمْدُوحِهِ التَّفَرُّدَ ، ادعاء التفرد للممدوح
عند المتنبّي : «العُكْبَرِيّ» ١/ ٣٣٦ من الكامل :

كُنْ حَيْثُ شِئْتَ تَسِرْ إِلَيْكَ رِكَابَنَا فَالْأَرْضُ وَاحِدَةٌ وَأَنْتَ الْوَاحِدُ

وقوله له [في «العُكْبَرِيّ» ٣/ ١٨٤ من الطويل] :

إِلَى وَاحِدِ الدُّنْيَا إِلَى ابْنِ مُحَمَّدٍ شُجَاعُ الَّذِي لِلَّهِ ثُمَّ لَهُ الْفَضْلُ

وقوله لبدر بن عمار [في «العُكْبَرِيّ» ١/ ٣٧٢ من المتقارب] :

فَأَنْتَ وَحِيدُ بَيْتِي آدَمَ وَلَسْتَ لِفَقْدِ نَظِيرٍ وَحِيدًا

وقوله لعبيد الله بن يحيى [في «العُكْبَرِيّ» ٢/ ٣٧٩ من البسيط] :

فَكُنْ كَمَا أَنْتَ يَا مَنْ لَا شَبِيهَ لَهُ فَكَيْفَ شِئْتَ فَمَا خَلَقَ يُدَانِيكَ

وقوله لابن العميد [في «العُكْبَرِيّ» ٢/ ٥١ من الخفيف] :

جَمَعَ الدَّهْرُ حَدَّهُ وَبَدَايِهِ وَتَنَائِي فَاسْتَجَمَعَتْ أَحَادُهُ

وقوله له [في «العُكْبَرِيّ» ٢/ ١٦٧ من الكامل] :

أَنْتَ الْوَحِيدُ إِذَا أَرْتَكَبْتَ طَرِيقَةً وَمَنْ الرَّدِيفُ إِذَا رَكِبْتَ غَضَنَفَرًا ؟

وقوله لكافور [في «المكبري» ٢٤٦/٤ من الطويل] :

قَضَى اللهُ يَا كَافُورُ أَنَّكَ أَوَّلُ وَلَيْسَ بِقَاضٍ أَنْ يُرَى لَكَ ثَانِي

وقوله له [في «المكبري» ٢٧/٢ من الطويل] :

وَمَا زَالَ أَهْلُ الدَّهْرِ يَشْتَبِهُونَ لِي إِلَيْكَ فَلَمَّا لُحِتَ لِي لَاحَ فَرَدُّهُ

وقوله له [في «المكبري» ١٩٩/١ من الطويل] :

جَرَى الْخُلْفُ إِلَّا فَيْتَكَ أَنْكَ وَاحِدٌ وَأَنَّكَ لَيْتٌ وَالْمَلُوكَ ذِنَابُ

وقوله لابن كيخلج [في «المكبري» ١٢٢-١٢١/٢ من البسيط] :

مَنْ قَالَ لَسْتُ بِخَيْرِ النَّاسِ كُلِّهِمْ فَجَهَلُهُ بِكَ عِنْدَ النَّاسِ عَادِرُهُ^(١)
أَوْ شَكَ أَنَّكَ فَرَدُّ فِي زَمَانِهِمْ بِلَا نَظِيرٍ فَنِي رُوحِي أَخَاطِرُهُ

وقوله في عضد الدولة [في «المكبري» ٢٥٦/٤ من الوافر] :

فَإِنَّ النَّاسَ وَالْأَشْيَا طَرِيقٌ إِلَى مَنْ مَا لَهُ فِي النَّاسِ ثَانِي

وقوله في يوم الأصْحَى لسيف الدولة [في «المكبري» ٢٨٦/١ من

الطويل] :

فَذَا الْيَوْمَ فِي الْأَيَّامِ مِثْلَكَ فِي الْوَرَى كَمَا كُنْتَ فِيهِمْ أَوْحَدًا كَانَ أَوْحَدًا

وقوله له [في «المكبري» ١١/٤ من الكامل] :

وَإِذَا أَمْتَحَنْتَ تَكْشَفَتْ عِزَمَاتُهُ عَنْ أَوْحِدِي النَّقْصِ وَالْإِبْرَامِ

وقوله له في رثاء ولده [في «المكبري» ٥٠/٣ من الطويل] :

وَيَلْقَى كَمَا تَلْقَى مِنَ السُّلَمِ وَالْوَعَى وَيُنْسِي كَمَا تُنْسِي وَجِيدًا بِلَا مِثْلِ

(١) في المخطوط : عَادِرُهُ .

وقوله في بستانٍ لبعضهم [في «المكبري» ١١/٢٠ من مجزوء الكامل] :

وَإِذَا رَجَعْتَ إِلَى الْحَقِّ إِنِّي فَهْيَ وَاحِدَةٌ لَأَوْحَدُ

وقوله في فرس بدر بن عمار [في «المكبري» ٢٤١/٣ من الكامل] :

فِي سَرْجِ ظَامِئَةِ الْفُصُوصِ طِمْرَةٌ يَأْبَى تَفَرُّدَهَا لَهَا التَّمَنُّيْلُ^(١)

في كثير من أمثاله ، فكأنما التفرد جليّة بيده ، يقلدُها جند كل من يُتَبَطُّ به أمله ، ويُعلّق فيه رجاءه ، وما ذاك إلا لأنّه يَكِيلُ المدح جزافاً ، ويُسرف فيه إسرافاً ، ولولا ذلك . . لَمَا أحتاج إلى مثل قوله

[في «المكبري» ٢١٣/٤ من البسيط] :

بَلَدْتُ قَوْمًا وَإِنْ عِشْنَا نَظْمُتْ لَهُمْ قَصَائِدًا مِنْ إِبَانِ الْخَيْلِ وَالْخُصَنِ

ولو أنّه أَسْتَنَى في بعض القول أو علّق . . لَانْحَفَظَ لَهُ خَطُّ

الرجعة ، ولكنه قطعهُ على نفسه ، فقد هجا كافور بعد قوله له اني

[في «المكبري» ٢٠٠/١ من الطويل] :

وَأَنْ مَدِينِ النَّاسِ حَقٌّ وَبَاطِلٌ وَمَذْحُكَ حَقٌّ لَيْسَ فِيهِ كِذَابٌ

وقد أثنى ابن الخطّاب على زهير ابن أبي سلمى ، بأنّه لا يُعَاظِلُ^(٢) الكلام ، ولا يمدح أحداً إلا بما فيه على حد ما يروى من

قوله [من البسيط] :

(١) الطِمْرَةُ : الفرس الوثابة ، وقيل : المرتفعة ، وظامئة الفصوص : عطاش ،

ليست برهلة رخوة ، وكذا خيول العرب .

(٢) يُعَاظِلُ ، العَظَالُ في القوافي : التضمين . وروى عن عمر بن الخطّاب : أنّه

قال لقوم من العرب : (أشعر شعرائكم من لم يُعَاظِلِ الكلام) أي : لم يحمل

بعضه على بعض ، ولم يتكلّم بالرجيع من القول ، ولم يكرّر اللفظ والمعنى .

وَإِنْ أَحْسَنَ بَيْتٍ أَنْتَ قَائِلُهُ بَيْتٌ يُقَالُ إِذَا أَنْشَدْتَهُ صَدَقًا

إن من البيان لسحراً ومن هنا قضي له بالفضل على الشعراء أجمع ، وما أحسن ما تخلص به عمرو بن الأهم ، وقد رأى النبي ﷺ يشتمز من تناقض قوله في الزبرقان بن بدر ؛ إذ مدحه بادئاً ، ثم دمه ثانياً ، فإنه قال : لقد صدقت في الأولى ، ولم أكذب في الثانية ، ولكنا قوم إذا رضينا . . ذكرنا أحسن ما نجد ، وإذا غضبنا . . جئنا بأقبح ما نعلم ، فقال ﷺ : « إِنَّ مِنْ الْبَيَانِ لَسِحْرًا »^(١) ، أو ما هذا معناه ، أو ما سبب الكذب نسي يقرب منه ، ومن لا حرج له من الدين ، ولا زمام عنده من المروءة ، ولا رقيب عليه من الضمير ، وكان الحامل له على المدح مجرد الطمع ، أو الكملق . . فلن يكون ما يأتي به إلا كذباً صريحاً ، وغلوّاً قبيحاً ؛ ولهذا قال ابن عبد السلام في « قواعد »^(٢) ، كما نقله ابن المديح

(١) أخرجه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما البخاري (٥١٤٦) في النكاح ، والقصة كما في « جمهرة خطب العرب » (١/١٦٥) :

أن رسول الله ﷺ سأل عمرو بن الأهم عن الزبرقان بن بدر ، فقال عمرو : مطاع في أذينة ، شديد العارضة ، مانع لما وراء ظهره . فقال الزبرقان : والله يا رسول الله . . . إنه ليعلم مني أكثر مما قال ولكنه حسدني شرفي .

فقال عمرو : أما والله لئن قال ما قال ، فوالله ما علمته إلا ضيق الصدر ، زمن المروءة ، أحق الوالد ، لثيم الخال ، حديث الغنى . فلما رأى أنه خالف قوله الآخر قوله الأول ، ورأى الإنكار في عيني رسول الله ﷺ . . قال : يا رسول الله . . رضيت فقلت أحسن ما علمت ، وغضبت فقلت أقبح ما علمت ، وما كذبت في الأولى ، ولقد صدقت في الأخرى ، فقال رسول الله ﷺ عند ذلك : « إن من البيان لسحراً » .

(٢) وتنام اسمه : « قواعد الأحكام في مصالح الأنام » .

في «تحفته» : لا تكاد تجد مداحاً إلا رذلاً ، ولا هجاء إلا

وأكبر من ذلك ما أبتلي به ذنابي^(١) البلاد من إهانة الأدب ، المؤلف وهذا الزمان
لذلك المديح لمن لا يستحقه ، وكثيراً ما يعتقد المادح عكس ما
هو ، فتراه يمدح بلسانه من يذمه بقلبه ، ويتلون ألواناً ، ويتخذ
كل حالة وجهاً ولساناً [من الطويل] :

وأقتل شياً روية العين ظالماً يسىء ويئلى في المحافل حمده
وإنه ليعجبني ترفع ابن أبي ربيعة وجميل والفرزدق وأضرابهم من إعجابه بأشرف النفوس
أشرف النفوس .

قال يزيد بن المهلب : ما رأيت أشرف نفساً من الفرزدق ، شرف الفرزدق
مديني سؤفة ، وهجاني ملكاً .

وإن المتنبي على ما عنده من البأ^(٢) والزهو ، ومع قوله إني تلون المتنبي
«المكبري» ١٤٩/٢ من الطويل] :

إذا أفضل لم يرفعك عن شكر ناقص على هبة فأفضل فيمن له الشكر

لكن كثيراً ما يخضع في القول ، ويؤلى الجانب ، ويسف^(٣) إلى أبو تمام يمدح ابن
الأرض ، وما ذلك من تناقضه بغريب ، وما كان أحقه في بعض
الزيات فيرد مديحه عليه

(١) الذنابي : الاتباع .

(٢) البأ : العظمة والكبر والفخر .

(٣) أسف الطائر والسحابة وغيرهما : دنا من الأرض . والطائر يسف : إذا طار
على وجه الأرض .

أطواره بما فعل ابن الزيات^(١) مع حبيب [أبي تمام] ، (فقد أمتدحه
بقصيدة سائرة بعقب ما أمتدح بعض السقاط ، فوق ابن الزيات على
ظهر قصيدة حبيب له بهذا [من الطويل] :

رَأَيْتَكَ سَمَحَ الْبَيْعِ سَهْلًا وَإِنَّمَا يُغَالِي إِذَا مَا ضَنَّ بِالشَّيْءِ صَاحِبُهُ
فَأَمَّا إِذَا هَانَتْ بَضَائِعُ بَيْعِهِ فَيُؤْشِكُ أَنْ تَبْقَى عَلَيْهِ بَضَائِعُهُ
هُوَ الْمَاءُ إِنْ أَحْجَمْتَهُ طَابَ وَرَدُّهُ وَيَقْسُدُ مِنْهُ أَنْ تَبَاحَ مَشَارِعُهُ^(٢)

ويقال في «الأغاني» ٤٦٢/٢٣ : إِنَّ أَبَا تَمَّامٍ أَجَابَهُ عَنْ ذَلِكَ بِقَصِيدَةٍ
يَحْتَجُّ بِهَا عَلَيْهِ ، وَيَعْتَذِرُ مِنْ مَدْحٍ غَيْرِهِ إِلَيْهِ^(٣) ، منها [في «ديوانه»
١٦٤/١-١٦٥ من البسيط] :

أَمَّا الْقَوَافِي فَقَدْ حَصَّنْتُ غُرَّتَهَا فَمَا يُصَابُ دَمٌ مِنْهَا وَلَا سَلْبُ
مَنْعَتُ إِلَّا مِنْ الْأَكْفَاءِ أَيْمَهَا إِذْ كَانَ مِنْكَ عَلَيْهَا الْعَطْفُ وَالْحَدَبُ^(٤)

(١) ابن الزيات : هو محمد بن عبد الملك بن أبان ، وزير المعتصم والواثقي ،
قوي ، حازم داهية .

(٢) أورد الأصبهاني القصة في «الأغاني» ٦٢/٢٣ .

(٣) ولكن الأبيات التي قالها أبو تمام لابن الزيات هي كما في «الأغاني»
٦٢/٢٣ :

أَبَا جَعْفَرٍ إِنْ كُنْتُ أَصْبَحْتُ شَاعِرًا أَسَامِخُ فِي بَيْعِي لَهُ مِنْ أَبَائِمِهِ
فَقَدْ كُنْتُ قَتْلِي شَاعِرًا تَاجِرًا بِهِ تُسَاهِلُ مَنْ عَادَتْ عَلَيْكَ مَنَافِعُهُ
فَصِرْتَ وَزِيرًا وَالْوَزَارَةُ مَكْرَعُ يَغْصُنُ بِهِ بَعْدَ اللَّذَازَةِ كَارِعُهُ
وَكَمْ مِنْ وَزِيرٍ قَدْ رَأَيْنَا مُسْلَطًا فَعَادَ وَقَدْ شُدَّتْ عَلَيْهِ مَطَالِمُهُ
وَلَهُ قَوْسٌ لَا تَطِينُ سِهَامُهَا وَلَهُ سَيْفٌ لَا تُقْلُ مَقَاطِمُهُ
(٤) الأيْمُ : التي لا زوج لها . الحدب : الإشفاق .

وَلَمْ يَكُنْ لَكَ فِي أَطْهَارِهَا أَرْبٌ^(١)

كَانَتْ بَنَاتٍ نَصِيبَ حِينَ ضَنَّ بِهَا عَلَى الْمَوَالِي وَلَمْ تَقْنَعْ بِهَا الْعَرَبُ^(٢)

ولا شك أنه عذرٌ بأمرٍ دَوٍّ ، فقد تموت الحرّة ولا تأكلُ
بذئبتها^(٣) ، وذكرْتُ بهذا - والشيء يُذكرُ بما يشبهه ، ولو من بعيد -

(١) فضّل المرأة عن الزواج : منعها وحبسها عنه . أطهارها - مفردُها طهرٌ - :

جعل القوافي كالنساء ، فإذا طهرت المرأة احتيج إليها ، وتعتزل في الحيض .

(٢) نُصِيبُ : شاعرٌ أمويٌّ ، كان أسودَ ، ومولى لآل مروان . وكان له بناتٌ يبخلُ
بهنَّ على الموالِي ، ولم تحفلُ بهنَّ العربُ لسوادِ أبيهنَّ .

(٣) مثل عربي ذكره الميداني في «مجمع الأمثال» (١٢٢/١) . وقصته : أنَّ

الحارث بن سليل الأسدي كان حليفاً لملقمة بن خصفة الطائي ، فزاره ، فنظرَ

إلى ابنته الزبَاء ، وكانت من أجمل أهل دهرها ، فأعجب بها ، فقال له : أتيتك

خاطباً ، وقد يُنكحُ الخاطبُ ، ويُدرِكُ الطالبُ ، ويُمنعُ الراغبُ ، فقال له

علقمة : أنت كفءٌ كريمٌ ، يقبلُ منك الصفو ، ويؤخذُ منك العفو ، فأقمْ ننظرُ

في أمرِكَ ، ثم انكفأ إلى أمها ، فقال : إنَّ الحارث بن سليل سيّدُ قومه حسباً

ومنصباً وبيتاً ، وقد خطبَ إلينا الزبَاء ، فلا يتصرفنَّ إلّا بحاجتي ، فقالت امرأته

لا يبتها : أي الرجال أحبُّ إليك ، الكهلُ الجحججُ ، الواصلُ المتأخُّ ؟ أم

الفتى الوضاحُ ؟ فقالت : لا بل الفتى الوضاحُ ، قالت : إنَّ الفتى يغيروك ، وإنَّ

الشيخَ يميّزُك ، وليس الكهلُ الفاضلُ ، الكثيرُ النائلُ ، كالحديث السنِّ ، الكثيرِ

المنِّ ، قالت : يا أمّنا : يا أمّنا :

إِنَّ الْفَتَاةَ تُحِبُّ الْفَتَى كَحُبِّ الرَّعَاءِ أَنْتَقَى الْكَلَا

قالت : أي بُنِيَّة . إنَّ الفتى شديدُ الحجاب ، كثيرُ العتاب ، قالت : إنَّ

الشيخَ يُبلي شباي ، ويدنُّسُ ثيابي ، ويشمتُّ بي أترابي ، فلمْ تزلْ بها أمّها حتّى

غلبتها على رأيها ، فتزوَّجها الحارثُ على منّةٍ وخمسينَ من الإبل ، وخادمٍ

وألفَ درهمٍ ، فأبتى بها ، ثمّ رحلَ بها إلى قومه ، فبينما هو ذات يومٍ جالسٌ

بقتاء قومه ، وهي إلى جانبه . . إذ أقبلَ إليه شبابٌ من بني أسدٍ يعتلجون ،

فتنقّست الصعداء ، ثمّ أرخت عينيها بالبكاء ، فقال لها : ما يبكيك ؟ قالت : =

مديح الشماخ لعبد الله أَكَّ الشَّمَاخَ أَمْتَدَحَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَعْفَرٍ بِقَوْلِهِ [في «ديوانه» ٤٦٤-٤٦٧ من
بن جعفر الرُّجَزَا : .

إِنَّكَ يَا أَبْنَ جَعْفَرٍ نِعَمَ الْفَتَى وَنِعَمَ مَاوَى طَارِقٍ إِذَا أَتَى
وَجَارُ ضَيْفٍ طَرَقَ الْحَيَّ سُرَى صَادَفَ زَادًا وَحَدِيثًا مَا أَشْتَهَى
إِنَّ الْحَدِيثَ طَرَفٌ مِنَ الْقِرَى

المبالغة في المديح وَامْتَدَحَ عُرَابَةَ الْأَوْسِيِّ إِزَاءَ حُمُولَةٍ مِنَ التَّمْرِ ، بما تحسده الثريا
ترفع الممدوح وتنفع دُرَّرَ لَفْظُهُ ، وجمال ديباجته ، كقوله [في «الأغاني» ٩/٢٢٨٨-٢٢٨٧ من
المادح الوافر] :

رَأَيْتُ عُرَابَةَ الْأَوْسِيِّ يَسْمُو إِلَى الْخَيْرَاتِ مُنْقَطِعَ الْقَرْنِ
إِذَا مَا رَأَيْتُ رُفَعْتَ لِمَجْدٍ تَلَقَّاهَا عُرَابَةُ بِالْيَمِينِ
وقوله [من البسيط] :

مِنْ بَيْتٍ مَأْتَرَةٍ عِزٍّ وَمَكْرَمَةٍ سَبَّاقُ غَايَاتِ مَجْدٍ وَأَبْنُ سَبَّاقِ
ضَخْمُ الدَّسِيعَةِ مِثْلَافٌ أَخْوَفُ قَبْلِ جَزْلُ الْتَوَاهِبِ ذُو قَيْلٍ وَمِضْدَاقٍ^(١)
فقد أرتفع عُرَابَةُ بِذَلِكَ إِلَى الدَّرَى ، وأنحطَّ بِهِ الشَّمَاخُ - كما
ذكروه - إِلَى الْحَضِيضِ ، وسيعادُ هَذَا فِي الْمَجْلِسِ الْحَادِي عَشَرَ
غَفْلَةً عَمَّا هُنَا .

صغر نفس المتبني وما رَأَيْتُ النَّازِمَ أَقْلَ حَيَاءٍ ، وَلَا أَصْفَقَ وَجْهًا^(٢) ، وَلَا أَصْغَرَ

= مَالِي وَلِلشُّيُوخِ النَّاهِضِينَ كَالْفُرُوحِ ؟ فَقَالَ لَهَا : تَكَلِّتِ أَتُكِّ ، تَجِوْعُ الْحَرَّةُ وَلَا
تَأْكُلُ بِدَنِيَّتِهَا .

(١) الدَّسِيعَةُ : الْعَطَاءُ الْجَزِيلُ .

(٢) أَصْفَقَ وَجْهًا ، يُقَالُ : وَجْهٌ صَفِيقٌ بَيْنَ الصَّفَاقَةِ : وَفَعَّ .

صلى الله عليه وسلم - مما يتعلق بالموضوع - (في «المكبري» ١١/٤١ من الكامل) :
 كَانَ مِثْلَكَ كَانَ أَوْ هُوَ كَاتِنٌ فَبَرِئْتُ حَيْثُ مِنْ الْإِسْلَامِ
 لَوْلَا أَعْتَذَرُهُمْ عَنْهُ فِي ذَلِكَ بِصَبَاهُ ، كَمَا سَبَّأَتْنِي فِي مَوْضِعِهِ بِسَطْرٍ
 أَعُولُ فِيهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

ثُمَّ إِنَّ التَّفَرُّدَ بِالْكَمَالِ عَلَى عِزَّتِهِ مَقْرُونٌ فِي الْأَغْلَبِ بِالْحِرْمَانِ ، التَّفَرُّدُ بِالْكَمَالِ مَقْرُونٌ
 بِقَوْلِ مَنْ تَقَدَّمَ فِي أَمْرِ إِلَّا حُرِمَ ثَمَرَتُهُ وَفَائِدَتُهُ ، وَالْقَوْلُ يَطُولُ فِي الْحِرْمَانِ
 ذَلِكَ ، وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ الْحَمْدُونِيِّ [مَنْ الْبَسِطُ] :

لِ الْمَقْدَمِ فِي حَذْقِ بَصْنَعَتِهِ أَنَّى تَوَجَّهَ فِيهَا فَهُوَ مَخْرُومٌ
 وَقَوْلُ كُشَاجِمٍ [فِي «دِيوانه» ٣٨٦ من الكامل] :

مَا كَانَ أَخْرَجَ ذَا الْكَمَالِ إِلَى عَيْنٍ يُوقِنُهُ مِنَ الْعَيْنِ

وَحَدَّثَ الْمَعَاذِي بِنُ زَكَرِيَّا : أَنَّهُ لَمَّا بُويعَ ابْنُ الْمَعْتَزِ بِالْخِلَافَةِ . . . تَرَقَّبَ زَوَالُ الشَّيْءِ إِذَا
 دَخَلُوا عَلَى شَيْخِنَا مُحَمَّدِ بْنِ جَرِيرِ الطَّبْرِيِّ ، فَقَالَ : مَا الْخَبْرُ؟ قِيلَ : مَا قِيلَ : تَمَّ
 بُويعَ ابْنُ الْمَعْتَزِ ، قَالَ : فَمَنْ ذِكْرٌ لِلْقَضَاءِ؟ قَالُوا : الْحَسَنُ بْنُ
 الْحُسَيْنِ بْنِ الْمُنْتَنَى ، أَوْ أَبُو الْمُنْتَنَى ، قَالَ : فَمَنْ رُشَّحَ لِلزَّوَارَةِ؟
 قَالُوا : مُحَمَّدُ بْنُ دَاوُدَ ، فَقَالَ : هَذَا الْأَمْرُ لَا يَتِمُّ ؛ لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ
 مِنْ هَؤُلَاءِ مُتَقَدِّمٌ فِي فَضْلِهِ ، وَالدُّنْيَا مُوَلِّيَّةٌ ، فَمَا أَرَاهُ إِلَّا عَائِدًا إِلَى
 الْأَضْمَحَلَالِ ، فَكَانَ كَذَلِكَ .

وِغَالِبُ ظَنِّي أَنَّ أَوَّلَ مَنْ أُتِيَ فِي الْإِسْلَامِ مِنْ دَاءِ الْكَمَالِ هُوَ أَمِيرُ
 الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ - كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ - فَقَدْ كَانَ أَهْلُ (البصرة)
 يُنْقَضُونَهُ وَكَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ (الكوفة) وَأَهْلِ (المدينة) ، وَأَمَّا أَهْلُ
 (مَكَّةَ) : فَإِنَّهُمْ كَانُوا يَكْرَهُونَهُ قَاطِبَةً ، وَكَانَتْ قَرِيشٌ بِأَسْرِهَا عَلَى
 خِلَافِهِ ، وَكَانَ جَمَاهُورُ الْخَلْقِ مَعَ بَنِي أُمَيَّةَ عَلَيْهِ .

وروى عبد الملك بن عمير ، عن عبد الرحمن بن أبي بكرة قال
[في «شرح نهج البلاغة» ١٠٣/٤ : سمعتُ علياً - عليه السلام - يقول : ما
لقي أحدٌ من الناس ما لقيتُ .

وروى الشعبيُّ عنه - عليه السلام - أنه يقول [في «شرح نهج البلاغة»
١٠٤/٤ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَعِيدُكَ عَلَى قُرَيْشٍ ؛ فَإِنَّهُمْ قَطَعُوا رَحْمِي ،
وَأَصْغُوا إِنَائِي^(١) ، وَصَغَّرُوا عَظِيمَ مَنْزِلَتِي ، وَأَجْمَعُوا عَلَيَّ
مَنَازِعَتِي .

وروى أبو عمران النهديُّ قال : سمعتُ عليَّ بنَ الحسين يقول
[كما في «شرح نهج البلاغة» ١٠٤/٤ : ما بد (مكة) و (المدينة) عِشْرُونَ
رجلاً يَحِبُّنَا .

وللهِ درُّ أبي الحديد في قوله [كما في «شرح نهج البلاغة» ١١٢/٤ من
الخفيف] :

طَأْمَنْتُ مَجْدَهُ قُرَيْشٌ فَأَعْطَنَاهُ إِلَى سِدْرَةِ السَّمَاءِ رُقِيًّا^(٢)
أَخْمَلْتُ صَيْتَهُ فَطَارَ إِلَى أَنْ مَلَأَ الْأَرْضَ ضَجَّةً وَدَوِيًّا
وقال الآخر [من الطويل] :

لَقَدْ كَتَمْتَ آثَارَ آلِ مُحَمَّدٍ مُجِبُّهُمْ خَوْفًا وَأَعْدَاؤُهُمْ بُغْضًا
وَلَكِنْ فَشَتْ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ نَبْذَةٌ بِهَا مَلَأَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَا
ومن كلامه عليه السلام [في «نهج البلاغة» ٣٦] ما معناه : لا تزال
الرعيَّة تشكو ظُلمَ الملوك ، وَلَكِنِّي أَشْتَكِي الظُّلْمَ مِنْ رَعِيَّتِي .

(١) أصغى الإناء : أماله ليقرب ما فيه .

(٢) طَأْمَنْتُ الْأَرْضَ : أَنْخَفَضْتُ .

وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ (في نهج البلاغة ٣٦) : لقد ملأتم قلبي قَيْحاً ،
 شَحْشَمَ صَدْرِي غَيْظاً ، وَجَرَّعْتُمُونِي نُغَبَ التَّهْمَامِ أَنْفَاساً^(١) ، حَتَّى
 الْتَقَيْتُمْ قَرِيضَ : إِنَّ أَبْنَ أَبِي طَالِبٍ رَجُلٌ شَجَاعٌ ، وَلَكِنْ لَا عِلْمَ لَهُ
 بِالْحَرْبِ - اللَّهُ أَبُوهُمْ - وَهَلْ أَشَدُّ لَهَا مِرَاساً مِنِّي ؟ ! لقد دخلتُ فيها
 دون العشرين ، وَهَآأَنَا قَدْ ذَرَفْتُ فِيهَا عَلَى السَّيْنِ ، وَلَكِنْ لَا رَأْيَ
 لَكُنْ لَا يُطَاعُ .

بَلْ إِنَّ الْأَمْرَ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ ، فَسَيُذْ أَهْلِي الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ ، صور من امتحان النبي
 وَافْضَلُ مَنْ يَشْرَبُ عَذْبَ الْمَاءِ .. كَانَ مُمْتَحَنًا بِالْمُتَنَاقِضِينَ بِشَهَادَةِ
 سُورَةِ ﴿ بَرَاءة ﴾ مِنْ فَاتِحَتِهَا إِلَى خَاتَمَتِهَا ، بَلْ لَمْ يَسْلَمْ مَعَ ذَلِكَ
 مِنَ الْتَوَاءِ فَضْلَاءُ الصَّحَابَةِ عَلَيْهِ .

أَلَا تَرَى أَنَّهُمْ كَرِهُوا لِقَاءَ الْعَدُوِّ يَوْمَ بَدْرٍ حَتَّى أُنْزِلَ فِيهِمْ :
 ﴿ يَحْدِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا بَيَّنَّ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴾
 [الأنفال : ٦] .

وَقَوْلُهُ تَعَالَى أَيْضاً : ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ
 وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَو تَكُونُ لَكُمْ ﴾ [الأنفال : ٧] .
 وَخَالَفُوا أَمْرَهُ يَوْمَ أُحُدٍ ، وَأَسْلَمُوهُ حَتَّى أَلْقَتْهُ فَرَسُهُ بَيْنَ الْقَتْلَى ،
 وَاسْتَصْرَخَ فَلَمْ يُجِبْهُ غَيْرُ مَنْ أَشَدَّ بِهِ اخْتِصَاصُهُ .

وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ شَأْنُهُ فِيهِمْ : ﴿ إِذْ تَصْعِدُونَ وَلَا تَكُونُ عَلَى
 أَعْقَابِهِمْ لِئَلاَّ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرِيقِكُمْ ﴾ [آل عمران : ١٥٣] .
 وَعَصَوْا أَمْرَهُ فِي تَبُوكٍ أَيْضاً ، حَتَّى قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ يَتَأْتِيهَا
 الْبَرْقُ مَآسِمًا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنَا قَاتِلُهُ إِلَى الْأَرْضِ

(١) نُغَبٌ : جَرَعَاتُ . التَّهْمَامُ : الهمم . أَنْفَاساً : جَرَعَةً بَعْدَ جَرَعَةٍ .

أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي
الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَتُوبُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا
غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿التوبة : ٣٨﴾

. [٣٩٣٨]

فهذا عتاب للمؤمنين ، وشاهد بأنه لم ينبُج من خلافهم عليه ،
وقد أشرنا في الفائدة الثامنة من « بلابل التغريد » إلى تلافهم ليلة
الخندي عن استكناه خبر القوم^(١) ، وقد ألح عليهم في ذلك ، وهو
لا يخالف ما نقرُّه من امتلاء صدورهم بالإيمان ، وتقديهم بالنفوس
المطمئنة إلى شفرات السيوف ؛ لأنه الأكثر من أحوالهم ، ولأن
الامتحان يعشق الكمال ، فأقتضى علي قدره ﷺ أن تلتوي عليه
الأمر ، وتغصوب^(٢) له الأهوال ، وتتكر له الأيام ، ويجمع
عليه الزمان ؛ ليجاوز مدى أولي العزم من الرسل ، وتلك الغاية
منوطة بالمحنة ؛ ولهذا قال له جل شأنه : ﴿ قَاصِرٌ كَمَا صَبَرُ أُولُوا
الْعِزِّ مِنَ الرُّسُلِ ﴾ [الأحقاف : ٣٥] ، وكان يوعك كما يوعك الاثنين من
عُرض الناس^(٣) ، وكان يقول : « أَشَدُّ النَّاسِ بَلَاءَ الْأَنْبِيَاءِ ، ثُمَّ
الْأَمَنَلُ قَالَا أَمَنَلُ »^(٤) .

(١) استكناه خبر القوم : استقصاؤه .

(٢) يغصوب ، يقال : أعصوب اليوم والشر : أشتد وتجمع .

(٣) أخرجه عن ابن مسعود البخاري (٥٦٤٨) في المرضي ، ومسلم (٢٥٧١)

في البر والصلة . ولفظه عنده : « أجل إني أوعك كما يوعك رجلان منكم » .

عُرضُ الناس : عامتهم .

(٤) أخرجه عن سعد ابن أبي وقاص عن أبيه رضي الله عنه الحاكم في « المستدرک »

(١٠٠ / ١) .

وَقَدْ دُرِّي أَبِي تَمَامٍ فِي قَوْلِهِ [مَنْ الْبِطْ:]

لَمْ يَخْلُقِي الْعِزَّ مِنْ مِثْلِي مُطْلَبِي
أَذْرَكْتُهُ أَذْرَكْتَنِي حِرْقَةُ الْأَدَبِ^(١)

وَأَخَذَهُ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ بَشَّامٍ ، فَقَالَ فِي رثاءِ أَبِي الْمُعْتَرِ : [فِي

ديوانه ٢٧ من البسيط :

نَاهَيْكَ فِي الْعَقْلِ وَالْأَدَابِ وَالْحَسَبِ^(٢)
وَأِنَّمَا أَذْرَكْتُهُ حِرْقَةُ الْأَدَبِ

وَتَلَاَعَبَ بِهِ الشَّعْرَاءُ بَعْدَ ذَلِكَ ، وَيَتَّصِلُ بِالْمَوْضُوعِ قَوْلُ بَعْضِهِمْ

[مَنْ الْكَامِلُ] :

عَالِمُوا الْجَهَالَةَ وَأَزْدَرَوْا بِحُقُوقِهَا
وَتَجِئُهَا الدُّنْيَا بِرَغْمِ الْمَغْطَسِ

وَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ [فِي « دِيوانه » ٦٤٥ من الطويل] :

كَمَاكَ عَنِ الدُّنْيَا الدَّمِيمَةِ مُخْبِرًا
وَأَنَّ رِجَالَ النَّفْعِ تَحْتَ مَدَاسِهَا

وَقَالَ آخَرُ [مِنْ السَّرِيعِ] :

مَنْ يَرْجُ بِالْفَضْلِ نَوَالًا يَمُتْ
وَمَنْ يَقْدُ أَوْ يَتَمَسَّخَرُ يَعِشْ

(١) حِرْقَةُ الْأَدَبِ : الْفَقْرُ .

(٢) بَلَّكَ كَذَا فِي الْمَخْطُوطِ ، وَفِي « الدِّيوانِ » : (مِيت) .

(٣) يَقْدُ : يَعْمَلُ قَوَادًا .

ولابن نباتة السعدي [من الكامل] :

مَا بَالُ طَعْمِ الْعَيْشِ عِنْدَ مَعَاشِرٍ حُلُوا وَعِنْدَ مَعَاشِرٍ كَالْعَلَقَمِ
مَنْ لِي بِعَيْشِ الْأَغْيَاءِ فَإِنَّهُ لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ مَنْ لَمْ يَعْلَمْ

وقلتُ في «لُزُومِيَّاتِي» [من الطويل] :

أَعَاتِبُ فِي التَّقْصِيرِ نَفْسِي فَلَا أَرَى مَجَالَ عِتَابٍ مُقْتَضٍ لِلتَّخَدُّمِ
وَلَكِنْ شُفُوْفِي خَانَ حَظِّي وَهَكَذَا تَرَى خَيَّةَ الْأَمَالِ رَهْنُ التَّقَدُّمِ^(١)
أَتَيْنَا وَدَهْرُ السُّوءِ يَغْشِي إِلَى الْوَرَى وَمَبْنَى الْمَعَالِي أَخَذَ فِي التَّهْدَمِ

الكمال مقرون بعلو الهمة ولكن الأيام لا تساعد
وَمِنْ دَوَاعِي تَعَبِ أَهْلِ الْكَمَالِ .. أَنَّهُ مَقْرُونٌ بِعَلْوِ الْهَمَّةِ وَكَبَرِ
النَّفْسِ ، وَالزَّمَانُ مُعَانِدٌ وَالْأَيَّامُ لَا تَسَاعِدُ .

وَإِذَا كَانَتْ النَّفْسُ كِبَارًا تَعَبَتْ فِي مُرَادِهَا الْأَجْسَامُ^(٢)

لأنَّهَا لَا تَقِفُ عِنْدَ غَايَةٍ ، وَلَا تَفْضِي إِلَى نِهَايَةٍ ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ جَلَّ
شَأْنُهُ لِأَفْضَلِ الْخَلْقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : ﴿ فَإِذَا فُرِغَتْ فَأَضَبَتْ * وَلِئِنْ رَيْكَ
فَأَرْغَبْ ﴾ [الانشراح : ٨٧] .

وقال أبو تمام [في «ديوانه» ١٣١ / ٢ من الكامل] :

خَدَمَ الْعُلَى فَخَدَمْتُهُ وَهِيَ الَّتِي لَا تَخْدُمُ الْأَقْوَامَ مَا لَمْ تُخْدَمْ
فَإِذَا أَرْتَقَى فِي قُلَّةٍ مِنْ سُودَدٍ قَالَتْ لَهُ الْأُخْرَى : بَلَغْتَ تَقَدَّمَ^(٣)

وقال الناطم [في «المكبري» ٧٢ / ٤ من الوافر] :

وَلَوْ لَمْ يَعْلُ إِلَّا ذُو مَحَلٍّ تَعَالَى الْجَيْشُ وَأَنْحَطَّ الْقِتَامُ

(١) الشُّفُوفُ : نحول الجسم من ألهم والوجد .

(٢) البيت من الخفيف .

(٣) القُلَّةُ : رأس كل شيء .

الْوَلَمَ يَزَعُ إِلَّا مُنْتَحِقٌ لِرُتْبِهِ أَسَامُهُمُ الْمَسَامُ^(١)

وقال [في «المكبري» ٧٣/٣ من المتقارب] :

وَلَوْ بَيْتًا عِنْدَ قَذَرِيكُمَا لَيْتَ وَأَعْلَاكُمَا الْأَسْفَلُ^(٢)

وقال [في «المكبري» ١٠٨/٤ من الطويل] :

وَمَا الْخَمْعُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالنَّارِ فِي يَدَيَّ بِأَصْعَبَ مِنْ أَنْ أَجْمَعَ الْجَدَّ وَالْفَهْمَا^(٣)

ومعيار العموم الاستثناء ، وقد قال لأبي العشائر [في «المكبري»

٣٦٤/١ من الخفيف] :

لَيْسَ إِلَّا أَبَا الْعُشَايِرِ خَلَقَ سَادَ هَذَا الْأَنَامِ بِأَسْتَحْقَاقِ

أَنَا قَوْلُهُ لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ [في «المكبري» ٢٧٢/١ من الطويل] :

وَلَمَّا رَأَيْتُ النَّاسَ دُونَ مَحَلِّهِ تَيَقَّنْتُ أَنَّ الدَّهْرَ لِلنَّاسِ نَاقِدٌ

فَأَصَابَ فِيهِ مِنْ جَهَةٍ ، وَالْعَادَةُ قَدْ تَنَحَّرَتْ ، وَعَيْنُ الدَّهْرِ قَدْ

تَنَامُ ، وَالطَّبِيعَةُ لَهَا فَلَائِتَاتٌ ، وَبَنُو حَمْدَانَ - كَمَا قَالَ الْمُحَقِّقُ

التفتازاني^(٤) - مُلُوكٌ ، وَجُوهُهُمْ لِلصَّبَاحَةِ ، وَالْأَسْتَهْمُ لِلْفَصَاحَةِ ،

وَأَيْدِيهِمْ لِلسَّمَاحَةِ .

(١) القتام : المجاج . سامت السائمة : إذا رعت ، والمسام : الرعي .

(٢) المعنى : لو بيتا - النجم والممدوح - وموضع كل واحد منكما على حسب فضله ، ومكانه حيث يستحق بقدرة .. لبيت في مواضع النجوم ويات في موضعك ، تعلوها أنت وتسل منك ؛ لشرف قدرك على قدرها .

(٣) الجد : الحظ والبحث . الفهم : معرفة العلوم .

(٤) التفتازاني : هو مسعود بن عمر بن عبد الله ، سعد الدين ، من أئمة العربية والبيان والمنطق ، له مؤلفات ، توفي سنة : (٧٩٣ هـ) .

أوحده بني حمدان وأخطأ من الأخرى ؛ فإن أوحده بني حمدان بلاغة وبراعة وشجاعة... إنما هو أبو فراس ، وقد أدركته حرفة الأدب ، وأصابته عين الكمال ، فأسرته الروم في بعض وقائعها ، فأزدادت شاعريته رقة ولطافة ، كما سبق بعض قوله في غير هذا المجلس ، وهو القائل [في «ديوانه» ١٤٤ من الطويل] :

أُسِرْتُ وَمَا قَوْمِي بِعُزْلٍ لَدَى الْوَعَى وَلَا فَرَسِي مُهْرٌ وَلَا رُبُّهُ غَمْرٌ^(١)
وَلَكِنْ إِذَا حُمَ الْقَضَاءُ عَلَى أَمْرِي فَلَيْسَ لَهُ بَرٌّ بَيْنِي وَلَا بَخْرٌ

وقال الصاحب بن عباد [في «قرى الضيف» ٥٧/١] : بُدِيَءَ الشَّعْرُ بِمَلِكٍ وَخُتِمَ بِمَلِكٍ ؛ يعني : أمراً القيس ، وأبا فراس .

ومن أكبر بيناته اعتراضه على الناظم يوم أنشد قصيدته المستهله بقوله [في «المكبري» ٣٦٢/٣ من البسيط] :

وَاحَرَّ قَلْبَاهُ مِمَّنْ قَلْبُهُ شَبْمٌ [وَمَنْ بِجِسْمِي وَحَالِي عِنْدَهُ سَقَمٌ]

وملاحظته عليها ، وتنبيهه على مواضع الاختلاس فيها ، بما لو روى فيه أمرؤ . لما دوفع في حدة الفهم ، وإصابة السهم ، وغزارة العلم ، ومعجزات الاطلاع ، كما سنفيض فيه عندما تنتهي إليه النوبة ، إن شاء الله تعالى .

وَأَمَّا الْبَيْتُ الثَّانِي : فـ (أَنْ) فِيهِ مَخْفَفَةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ ، وَشَرْطُ عَوْدِ عَلَى شَرْحِ الْبَيْتِ مِنْ الْمَطْلَعِ أَسْمِهَا أَنْ يَكُونَ ضَمِيراً مُحذَوْفاً ، وَرَبَّمَا ثَبِتَ كَقَوْلِهِ [من البسيط] :

فَلَوْ أَنَّكَ فِي يَوْمِ الرَّخَاءِ طَلَبْتَنِي طَلَاكَ لَمْ أَبْخَلْ وَأَنْتَ صَدِيقُ

(١) الغمر : الذي لم يجرب الأمور .

وقول جنوب ترثني أخاها عمراً ذا الكلب [من المتقارب] :
 سَأَنُكَ رَبِيعٌ وَغَيْثٌ مَرِيعٌ وَأَنْتَ هُنَاكَ تَكُونُ الشُّمَالاً^(١)
 وهو مختص بحال الضرورة على الأصح .

ومعناه^(٢) من قوله تعالى : ﴿وَمَا يَكْنُهِ الْحُكْمَ صَيِّبًا﴾ [مريم : ١٢] ، اقتباس البيت
 وقد تلاعب به في « ديوانه » ، فقال [في « المكبري » ١٧٠ / ١ من البسيط] :
 لَيْسَ الْحَدَاثَةُ مِنْ حِلْمٍ بِمَانِعَةٍ قَدْ يُوجَدُ الْحِلْمُ فِي الشُّبَّانِ وَالشُّبِّ
 تَزْغَرَعُ الْمَلِكُ الْأَسْتَاذُ مُكْتَهَلًا قَبْلَ اكْتِهَالِ أَدِيبًا قَبْلَ تَأْدِيبِ

سيادة الصغير العمر
 عند المتنبي

وقال [في « المكبري » ١٠ / ٤ من الكامل] :
 صَغُرَتْ كُلُّ كَبِيرَةٍ وَكَبُرَتْ عَنْ لَكَأَنَّهُ وَعَدَدَتْ سِنَّ غُلَامٍ

وقال [في « المكبري » ٢٣٢ / ٣ من الرافعي] :
 وَأَعْجَبَ مِنْكَ كَيْفَ قَدَرْتَ تَشَا وَقَدْ أُعْطِيتَ فِي الْمَهْدِ الْكَمَالَ
 وقال [في « المكبري » ٤٥ / ٣ و ٤٩ من الطويل] :

يَمُولُؤُهُمْ صَمْتُ اللِّسَانِ كَغَيْرِهِ وَلَكِنَّ فِي أَعْطَافِهِ مَنْطِقَ الْفَضْلِ
 وَقَدْ مَدَّتِ الْخَيْلُ الْعِنَاقَ عُيُونُهَا إِلَى وَقْتِ تَبْدِيلِ الرُّكَّابِ مِنَ النُّعْلِ
 وقال [في « المكبري » ٨١ / ٢ من البسيط] :

نَفْسٌ تُصَغِّرُ نَفْسَ الدَّهْرِ مِنْ كِبَرٍ لَهَا نُهَى كَهْلِهِ فِي سِنِّ أَمْرِهِ

(١) المريع : الخصيب الذي لا ينقطع . الشمال : الماء القليل يبقى في أسفل
 الحوض ، أو في أي إناء كان .
 (٢) أي البيت الذي يتكلم عليه .

وقال (في «المكبري» ٨/٢٠ من الطويل) :

أَرَى الْقَمَرَ ابْنَ الشَّمْسِ قَدْ لَيْسَ الْعَلَا رُوَيْدَكَ حَتَّى يَلْبَسَ الشَّعَرَ الْخَدَّ
وَيَاشَرَ أَبْكَارَ الْمَكَارِمِ أَمْرَدَا وَكَانَ كَذَا أَبَاؤُهُ وَهُمْ مُرْدُ

وقال (في «المكبري» ٣٤٥/١٠ من المتقارب) :

سَعَوْا لِلْمَعَالِي وَهُمْ صَيِّتَةٌ وَسَادُوا وَجَادُوا وَهُمْ فِي أَلْمُهُودِ

وقال (في «المكبري» ٦٤/٤٠ من المنسرح) :

قَوْمٌ بُلُوغُ الْغُلَامِ عِنْدَهُمْ طَعْنٌ نُحُورِ الْكُمَاةِ لَا الْخُلُمِ

والأخير مُتَنَزَّعٌ مِنْ قَوْلِ يَحْيَى بْنِ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ
رضوان الله عليهم [من الطويل] :

خَرَجْنَا نَقِيمُ الَّذِينَ بَعْدَ أَغْوِجَاجِهِ سَوِيًّا وَلَمْ نَخْرُجْ لِيَجْمَعْ الدَّرَاهِمِ
إِذَا اتَّقَنَ التَّنْزِيلَ وَالْعِلْمَ طِفْلُنَا فَإِنَّ بُلُوغَ الطِّفْلِ ضَرْبُ الْجَمَاجِمِ

هذا والله الشَّرْفُ الَّذِي يَطُأُ بِأَخْمَصِهِ الشُّجُومَ ، وَيَغْلُبُ عَلَى
الْثُّفُوسِ عِنْدَ ذِكْرِهِ الْوُجُومَ ، وَيُحَاطُ دِينَ اللَّهِ مِنْهُ بِالرَّجُومِ ، وَيَغْدُبُ
لِمَنْ سَمِعَهُ عَلَى الْمَوْتِ الْهَجُومُ .

وما زالت الهاشمية نيرانَ الحتوفِ ، وأربابَ الأفلامِ والسِّيوفِ ،
ومصاييحِ النورِ ، وهُدَاةِ العُورِ ، ولثنِ قُلٍّ فِي الْأَوَاخِرِ الْبَاسُ...
فسأذكرُ ما يناسبُ طهارتهم من الأدناسِ .

كثيراً ما سمعتُ والدي يقولُ : كَانَ لَالٍ جَدِيدٍ وَآلٍ بَصْرِيٍّ وَآلٍ
تربية الأسياد أولادهم
علويٍّ ثَلَاثَةُ دِيَارٍ ، عَلَيْهَا سُوْرٌ بِمَدِينَةِ (تَرْيَمِ) ، يَقَالُ لَهَا :
(الحوطة) ، كَانُوا يَحُوطُونَ أَوْلَادَهُمْ فِيهَا بِالنَّظَرِ ، وَيَلَاظُونَهُمْ

التربية حتى لا يبرحوها ، ولا يطرأ شارب الغلام منهم إلا وقد ورى
 زاده ، وتجهر فؤاده ، وشملت الأسرار ، وأشرقت عليه الأنوار ،
 التحق بالصالحين الأخيار ، فلا يخافون عليه بعد من مخالطة
 الأغيار .

وكان أصحاب مشورة عمر شبناناً ، وكان يدني عبد الله بن أصحاب مشورة سيدنا
 عباس ، ويدخله مع الأشياخ ، ولما قالوا له : إن لنا أبناء مثله . . عمر رضي الله عنه
 قال : إنه من حيث ترون .

ولا جرم ؛ فإن الفاروق لما قايَسَ الناسَ بالفضيلة . . أتبعث لها
 النفوسُ فارتفع الشأن ، وسعد الزمان .

أما قوله ﷺ : « كَبُرَ كَبْرُ »^(١) في قضية حريصة وأخيه . . فإنما تقديم الأسن عند
 هو لاستوائهم في الفضل ، وبمثله قالوا في قوله ﷺ : « ثُمَّ لِيَوْمُكُمْ
 كَبِيرُكُمْ »^(٢) : فإنهم استَووا في الإقامة لتلقي العلم مع انتفاء
 التفاوت في الأفهام ، فكانوا غير متفاوتين فيما تلقوه من الفقه ،
 وبقيت الأرجحية بالسن ، وقد بحث المحب الطبري تقديم الأسن
 فيما إذا أسلموا معاً ، وأستوا فقها ؛ لعموم هذا الحديث ،
 والأكثر على أن لا اعتبار للسن في غير الإسلام ، والظاهر أن
 إسلامهم معاً ، فلعل في الأكبر فضيلة زاد بها عليهم ، فاستحق
 التقديم ، أو لعل المراد بالأكبر الأكبر منزلة وقدر ، فيراد منه الأفقه
 حيث ، فيندفع من أصله الإشكال .

(١) أخرجه عن سهل بن أبي حشمة البخاري (٧١٩٢) في الأحكام ، ومسلم
 (١٦٦٩) في القسامة .

(٢) أخرجه عن مالك بن الحويرث رضي الله عنه البخاري (٦٠٠٨) في الأدب ،
 ومسلم (٦٧٤) في المساجد .

سرعة بديهية يحيى بن أكرم
ولمّا ولي يحيى بن أكرم قضاء (البصرة) .. أرادوا العبث به ، فسألوه عن سنّهِ ، ولمّا تجاوز العشرين ، فقال : أنا أكبر من عتاب بن أسيد^(١) حين وجّه به رسول الله ﷺ قاضياً على (مكة) يوم الفتح ، وأنا أكبر من معاذ بن جبل^(٢) حين وجّه به النبي ﷺ قاضياً على (اليمن) ، وأنا أكبر من كعب بن سور^(٣) حين وجّه به ابن الخطاب قاضياً عليكم ، فأفحمهم ؛ إذ جعل كلامه احتجاجاً وجواباً .

المرء بأصغريه
وقدّم على عمر بن عبد العزيز وفدٌ ، فيهم حدّث ، رآه يشرّط للكلام ، فقال له : كَبُرَ كَبُرٌ ، فقال : لو كانت بالسّن . . . لكان في مجلسك هذا من هو أولى منك بالخلافة ، إنّما المرء بأصغريه ، فقال له : تكلم ، فأجاد وشفى ، وأفاد وكفى^(٤) .

سيادة أبي جهل
وساد أبو جهل ابن هشام قبل أن يطرّ عذاره^(٥) ، وكانت مشيخة قريش تُدخله معها دار الندوة ، ولا تقطعُ أمراً دونهُ .

- (١) عتاب بن أسيد ابن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس ، أبو عبد الرحمن ، وال صحابي قرشي أموي مكّي ولد سنة : (١٣ ق. هـ) ومات سنة : (١٣ هـ) .
(٢) معاذ : صحابي خزرجي ، أبو عبد الرحمن ، ولد سنة : (٢٠ ق. هـ) ومات سنة : (١٨ هـ) كان من أعلم الأمة بالحلال والحرام .
(٣) كعب بن سور بن بكر الأزدي ، تابعي من الأعيان المقدمين في صدر الإسلام توفي سنة : (٣٦ هـ) .
(٤) في « جمهرة خطب العرب » (٤١٩/٢) . فقال عند ذلك أمير المؤمنين [من الطويل] :

تَعَلَّمَ فَلَيْسَ الْمَرْءُ يُؤَلَّدُ عَالِماً وَلَيْسَ أَخُو عِلْمٍ كَمَنْ هُوَ جَاهِلٌ
وَإِنْ كَثُرَ الْقَوْمُ لَا عِلْمَ عَنْدهُ صَغِيرٌ إِذَا انْتَهَتْ عَلَيْهِ الْمَحَافِلُ
(٥) العذار : ما طلع من وِبر جانبٍ لحيته .

وساد عمرو بن كلثوم - صاحب المعلّقة - لخمس عشرة سنة ، ثم سيادة عمرو بن كلثوم
لم يمت إلا عن مئة وخمسين ربيعاً ، وهو القائل [في ديوانه] ١٠٠ من الوافر] :

إِذَا بَلَغَ الْفِطَامَ لَنَا صَبِيٌّ تَخِرُّ لَهُ الْجَبَابِرُ سَاجِدِينَ

وقالت الخنساء [في ديوانها] ١٥ من المتقارب] : سيادة أخ الخنساء

طويلُ التجادِ رفيعُ العِما دِ سَادَ عَشِيرَتَهُ أَمْرَدًا^(١)

وقالت أختُ طرفة بن العبد في رثائه [كما في « خزنة الأدب » ٢٣ / ٢ من سيادة طرفة بن العبد
الطويل] :

عَكَدْنَا لَهُ سِتًّا وَعَشْرِينَ حِجَّةً فَلَمَّا تَوَقَّاهَا اسْتَوَى سَيِّدًا ضَخْمًا

ويروى : أَنَّ الْحِجَّاجَ وَلَّى مُحَمَّدَ بْنَ الْقَاسِمِ قِتَالَ الْأَكْرَادِ محمد بن القاسم يبيد
[فارسي] ، فَأَبَادَهُمْ ، ثُمَّ وَلَّاهُ (السُّنْدَ) و (الِهْنَدَ) ، فَأَحْمَدُ الأكراد وعمره سبع
عشرة سنة
أَنَّهُ ، وَسِنَّهُ إِذْ ذَاكَ سَبْعَ عَشْرَةَ سَنَةً ، فَقَالَ فِيهِ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ لِزِيَادِ
الأعجم كما في « المستطرف » ٩٧ / ١ من الكامل] :

قَدَّتِ الْجُبُوشُ لِسَبْعِ عَشْرَةِ حِجَّةً يَا قُرْبَ ذَلِكَ سُودُودًا مِنْ مَوْلِدِ

وقال جرير لعمر بن عبد العزيز [من الوافر] : الشعراء والسيادة في

قَسَدَتِ النَّاسَ قَبْلَ سِنِّي عَشْرٍ كَذَلِكَ أَبُوكَ قَبْلَ الْعَشْرِ سَادَا
الصغر

وقال الفرزدق يمدح يزيد بن المهلب [في ديوانه] ٣٧٨ / ١ من الكامل] :

مَا زَالَ مُذْ عَقَدْتَ يَدَاهُ إِزَارَهُ وَسَمَا وَأَذْرَكَ خَمْسَةَ الْأَشْبَارِ

يُذْنِي كِتَابٍ مِنْ كِتَابٍ تَلْتَقِي فِي ظِلِّ مُغْتَبِطِ الْغُبَارِ مُتَارِ

(١) التجاد : حمائلُ السيف ، وطويلُ التجاد : كناية عن طولِ القامة . رفيع
العماد ، يقال : رجلٌ معمدٌ ؛ أي : طويلٌ .

وَمِمَّا أَصَابَ الْمَحْزُ ، وَطَبَّقَ الْيَفْصَلِ ، قَوْلُ الْحَزِينِ الْكَثْنَانِي فِي
الإمام زيد بن علي^(١) رضوان الله عليهم [من الطويل] :

وَلَمَّا تَرَدَّدَى بِالْحَمَائِلِ وَأَتْنَتَى يَصُورُ بِأَطْرَافِ الْقَنَا وَالْقَنَائِلِ
تَبَيَّنَتِ الْأَعْدَاءُ أَنَّ سِنَانَهُ يُطِيلُ حَيْنَ الْأُمَّهَاتِ الْفَوَائِلِ
تَبَيَّنَ فِيهِ مِثْلُ الْعِزِّ وَالْقَسَى وَلَيْدًا يُفْدَى بَيْنَ أَيْدِي الْقَوَائِلِ

وقال العلوي صاحب الزنج [من البسيط] :

إِنِّي وَقَوْمِي فِي أَنْسَابِ قَوْمِهِمْ كَمَسْجِدِ الْخَيْفِ فِي بَخْبُوحَةِ الْخَيْفِ
مَا عُلِقَ السَّيْفُ مِنَّا بِأَبْنٍ عَاشِرَةٍ إِلَّا وَهْمَتُهُ أَمْضَى مِنَ السَّيْفِ

ومن خالص الشعر ، ومختار الكلام ، قول مروان ابن أبي
حفصة^(٢) يمدح معن بن زائدة^(٣) [في ديوانه ٦٤-٦٥ من الطويل] :

نَجِيبٌ مَنَاجِبٍ وَسَيْدُ سَادَةٍ ذُرَى الْمَجْدِ مِنْ فَرْعِي نِزَارٍ تَفَرَّعَا
لَبَّائَتْ خِصَالُ الْخَيْرِ فِيهِ وَأُكْمِلَتْ وَمَا كَمَلْتُ خَمْسًا سَنُوهُ وَأَزْبَعَا
لَقَدْ أَصْبَحَتْ فِي كُلِّ شَرْقٍ وَمَغْرِبٍ بِسَيْفِكَ أَغْنَاكَ الْمُرَيْنِسَ خُضْعَا
وَطِئْتَ خُدُودَ الْحَضَرَمِيِّينَ وَطَاةَ بِهَا مَا بَنَوْا مِنْ عِزَّةٍ قَدْ تَضَعُضَعَا
فَأَقْعَوْا عَلَى الْأَسْتَاهِ إِقْعَاءَ مَعْشَرٍ يَرَوْنَ أَتْبَاعَ الْذُلِّ أَوْلَى وَأَنْفَعَا
فَلَوْ مَدَّتِ الْأَيْدِي إِلَى الْحَرْبِ كُلِّهَا لَكَفُّوا وَمَا مَدُّوا إِلَى الْحَرْبِ إَصْبَعَا

(١) زيد بن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب، الإمام، أبو الحسين العلوي الهاشمي القرشي، ويقال له: زيد الشهيد، عدّه الجاحظ من خطباء بني هاشم. توفي سنة: (١٢٢هـ). عن (٤٣) سنة.

(٢) هو مروان بن سليمان ابن أبي حفصة يزيد، شاعر عالي الطبقة توفي سنة: (١٨٢هـ).

(٣) هو أشهر أجواد العرب وشجعانهم الفصحاء توفي سنة: (١٥١هـ).

وما أحسن قول بعضهم [من الوافر] :

مَا أَوَّلَ الْخَطِّي أَخْطَا فَمَا يُزَجِّي لِآخِرِهِ أَنْتَصَارُ
لَمْ يَجَازِ الْفَتَى عِشْرِينَ عَامًا وَمَا بَلَغَ الْمُرَادَ فَذَاكَ عَارُ
ولكن الإمام أبا حنيفة أمهله إلى خمسة وعشرين عامًا ، فمتى
لها . . . دفع له ماله ، وإن لم يستجمع رشده ؛ لليأس من صلاحه ،
لأن السن المذكور غاية ما ينتهي إليه الاستواء .

وقال أبو عبادة وقد أوفى على الإجابة لفي «ديوانه» ٣/ ١٤١٤-١٤١٥

[الكامل] :

تَمْضِي الْأُمُورَ وَبَخْرُهَا لَمْ يُنْزَفِ تَطْهَرُ بِذَخِيرَةٍ مِنْ رَأْيِهِ
كَهَلِ التَّجَارِبِ فِي ضَجَاجِ الْمَوْقِفِ لَا يَكُنْ كَهَلِ السِّنِينَ فَإِنَّهُ
غُرُرُ السَّوَابِقِ مِنْ يَفَاعِ مُشْرِفٍ^(١) لَوْ مَوَاقِعُ رَأْيِهِ وَكَأَنَّهَا
فَصَلَ الْقَضِيَّةَ فِي ثَلَاثَةِ أَحْرَفٍ وَإِنَّا خِطَابُ الْقَوْمِ فِي الْخَطِّبِ اعْتَلَى

ومما يعجبني من هذه القصيدة قوله لفي «ديوانه» ٣/ ١٤١٧ من الكامل :

مَسَمَّتْهُ أَخْلَاقُهُ وَهِيَ الْكَرْدَى لِلْمُعْتَدِي ، وَهِيَ النَّدَى لِلْمُعْتَدِي
وَإِنَّا جَرَى مِنْ غَايَةِ وَجَرِيَتْ مِنْ أُخْرَى الْفَتَى شَاوَاكُمَا فِي الْمُنْصَفِ

وما زال الناس يعجبون بقول أبي هانئ الأندلسي [من الكامل] :

أَكْبَنُ الْعَوَالِي السَّمْهَرِيَّةِ وَالْمَوَا ضِي الْمَشْرِفِيَّةِ وَالْعَدِيدِ الْأَكْثَرِ
مِنْ مِنْكُمْ الْمَلِكُ الْمُطَاعُ كَأَنَّهُ تَحْتَ السَّوَابِقِ تَبِعَ فِي حِمِيرٍ^(٢)

(١) اليفاع : ما ارتفع من الأرض .

(٢) السمهريّة : الرماح الصلبة الشديدة . السوابق ، يقال : سبغ الشيء : طال =

حَتَّى وَجَدْتُ بَعْضَ لَفْظِهِ مِنْ قَوْلِ الْبُحْتَرِيِّ [في «ديوانه» ١٠٢٩/٢ من
الكامل] :

وَتَنَاوَلَ الضَّحَّاكَ مِنْ خَلْفِ الْقَنَا وَالْمَشْرِفِيَّةِ وَالْعَدِيدِ الْأَكْثَرِ
وَبَعْضُ الْمَعْنَى مِنْ قَوْلِهِ فِي الْقَصِيدَةِ الَّتِي نَوَّهْنَا بِهَا [في «ديوانه»
١٤١٣-١٤١٤ من الكامل] :

يَهْدِيهِمُ الْأَسَدُ الْمُطَاعُ كَأَنَّهُ عِنْدَ اجْتِمَاعِ الْجَحْفَلِ الْمُتَضَايِفِ
عَمَرُوا الْقَنَا فِي مَذْحِجِ أَوْ حَاتِمٍ فِي طَيِّءٍ أَوْ عَامِرٍ فِي خِنْدِفِ
إِلَّا أَنَّ أَبْنَ هَانِيءَ بَتَنَاسَقِ قَوْلِهِ ، وَجَزَالَةَ لَفْظِهِ ، وَأَطْرَادِ سِيَاقِهِ ،
وَحُسْنِ اتِّبَاعِهِ . . . كَانَ الْأَحَقُّ بِهِ .

المسام المتبني بقول البحري
وقد أَلَمَ الناظمُ بقولِ الْبُحْتَرِيِّ : (فَصَلَ الْقَضِيَّةَ فِي ثَلَاثَةِ
أَحْرُفٍ) ، وَذَلِكَ حَيْثُ يَقُولُ [في «المكبري» ٢٨٥/٢ من الطويل] :

يَقْرُؤُ مَقَامَ الْجَيْشِ تَقْطِيبُ وَجْهِهِ وَيَسْتَفْرِقُ الْأَلْفَاظَ مِنْ لَفْظِهِ حَرْفُ
وَفِي قَوْلِهِ [في «المكبري» ٣٩٧/٣ من الطويل] :

حُرُوفُ هِجَاءِ النَّاسِ فِيهِ ثَلَاثَةٌ : جَوَادٌ وَرُمُحٌ ذَابِلٌ وَحُسَامٌ

تألم المؤلف على ما آل إليه حال العلويين ونصحه لهم
وبمناسبة ما سبقَ عَنْ يَحْيَى بْنِ زَيْدٍ ، وَمَا قِيلَ فِي أَبِيهِ ، وَمَا
ذَكَرْتُهُ عَنْ صَاحِبِ الزَنْجِ ، وَمَا سَقَيْتُهُ فِي كِرَامَةِ آبَائِنَا ، وَكُونَ
الْمَمْدُوحِ فِي الْقَصِيدَةِ الَّتِي بَيْنَ أَيْدِينَا عَلَوِيُّ النِّسَبِ . . . أَنَعِي عَلَى
الْعَلَوِيِّينَ أَنْقَسَامَهُمْ وَتَخَاذُلَهُمْ وَأَنْحِطَاطَهُمْ ، حَتَّى لَقَدْ نَهَبَ

= وَأَتَسَّحَ ، وَسَبَغَتِ الدَّرْعُ : فَهِيَ السَّوَابِغُ .

(١) أُنْتَبِهُ مِنَ الْإِمَاءِ مَرَّةً ، إِحْدَاهُمَا لَعْلَوِيٌّ ، وَالْأُخْرَى لِدَلَالٍ .
 الثاني : فَلَمْ يَصِلْ إِلَى (الرَبْدَةِ) لاسْتِفَادِهَا إِلَّا فِي أَرْبَعِ مِثَّةٍ مِنْ
 جَنْبِهِ ، جَاؤُوا مَدَدًا لَهُ مِنْ نَوَاحِي (حَضْرَمَوْتَ) . وَأَمَّا الْعَلَوِيُّ :
 فَلَمْ يَلْمِ أَحَدٌ ، وَلَمْ يَصِلْ إِلَّا وَحْدَهُ ، فَمَا أَحَقُّه بِأَنْ يَتِمَثَّلَ لَهُمْ بِمَا
 سَانِي قَبِيلِ الْمَجْلِسِ السَّابِعِ : وَكَمْ لَهَا مِنْ أَخَوَاتٍ تُعَدُّ بِالْمَنَاتِ ، لَمْ
 يَكُنْ بَعْضُهَا بَعْدُ . وَلَوْلَا مَا فِي ذِكْرِهَا مِنْ جَرَحِ الْعَوَاطِفِ بِلا كَبِيرٍ
 لَسَرَدْنَا مِنْهَا ، فَإِنَّا نَعُدُّ مِنْهَا وَلَا نَعُدُّهَا [مَنْ الْبَسِطُ] :

كُنْتُ مِنْ مَازِنٍ لَمْ تَسْتَبِخْ إِلَيَّ بَنُو اللَّقِيطَةِ مِنْ ذُهْلِ ابْنِ شَيْبَانَا
 قَوْمِي وَإِنْ كَانُوا ذَوِي عَدُوٍّ لَيْسُوا مِنَ الْخَيْرِ فِي شَيْءٍ وَإِنْ هَانَا

وَالْعَجَبُ أَنَّكَ لَا تَرَى أَحَدًا مِنَ النَّاسِ يَتَكَلَّمُ فِي الْأَخْلَاقِ وَمَدَحِ
 السَّمَاعِ مِثْلَهُمْ ، وَمَعَ ذَلِكَ - وَلَا أَحَاشِي - تَجِدُهُمْ مِنْ أَكْثَرِ الْخَلْقِ
 نَاقًا ، وَأَفْسَدَهُمْ أَخْلَاقًا ، وَإِنَّكَ لَتَجِدُ الْحَاكِمَ وَمَنْ دُونَهُمْ يُفْضِلُونَهُمْ
 فِي الْهَيْئَةِ الْأَجْتِمَاعِيَّةِ بِدَرَجَاتٍ ، فَمَا أَقَلُّ حَيَاءِهِمْ ، وَمَا أَصْفَقَ
 دُجُوهَهُمْ ؛ إِذْ يَتَبَجَّحُونَ بِالْإِنْتِسَابِ إِلَى سَادَاتِ الْكُونِ عَلَى بُعْدِ مَا
 بَيْنَهُمْ مِنَ الْفَرْقِ وَالْبُؤْنِ ، وَلِلَّهِ دُرُّ الْقَائِلِ [مَنْ الْبَسِطُ] :

لَسْتُ بَيْنَهُمْ وَلَسْتُ مِنْ سُلَاكَتِهِمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ أَمْرُكُمْ مِنْ أَمْرِهِمْ أَمَّا
 وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ النَّازِمِ [فِي « الْمُكْتَبَرِي » ١٥٦/١ مِنْ الطَّوِيلِ] :

إِنَّا عَلَوِيٌّ لَمْ يَكُنْ مِثْلَ طَاهِرٍ فَمَا هُوَ إِلَّا حُجَّةٌ لِلنَّوَاصِبِ (٢)

(١) الصَّيْعَرُ : قَبِيلَةٌ مِنْ قِبَائِلِ (حَضْرَمَوْتَ) .

(٢) النَّوَاصِبُ - جَمْعُ نَاصِبٍ - : وَهُمْ الْخَوَارِجُ الَّذِينَ نَصَبُوا الْمَدَاوِءَ لِلْإِمَامِ عَلِيِّ ابْنِ
 أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

وهو من قول شاعر قبله ، يقول لبعض العلويين [من الطويل] :

إِذَا الْفُضُّ لَمْ يُنْمِرْ وَإِنْ كَانَ شُعْبَةً مِنْ الْمُنْمِرَاتِ أَعْتَدَهُ النَّاسُ فِي الْحَطَبِ

ولمّا أنحرفت سيرة الموسويين (بـ بغداد) .. كتب لهم أحد
محبّهم - بما قومنا به الآن أحقّ منهم - وهو هذا [من الطويل] :

مضى يبلغ البيان
التمام!

يَعِزُّ عَلَى أَسْلَافِكُمْ يَا بَنِي الْعَلَاءِ إِذَا نَالَ مِنْ أَغْرَاضِكُمْ شَتْمُ شَائِمِ
بَنَوْا لَكُمْ مَجْدَ الْحَيَاةِ فَمَا لَكُمْ أَسَأْتُمْ إِلَى تِلْكَ الْعِظَامِ الْكَرْمَائِمِ
إِذَا أَلْفُ بَنٍ خَلَقَهُمْ هَادِمٌ كَفَى فَكَيْفَ بَيَانٍ خَلَقَهُ أَلْفُ هَادِمِ

والمعنى موجود في قوله تعالى : ﴿يَنْسَأَ النَّبِيُّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُمْ
فِي خَشَعَةِ مُبَيِّنَةٍ يُضْعِفُ لَهَا الْعَذَابَ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾
[الأحزاب : ٣٠] ، وقوله : ﴿يسيراً﴾ ممّا يحقّ به للأحزان أن تشمل
رباطها^(١) ، وللقلوب أن يتقطع نياطها^(٢) ، فما لنبيّ معه إرادة ، ولا
بينه وبين أحد من خلقه هودة ، فأتى ينجو المقصّر ، أو يسعد
الطالح ، وقد قال الله تعالى لنوح عليه السلام : ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ
إِثْمُ عَمَلٍ غَيْرِ صَالِحٍ﴾ [هود : ٤٦] ، وما أحسن ما قلت من قصيد [من
الطويل] :

إِذَا لَمْ يَسِرْ نَجْلُ النَّبِيِّ بِسَيْرِهِ فَلَا بَذْعَ إِنْ قَالَ أَلْعِدَا إِنَّهُ دَعَانِي
أَيُّ حَقٍّ نَصْرُهُ؟ أَيُّ بَاطِلٍ أَنْكَرُهُ؟ وَأَيُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ تَمَعَّرَ
وَجْهُهُ^(٣) فِي ذَاتِ اللَّهِ؟ مَعَ عَرَضٍ دَعَاوِيهِمْ وَطَوَلِهَا ، وَكَثْرَةِ

(١) الرباط : الملاءة إذا كانت قطعة واحدة ، وهو تشبيه للأحزان بما ذكرنا .

(٢) نياط القلب : عرق نيط به القلب إلى ألوتين .

(٣) تمعّر الوجه : تغيّره وأعتلاه الصفرة عليه من الغيظ .

اعظمهم وفضلوها ، بل أي رذيلة بد (حضر موت) و (جاوه) (١) لم

تصيبة للمؤلف في

العلوين

مروءتها ، ولم يصعدوا ذروتها ؟!

وَمِنْ أَمْرٍ مِنْهُمْ تَمَعَّرَ عِنْدَمَا
تَمَطَّى الْبَلَاءُ فِي قُطْرِنَا بِظَلَامِهِ
عَامَ احْتِسَابِ يَوْمِ حَلَّتْ بِعَقْرِنَا
طَلَانِجُ كُفْرِ هُمَّهَا فِي التَّهَامِ
تَمَعَّرَ عَلَى هَذَا الْقَدَا جَفْنُ مُسْلِمٍ
يُؤْمَلُ بِالإِسْلَامِ مَخَوَاتُهَا؟
وَمِنْهُمْ يَتَخَرِّفُ الشَّرِيعَةَ طَامِعٌ
مِنْ اللَّهِ أَنْ يَخْطِئَ بِخُسْنِ خِتَامِهِ
يَذْمُنُ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ وَلَوْ عَدَا
عَلَى شَأْنِهِ لَمْ يَنْحَازْ عَنِ قِيَامِهِ
يَعْضُبُ فِي شَرَوَى تَقِيرٍ وَيُكْثِرُ
الضَّجَاجَ إِذَا مَا زَادَ مِلْحُ طَعَامِهِ
وَيُخْطِرُ مِثْلَ الْفَخْلِ إِنْ قَصَرَ أَمْرُهُ
يَلَايِنُهُ فِي تَقْبِيلِهِ وَأَحْتِرَامِهِ
إِذَا لَمْ يَكُنْ يَزْجُو وَإِلَّا فَإِنَّهُ
وَيَهْتِكُ مِمَّنْ كَانَ ذَا وَضْعِهِ الثَّقَى
يُزِي صَلَاحَ الْقَوْمِ مَا رَيْتُ مِثْلَهُ
مِنْ أَلْسُنٍ إِلَّا خَالِيَاتٍ جَهَامِهِ (٢)

ولا أزال في وجلٍ من مقالة طرقت سمعي في « شرح النهج » هل صحيح أن الإنسان

الذي يبلغ التَّجَامُ في أمر يُفقد هذا الأمر من

ذركته ، فلم يتولَّ منهم عادلٌ إلا نادراً بطريقة الشذوذ ؛ لأنَّ الأمر في ذركته ؟

أسلافنا على مقربةٍ ممَّا ذُكِرَ عَنِ ابْنِ الْخَطَّابِ فِي بُلُوغِ الْغَايَاتِ مِنْ

الفضائل ، فنخاف أن يكون السابقون إلى عهدِ المُقَدِّمِ (٣) استفرغوا

(١) جاوه: وتعني (إندونيسية).

(٢) والأبيات من نظم المؤلف - رحمه الله - في « ديوانه » (٣٠٢-٣٠٣) من الطويل.

(٣) الجَّهَامُ: السحاب الذي لا ماء فيه ، وقيل: الذي قد هراق ماءه مع الريح .

(٤) أي: إلى عهد الإمام شيخ الشيوخ الفقيه المُقَدِّم: محمَّد بن علي الشريف =

ما لِمَن بعدهم مِنَ الجهادِ والكفاح ، وملاعبةِ الأستِ والصَّفاح ، وأدَّ
يكونَ الفقيهُ ومن بعده أستفرغوا ما لأهلِ عصرنا مِن خيرٍ وصلاح ،
وفوزٍ ونجاح ، وتقوى وعبادة ، وورعٍ وزهادة ، ورُبما شهد
الزمانُ ، ودلَّلَ العيانُ .

وَكَمْ سَقَتْ فِي آثارِهِمْ مِنْ نَصِيحَةٍ وَقَدْ يَسْتَفِيدُ الظُّنَّةُ الْمَتَّصِحُ (١)

الكِبال بين الناقصين . ولكنَّهم قد وصلوا - مِن سوءِ الحالةِ - إلى حَدٍّ أَنَّهُم يعدُّونَ
ذنبَ للإنسانِ ذنباً كماله .

قصيدة أخرى للمؤلف في نعي أسلافه وحث إخوانه
ولا بأسَ أَنْ نختمَ المجلسَ - على طوله - بذِروِ مِنَ القصيدةِ التي
ختمتُ بها كتابي « صوبَ الرُّكام » ؛ لأنَّ فيه مناسبةً للمقامِ الذي دُبراهُ
المؤلف ، ١٩٧ من الطويل] :

وَقَدْ أَلْجَمَ الْإِذْهَانُ آلَ مُحَمَّدٍ	فَمَا رَيْتُ مَنْ لَهِ يَرْضَى وَيَغْدَسُ
كَأَنَّ لَمْ يَكُونُوا مِنْ عَلِيٍّ وَلَمْ يَمُتْ	لَهُمْ فِي قِرَاعِ الْجَوْرِ جَدٌّ وَلَا رُبُّ
وَيَا لَيْتَهُمْ كَانُوا كَفَافًا وَلَا جَنَى	عَلَى الَّذِينَ مِنْهُمْ كَاشِحُونَ وَأَجْلَبُوا
وَلَوْ لَا أَفْتِرَاقُ بَيْنَهُمْ عَمَّ شَرُّهُ	لَأَوْشَكَ صَدْعُ الْفَطْرِ بِالْجَوْرِ يُشْعَبُ
أَلْحُوا وَلَجُّوا فِي بَعَادٍ وَيَغْضَبُ	فَقَدْ نَشَبُوا فِي حَبْلِ غِيٍّ وَأَنْشَبُوا (٢)
وَفِي شِعْرِ حَدَادِ الْقُلُوبِ نَظِيرُ مَا	ذَكَرْتُ فَمَاذَا يُكْرِ الْمُنَحَرَّبُ؟ (٣)
وَإِنْ خَاضَ فِي الْإِضْلَاحِ بَعْضُ فَإِنَّهَا	أَمَانِيَّ آراءٍ بِهِمْ تَشْعَبُ

= الحسيني التريمي المتوفى سنة : (٦٥٣ هـ) بد (تريم) رحمه الله تعالى .

(١) البيت من الطويل ، الظُّنَّةُ : التهمة .

(٢) نَشَبُوا وَأَنْشَبُوا : تعلقوا بحبل الضلال .

(٣) حداد القلوب : هو الإمام عبد الله الحداد المتوفى سنة (١١٣٢ هـ) رحمه الله تعالى .

وَذَلِكَ تَارِيخِي نَقِيٌّ وَحُجَّتِي
وَمَنْ يَكُ فِي شَكِّهَا أَنَا ذَا وَمَا
إِذَا لَمْ أُجِبْ عَنْ كُلِّ قَوْلٍ بِقَاطِعٍ
وَمِنْهَا :

بَعُدْتُ بِفَضْلِي عَنْهُمْ قَدَرُ مَا دَنَا
وَمَا زَالَ لِي بِاللهِ جَلٌّ تَسَاوُهُ
عِلَاءٌ بِلَا جُنْدٍ وَلَا رِيحِ دَوْلَةٍ
سَامِضِي بِرَاحٍ لَا ضِرَاءَ إِلَى الْعُلَى
وَلِي قَلَمٌ كَالْمَشْرِفِيِّ وَمَقُولٌ
رِفَاقُ الْخَنَا وَالشُّكْلُ لِلشُّكْلِ يَجْذِبُ
عَلَى هَامَةِ الشُّعْرَى خِبَاءٌ مُطَنَّبٌ^(١)
عَلَى قَلَلِ الشُّمِّ الدَّرَى يَتَوَكَّبُ
وَفِي نَصْرِ دِينِ اللهِ لَا أَنْهَيْبُ^(٢)
يُذِيبُ الْصَفَا أَنَاءَ أُمْلِي وَأَكْتُبُ

وَاللهُ أَعْلَمُ

* * *

= يليه، وهي في «الديوان» :

وَعَايَيْهُمْ أَنْ يَكْذِبُوا وَمَنْى أَفْتَرُوا
يَعِيشُونِي غَيْبًا وَفِي كُلِّ مَشْهَدٍ
الشُّعْرَى : كوكب نيرٍ يَطْلُعُ عند شدة الحرِّ . خِبَاءٌ مُطَنَّبٌ : بناءٌ من وبرٍ مشدود
بالحيال .

(٢) البراح : الجهرُ . الضِرَاءُ : الاستخفاءُ .

الفهرس

الفهرس

المقدمة	4
من ترجمة المُنْتَبِي (ت354هـ)	7
من ترجمة شاعر الوفاء المشطَب العلوي (ت350هـ)	11
مع الطاهر العلوي الفلسطيني	17
نص القصيدة في الطاهر العلوي الفلسطيني	23
نص القصيدة في مدح محمد بن عبيد الله العلوي المشطَب	
المقطع الأول : في الغزل	35
المقطع الثاني : في الوصف	37
المقطع الثالث : في المدح	48
آل الأعرجي حسب الهجاء والألقاب على المعجم في العصر الحاضر	57
مصادر الكتاب	61
الملاحق	63
	448



The Open School

P.O. BOX 53573

CHICAGO, IL 60653-0398